

بسم الحكيم من يشاء من يؤت الحكمة فقد واثق
خبراً كبيراً وما يدركه الا اولو الالباب

المجلد الحادي عشر

١٣١٥

بسم عبادي الذين يستنبطون القول فيجبون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

حجرو قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و ه منارا ه كثار الطريق

(مصر - الثلاثاء - مطبع المحرم ١٣٢٦ - ٣ مارس (آذار) سنة ١٩٠٨)

فاتحة السنة الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الالباب ،
والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، الذي بعث في الاميين ليظلمهم الكتاب
والحكمة ، محمد النبي الامي ، العربي الحجازي ، وعلى آله واصحابه خير الال
والاصحاب ، ومن تبعهم واهتدى بهديهم الى يوم المآب ، ٢٩: ١٣ الذين
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طوبى لهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ

أما بعد فان المنار بحمد الله وعنايته ، وتوفيقه وهدايته ، قد أتم عشر

سنين كاملة ، وتجاوز الأعداد المفردة إلى الأعداد المركبة ، وهو في نحو طبيعى ، وارتقاء تدريجي ، لم تظهر به مساعدة الكبراء ، كما ظهرت بكثير من العاملين ، ولم تظهر به مكيدة الرؤساء ، كما ظهرت ببعض المصلحين ، بل سار لطيفته على استقلاله ، في جميع أحواله وأحواله ، سلاحه تحري الحق ، وعدته التزام الصدق ، وجنته الاخلاص لله ، وحصنه تقوى الله باتباع سنن الله ، هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، تَجَنَّتْ عَذَابُ مَنَحَةٍ لَهُمْ

الأبواب ،

جاهد في سبيل الإصلاح بقدر الامكان ، وما تقتضيه حال الزمان والمكان ، فهاجته السياسة بدساتيسها فالت من قريه وصديقه ، ولكنها لم ترحله عن طريقه ، ووائتته الخرافات بوساوسها ، فالت دون سرعة انتشاره ، ولكنها لم تقو على صدياره ، وصادته التقاليد بواجبها ، فصدت الكثيرين من متقليها عنه ، ولكنها لم تزل منه ، بل عز مؤاؤثك في الخطاب ،

١١ : ٣٨ جُنْدٌ مَاهِنٌ لَكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

نم قد انهزم من أمامه الدجالون فلا يجدون قوة ولا حولا ، وانهزم كذلك المقلدون فلا يرجعون اليه قولا ، وأنى للمتوكي على عكاز القال والقليل ، ان ينافح متفني سيف الدليل ، تحت لواء السنة والتزليل ، إلا انهم لا يصدونه بل يصدون عنه ، ولا يقولون له ولكن يقولون فيه ، وكذلك كان يقول المقلدون ، اذ دعوا الى غير ما كانوا يستقدون ، ٣٨ : ٥ أَجَلُ الْآلِئَةِ إِلَهًا

وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ - ١٧ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِي •

الحق أبلج، لا ينخل سبيله، ولا تخفى على الناظر البصير غرته وحبوه، فلا يضره ضعف الداعي وغرته، إذا قويت عارضته وعرفت حقيقته، والباطل للجلب، وإن كثر قبيله، ودعمت فروعه وأصوله، فلا تنفعه قوة الداعي وعصبته، إذا ضعفت سريره ودحضت حجته، وإنما يثبت المقلدون، حيث لا يوجد المستدلون، ويسود المتواكلون، ما سكت عن معارضتهم المستقلون ٣٩:٩
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ *

لا خوف على الحق إلا من الاستبداد، بمنح حرية العلم والارشاد، فالحق لا يوجد إلا حيث توجد الحرية والاستقلال، وتظهر آثار مواهب الناس في الأقوال والأعمال، لهذا لا نخاف على دعوة الإصلاح في هذه البلاد، أو تمرد اليهاسطة الاستبداد، نعم إن سيره قد يسرع وقد يبطئ، وإن الداعي إليه يصيب في رمية ويخطئ، ولكنه يستفيد من الخطأ كما يستفيد من الإصابتة، وقد يزداد مضاء في الرفض والإجابة، حتى يصل الاستعداد للإصلاح عمله، ويبلغ الكتاب أجله (١٣ : ٢٨) أجل كتاب ٣٩ يتمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ٤٠ وإما نرى نك بعض الذين نريدهم أو نتوقنك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب *

إن للإسلام ثلاث مظاهر أو مراتب التقليد وعلية أكثر المسلمين المعتقدين، والبصيرة وعلية نفر من العلماء المحققين، والجنسية وهي تشمل حتى المارقين من المتفرجين، وقد هوجم أولاً في مقاليدته لتحويل العامة عنه، وهوجم في كتابه وسنته لزال الخاصة فيه، وهوجم في جنسيته لحل رابطة المتصمين به،

على أنه لا يخشى عليه من مهاجمة الأجانب عنه ، وإنما يخشى عليه من مهاجمة
الدين يصدون منه ، فالمتمرنون منهم يقتلون العامة عن تقليدهم باسم
المدنية ، وشبه العلوم والفنون المصرية ، ويحلون جنسياتهم الإسلامية ،
بدعوتهم إلى الجنسية الوطنية ، وهم لا يتهنون في ذلك بالإيقاع بالدين ، لأنهم
يأتون العامة عن اليمين ، ويدعون إلى ما يدعون ، معتقدين أنهم مصلحون ،
فتعين على أهل البصيرة والعرفان ، أن يناخروا عن هذا الدين بالبرهان ، واقفين
عند حدود السنة والقرآن ، فإن كلا من مسلمي التقليد والجنسية ، يعترفون
بأن مرتبة البصيرة هي المرتبة الطلية ١٣ : ١٨ أقمن يعلم أن ما أنزل إليك
من ربك الحق كين هو أفعى ؟ إننا نذكر أول الألباب *

ألا وإن من المحال حفظ تقاليد المقلدين ، من غارة اخوانهم المتمرنين ،
فإنها من قبيل العادات ، التي يروها (كما نشاهد) المحو والاثبات ، ألا وإن
مصارعة الجنسية الوطنية ، للجنسية الإسلامية ، مجهولة الدواقب ، إلا حيث
يساعدها الحكم مع الأجانب ، فهناك يرجع أن تكون آية الوطنية هي
المرفوعة ، والراية الإسلامية هي الموضوع ، ويتبع ذلك سرعة تسال العوام ،
من هذه التقاليد المزورة إلى الإسلام ، ويعود الإسلام في مثل هذه البلاد
غزياً كما بدأ ، لأن أهل البصيرة هم الأقلون عدداً ، والأضعفون ساعداً وعضداً ،
إذا غلبوا بالبرهان ، يُظنون بالسلطان ، فهم إمام مضطهدون جبراً ، وإمام مهددون
سراً ، على أنهم لا يقنطون من رحمة الله ، ولا يأسون من روح الله ٣٩ : ١٠
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

ها اذا اقول على رؤوس الاشهاد، ان طالب الاصلاح الديني مهدد حتى في هذه البلاد، ورب مقاومة خفية، شر من صدمة علنية، ورب اضطدام أحدث ظهوراً، خير من اقبال أوجب فقراً، (٢١٦:٢) وعسى ان تذكر هوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم،) فما ظهر حق الا بعد اضطهاد، ولا خذل باطل الا بعد عناد، فلا يترك قلب الظالمين في البلاد، ٢١: ٣٩ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه، ثم يهيج فتراه مضفوراً، ثم يجمله حطاماً؟ إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب.

فيا أيها الكاثدون الظالمون، اتما كيدكم على ملتكم ان كنتم تتقون، ويا أيها المقلدون الجامدون، ان تقاليدكم تتحول عنكم تحول الظل وانتم لا تشعرون، ويا أيها العابثون بالجنسية انكم لبنائكم تهدمون، وتبنون لغيركم من حيث لا تعلمون، ويا أيها المصلحون المستبصرون، اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون، ١٠٢: ٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * لا تفرقكم عوامل المدينة فان دينكم هون لكم عاينها ان كنتم تفقهون، ولا تقتنكم سلطة الامم الاوربية فتأدوها فيما لا تعلمون، فان روح المدنية والسلطة هو الدين والآداب،

وقد انعم الله عليكم من ذلك باكل مما انعم به على أهل الكتاب ، ٢٠٠: ٢
فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ
٢٠١ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

عَذَابِ النَّارِ ٢٠٢ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب •
ان الفساد قد طرأ على جسم هذه الامة من زمن بعيد ، فهو يحتاج الى
تكوين جديد ، ومن المبشرات ان يرى المسلمين ، قد تنهوا الى الحاجة الى هذا
التكوين ، ولكن اختلفت فيه الآراء ، وعبثت به الالهواء ، ولا زعيم
يرجع اليه ، ولا امام يقتدى به ، وما على طلاب الاصلاح الآن ، الا اقامة
الحجة والبرهان ، وتربية استعداد الامة ، الى ان ينهض زعيم من الائمة ، ولا
بد من مسألة الفرق والاحزاب ، واحاطة استقلال الرأي بسياج الآداب ،
٣٩ : ٨ قَبَشِيرٌ عِبَادِي الَّذِيْنَ يَسْتَبِيحُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ اَحْسَنَهُ اُولَئِكَ
الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللّٰهُ وَاُولَئِكَ هُمُ اُولُو الْاِلْبَابِ • منشي المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني

الدعوة الى انتقاد المنار

انا نكرر الدعوة الى انتقاد المنار في كل عام ونعد بنشر ما ينتقده
على ما تنشر من المسائل الدينية والعلمية لعدة أمور
(١) انا نتحرى في كل ما نكتب الحق والارشاد الى الخير ونستبعد
انا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة ففرضنا الاول
من دعوة العلماء الى انتقاد ما نكتبه هو تكميل تفهنا ومساعدتنا على ما نؤخاه
من الارشاد

(٢) حرصنا على تكميل خبرنا من قراء المنار بما نحب ان نكمل به
نفسنا من معرفة الحق والخير والمصلحة وكراهة ان يطق ما عسى ان تقع
فيه من الخطأ بنفس بعض القراء فلا يجذوا عنه مصرفاً

(٣) اقامة فريضتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان كثيراً من
أهل العلم يعتدرون عن تركهم لذلك بأن الناس لا يقبلون أمراً ولا نهياً
بل يعادون من ينصح لهم ويرشدونهم الى الحق وربما آذوه بالقول او الفعل
فها نحن أولاء نؤمنهم من العداة والا يذاء ونعدهم بقبول النصع والارشاد
(٤) فتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المتناظرين ما لم يكن
يعلم وتدفعه الى بذل الجهد والناية في استكناه الحقائق والاحاطة بأطراف
المسائل وترك الحكم للقراء

(٥) قطع السنة أهل الدعوى ، والمتبعين للهوى ، الذين يقولون هذا
حق وهذا باطل ، وهذا حلال وهذا حرام ، وفلان مخطئ او ضال ، او
نافع او ضار ، وهم على غير بينة فيما يقولون ، او على غير اخلاص فيما به
يحكمون ، فالمنار يقول لمن يخوض فيه منهم ان كنتم تقولون الحق
فأبرزوه للقارئ ، وهاتوا برهانكم ان صادقين ، والا فانتم بأكل لحم
أخيم بالنية ، وبجسدكم الذي زين لكم هذه الوقعة ، تقولون مالا تعملون ،
او تلبسون الحق بالباطل وتكتسبون الحق وانتم تعملون ،

هذا واننا نشترط على المنتقد الذي نمد بنشر انتقاده ان يوجه انتقاده
الى ما كتبنا من المسائل العامة دينية أو غير دينية مبيناً موضع المسألة من
المنار بأن يقول ذكرتم في صفحة كذا من مجلد كذا ما هو كيت وكيت

وهو خطأ: ويبين ذلك بالدليل. ولا نعد بنشر الانتقاد المبهم «نحو أنتم تقولون كذا» مما لعلنا لم نقله ولم يخطر ببالنا وإنما جاءه من وقية بعض الكاذبين أو من سوء الفهم - ولا الانتقاد الفقل من الدليل - ولا ما كان موجهاً إلى الأعمال الإدارية أو الشخصية أو اختيار المباحث والمسائل أو أسلوب الكتابة. فكل هذا مما تترك لنفسنا الخيار فيه، مع الشكر عليه، لأن فائدته في الغالب خاصة بنا وعدم العلم بها لا يغمر القراء شيئاً

شروط الاشتراك

- (١) كل من قبل الجزء الأول من مشترك المنار السابقين يعد مشتركاً فيه إلى آخر السنة ويجب عليه دفع ستين قرشاً إن كان من مصر أو السودان وثمانية عشر فرنكاً إن كان من سائر الاقطار وإن ردت المجلة في أثناء السنة لأن ضياع بعض أجزاء السنة علينا كضياع جميعها
- (٢) يجب على من يطلب الاشتراك أن يرسل القيمة سلفاً وإن يكون اشتراكه من أول السنة (الحرم) أو من منتصفها (وجب)
- (٣) إذا لم يصل إلى المشترك أحد الأجزاء فإن الإدارة ترسله إليه بنير عن إذا هو طلبه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد وصوله إليه في بلده. وإذا طلبه بعد ذلك كان عليه أن يرسل ثمنه كمن فقد الجزء وطلب بدله وثمان الجزء الواحد ستة قروش مصرية

تنبية

لم تنشر في هذا الجزء شيئاً من التفسير لسبب عارض

القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوروبا في ذلك

ألف القسيسون وأعوانهم من المتعصبين للنصرانية كتباً كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الإسلام في أقبح صورة ينتزعها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في أوروبا وضعف التعصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثرت البحوث من علماء الأفرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الإسلام والمسلمين وألقوا في بيان مزايا هذا الدين التي كانت محجولة وفضائل أهله التي كانت مبسوطة كتباً كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كابتاني الإيطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الإسلام يقال به كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل إليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتق به نادي المدارس العليا وأكرم مشواه واثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقريراً جريداً التمس لتاريخ البرنس كابتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب الشريعة الإسلامية أن مزية النبي هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك أكثر منه كنبى موحى إليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو أن حنكته وحسن

سياسته افاداً في تأييد سلطته أكثر من إفادة القرآن أو أي جهة دينية، أه
نص ترجمة المؤيد لمبارة التيس

وهذا الذي قاله كاتباتي هو اعتقاد الأفرنج العارفين بنشأة الاسلام،
وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أي أنهم يعتقدون أن النبي (ص) قام
بما قام به بحنكته وسياسته، لا بتأييد الله تعالى له بوحيه وعنايته، ولو لا هذا
لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الأفرنج في هذا
الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى أن مجاح النبي
(ص) كان بسياسته وحنكته أي تجاربه هي أكبر شهرهم على الاسلام
ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر
والايات الآتية التي كتبها الي الدكتور شميل الفيلسوف المشهور
بعدم التدن . حمه عليها قراءة المنار وهي :

« الي غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
« انت تنظر الي محمد كنبى وتجمله عظيمًا وانا أنظر اليه كرجل واجمله
أعظم، ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي
تقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والإخلاص في القرب وذلك أوثق بيننا
لمرى المودة من صديقك الدكتور شميل

(الحق اولى أن يقال)

دع من محمد في سدى قرآنه ما قد نحاه للهمة الفايات (١)

« ١ » يريد بالفايات هنا ما ألفوي وهي الماد صديهي الدينيه ويعني بالامر بقرتها
تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث
هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان الك قد كبرت بدينه
او ما حوت في اصم الالفاظ من
وشرائع لو أنهم عقلوا بها
نعم المدبر والحكيم وانه
رجل الحجار جل السياحة والدها
بلاغه القرآن قد خلب النهي
من دونه الابطال في كل الوري
هل ا كفرن بمحكم الآيات
حكم روادع للهوى وعظات
ما قيدوا العمران بالعادات
رب الفصاحة مصطفى الكلمات
بطل^(٢) حليف النصر في الفارات
وبسيفه أنمى على الهامات
من سابق او لاحق او آت



(المنار) كتب الكتور الي بهذا لا لينشر بل ليقرأ على انه خواطر
جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد مانشره عن الشمس ورددت
عليه في الجريدة استأذنت الكتور بنشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى
التاري اكثر من البرنس كاتاني تعظيما لبي صلى الله عليه وسلم وكذا القرآن
الحكيم الذي لم يدرك البرنس كاتاني تأثيره لانه لا يفهمه كالكثور شميل .
ونحن - على كوننا نشكر لشميل ما اعترف به من مزايانا وكتابنا
ونسأل الله ان يهديه للباقي منها وهو المهم الاعظم - لا نقول انه اعترف
بنبوته ولا بحقية كون كتابه إلهيا . وننكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي
صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلا أعظم منه من حيث كونه نبيا على
أنهم لا يعنون بمثل هذا التعبير الذي قاله شميل وكاتاني انه نبى وسياسي
وان نبوته اقوى من سياسته بل يعنون انه نجح بسياسته لا بنبوته التي
ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان مقاله كاتاني حق ولو كان
حقا لكان هو وجميع علماء أوروبا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين المعارفين

بتاريخ الاسلام كلهم على الحق واستلزم ذلك كون المسلمين على غير الحق فيما يتطرق بأصل دينهم لانهم يقولون بخلاف هذا القول !!
 نهت «الجريدة» المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان ما ترجمه عن التيس من قول كاتباتي كفر ما كان لصاحب جريدة تقتخر بأنها اسلامية ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الآتي نقلا عن عدده الذي صدر في ٣ المحرم والعنوان منا فقط :

رأي المؤيد في القرآن

«أما نحن فنقول للجريدة . انا نقلنا عبارة البرنس كاتباتي عن التيس ونحن نعتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم ترد عليها وأما الجريدة فقد نقلتها وهي تعتقد كفرا ولم ترد عليها فهي المتصرة والمألومة
 «ان عرض البرنس كاتباتي من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له . والله تعالى يقول في كتابه الكريم «وانك لعلی خلق عظیم» فلم يرد البرنس كاتباتي بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول «ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقصوا من حولك» فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدايتهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من العيوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا حجة دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام الذي

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها
البرنس كاتاني

«وليس المقام مقام مقارنة بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما
أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كاتاني ولا هو غرض مؤرخ
كبير كذا بل هذه المباحث المقيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة»
لا يذوق محررها طمها لكلام مؤلف ولا يعرف وزناً قيمة رأي مؤرخ
«أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم حتى الآن ؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام
الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك
سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه
وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من
معجزاته فهل يكون كافراً بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بمخصوص
كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من
كل معجزة دينية أخرى

ان القرآن الكريم وظيفته أخرى لا يشاركه فيها مشارك وهي كون
شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا ففاق بهذه المزية كل الكتب
الالهية الاخرى كما فاقها في الاسلوب والبيان فهل ينقص من فضل
القرآن ومزيته ان يقال ان اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة
تأثيراً في فتوحاته وبسطة سلطانه

« هذا ما أردنا بيانه ونترك للجريدة المشاغفة واللفظ والوثوب من

خطأ الى غلط » اه كلام المؤيد

(المنار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المتنازع في المناقشات السياسية فحرف كلام كاتباتي عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتفضيل تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كاتباتي في غير ذلك اذ زعم ان جل نجاح النبي (ص) أوكله بسياسة وحذكت أي تجاربه - لا اخلاقه الموهوبة من الله - كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدهاء . وكان للمؤيد مندوحة عن تأييد شبهة كاتباتي وتقويتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عمتيتهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

رد شبهة المؤيد على القرآن *

يقول المنكرون لنبو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم ان ماتم على يديه من جمع كلمة العرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق الذي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بهمارك ونابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لهما في نفسها وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمهما في تنفيذ

(هـ) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل ولم يكن في يدنا مصحف نراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردناها فيها فوضعت الاعداد الآن ولم نزد في المقالة شيئاً سواها بل نقلت عن الجريدة بحروفها

سياسة (١٨:٥) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ويقتد المسلمون ان انبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨:١١٠) قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ) الآية. وقوله تعالى (١٢:١٠٩ و ١٦:٤٣) و ٢١:٧ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم)

ويقتدون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ الأربعين ولم يعمل عملا اجتماعيا ولا سياسيا وان ماتم على يديه بعد ذلك انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبالقراآن الذي أوحاه اليه فكان روحا أحياء به حياة جديدة وأحياء به من اتبعه فكان اهتداء الجميع بالقراآن لا بتأثير صفات النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢:٥٢) وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا آنهدي به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هداهم بصفاته البشرية وكفائه الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨:٥٦) انك لا تهدي من أحيت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨:٦٣) لو أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

بل يقتد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره وأخلاقه بالقراآن نفسه فكما أنزل الله عليه شيئا منه ازداد كمالا به ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كانت خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القراآن رواء مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما ومما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد
وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد
أم هو الرأي ليعكروا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان
يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فمن هذه المجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى
الله عليه وسلم بهداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ما تم على يديه
وأيدىهم معه وبعده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيراً ولو شئنا لا أتينا
بأكثر مما أتينا به من الشواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع
السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما
يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال
هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويرى أن
الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي
صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يعهد من الرجال المظام عادة ؟
وقد نقل المؤيد في يوم الاحد الماضي عن جريدة التيمس عبارة
للبرنس كاتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراه
به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب
الشريعة الإسلامية ان منزلة النبي هي في كفاءته المعجبة كسياسي محض
أكثر منه كنبى موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهتمامه حتى الآن
وهو ان حنكته وحسن سياسته أفاد في تأييد سلطته أكثر من أفادة القرآن
وأى حجة دينية » ؟

نقل المؤيد هذه العبارة وأقرها فأنكرت عليه (الجريدة) ان
 ينقل الكفر ويقره على نخره بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء
 الازهر . فهاذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الانكار : أجاب بأنه
 يعتقد ان تلك العبارة (التي تنيط بنجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم
 بالحكمة والسياسة لا بالنبوة) ليست كفراً وبين ذلك بما هو المعجب
 المعجـاب . قال في العدد الذي صدر أمس (يوم الاربعاء ثالث المحرم) مانصه :
 « ان غرض البرنس كإتاني من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق
 النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له
 والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لملي خلق عظيم » فلم يرد
 البرنس كإتاني بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً
 للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على أخلاق
 غير الاخلاق المألية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل
 القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفخوا من حولك »
 فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم
 اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من الميوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ
 القلب ما تقمه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل
 يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه
 الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كإتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام يقول
 ما يزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقوله . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت أخلاق من أنزل عليه تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آنفا وهي «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع حوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئاً ولما فداء المؤمنون بأنفس المال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فهل تتبع أم تتبع كإتاني وأخبر به الذي يقولون إن كل ذلك كان بمزايا الشخصية البشرية

كأن يقع بين الأوس والخزرج المدوان وتصل نار الحرب المناظرة وقت قتل قوله تعالى (٣٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وإذا كروا بنعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) الآيات فرجموا وتابوا وأثابوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل إن سياسة النبي ونكته وأخلاقه هي التي ألفت بين قلوبهم . على أن أخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين «أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن؟ فهل يستطيع مسلم أن يقول إن قوة الإسلام كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الأخلاق المالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم» ونقول في دفع هذه الشبهة أن المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا أشد استمساكاً بحبله المنين وعروته الوثقى لا لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقرآن التي عاتبه الله تعالى على مخالفتها فيها بمثل

قوله (٢٠: ١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم كانوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يتدلون بترك القرآن . ويعتقد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة) بل القرآن حجة عليك وعليهم

فأدعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في تأييد أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تعان توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام وبوحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهتدائه به عمل بعناية الله ما عمل، وبرد قول كائتاني ان حنكته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حجة دينية حباه الله هو ومن اتبعه اياها، فان ذلك كفر وهدم للاسلام

محمد رشيد رضا

صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي بنصه نقلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

ما علما مبادا

قال اللورد كرومر أمس « ان الجامعة الاسلامية تسلم السمي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء خائضة لآداب أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أمرا أهم من ذلك كله وهو افتراف

القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام «
وقال البرنس كائنا في اليوم « ان منزلة النبي هي في كفايته العجيبة
كسياسي محنك أكثر منه كنبي موحى اليه - ان حنكته وحسن
سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حجة دينية «
فإذا اتسع صدرنا لمبارة اللورد ورأينا من اللياقة وحسن الادب
تأويلها مع انها كادت تكون « ربحية في ان الدين الاسلامي دين وضحي -
ولم يتسع صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشير بأنه معترف للنبي صلى
الله عليه وسلم بأنه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟
اذا كانت هناك بواعث حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين
وتشجيع احدي البارتين - فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد
بان عبارة البرنس لا توجب اللزم ولا التمييز بله الضليل والتكثير !!
بل الانصاف يتقاضانا الثناء على جناب البرنس والاعجاب بحجة
ضميره لا عترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .
أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه
وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أولا ثم للقرآن ثانيا كما هو
نص عبارته - فهذا لا يقدح في قواه ولا يجعله من باب الكفر . نعم اذا
كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كما رآه بعض رجال
أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا
مناقشة فيه ما دام انه مستور في نفسه بل نراه قد صرح بضده في
عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك العبارة قرينة

على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم
واذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب
لا نفضوا من حولك» رأيناهم يفسرونها بكلام يأتلف مع ما قاله البرنس
كإتاني . فلم تكن عبارة البرنس اذن كفراً بل هي الحقيقة الدينية التي علم
بها القرآن الكريم .

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من ألك
منهم اذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم جرءه واغضيت عن كثير ممن لو
جفوته واغلظت عليه لتركت فيفارقك ولم يتبعك . ولا (أي ولم يتبع) ما
بعث به من الرحمة» فقوله الاخير نص في أن مزايانا النبي الذاتية كانت
السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أتى به . وقال الالوسي
«لا نفضوا من حولك أي لتفرقوا عنك وتفرقوا منك ولم يسكنوا اليك
وتردوا في مهوى الردى ولم ينتظم أمر ما بعث به من هدايتهم وارشادهم
الى الصراط» فمدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيسه لذهبتا بكفاءته
وحنكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بعثته . وقال بعض
المفسرين ما هو أصرح من كل ذلك كله قال «وكل واحد من الامرين
(أي الفظاظه والغلاظة) لا يليق بمنصب النبوة : لان المقصود من البعثة
ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بعيل قلوبهم اليه
وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رحيا بهم كريما يتجاوز عن
ذنوبهم ويمامهم بالبر والشفقة» فاولا كفاءته الذاتية التي هي عبارة عن
مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البعثة فلم يلتفوا حواله
صلى الله عليه وسلم ولم يعوا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاءة اذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أراد به البرنس
فهل تكون بعد هذا كله عبارة البرنس كفرا وطننا في الدين الى
حد لا نسمعه صدورنا كما وسعت كلام اللورد ويكون المصريون مخطئين
في اقامة الاحتفال له واعلان التناز عليه - أم لا يكون شيء من ذلك
وانما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعة هذا يعلمها هو والواقفون على
أطواره . وخفي أسرارهم اه كلام المؤيد
وقد ردنا هذا التمرية والمخالطة بقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة
الذي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

جواب المؤيد عن شبهته هو على القرآن

لا يترك المؤيد شئته في الجدال فهو يشاغب ويكابر في أصول
الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا
عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين
وقوله انه اعتقدهم وهو ان السبب الاول والمعدة فيه هو كما يقول
البرنس كائتاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته أي ما أفادته اياه
التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وينا له بالآيات البينات أن ذلك
كان بما آتاه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن

فرد علينا أمس باننا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا
تنكر على البرنس كائتاني ونشنع عليه ونخطئ المصريين الذين قاموا له
بالاحتفال فحصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو باننا

فعلنا فيما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نعيده الآن وانا شنعنا على البرنس كائتاني وذلك يتضمن تخطئة المصريين الذين احتفلوا به .

ولقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كائتاني واكثر ما يفهم من ردنا على صاحب المؤيد ان ما قرره عن البرنس كائتاني مخالف لعقيدة المسلمين في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه لانه ليس بمسلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لاتصريحاً ولا تلويحاً ولم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر بانتقاده فرأيت كما رأى المؤيد ان كلامه كاد يكون طمناً في أصل الاسلام فكتبت اليه كتابة كان أثرها انه كتب يبرئ القرآن والسنة من الطعن . وقد صرح صاحب المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فانا الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما كتبه فمضى ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق بعد ما تبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز عن رد الججيج التي دمننا به دعواه في القرآن وصعب عليه الاعتراف بالحق الذي طالبناه به فاتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى فيها وآداباً من ان ينخدعوا بمثل ما كتب . ولم يذكر انكارنا عليه حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطع على الجريدة يوم الخميس الماضي تلك شفشتته وذلك مبلغه من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول - بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاء الله له بالنبوة وتأيدته بالقرآن وإن العدة في نفوذه هي السياسة والحكمة - واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لا تقتضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في إعادة دعوته إلى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أقما الدليل في المقالة الاولى على ما قلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاجاديت ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته المثلى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وعاد ينقل لنا ما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لا تقتضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتمامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة» وسكت عن قوله «وانهم سكارى» الخ

هذا نص الآية (٥٩:٣) فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تقتضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأيديه له بالقرآن كما نعتقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحكمته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لكلام البرنس كائتاني ؟

ألم يصرح جهابذة المفسرين بأن قوله تعالى «فبما رحمة» يفيد ان هذا كان برحمة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا بلفظ «ما»

يدل على الحصر كافي الكشف ومعنى هذا انه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاريه وانما هو بتأييد الله وتوفيقه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبأمثالها هي وامثالها عمومة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا فظاً ولا غليظاً . ويدعم ذلك قوله في آخرها « فاذا عزمت فتوكل على الله » ولم يقل توكل على سياستك وتجاربك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠ : عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى) الآيات وسببها معروف ما خصه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عظماء قريش الى الاسلام في أول الاسلام فجاءه عبيد الله بن أم مكتوم العمى وهو من السابقين الأولين يسأله ان يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه لئلا ينفر من اقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتهاده (ص) يومئذ ان الكبراء اذ دخلوا في الاسلام أولاً لا يلبث ان يتبعهم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠ : عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى ٣ وما يدريك ان الله يزكى ٤ او يدكر فنتقمه الذكرى ٥ اما من استغنى ٦ فانت له تصدى ٧ وما عليك الا يزكى ٨ واما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلهي ١١ كلا ، فعمل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الالهي من أول الاسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الاكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

اما الدلائل النقلية على تأثير القرآن في جذب العرب الى الاسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولا سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءها وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فحبته الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمة أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في جمل الدقيق ليلاً الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان الفالون في العناد والجهود من كفار قريش يهربون من سماعه مثلاً يجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٢٦:٤١ وقالوا لا تسموا لهذا القرآن وأنفوا فيه لعلكم تغلبون)

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بعد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بان قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحنكة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آدابه وأخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته ونجاحه كانا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيراً من اهل العلم والغيرة مرتاحين مسرورين مما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية تمت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب الينا عبد الله افندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة الفضال صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد

رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فلقد اطلعت في صحيفة المؤيد
على ما نشرته من رأي البرنس كاتاني في محمد صلى الله عليه وسلم
ومجادلتها عنه وعلى ما جاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ،
والنور الواضح ، والبيان الفصاح ، لدعائس الملحدين ، لنور رب العالمين ،
بجزاكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامله ، ولما رأيت
مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رفق هذا الفتق ،
والانصياع الى سلطان الحق ، محاباة في الرد ، ومداراة للقصد ، اختلست
ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة
تأييدا لرأيكم الاصيل ، وتسديدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان
استحسنتم في مناركم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا
من أخيك عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المفيدة بنصها

لا هوانة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من
رأي البرنس كاتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية واعجابها به مطلقا لما اتقد
في صدور ذوي الفيرة على الدين بنفثات الذين يريدون المحاباة في الاسلام
والتساهل الذي قد اتخذه كثير من دعاة المدينة المصرية من المسلمين
وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم ممن

من لا تروج لديهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرهم ان ينسبوا ما جاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السماوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضمحها بصفة كونهم ساسة عقلاء لارسلا وانبياء

ذلك ما يقرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان يفيض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتقصم عراه من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضمروا أيديهم في يد اهل المدينة الغربية، ولو آل الامر الى المجازاة في مثل ذلك الرأي ونبت عقيدة ان الدين وضع الهى وان الكتاب وحى سماوي لم يكن للرسول فيه ولا للاتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون او يحدث لهم ذكرا » هوّن ذلك التساهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملا المسلمين ذلك الرأي بصورة رائقة ويجادل عنه وكله كما لا يخفى على بصير مناضر مخالفة لصرح القرآن، هادمة لبنى الايمان، اذ يجعل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة - التي ربما يقولون به «إنها كما تكون له تكون لغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء المجريين، والساسة المحنكين» -

اكثر من كونه نبيا مرسلا، وصاحب كتاب منزل

هكذا قال أباة الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصصهم الله وألزمهم الحجة وانتهى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسمو مكانة القرآن الكريم عند من يدرك معناه ويتصور مبناه من حين نزوله الى اليوم . أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد

اصبحنا زوج هذه الدعوى ورضاهما على لسان المسيو كاتاني ليقال انا متساهلون متسامحون ، او متورون متمدون

لست اقصد رمي سعادة صاحب المؤيد بما رمت به الجريدة من المروق لنشر هذا المعتقد وترويجه بين المسامين وانما اقول أولا لانصدق ان سعادته لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسيء الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ماسا ق كثير من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على السنة متقصين من موافق ومخالف ، والزهد فيما لدينا من تالد وطارف ، وإلا فليس ما رضىه الشيخ اليوم عن كاتاني بأهون مسا ولا اخف وخزا في احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارفف له قلعه وجرده يقطر غيرة وحمية ، ام هي الاهواء ، تقبح وتحسن ما تشاء ،

ما أخسرنا واضيعنا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدنيوية اسلامنا وطوحنا بقرآننا في مهاوي التساهل الماحي والتسامح المالحق لدرك كلمة تقال فينا أو جذب عاطفة تشهد لنا باننا ترقينا وادر كننا من شأو المتقدمين ما تشرئب اليه الأعناق وما نحن ببالفي ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتي بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والانتقطاع عما فيه الناس حينئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة ، ومواج حيل الرئاسة ، حتي صدمع بالدعوة بلا هوادة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيراً حيثما كان له فيه القلب من أوله الى آخره بين جدال وجلاد، وبلاء واجتهاد، والقرآن لا غير مصدره ومورده، ومرشده ومقتده، في كل شيء. ولقد كان رجياً الاصر حتى يتلقى فيه قرآناً ونحن نخاطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيلون حالة الأمة العربية حينئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرونه قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المعمول أكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحكمة

(وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور)

لم يذق أحد من نبلاء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم بقرون فضلاً عن المسيو كايثاني حتى سمادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في هذه من القرآن وهم في حجور الوثنية، واحضان الحمجية، فانتشلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم. وقع الزلال من ذي الغلة، والدواء من ذي العلة، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجة الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فلا يقال حينئذ «والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا» (أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون)

لم يرتض أصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقيمت جموع
الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (المباص) أهدأ عمام النبي
صلى الله عليه وسلم حتى أقبل مع أبي بكر وعمر في كتيبتة الخصراء يقولون
الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده،
فقال أبو سفيان (لعمري) صار لابن أخيك ملك عظيم. فقال له يا أبا سفيان
إنما ذلك الوحي والرسالة. فكيف نرضى أو نقبل أن يكون ما وصل إليه
نبينا من الظفر والقلب في أمر دعوته إلى الله بسياسة وحنكة، أكثر من
نبوته ورسالته؟ اللهم أنا نبرأ إليك من هذا براءة الحق من الباطل. فليصن
سعادة صاحب المؤيد غيرته على الإسلام من أن ينمض طرفه على أذى
فيه قرب تلميح انكأ من تصريح، ومدح آلم من تجريح، وليحفظ مكاتبه في
قلوب أهل دمه، من أن يحابي في دينهم، على مرأى ومسمع منهم، فإنه
لا هوادة في الدين
عبد الله الانصاري

(المنار) هذا وإن الموضوع يتسع لإطالة القول وإيراد الشواهد
الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وإنما اكتفينا بما كتبناه على
عجل في إدارة «الجريدة» لانا نقصده تذكير المسلمين، لا إقامة الحجة
على المخالفين، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ويغلب
على ظننا أنه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه أن ينشر حقيقة
المقيدة الإسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى
إذا ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً
من هذا البحث في المنار.

ما هي اللغة

خطبة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية
في نادي دار العلوم

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون به الكلام . وعليه فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبثقة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتعبير عن حركة من حركات النفس .
ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعية وصناعية

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في المباديات الخارجة عنه وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة

ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونه مفهوماً بذاته مع جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات القضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانه عبارة عن مجموع

الاتفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب والصيغ
الناتجة من تأليف هذه الاتفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين
معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأتى ان يكون الكلام الصناعي عاما اي ان كل الناس يدركون
المراد منه كالرسم مثلا وعلى هذا يتضح خطأ تعريفهم اللغة بأنها أصوات
يعبر بها كل قوم عن أغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموعة العادات المخصوصة التي تجري عليها
كل امة في التعبير عن أغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان
معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الا اذا كانت النسبة
تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان
الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارئ صورة المدلول كما هي
ولا يتم ذلك الا باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول ان يكون لكل مدلول علامة خاصة به تدل عليه
دائماً ولا تدل على غيره ابداً

الشرط الثاني ان تكون هذه العلامة قابلة للتعبير بتغير المدلول وتبعاً له

الشرط الثالث ان تكون قابلة للاشتقاق لمدلولها فاذا اشتق منه

مدلول اشتق منها علامة دالة عليه بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقية بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تسميرها محكما وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين

الدال والمدلول ولا سبيل الى هذا الا اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجله وهذا الشرط صعب التوفر فما وفقت لغة حتى الآن لنيل هذه المزية اللهم الا لغة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني الملايسه وهي الخاصه الموجوده في الالفاظ او التركيب اي الصيغ . تلك الخاصه التي يدرك بها الفهم نظائر المدلول ونقائضه والملايسه تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصليه الاندرا

الثالث الوضع التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً ينتقي معهما الابهام ويرفع الشك والالتباس ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير " ب في ظلمتها وتصر فهمها وكما كان القول طبعاً اي بسيطاً " " طرق الكلام على انها طريقه العلم

النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني

احصل لغات اهم اوروبا المعروفة بهذا

، غيرها فاجدها لغات ممتازة تالما

هولا يعرف كلمة واحدة

تتحية هي لغة

عن اصحابها

نه

على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم قترى الحكيم الفرنسي وهو يقرر مذهبه عند ما يأتي على ما يخالفه من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنه بخير لفظه الالمانى وهكذا ثم يذكر بهامش كتابه مضاه ما كان هذا ليفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الحنان والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الاطلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغريبة عامة لتكون الالفاظ الغريبة عن لغتهم برهاً عن سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمته

قالوا ان ذلك جائز عند هم لتمثيل احرف هجائهم واتحاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست أرى في هذا الاعتراض الا انه دليل أحد امرين فاما شعور يمجزنا عن المجازاة لثبوت في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي أيضاً الى الاصلاح لنتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجعلنا نتفق كلماتهم كما ينطقون وتنقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيه مصاحبتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا ليس لأحد ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فن له يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد

في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم وبحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان اخذ العرب المعلوم عن اهلها وثقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الفريب عنها لا حكمها فأيدرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسبنا نحن ان زمانا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والازواء على انهم في عزم وبعد تخارم وتمكنهم من انفسهم لم يعتزوا بلغتهم فينفروا من العجبة لانها عجة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيننا للغتهم وحذرا من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيه وخوفا من ان يميقتهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تماصرهم . أيجوز لنا أن نخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقهم بحجة انهم انقضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نمخطوا بدمهم خطوة الى الامام لكن من الذي استأجرنا حراسا من الخرس على هذه الوديعة؟ وبأي قوة اخضنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال المزامم انقص في الافهام ، ام قصر في الاجسام ، ام جهل بلانا من البشر لنا كل حقوق الانسان ؟ ؟

ليس لنا ان تمسك بالقديم لقدمه وان اصبح عديم الجدوى ، والا فاولى بنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا

عن الإباء لنعيش كما عاش الأولون . غير اني ارجوكم ان تعلموا الصبر
فلا تجزعوا اذا اصابكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم ، ولا تمخزنوا
اذا هصرتكم عوامل الرقي فنستم بمن يقف متفرجا عليكم وانتم كالصود
المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانه
وتنطق لغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على ألسنة المنفرجين
جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربية وحسبوها طعاماً سهل التناول
والهضم في معد الآفات العجيبة فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا
لا نطبق اسماً عجيباً يدخل عليها

الاست هي تلك اللغة الخافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول
الفصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي
لن تتأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها
ويشد أزرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطعم الاعاجم في اعتبارها من
اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما أسد ما اجاب به عن هذا
الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلا خوف على القرآن مادام في
الوجود مسلم . الا ترون أن القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربية
من المسلمين اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك امم تعد
خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امته وهو مع
ذلك يحرص على القرآن أشد من حرص الجبان على دمه

أيعجزكم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم
للتقدم باليسار لتتالوا السجدين وتكونوا من الناجحين في الدارين؟

قالوا العلم نافع قالوا كثير منه يخاف للدين قالوا الحضارة تهددنا
فلنتقها بها قالوا هي تخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا
حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جرائع هذا قال الفرنج عنا انا قوم جامدون
وما جردنا الا من الدين فصعنا مع هذا وقلنا لهم بل انتم قوم ظالمون .
مالنا وللدين نجره في كل امر وتقية ساجزا في وجه كل باحث حتى في
الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير
على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار
بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابه المفتحة امامكم ولا تأخروا فلستم
وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بلبتكم فاعتنوا بها وأصلحوها
وهيئوها لتكون آلة صالحة فيما يتفقون لكن لا تكثرُوا من الاشتقاق
الخارج عن حد القياس المقبول ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك
او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجمة تهددها على السنة العامة
وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل
الجارف سدا من الاشتقاق المقبول والترجمة الصحيحة والتعريب عند
الضرورة لتكروا من الناجحين اهـ

(المنار) ألقى أحمد فتحي باشا هذه الخطبة في الاجتماع الثالث

لنادي دار العلوم وزاد عليها ما جادت به البديهة ارنجالا من القوائد
والنصائح . وخطب بعده حفي بك ناصف رئيس النادي خطبة مطولة
في اللغة وفنونها . وافق الجمهور بمددك على وجوب التماس الالفاظ العربية
للمستحدثات بالترجمة والتجوز والاشتقاق ثم يلجأ الى التعريب ان لم يتيسر ذلك

وقد كتب اليها النادي صورة هذا الاتفاق بالمباراة الآتية وأرسلها الى جميع الصحف المشهورة :

﴿ قرار نادي دار العلوم في الترجمة والتعريب ﴾

« هذه صورة القرار الذي صدر بنادي دار العلوم في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة فقرر ان يكون العمل على النحو الآتي : يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعها على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمد المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض رئيس النادي حفي ناصف

(المنار) قد تحامى رئيس النادي في عبارته اللفظ الذي اتفق عليه جمهور من حضروا الاجتماع الاخير من اعضاء النادي وغيرهم وهو لفظ (التعريب) فقال « يستعار اللفظ الاعجمي » وهو يرمي بذلك الى عدم تسمية ما يؤخذ من الكلم الاعجمي مراً بحافظة على اصطلاح المتقدمين . ولكنه عبر بلفظ اصطلاحى آخر من الاستعارة وهو لا يقصد به معنى الاستعارة في فن البيان وانما يقصد بمعناه اللغوي المرافق للاصطلاح الشرعى والمتبادر انه يرمي بذلك الى ان هذا الاخذ يجب ان يكون من قبيل المارية التي تستعمل زمناً ثم ترد ولكن هذا خلاف ماوافق عليه الجمهور كما تقدم ولله قرار خاص لمجلس ادارة النادي . وعلى هذا يكون الخلاف في المسألة على حاله

الدين الاسلامي والمدنية

رسالة لصاحب النوقيع اقتبس بها بعض شهادات علماء الأفرنج للإسلام والعرب
نشرناها ترغيباً لئله في هذا الموضوع وان سبق لنا نشر هذه الافكار في المنار

(فهرس) حالة العالم قبل وجود الديانة الاسلامية - حقيقة الديانة
الاسلامية - اخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته - الدين الاسلامي دين
الفطرة - الدين الاسلامي دين المدنية والترقي - سديو ودروي - اثبات
نبوته صلى الله عليه وسلم - قول العمرانيين فيه - حكم المؤرخين عليه - الاسلام
ليس بدين جديد - الدين الاسلامي ليس بالدين الضيق - كل رقي في
العلوم الطبيعية يدعو الى التقرب من الديانة الاسلامية - الدين الاسلامي
هو أنشودة الفلاسفة في المستقبل

اني اكتب ما اكتب عالماً علم اليقين ان الديانة الاسلامية ليست
بالشيء المورس الذي لا يمكن للانسان استكناه مجاهيله، أو استشفاف
مساثيره، بل هي مما يمكن تحقيقها بالاختبار والتجربة اذا صمد الانسان
بمنطاد محته الى سماء الحقيقة غير متعصب لفريق دون آخر فهذا يطل
الانسان على كبد حقيقتها ويعرف كنهها من سمو ترتيبها ومتانة قواعدها
واحكام نظامها فيحكم بأنها ليست بالديانة التي أوجدتها قريحة آدمي مهما
حاز الصفات والكمالات ولا كنهها هي هداية الآهية، يخالف جوهرها جوهر
الافكار البشرية -

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب وقد كانت قومه في هوة الانحطاط بميدن عن التمدن والرقى الفكري يدلك على ذلك وأدهم لبناتهم وهن على قيد الحياة وعبادة الاوثان وغير ذلك من الاخلاق الذميمة التي تقضي بمقتضاها الى الخسران والهلاك المبين وليست بلاد العرب فقط هي التي كانت في تلك الحالة بل ما جاورها ايضا من بلاد الرومان في الغرب وبلاد المجرم في الشرق فان هاتين الدولتين كانتا يتنازعان الحياة وناهيك بما حصل في شأن ذلك من الفتن والقلاقل التي لم تدع قلباً سليماً في البشرية يتمتع بالراحة الا واسقته مما هو أمر من الصاب والعقم - كل هذه القلاقل المزعجة والكوارث المدممة جاء الاسلام لمحوها من على ظهر الوجود وليؤيد السلام العام والوثام التام وليكون واسطة بين التمدن الحديث وبين التمدن القديم فلم يحض غير قليل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الا ورأينا بلاد العرب في وقت واحد ترسل جيشين أحدهما لمحاربة القياصرة والثاني لمحاربة الاكاسرة فقتحوها وانهاالت عليهم خيراتها وظلوا ناهجين في التقدم الى ان بلغوا في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ظرف ثمانية قرون واستخرجوا كنوز اليونان والاعاجم والهنود في العلوم والمعارف وبلغوا الطبقة الثالثة من الرقي في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة واليك شهادة عالم من كبار علماء الطبيعة

قال: «يجب علينا معاشر الباحثين ان نهتم بالكنوز التي تركها العرب فان فيها حقائق وأفكاراً سامية تدعو الى الاكتشاف والاختراع لان العرب تقدموا في العلوم الطبيعية تقدماً مذهلاً للغاية حتى بلغوا الطبقة الثالثة من الرقي فيها الا وهي طبقة الامتحان والتجربة وناهيك ان نظرية الانحراف في

خبر
كتب هير
في الآلات
النظر وانمكا-
والنظر كتابا في
ومقدار الاشياء الظاه
عند الشروق أو الغروب
وقال أيضا دروي في
لا يرون الضوء الا من سم
الاسلامية من علوم ادب وفلسف
كانت بغداد والبصرة وسمرقند ودم
مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومن
أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات
وهذه هي اقوال الفلاسفة وكبار المنو

دانية على ان الدين الاسلامى دين الترقى والمدنية . هذه هى آثار الدين
 وآثار اهل الدين تمسكوا به واما حقيقة الدين فهى كما قال مسيو مسير
 رئيس الارشالية المصرية ردا على الفيلسوف ارنست رنان فى خطبة له فى
 جمعية العلماء « نحن معاشر المحققين من الفلاسفة نقول ان من تأمل كلام
 القرآن رأى ان محور الاسلام الودانية وقطبيه المؤاخاة وتحسين شؤون
 العالم بالتدرج بواسطة العلم وهذه هى حقيقة اسباب نصرة الاسلام »
 وقال كاتب آخر من مشاهير كتاب الغرب فى مجلة (الكوارترلى ريفيو)
 فى مقالة عنوانها (الاسباب الحقيقية فى ارتفاع وانحطاط الامم الاسلامية)
 « لما كان الدين الاسلامى جامعا بين الدين والدنيا كان ذلك من ام اسباب
 كثرة الواردين اليه فان الرجل عند ما يسلم يصبح اخا لثلاث مئة مليون
 من النفوس له مالم وعليه ما عليهم ولعمري ان ذلك مما يزيد علائق المحبة
 ويربط الهيئة الاجتماعية ثم استدلى على ذلك بكلام كتبه بوسويرث سميت
 فى كتابه المسمى (محمد والديانة المحمدية) لا حاجة لنا بسرده فى هذا المقام
 يرى القارئ الكريم من خلال هذه السطور التى كتبناها عن
 الديانة الاسلامية مستنديا على أقوال الفلاسفة والحكماء وكبار المؤرخين
 والكتاب ان الديانة الاسلامية تزاد كل يوم فى الحجج ويشهد العلماء
 المحققون بروحانياتها حتى أن المسير ارنست رنان الذى حمل حملته على
 الديانة الاسلامية والعلوم العربية كتب بعد ان زجر واوعد، وابق وارعد،
 «ان فى دين الاسلام اذكما رفيعة المقام وما دخلت جامعا الا وحصل
 لى انجذاب لدين الاسلام وتأسفت على عدم كونى مسلما لولا ان هذا
 الدين أخر العقل البشرى وحجبه عن التأمل فى حقائق الاشياء » ولكن

عبارة مسيو رنان الاخيرة ليس لها ادنى نصيب من الصحة وقد علم من
كلامنا الذي اسلفناه الجواب الشافي من علة المسيو رنان. والى هنا تمسك عنان
اليراع عن الخوض في هذا الموضوع فان في ذلك القدر الكفاية، لارباب
المقول والهداية،
علي سيد يوسف

(المنار) ان حكيمي الاسلام السيد جمال الدين والاستاذ الامام
قد ردا في اوربا على رنان، وقطعا ما جاء به من الزور والبهتان، بسيف
الحجة والبرهان، حتى اضطر الى الاذعان، فرحبها الله وحبها
الروح والريحان



كلمات عن العراق وأهله

(لعالم غيور على الدولة - ومذهب أهل السنة)

العراق ولا ازيدك به علما من افضل الاقطار تربة وطيب هواء
وعذوبة ماء وبه أنهار عظيمة كدجلة والفرات ورياله وقارون تنساب فيه
انسباب الافعوان، وتخترق منه كل مكان، غير ان اكثره خراب، ينفق
فيه اليوم والغراب، لعسر المواصلات وفقد الامن وحرمانه من نور
المعارف والمدنية، والحكومة فيه كما هي في غيره: عبارة عن شركة
سلب ونهب وفساد، تعمل في خراب البلاد وهلاك العباد، وهم في غمرتهم
ساهون، وعن الدسائس الاجنبية عمون، حتى أصبح بر العراق كله

بالشيخ نعمان افندي الآلوسي رحمه الله لتأليفه كتاب (جلاء العينين في
محاكمة الاحدين) وذمه وذم عائلته وذكر انهم أصيبوا بالحن فلم يعتبروا
ولا انعطوا. ويزعم انه من مجدي الدين في هذا العصر. وهكذا بلغ به
الغرور الى هذا المبلغ والجنون فنون» اهـ ما أردنا نشره من هذه الرسالة
ويليه كلام حسن في الاستاذ الامام والمنار وصاحبه يتعلق بالاصلاح
أضربنا عن ذكره مع حمد كاتبه وشكره

ونقول قد ذكرنا هذه الرسالة بما كنا كتبناه في المجلد الثاني من
المنار (في رمضان سنة ١٣١٧) من نشر مذهب الشيعة في العراق وهذا نصه :
قرأنا في بعض الجرائد ان الدولة العلية قد عزمّت على ارسال بعض
المعلماء الى سناجق البصرة والمتفك وكر بلا لارشاد القبائل الرحالة هناك
وقرأنا في بعضها انه قد صدرت الارادة السنية بذلك فصلا ونحمد الله
تمالي ان الدولة العلية قد تنهت لهذا الامر قبل ان يخرج من يدها بالمرّة
فقد سبقها الشيعة وبثوا الوعاظ والمرشدين في هذه القبائل وغيرها من
العربان الضارين على ضفاف الدجلة والفرات فادخلوا معظمهم في مذهب
الشيعة. يذهب الملاّ الشيعي الى القبيلة فيمزج بشيخها امتزاج الماء بالراح
بما يسهل عليه من أمر التكاليف الشرعية ويحمّله على هواه فيها كإباحة
التمتع بالعدد الكثير من النساء الذي له الشأن الاكبر عند أولئك الشيوخ
وغير ذلك حتى يكون وليجته وعيبة سره ومستشاره في أمره فيتمكن
الملاّ بذلك من بث مذهبه في القبيلة بأقرب وقت وبكثي من السياسة
غالبا بإفهام القوم ان رئيس طائفة الشيعة المحقة شاه العجم ورئيس
الطائفة الاخرى المسماة بالسنية السلطان عبد الحميد ولا شك ان هؤلاء

يكونون عوناً لرئيس مذهبهم اذا وقع نزاع (لا قدر الله) بينه وبين رئيس المذهب الآخر وان كانوا في بلاد الآخر ويمكن للدولة العلية ان تتدارك الامر بفض التدارك اذا كان الذين تختارهم للارشاد والتعليم اهل حكمة وغيره حقيقية يهتمهم الاصلاح والارشاد بحيث يقدمونه على منافهم الشخصية على ان الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لا يحرم من أجر الدنيا بل ربما كان نجاحه اتم وقد استغنى جميع دعاة الشيعة في تلك القبائل مع حصولهم على غرضهم في نشر المذهب . وليبدأ دعاة الدولة العلية بمن على الفرات فان فيهم عدداً كبيراً لم يزل على مذهب أهل السنة ، والله الموفق اهـ (من ص ٢٨٧ م ٢)

هذا ما كتبناه من نحو تسع سنين . ونقول الآن ان اكثر من اجابوا دعوة علماء الشيعة هناك لم يكونوا على شيء من مذهب أهل السنة فاذا كان اولئك الدعاة يشون فيهم الوعاظ يعلمونهم الفرائض واحكام الحلال والحرام فان ذلك يكون خيراً لهم في دينهم من الحالة التي كانوا عليها . فنحن لا نعد الامر من الجهة الدينية بلاء نازلاً كما عده الاستاذ كاتب الرسالة ولكن الامر منهم من الجهة السياسية فان السياسة هي التي كانت ولا تزال مثار الخلاف بين أهل السنة والشيعة ولولاها لما كان خلاف وما أضاع الدين والدنيا علينا الا الخلاف . وقد كان طلاب الاصلاح بالوحدة الاسلامية مغتبطين بما حصل في هذه السنين الاخيرة من التألف والتعارف بين الفريقين حتى وقع أخيراً ما وقع من التعدي على الحدود فباتوا يخشون ان تهدم السياسة السوءى في سنة واحدة ما بناه دعاة الاصلاح في عشرات من السنين . فنسأل الله ان يقي الاسلام شرها ويكفي المسلمين فتنها وضررها

فتاوى المتبائين

هنا من الباب لا حاجة لأسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وتعبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزى إلى اسمه بالحروف أن شاء ، واننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً قد منّا أخيراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه ورمقاً أجنبنا غير مشترك مثل هذا ، وأن يه في على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

أسئلة من الحجاز

﴿ القطب والابدال والأنجاب والخضر وسند أهل الطريق ﴾

(ص ١-٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
حضرة الاستاذ الحكيم والمصلح العظيم علامة الزمان سيدي العزيز
السيد محمد رشيد رضا منشي المنار حفظه الرب المنان
أحييكم تحية تليق بمقامكم الكريم واسأل الله تعالى أن يحفظكم بحفظه
السرمدى وأن يهدي الله بكم الضالين . وها أنا ذا مقدم لمقامكم الكريم
أسئلة ذات بال نرجوكم الجواب عنها على صفحات مناركم النير
ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١)
أحاديث استدلل بها على وجود الاقطاب والابدال والأنجاب والأوتاد
والنقباء ووجود الخضر عليه السلام وهذا لفظها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى في الارض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم وله أربعين قلوبهم

على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله سبحانه وتعالى مكانه من الثلاثة . الخ
عن علي رضي الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والمصائب بالعراق والنقباء بخراسان والأتاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم الخ

ولم يذكر النهائي سندا ولا من أي كتاب من كتب الحديث أخرجها فأرجوكم أن تفيدوني هل تصح هذه الاحاديث وهل الخضر عليه السلام حي الى هذا الزمان وما قواكم فيمن يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب نرجوكم الجواب الكافي الشافي

وفي كتاب النهائي شواهد الحق ص ١٣٢ يقول ان الشيخ الامير أجازته بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن معقول ومنقول وذكر سنده من الامير الى الحسن البصري عن سيدنا علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الرب الجليل جل جلاله وتقدس صفاته وامماؤه

ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الاجازة بهذه الصيغة المذكورة هل هي معتبرة عند المحدثين ويعمل بها ام هي ضرب من الخرافات وما على من من انكرها وهل يصح اجتماع الحسن البصري بسيدنا علي ام لا أفيدوني ولكم الاجر سيدي

في كتاب النهائي ص ١٣٠ قال ومن كتب الامام ابن تيمية

كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى
يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في النهر في قوله سبحانه وتعالى «وسع
كرسيه السموات والارض» وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش
لاحمد بن تيمية ماصوره بخطه : انتهت عبارة كشف الظنون ثم نقلها من
طريق آخر عن السبكي وحط على الشيخ ابن تيمية ونسبه الى القول بالتجسيم
وهو براء من ذلك . فلما رأيت هذه العبارة بحثت عن كتاب العرش
ووجدته عند بعض الاصدقاء فقرأته مرارا ونسخته بيدي من النسخة
وما وجدت لهذه العبارة قرائحة والنسخة التي قرأتها ونسختها هي بخط يمني
بدون نقط الظاهر انها كتبت من عهد قديم وكادت ان تمزق من قدمها
ولحقها الارضة . فما قولكم في هذه العبارة يجوز نسبتها الى هذا الامام
بعد ان بحثنا عنها فما وجدناها في كتابه؟ افيدوني ولكم الاجر سيدي

محكم بالحجاز

م ح ن

﴿ أجوبة المنار ﴾

نقول قبل كل شيء ان الشيخ يوسف النبهاني لا يوثق بعلمه ولا بنقله،
ولا ينبغي لكم ان تحفلوا بكتبه ، وقد سألنا غير مرة عن بعض الخرافات
التي يثبتها في كتبه الملفقة فلم نجب السائلين بشيء . اذ كان يتوقف ذلك على
مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها وأي عاقل يسمح باضاعة وقته
في مراجعة تلك الكتب . اما وقد ذكرتم في هذا الرقيم ما سألتكم عنه
فاليكم الجواب والله الهادي الى الصواب

أما الجواب عن السؤال الأول فاعلم أنه قد ورد في الأبدال عدة روايات لا يصح منها شيء وإن أشار في كثر المال إلى تصحيح حديث علي عند أحمد، إلابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلمات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الفيث ويتصرف بهم على الأعداء ويصرف من أهل الشام بهم العذاب» وفي رواية عنه أنهم ستون. وفي رواية عن عبادة عند أحمد وأخرى عن أبي هريرة أنهم ثلاثون أخرجه عنه ابن حبان في تاريخه. ولم أر أحدا من المحدثين الحفاظ خرج ما ذكره النبهاني عن علي ولكن ذكره ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية على أنه من كلام علي كرم الله وجهه لا من روايته المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث ابن مسعود لم أر من أخرجه عنه باللفظ الذي ذكره. ولكن ابن حجر أورد في فتاواه بعد أثر علي عازيا إياه إلى الياضي (وذكر في نسخة الفتاوى المطبوعة بمصر الياضي وهو غلط مطبعي) ولم يقل عن ابن مسعود ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم. وكان أبي ابن حجر نقل عن الياضي أن الأبدال سبعة على الأصح ولذلك قال بعد أن أورد حديثه «والحديث الذي ذكره أن صح فيه فوائد خفية (منها) أنه مخالف للعدد السابق قبله» (ومنها) أنه يقضي أن الملائكة أفضل من الأنبياء؟ يعني خلافا لجمهور أهل السنة» إلى آخر مقالته على تقدير صحة الحديث وما هو بصحيح فلا حاجة إلى التنب في استنباط الفوائد والمباحث فيه. ثم قال ابن حجر بعد بحثه فيه «واعلم أن هذا الحديث لم أر من أخرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ولكن وردت أحاديث تؤيد كثيرا مما ورد فيه

وذكر ما ورد وحاول تقويته بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان

وغيرهما من طرق كثيرة وهو « لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس » ثم نقل عن الامام احمد ان الابدال هم اهل الحديث وعبارته « ان لم يكونوا اهل الحديث فمن هم » واعتمد ابن حجر ان الخلاف في العدد من قليل الاصطلاح

ثم ذكر واقعة له مع مشايخه في ذلك نذكرها هنا لما فيها من الدلالة على انهم كانوا يقلدون المتصوفة في هذه المسائل من غير ان يقوم عليها دليل من النقل قال

«واقعت لي في هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخي هي اني انما ريت في حجور بعض اهل هذه الطائفة أعنى القوم السالمين من المحذور واللوم فوقر عندي كلامهم لانه صادف قلبي خالياً فتمكن . فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو اربعة عشر سنة (كذا) فقرأت مختصر ابي شجاع على شيخنا ابي عبد الله الامام المجمع على بر كته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فأنجز الكلام في مجلسه يوما الى ذكر القطب والنجباء والنفباء والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بلفظة وقال « هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم » فقلت له وكنت امر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا صرية فيه لان اولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب ومن نقل ذلك الامام الياضي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة . فزاد انكار الشيخ واغلاظه عليّ فلم يسمني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرتني عليه الا شيخنا

شيخ الاسلام والمسلمين وامام الفقهاء والعارفين ابو يحيى زكريا الانصاري
وكان من عادتي اني اقود الشيخ محمد الجويني لانه كان ضريرا واذهب
انا وهو الى شيخنا المذكور اعني شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه . فذهبت
أنا والشيخ محمد الجويني الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ
الجويني لا بأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه ونتظر
ما عنده فيها . فلما وصلنا اليه اقبل على الشيخ الجويني وبالف في اكرامه
وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها « اللهم فقهه في الدين » وكان
كثيرا ما يدعو لي بذلك . فلما تم كلام الشيخ واراد الجويني الانصراف
قلت لشيخ الاسلام يا سيدي القطب والاوزاد والنجباء والابدال وغيرهم
من يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة ؟ فقال نعم والله يا ولدي .
فقلت له يا سيدي ان الشيخ - واشرت الى الشيخ الجويني - ينكر ذلك
ويبالغ في الرد على من ذكره . فقال شيخ الاسلام هكذا فعل يا شيخ محمد ؟ وكرر
ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الاسلام آمنت بذلك
وصدقت به وقد ثبت . فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد . ثم قلنا ولم
يماتبني الشيخ الجويني على ما صدر مني « اه

فيؤخذ من هذه الواقعة أمور (منها) ان ابن حجر الهيتمي تربي في
حجر بعض أهل الطريق وصار تقليدكم وجدائنا لا يقبل فيه قول مشايخه
وان كانوا عنده من أئمة العلم والعمل والتسك كالشيخ الجويني وهذا هو السبب
في انكاره الشديد على شيخ الاسلام ابن تيمية الذي كان لا يقبل في
الدين شيئا الا اذا ثبت في الكتاب او السنة نصا أو دلالة . ومن اتبع
وجد انه وشعوره النفسي في الأمر لا يقبل فيه دليلا وقد قال الاستاذ

الامام « ان غاية التصوف جعل الدين وجدانا للانسان الذي يترى عليه لا يقبل فيه مناقشة ولا جدالا » وهذا حسن اذا لم يدس في الدين ما ليس منه .
(ومنها) بيان انه كان يوجد في علماء الازهر الاعلام الصالحين الى ذلك العصر من ينكر جهورا على من يقول بوجود القطب والابدال واضرابهم
(ومنها) ان سؤال شيخ الاسلام زكريا عن المسألة كان مبينا على ان ما يقوله الصوفية في القطب والابدال صحيح ام لا لا على ان ذلك هل صحيح في الاحاديث ام لا . وكذلك كان جواب ابن حجر لشيخه الجويني فقد قال له ان الاولياء اخبروا بذلك وحاشاهم من الكذب ولم يقل ان ذلك قد صح في الحديث . وهذا يوافق قوله الذي اشرنا اليه آنفا في الاختلاف في عدد الابدال انه من الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح (ومنها) ان شيخ الاسلام لم يحتج على الشيخ الجويني بحديث في ذلك . ونحن نقول ايضا ان الصوفية اصطلاحوا على وضع هذه الاسماء لمسميات اعتبروا فيها صفات خاصة ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال ابن حجر

وجملة القول ان حديث ابن مسعود الذي أورده النبهاني لم يروه الحفاظ عنه فهو مختلف عليه وان حديث علي لم يرد ايضا باللفظ الذي أورده النبهاني بل ورد بالفاظ أخرى أقواها ما أخرجه الامام أحمد وقد تقدم . ومن هنا تعلم ان النبهاني لا علم له بالحديث وانما هو حاطب ليل لا يوثق بنقله كما لا يوثق برأيه ولا يمتد باختياره فانه مقلد للمقلدين الذين يروجون الخرافات وكل ما يحظى صاحبه عند العامة . فهذا هو

الجواب عن السؤال الاول

وأما الجواب عن الثاني وهو هل الخضر في الاحياء الى اليوم ؟ فاعلم

ان العلماء قد اختلفوا فيه فنفاه بعضهم وأثبته آخرون ولكن لم يقل أحد
 إنه يجب على الناس الايمان به والنفي هو الاصل وليس عند المتبين دليل
 من كتاب الله ولا من الاحاديث التي يحتج بها ولا من الاجماع الاصولي
 (كيف والمسألة خلافية) والقياس لا مدخل له في المسألة فدعوى وجود
 الخضر في الاحياء لا تقوم لها حجة شرعية وانما تبع القائلون بها الصوفية
 لفتنهم بهم في كل شيء حتى انهم لا ينكرون عليهم ما يخالف الشرع مخالفة
 صريحة بل يؤولونه ان لم يؤولوا النص الشرعي . على أن بعض الصوفية
 يقولون ان الخضرية مقام أو مرتبة لبعض الصالحين يطلق لفظ (الخضر)
 على كل من يصل اليها . فاذكر من اجتماع بعض الصوفية بالخضر
 يفسر بذلك . ومنهم الشيخ الاكبر صاحب الفتوحات المكية فانه يذكر
 انه اجتمع بالخضر كثيراً ويذهب بعضهم الى ان مراده بذلك الاجتماع الروحاني
 كما يقول انه اجتمع بفلان وفلان من الانبياء وغيرهم ممن علم موتهم باليقين
 كالسبتي ابن هارون الرشيد فاني قرأت له في الفتوحات انه رأى انسانا
 يطوف بالبيت مع الطائفين فينفذ من بين الرجلين المتلاصقين من غير ان
 يفصل بينهما ويشعر ايه فلم انه روحاني فبما حتى كله وعلم انه السبتي ابن هارون
 الرشيد . وقد أطلال السيد الآكوسي الكلام في هذه المسألة في تفسيره روح
 المعاني فكتب فيها عدة أوراق لعله أودعها كل ما قيل فيها وخرج منها
 على انه لا دليل على وجود الخضر حيا لا من الشرع ولا من العقل
 وأما الجواب عن الثالث وهو ما حكم من يكذب بوجود الخضر وغيره
 من الاقطاب؟ فقد علم مما مر أنه لا يطالب مسلم بأن يؤمن بذلك ولم يقل
 أحد من أئمة الاصول والكلام إن ذلك من عقائد المسلمين فلا شيء على

من كذب ذلك وقد رأيت أن الشيخ الجويني كان ينكر ذلك وهو معدود من أئمة العلماء الصالحين بالازهر ولولا واقعة ابن حجر معه التي استتبعتم معاتبة شيخ الازهر أو شيخ الاسلام زكريا لبقى على انكاره ككثير من العلماء وأما الجواب عن الرابع وهو هل إجازة اهل الطريق التي ذكرها النهائي معتبرة عند المحدثين وعن الخامس وهو هل أخذ الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه فجوابهما «لا لا» قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة عند الصوفية باطل لأصل له. قال ابن حجر «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحدا من أصحابه ولا أمرا أحدا من أصحابه بفعل ذلك. وكل ما يروى في ذلك صريحا فهو باطل» وقال «من المقتضى أن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة» وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطي والذهبي وابن حبان والملائي والمراقي وابن ناصر اهـ

وأما الجواب عن السادس - وهو «ما على من انكرها» أي إجازة الصوفية بخبرتهم عن الحسن عن علي - فقد علم جوابه مما قبله وهو أنه ليس على المنكر لذلك إلا ما على كل من ينكر الأحاديث الموضوعة المعزوة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واقتراء عليه وهل عليهم إلا الثناء الحسن؟ وأما الجواب عن السابع وهو أن يجوز نسبة تلك المباركة في التجسيم إلى شيخ الاسلام ابن تيمية بعد ما وجد كتاب العرش التي قيل أنها فيه فتين أنها ليست

فيه وجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزو اليه، ويحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشمراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لغيره . كيف لا وان بين ايدينا كتب كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لمذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تمدوه قط

باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد (*)

أيها الاخوان : نخبركم بمزيد الاسف ان الدستور الايراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الايرانية المستبدة لضعيفة امام حزب المجاهدين الايرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الايراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطيين في ايران

أيها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فماذا يكون اذا نحن معاشر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاشر حزب الاشتراكيين

الدعوقراطيين الإيرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد
العثمانية وغيرها من البلاد باسم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستياءهم من الحكومتين
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الإيراني
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا
على عتبة مجلس الشورى الإيراني قائلين :

ليحي جميع الاحرار والناهضين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لتحي
الجمهورية الدعوقراطية ولتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الانغياء الظالمون
حزب الدعوقراطيين الاشتراكيين الإيرانيين ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

فقيه الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى باشا كامل ﴾

مالنا لا تنتهي من نعي "الا الى نعي"، ولا نفرغ من ترجمة مبكي الا ونفجاً
بتأين مبكي، وما بال أم لهم تلهم من المسلمين، أشهر الكتاب والسياسيين،
فهاهي ذي قد اغتصرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتاً، وأبعدهم
في عالم السياسة صيتاً، وأشدهم في ذمهاً بلده تأثيراً، وأكثرهم ولياً ونصيراً،
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء العربية، ومدير جريدتي اللواء
الفرنسية والانكليزية، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته،
واختاره رئيساً له مدة حياته،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً قضى نصفها في السياسة،
ونصف هذا النصف في الصحافة، بأذلاً فيما أخذ فيه جميع أوقاته، مفرغاً

فيه منتهى وجدانه وشعوره ، وما زال الشعور والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطته في اللواء جمهور القارئين ، ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا ، ومالك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بظهر غريب ، ماروي مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أثرت حالهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت المقل الجامدة ، وسمرت الاقدمة الخامدة ، بل كان لهم بعد ذلك سلطان على اكثر الجرائد المعصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان يئنه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابه ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يعد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يطوها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأي بعضهم انهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا بيتا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمنيها بالرئاسة ، فيحدو به ذلك الى مشافهة الكبراء ، ويرجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتحت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فأثر لها التناوة ، على المذاكرة بمجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوذة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى العالي ، جرى الجنان ، طلق اللسان ، قوي الشعور والوجدان ، متلافا للمال ، اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

الفطرية ، التي أهله لتلك الغاية الكسبية ، باقتراض الحوادث ، ومواتاة
الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستعداد البيئة والمكان ،

أما استعداد البيئة فنشؤه أنه كان قد سبق لهذا الشعب حركة حيوية ،
ونبهضة اجتماعية أدبية ، تألها نقطة وطنية ، أنتجت ثورة شعبية عسكرية ،
وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وإيقاف حركة ذلك الاستعداد ، فسكنت
الأسنة وسكنت الأقلام ، وغلت الأيدي وقيدت الأقدام ، ولكن هذا
الوقوف كان في الظاهر ، دون ما تنطوي عليه السرائر ، من ضنائف
مضطربة ، وحفائظ مضطربة ، وأوهام مفزعة ، وأحلام مزعجة ، مع مجازاة
الأمير توفيق للاحتلال ، ومواتاة له في كل حال ،

فبعد أن قضى الأمير توفيق وولي الأمير عباس دخلت البلاد في عهد
جديد من الحركة الوطنية ، تجلت فيه كتجليات الحقيقة الكلية ، فكان تجليها
الأول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والعموم ، وكان لسانه الناطق
جريدتنا المؤيد والاهرام ، ثم قتر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة
الضباط وقتا من الاوقات ، ثم قتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهره الذي
هو عليه الآن ، بأن تفجرت روحه في الناشئين ، فقامت فعلها في غير أصحاب
المهائم من المتعلمين ، لأن هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان
مصطفى كامل (رحمه الله) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من الحوار التجلي ،
ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديا ، أوسائقا وحاديا ، وهي هي
فوق المدعو والمهادي ، وامام المسوق والحادي ،

وقد كنت اعجبت بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكتبت
فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الأميرية، ثم رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين، واكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الآن، عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجريتي لهذه البلاد وكنت أراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان معجبا بالمنار حتى كان يهتني احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب من الشيخ محمد عبده ان يجهلك خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحة لطلبت لك منه ذلك، ومن هذه المبرة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية - فنصحت له في تقريرها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساء ذلك ولكنه علم بمد التجربة انه لباب النصيحة . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة الميرية اذ كان كتب ان في مصر من يسمى لها سميا ويثبت له وجه الضرر في ذلك الارجاف . فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه وانحى علينا بعد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما، ونصر من وافقه ظلما كان او مظلوما، وكان الاول من اسباب بطء انتشار اللواء، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء، كالمبالغة في ذم المحتلين، وانتقاد الحكومة، ومدح الامة، وتحمي الانتقاد عليها، والتنويه

بالاستقلال ، والتعجل بطلب نحو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه
المدة الأخيرة من أهم الجرائد المصرية وأكثرها انتشاراً . فرحم الله
مؤسسه وعفا عنه ولعلنا نوفق بعد إلى كتابة شيء عن العبارة بسيرة في
حياته وموته ،

تاريخ العرب والإسلام

(في سلك القصص والروايات)

لا أسلوب القصص المعروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا ينال منه الملل ، وجذب
إلى القراءة لا يخشى منه السأم ، فإذا هي أودعت من الفوائد الثافئة في التاريخ والآداب
والأخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أقوى ذرائع
تهذيب الجمهور ورفع طبقات العامة إلى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى
تكون الأمة كسلسلة إذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة إلى الطرف الآخر ، وأنه
ليحزننا أن نرى أكثر القصص أو الروايات كما يقال خالية من هذه الفوائد ، شتمة
على كثير من المناسد ، تفرى الفتيان والفتيات بالفرام ، وتجرى الحلي على ارتكاب
الحرام ، وتعلم الإغرار ، حيل الشطار ،

هذا وأما نحن المسلمين قد أصبحنا وأمسينا أجهل الأمم بتاريخنا ، وكيفية تلك
النشأة الصالحة لنا ، ونبايع تلك الآداب ، التي أخضعت أمم المدينة لشراذم من
الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وأما بقى
روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ،
كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط أحكامه ،

فنحن الآن في حاجة إلى وضع تاريخ الإسلام في أسلوب علمي لأجل الخواص ،
والإبداع في أسلوب قصصي سهل تناوله حتى على العوام ، وقد كان الوضع الأول آخر
عمل توجهت إليه همة الأستاذ الإمام ، وفي عزمنا أن نخلفه فيه إن شاء الله وأمهاتنا
الأيام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ، العالم الإسلامي
والكاتب الاجتماعي ، وقد سمي الرواية الأولى (خديجة أم المؤمنين) وسنشرها في
المنار بالتدريج ، وهناك مقدمتها في هذا الجزء ،

خديجة أم المؤمنين

(مقدمة)

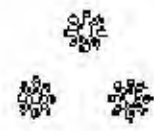
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث
عظيم جداً لم يحدث بعده مثله إلى الآن ، وقد كان له دويّ قويّ وأثر
كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وخلفه انقلاب عظيم في ممالك الأرض
وتغير جسم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب
بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً إلى كلمة أبي الذي قام فيهم منهم وهو
محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالهجوم على الممالك وفوزهم بهذا
الهجوم وانتصارهم وغلبتهم على الأمم وانضمام الأمم كثيرة إلى عقيدتهم
وتكون ملكهم العظيم من حدود الهند إلى البحر الاطالنتي شرقاً وغرباً
ومن سواحل البحر الأحمر إلى سواحل بحر قزوين شمالاً وجنوباً في
أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريعة

هذا الحادث العظيم يلقاه بعض الناس بغير تفكير كأنه معتاد الحدوث
كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من
التدبر والتفكير بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيته أولئك القوم بسرعة

جديرة أن تشبهها بلمح البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم أنه حادث من أكبر الاحداث التي حدثت في الدنيا ويراه جديرا بالبحث والتأمل وامان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تمّ بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي السبق بالإيمان به والمواقفة له كان نصيب سيدة من أشرف قومه هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداية من فوائد جسيمة أزمنت ان أقدم في هذه الاوراق لحبي الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقاري على سيرتها ان أصرّ به مرة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة



العرب

العرب كسائر الامم أوائلهم مجهولة ، وأما وهم منذ عرفوا معرفة ،
تقف الآن عند هاتين الكلمتين وملتفت قليلا الى مبحث لطيف مختصر
فيه الكلام ثم نعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام أنهم يعرفون أصول أممهم الى أبي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون أنهم يعرفون سلاسل أصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع أن يجزم بشيء مما يذكر من تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يتشابه عليه الامر فيعجز في تصديق المتناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المسرفة الى الاستئناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه لماذا حرص كل الشعوب على معرفة أسلافهم الى أول أصل ؟ لا تدري ولكن يلوح لنا انه لذت للا كثيرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في بيان أصلهم ينقلها الآباء لابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يثسوا من هذه المعرفة قنعوا بأن تكون لهم معرفة ما بأصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من المميزات وقد أنسوا من كثرة البحث والاستئناس بالمنقول ان البشر المروفيين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا أنهم لما أرادوا وضع اسماء الاصول القليلة التي تقرعت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقبول بعض ما لفق في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة غليل المحققين ولا غليل الخياليين فيظل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ويبقى

الخياطون مستمسكين بما قد حكى لهم من قبل وربما تسلي محب الحقيقة
عن احتجاجها برؤية تماثيلها وما تماثيلها الا أساطير الاولين
اما نحن فنرى انه لا حاجة للتسلي بتلك الاساطير لانا اذا اشتبهنا
المعرفة فأمامنا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ صراحيل أعمارنا من غير ان
نقطع في ميدانه شوطاً بعيداً ، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما
يجوز ان نطمع فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فعلينا قبل كل شيء ان نرجح أنفسنا
من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما قطعنا
طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فهذا لا حاجة الى ما يذكره
علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال الساسية اذ يقال اني لهم
العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف يبني أهل الفن مبادئ على شيء غير
معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني ؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً
كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣)
مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم
لتقادم عهدهم وهم عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرهم الاولى ، واما
العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، والعرب المستعربة هم
ولد اسماعيل بن ابراهيم

هذا قولهم وهو لا يجنبني لان البائدة ليست موجودة حتى آمد
وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فبئس شهادة بأنها لم تبد . وقد

ذكروا في هذا التقسيم عرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم
يذكروا لنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم
قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه تفرع من اسماعيل ذرية مستقلة
هم العرب المستعربة . وجعل ما ذكره ان اسماعيل الذي كان غريباً
في جوار مكة المكرمة تزوج بأمرأة عربية من تلك القبائل التي كانت
حولها ، فهل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر
العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو
ثالث ثلاثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان
هذا من جملة الأقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون
صبغة لا تزول فخر الا كثرين وهي في الحقيقة لا تعبر على النقد والحك
فليت أولي الابواب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يعجني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي العربي عليه
السلام كان اذا اتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول « كذب
للنسابون » ^(١) ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح
اما الذي لا يغير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب
يوم ظهر فيهم النبي الذي اُعلى شأنهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب
ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف
لديها وتمسك بما وراءه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً ، ولقبائل اليمن
أصلاً آخر ، وللقبائل بعد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمتعه : قال الله تعالى

« وقرونا بين ذلك كثيراً »

وعرب العراق والشام ترجع الى أحد هذين الاصلين أيضا ، فعدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا ، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون ، متقاتلون متذابحون ، لا ملك لهم جامع ، ولا شرع فيهم وازع ، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية ، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية ، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم ، وتذكر فيه ما أثرهم وآثارهم ، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام ، فالاسلام قد جمع الازع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الغزو ، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأنسابهم ؟ ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا مجهولين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأشمارهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم ، واذا لم تثق بنقل أشمارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين ، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب ، والديانة المجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس ، والكنائس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قسيسين ورهبانا ، وبيع اليهود ما جيلتهم ، والناسفة ما أنكرتهم ، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم ، فكيف يكون هذا الجبل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والمصيبة عند التناصر فإذا رجعوا الى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة الى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا . ولا يعتمد من أمة محتاجة الى التناصر وليس لها كسائر الأمم كتاب يجمع أخبارها ويربطها أن يعني كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن يرى يقتضى أفرادها بيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب اذا عظم أمره أو كثرت ماله انفرد بأهله وانتمت اليه الثروة ووضعوا لانفسهم نسبة جديدة من غير أن يضيفوا حظهم من الارتباط بالنسبة الاولى لان لهم عند التناصر مظهرا عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشأن ان العرب كانت قبائلهم ارحاء وجاجم فالأرحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها الا أن ينتجع بمضها في البرحاء وعام الجذب . والجاجم هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت باسمائها دون الانتساب اليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكتف باسم معروف بموضع

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عندهم أهل الرواية أول كل شيء . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك أنه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم المحاجن ينعون الناس عنه ويوسمون له

فدنا منه وقال له: ممن الرجل؟ فقال «اني رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهته ووليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحتي وقلت «اني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من مضر» قال «فمن القرسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالقرسان قيسا وبالارحاء خندفا . فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الارومة أنت أم من الجماجم؟» فعلمت انه أراد بالارومة خزيمه وبالجماجم بني اذ بن طابخة . قلت «بل من الجماجم» قال «فانت امرؤ من بني اذ بن طابخة» قلت «أجل» قال «فمن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدواني الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فانت اذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الاخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وباخوانهم الاخرين بني عمر وبني تميم . قلت «من الاكثرين» قال «فانت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البهور أنت أم الذرا أم من الثماد؟» فعلمت انه أراد بالبهور بني سعد وبالذرا بني مالك بن خنظلة وبالثماد امراً القيس ابن زيد . قلت «بل من الذرا» قال «فانت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طيبة وبالشهاب نهشلا وبالباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فانت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر

الاحلاف . قات « من البيوت » قال « فانت يزيد بن شيان بن علقمة
ابن زرارآ بن عدس وقد كان لا يك امرأتان فأيهما أمك ؟

• •

ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا
على شيء مما عليه الامم من الروابط كلا بل كان لهم حضارات وملوكهم
التابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغلين بالتاريخ . وملوك الحيرة
(في العراق) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم ان سهل أربخ
العرب أولهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن سلالة الأزد من ولد
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك
الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعده عمرو
ابن أخيه جذعة الأبرش بن مالك بن فهم وجذعة هذا هو صاحب الحديث
المشهور مع الزباء (زوييا) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي
مؤرخو العرب ان جذعة قتل أباهما فاحتالت عليه الزباء وأطمعته في نفسها حتى
اغتر وقدم اليها فقتله وأخذت بثأر أبيها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد
ابن اخته عمرو اللخمي جد الملوك المناذرة اللخمين .

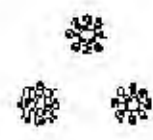
والمملوك الفسانيون في الشام مشهورون أيضا لا يجهلهم من عرف تاريخ
الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الأزد
ابن العوث ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال
له غسان فنسبوا اليه وكان قبيلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعة من
سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بأربع مئة سنة وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليج دانه، له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني بالشام عدة مصانع ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح التقرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء. ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرج والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبقاء فبنى بها الحفير ومصنعه، ثم ملك بعده المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الإيهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة. ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الأصغر ابن المنذر الأكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل معرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قاتل المنذر الأخشي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الإيهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الإيهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصاح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بمضى

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده
 أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوهما حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه
 الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث
 ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الابهيم بن جبلة
 ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسر وبنى
 له قصراً بالبرية عظيماً ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك
 بعده أخوهما شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك
 بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن
 الابهيم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني غسان ، وهو الذي أسلم في خلافة
 عمر ثم عاد إلى الروم



ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس
 الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه
 عمرو المقصور سمي بالمقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده
 ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لأنه وافق كسرى
 قباذ بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباذ المنذر
 ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فمظم
 شان الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث
 المذكور فهرب وتيمته تغاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وأربعن نفساً
 من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني مرين وهرب الحارث إلى ديار
 كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حبر قد ملكه أبوه علي بن أسد بن خزاعة فبقي أمره
متاسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم ودخلوا في طاعته ثم
هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أياتا منها
بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد أبيه فاستنجد بكر وتغاب
علي بن أسد فأجدوه وهرب منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت
عنه بكر وتغاب وتطلعه المنذر بن السهم ففرقت جموع امرئ القيس
خوفا من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من أيضا فصار يدخل على
قبائل العرب ، ويتقل من أناس إلى أناس حتى قصد السموأل بن عاديا
اليهودي فأكرمه وأنزله وأقام عنده ثم سار إلى ملك الروم مستنجدا به
وأودع أذراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره إلى ملك الروم قال
قصيدة تشمر بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشة جاوزنا حاة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقات بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فتعذرا

وقد مات في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر

فبالله كيف تكون مجهولة الامة التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت
أمام الامم والاجيال، سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرك ان القول
بان هؤلاء القوم كانوا مجبولين وانهم كانوا متشتتين من غير ملك جامع،
ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكلف نفسه بحثا وهو
لما يحط بذلك خبرا

ومتي كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا من يثبت
 كانوا هم أحق بمعرفة أنفسهم وحفظ مفاخرهم وعصبياتهم . وما نقل الينا عنهم
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شاهدته ،
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة ، وإذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار
 لم يكن غيرها أحق بالثقة لسر الحق فان تزوير الاساطير لا يستبعد وقوعه
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق
 من القرائن الشاهدة والنظائر الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يصبرني رأيه ولا يسر التاريخ والمنقول
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيراً وانما يضره وحده . يقال
 استفادته من المنقول ، ويكثر وساوسه وغشوره ، ثم يصل الى درجة لا يثق
 ممياً أحد بمقوله . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب
 لا أنافسه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية
 ولا أزيد شيناً على ما أوضحت به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي تروي هنا
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجد النفس
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفاً ان لهؤلاء العرب المعروفين أصليين معروفين عندهم
 ومجهول ما وراءهما وهما عدنان وقحطان ، فاما قحطان فتدأخضت خبرته

يحفظها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته وأما
 عدنان فإن حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان له ظمه متجاوز النسبة أي
 أنه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطفيء
 مجدهم وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبين بهر العالمين أجمعين
 فلذلك نلم هنا بذكر الذرية العدنانية دون الذرية القحطانية لانتنا
 نريد أن نتعرف القاري، يقوم خديجة الخوصيين . (عدنان) ولد له
 (معد) ومعد ولد له (نزار) وأولا نزار أربعة (مضر) وإياد
 وربيعه وأنمار وقد فارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق .
 ومن ذريته كعب بن مامة الإيادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة
 الإيادي المشهور بالقصاحة . ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل عنزة وبكر
 ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت
 لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر
 ابن وائل بنو شيبان ومن مشهور بهم مرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة
 ابن المبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهور بهم سيلمة الكذاب
 وولد لمضر بن نزار (إلياس) وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس
 هذا فمن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم
 مريضعة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر ومريضعة
 وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو نمر وباهلة ومازن وعطفان وبنو عبس
 الذين منهم عنزة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فزارة وكان
 بين بني عبس وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين عاما . ومن
 بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن منغر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة
بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة

وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيم ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب
جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور

وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة
ابن خزيمه ﴿ النضر ﴾ وملكاز وعبد مناة وعمر ووعاص ومالك فن
ملكاز بنو ملكاز ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهورهم أبو ذر ، وبنو
بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل. ومن مشهورهم أبو الاسود الدئلي وبنو
ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة

وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواه وولد لملك
هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لملك غير فهر
وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فن محارب بنو محارب ومن
الحارث بنو الخلبج ومن مشهورهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري
فهر يقال لهم قرشيون

وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وتيم الأدرم ومن تيم المذكور بنو
الأدرم ومعنى الأدرم ناقص الدفن

وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعاص
وأسماء . ومن ذرية عاص بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله
علي بن أبي طالب

وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فن هصيص

بنو جميع ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنو سهم ومن عدي بنو عدي
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد لمرّة بن كعب بن كلاب بن تميم وبنو تميم ومن
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن يقطعة بنو مخزوم ومن مشهورهم
خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام

وولد لـكـلاب بن مرة بن قصي بن وزهرة ومن ذرية زهرة سعد
ابن أبي وقاص وآمنة أم النبي (ص) وعبد الرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا
عظيماً في قريش وهو الذي أرتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو
الذي أثل عجمهم

وولد لقصي بن كلاب بن عبد مناف بن عبد الدار وعبد العزى
فمن بني عبد الدار بنو شيبه حجاب الكعبة ومن مشهورهم النضر
ابن الحارث كان من أشداء أعداء النبي، ومن عبد العزى أيضاً سيدتنا
خديجة بنت خويلد التي تزوي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي بن هاشم بن عبد شمس والمطلب ونوفل
فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي
سفيان مؤسس الملك الأموي ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبون ومن
ذريتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لـهـاشم بن عبد المطلب بن عبد المطلب بن عبد شمس
المطلب بن عبد الله بن حمزة والعباس جد الملوك العباسيين
وولد لعبد الله بن عبد المطلب بن محمد بن النبي عليه الصلاة والسلام

يقول الحكيم من يشاء من يؤت الحكمة فقد واثق
خبر كبراً وما يظن حكراً إلا أولو الألباب

المجلد الحادي عشر
١٣١٥

يقول هادي الدين يستحسن القول فينبوروا
أو لعل الذين هذا هم الله وأولئك هم

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر الاربعاء - ٢٩ سفر ١٣٢٦ - أول ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨)

كتاب مصر الحديثة للورد كرومر

نظرة إجمالية في الكتاب

أقام لورد كرومر في مصر نحو ربع قرن متصرفاً بنفوذ الحاكم المطلق فعرف من أحوال حكومتها وسيرها الاجتماعي ما يميز على غيره من حكام البلاد أو زلائها من الأوربيين ان يعرفوه ثم أودع زبدة ما عرفه في كتاب يدخل في ثلاثة مجلدات طبع اثنان منها وأوصى هو بطبع الثالث عقب موته لانه خاص بحال مصر في عهد الامير الخالد عباس باشا الثاني والظاهر أنه أشد الاجزاء وطأاً وأثقل قِيلاً على مصر والمصريين على ان الجزء الثاني لا تستغف وطأته ، بل لا تطاق كلمته ، فهو قد حكم

لكل الشعوب التي تنبوا أرض مصر وعليها ولكنه حكم على المصريين
لا لهم ولم يحكم عليهم بالمساواة بل فضل القبط على المسلمين تفضيلاً من
حيث دينهم وما فيه من المرونة التي تساعد على مجارة المدينة ما لا يساعد
الإسلام أهله على زعمه

ولم يكتف بالحكم في قضايا الشعوب من حيث هو حاكم سياسي
اجتماعي بل حكم أيضاً في قضايا الرجال المشهورين الذين عرفهم من بعض
الوجوه وكان حكمه عليهم من غير الوجه الذي عرفهم به اذ حكم على مطويات
المقائد ومكنونات الضمائر وخطرات القلوب

ولم يرضه هذا حتى رفع نفسه الى مستوى الحكم على الإسلام من
حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعي فحكم من الحيثية الاولى
له وعليه ومن الحيثية الثانية عليه لا له وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على
أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم فكان حكمه هذا صاخة تصخ المسمع
وقارعة تصدع القلوب بل هو عبرة للمعتبرين وموعظة للمصريين
وسائر المسلمين

رأيت حديث الناس في هذا الكتاب يدور على قطبين (أحدهما) الحكم
على شعور الكتاب حينما دون حكمه على المصريين وعلى الإسلام والمسلمين
فأرايت بينهم خلافاً في كونه كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام
من المصريين بما فوقوا اليه من سهامهم ، وصوبوا اليه من أسنة اقلامهم ،
في وقت مفارقتهم لديارهم ، وهو وقت ضاق فيه ذلك الصدر الواسع
عن احتمال الانتقاد ، بله الشبهة والازراء ، على أنه قد ظهر ضيق صدر
اللورد قبل ذلك في تقريره الأخير ، ثم في خطبته التي خطبها قبيل الرحيل ،

هذا وأما القطب الثاني لحديث الناس في الكتاب فهو غرضه منه وقد رأيت أهل الفهم والذكاء يقولون من غير مواعظة ولا تقليد إن غاية اللورد من هذا الكتاب هي أن يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال، والخروج من مصر في يوم من الأيام، ويقنعهم ويقنع أوربا معهم بأن لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين في مصر بل ولا مصالح المصريين إلا بقاء الإنكليز في مصر لأن المصري شديد التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فإن هو تركه واتبع هذه المدنية كما يحب الأوربيون ويفنون كانت مدينته تقليدية لا حقيقية وكان بذلك شرا من المسلم المتدين وأشد عداوة للأوربي والمسيحي ولو غير أوربي

ويرون أن تصريحه بعدم استعصان ضم مصر إلى أملاك إنكلترا وما أظهره من الميل إلى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وذو الرماد في العيون وإلهاء المصريين بالأمان والاحلام. وأصحاب هذا القول غافلون عن طرق الاستعمار الجديدة ومنها حكم البلاد باسم أهلها والرضى بالسلطة الفعلية بديلا من السلطة القولية وقد سبق لنا بيان هذه الطرق في السنة الأولى من المار وفي غيرها أيضا

هذه صفوة الآراء التي دارت بين الناس في شعور مؤلف كتاب مصر الحديثة وفكره المستولي عليه عند الكتابة وفي غايته منه وذلك ضرب من ضروب انتقاد المصنفات مطروق الأبواب، متهود عند الكتاب، ومما ينتقد على هذا الكتاب وهو من أصول الانتقاد استنباط القواعد لأكلية، من شواذ الحوادث الجزئية، ولم يسلم اللورد من ذلك فإنه في المقابلة بين عقل الغربي والشرقي أورد الأمثلة لعقل الشرقي الضعيف

التنظيم والادراك « لا اعتقاده بالقضاء والقدر ورضوخه لكل سلطة تتولى أموره » فانه بعد ان دعم الحكم على عقل الشرقي بهاتين العلتين مثل للحكم الكلي العام بما نص ترجمته

(قال اللورد) « حدث أكثر من مرة ان المتعصب في مصلحة

الحديد المصرية حول الخط والقطار عليه لم يمر الانصفه الى الخط الآخر فادى ذلك الى انقلاب القطار وحدث ايضا ان سائق قطار نسي احيايا اي مفتاح يجب ان يحرك لكي يوقف القطار وحدث مرة ان عمال السكة الحديدية قتلوا لانهم ناموا بعد ان وضوا رؤوسهم على الخط الحديدي وانما فعلوا ذلك ليشقوا بأنهم يستيقظون على صوت القطار الآتي »

ونقول ان أمثال هذه الجزئيات تقع في أوروبا وفي جميع البلاد من جميع الشعوب وناهيك بالطبقة الدنيا من العمال فان ذكي الفطرة عالي النفس لا يرضى لنفسه بأن يكون من أحقر عمال سكة الحديد، وناهيك بالمبتدئين من أهل هذه المهنة بها والغالب ان يكون أصحاب ذلك الشذوذ الذي ذكره منهم . فحال أمثال هؤلاء لا يصح ان يكون مناط المقابلة بين الشعوب في ارتقاء العقل وملكة النظام فيه . وانما ينظر في حالهم من جهة النشاط في العمل والصبر عليه ولعله لو قابل بين فعلة الاوربيين وفعلة المصريين في هذه المزايا لما قدر ان يخمس المصريين حقهم، وان ظن ان القضاء والقدر قد فتك باستعدادهم لكل عمل ، ونسي ان أكثر المستخدمين في سكة الحديد من القبط الذين هم على شاكلته في عدم الايمان بالقضاء والقدر واني أذكر له شيئا من بلاد بعض الاوربيين وغفلتهم هو أبعد عن العقل والنظام مما صدر عن صغار فعلة السكة الحديدية في مصر ناقلا إياه عن

كتاب صفوة الاعتبار لصديقه الشيخ محمد يرم الثقة الدار وجه الله تعالى
فانه كتب في الفصل الذي عقده لبيان عادات أهل فرنسا وصفاتهم مانصه :
« ومع ذلك (أي انتشار المعارف) فلا يزال في فرنسا خلق كثير
على السذاجة والجهل . ودونك حكاية ظريفة تقيس عليها ما يقرب منها .
ففي سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحمد أصحاب العمل باليد مشتتة جهة
« باريس » وكان له ابن مشتت جهة « بر دو » فلم يوفر الابن من كسبه
ما يشتري به خذاء فأرسل الى أبيه يشتكي له القل ويطلب منه شراء خذاء
له فاشترأه له وحمله في الطريق وهو مفكر في كيفية إيصاله اليه فينما هو
ماش اذ مر محاذياً للسلك الكهربائي فقال هذا أيسر طريق !! إلى أحملة
الخذاء وهو يوصله لابني . فجاء الى عود السلك وعلق فيه الخذاء وأسرَّ
الى العود بقوله « أوصل هذا لابني فلان في المكان الفلاني » وذهب
مسروراً بإطلاعه على مسلك سهل بلا معر وف . ثم مر من غد متفقداً
ما فعل السلك بالخذاء فوجد في ذلك المكان خذاء عتيقا أفناه اللبس
ففرح وقال « ان ابني لما قل حيث أرسل لي القديم لاستعين به على ثمن
الجديد » فانظر الى هذه البلاهة التي لو صدرت من أحد المشرقين
لشنوا بجميع الجنس بأنه وحشي بعيد عن المعارف وتهذيب الاخلاق »
(وقد صدق ظنه صديقه لورد كرومر فانه شنع على الشرقيين كافة بما
وقع من بعض فلاة سكة الحديد بمصر)

(ثم قال يرم) « واعلم ان مثل هذا الرجل كثير سيماني القرى الصغيرة
والجبال بل وفي أهل المدن كثير ممن يعتقد بالمخافات الباطلة ويعتقد
التأثير لا جوار ومجادات ، ويتشائم بالاوقات ، فقد رأيت في كثير من بلدانهم

وبلدان الطليان وكذا الانكليز طاقات في حيطان فيها منارات توعد ليلا بالزيت أو بالشمع السلي تقربا الى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول المتقرب اليه بتلك الطاقة . ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم ان شمع الشمع أو الغاز من البدع التي لا تقرب بها . وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جمادات أو أماكن اعتقاد حلول ارواح فيها . وقد ذكر من هذا النوع في كشف الخبايا فنون أوربا ما يستعجب منه السامع مما ترى الاورباويين ومن تشكل بشكاهم وتباهى بتقليدكم يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويحملونها سخرية وينزهون أوربا عن مثلها مع أنها حاوية لشبهها ولا شد منها بل ربما أسند ذلك الجاهل أو المتجاهل الى دياتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد لئلا ذلك بل انها هي المهدية والمنقذة من غياهب الجهل الى نور المعارف الحائنة على العلم وفتح البصائر ، اه بحروفه

هذا ما قاله عن أهل فرنسا وهم أسبق الاوربيين الى العلم والمدنية واذا كان أذهانا . على أنه قال ان الانكليز كذلك بل قال في كلامه من عادات الانكليز وصفاتهم مانعه :

« وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هيج الفرانسييس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات فيتطرون من أشياء كادت ان لا تحصى وينقادون الى السحرة والدجالين بما يخرج عن حد المقول وكاد التلم ان يكون عندهم مجهول الاسم فضلا عن المسمى سوى ما يرطن لهم القسوس في الكنائس » الخ أقول اما خرافات القبور والاولياء التي قال انهم يميون الاسلام

بمثلا وهو منها بريء فقد أخذها المسلمون عنهم وهم أخذوها عن اجدادهم
أو مجاورهم من الوثنيين فالاسلام والنصرانية الحقيقية بريتان منها وقد
قال صلى الله عليه وسلم « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع »
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ - قال « فن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما
وان تعجب فاعجب مقارنته في هذا المقام بين الاوربي مطلقا والماي
المصري في الحساب فقد قال بعد ما تقدم ما رجته كما في المؤيد :
« وقارن أيضا بين تقدير الاوربي للحساب وبين المصري المامي
الذي يشكل عليه إشكالا كاملا كل أمر يتعلق بالأرقام أو الكمية فان عددا
قليلًا من عامة المصريين يعرفون عمرهم . فاذا سألت المصري عن عمر
رجل متقدم في السن يكون جوابه غالباً « ان عمر الرجل مئة سنة »
ويقول في نفسه ماذا بهم التدقيق في هذا الامر أو أي أمر آخر علمي ،
قلت ان هذا من مواطن العجب لان المقارنة فيه بين الاوربي
المتعلم والمصري المامي ولماذا لم يقارن في الحساب والأرقام بين المتعلم من
الفريقين ؟ لعله لانه يعلم ان المصريين من اقوى الشعوب استعداداً للبراعة
في الحساب وسائر العلوم الرياضية وقد أراد الانكليز منذ بضع سنين ان
يجعلوا ترقية المهندسين منهم على المهندسين من المصريين مبنياً على قاعدة
عادلة لظنهم أن الانكليز اعلم وأبرع فامتنحوا الفريقين فاسفر الامتحان عن
فوز المصريين وتخلف الانكليز عنهم وسكت الفريقان على ذلك الامتحان
فلم يعلموا به الجرائد . اما الانكليز فلما هو ظاهر واما المصريون فلنخوفهم
ان يحق عليهم رؤساؤهم ويتقدموا منهم
ومما يتقدم عليه في كتابه تقليده لغير واحد من كتاب الاوربيين في

آرائهم في الاسلام وكان أجدر من كثير من أولئك الكاتبين بمعرفة حقيقة الاسلام لو أراد أن يعرفه وينصفه فإنه عاش في مصر عمراً طويلاً وعرف أشهر علمائها بل أشهر علماء الاسلام المعروفين في العالم كله الآن وناهيك بالاستاذ الامام وطول باعه في علوم الدين ورسوخه في فهم القرآن وهو الذي لم يكن يحتاج في مخاطبته إياه وفهمه عنه الى ترجمان كما كان يحتاج في مخاطبة غيره من شيوخ الازهر . ولكنه لم يكن يسأله عن أصول الاسلام وحكمه وأحكامه ولا الاستاذ الامام كان يتدنه بشيء من ذلك وإنما كان يقصد اليه لاجل الكلام في المسائل المصرية لاسيما الحاكم الشرعية . وماذا كره لي عنه انه كان يذاكره مرة في اصلاح هذه الحاكم ومعارضة قاضي مصر وبعض المشايخ ومقاديهم في ذلك كما حصل في مجلس شورى القوانين وذكر اللورد كثره شكوى الاهالي من الظلم وضيق الحقوق في هذه الحاكم ولما بين له الاستاذ الامام انه ليس في اصل الشرع شيء يتنافى الاصلاح العدل قال له اللورد هل تصدق يا أستاذ انه من خطر في بالي ان شريعة قامت على أساسها مدنية عظيمة تكون غير عادلة ؟ كلا اني أعلم ان كل هذه المفاسد مسائل « اكليركية » أي من تقاليد المشايخ التي تشبه

تقاليد رجال « الاكليروس » عند النصارى

أقول هذا بالمعنى كما احفظه عن الاستاذ الامام واستطرد من ذلك الى انتقاد ما كتبه اللورد عنه ثم أخلص كلامه في الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة وأبين خطأه وخطئه فيه وانتقل من ثم الى المقصد الاعظم وهو مستقبل الاسلام والمسلمين ومراد اللورد وامثاله من أساطين السياسة وامانيهم في ذلك وما يجب علينا من العبرة

والعمل في هذا المقام ، مع تعدد السبل واشتباه الاعلام ،

قول اللورد في الشيخ محمد عبده

لم يسلك اللورد مسلك اصحاب التراجم من المؤرخين فيذكر ما
للرجال الذين ترجمهم من الصفات والمزايا وما عليهم من التصدير وإنما
ألم يذكر بعض كبار الرجال المشهورين المأما ولم ينظر الى أحد من المسلمين
يعين الرضى كما نظر الى الشيخ محمد يرم التونسي على أنه مدحه بشيء يراه هو
مدحا ويراه جميع المسلمين ذمًا إذ قال فيه «علمه ذكاؤه الفطري ان النظامات
التي تطلق بها أسلافه (يعني الشريعة التي جرى عليها المسلمون السابقون)
لا بد أن تتلاشى اذا قابلتها المبادئ السامية المرقومة على راية الانكليزي !!
رأى كل هذه الامور يعين الناقد البصير » وقال بعد ذلك ان مثله اذا
ناقش المسيحي في الامور العامة يكون من النتيجة المحزنة أنه « يكتفي
بندب مصير ذلك الدين الذي يحبه وذلك النظام المؤذي الذي اوجده دينه »
ثم ذكر انه لا يوجد عند أمثال يرم من خيار المسلمين طريقة قادرة على
احياء الاسلام الذي هو في حالة الموت السياسي والاجتماعي !! ونحن نعلم
فيما رأينا من مؤلفات الشيخ محمد يرم وما سمعنا عنه ممن لقيه أنه كان
متمسكا بهذا الفقه ويراه أحسن نظام ويعتقد أنه مستمد من كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا كان مع ذلك يفضل عليه المبادئ
والقوانين الانكليزية او يرى انه نظام مؤذ فكيف يكون راسخا ذلك
الروسخ في الاسلام ؟ أرى انه على اطرائه ليبرم في الدين قد ذمه من

حيث اراد مدحه ولم يعرف حقيقة الدينية كما هي ولا يرضى سردي الشيخ محمد عبده ان يكون مثله مرضيا للورد في ذلك وان كانوا يطمون انه لا يعد جميع هذا الفقه ولا اكثره من الدين . وانا نذكر الآن رأي اللورد في الاستاذ الامام في تقريره لسنة ١٩٠٥ ثم نشفعه برأيه في مصر الحديثة ونبين سبب الاختلاف بينهما

قوله فيه بتقرير سنة ١٩٠٥

اختطبت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأجبت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة المرافية . غير أن المنفور له الخديوي السابق صفع عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فبين الشيخ بعد ذلك قاضيا في الحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة اتصله من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالا على نفع عمله الفتوى التي أفتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء أما الفئة التي يتبعها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ

الجليل السيد أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً . والغاية المظنة التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أن كان الدين الاسلامي أو يتركوا الشماثر التي لا تخلو من أساس ديني . فمعلم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين أما سر يدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فهو صوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجيرونديست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المتطعمون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالاضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم منفصلون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين، غير ان معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد اليه المرحوم الشيخ

محمد عبده هو السبيل. الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبني
ملتهم اذا صاروا فيه. فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من
الأوربيين. ولعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قول الرجل من اهل دينهم
وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة
التي تقبلوا بها على تلك المعارضة، وهنا ذكر عبارة عن كاتب هندي اسمه
السيد محمود تضاوي عبارة في المقدار

ومما كتب في اواخر الفصل الذي يتكلم فيه عن الحاكم الشرعية ما ترجمته
« هذا واتي أوافق السر ملكولم مكريث على ماقل عن الضربة
الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القيل يوت المرحوم الشيخ محمد
عبده فقد أشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
التقرير وأعود فابسط الرجاء أيضا ان الدين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور
عنرائهم بفقدته بل يظهرون احترامهم له كراه أحسن اظهار بترقية المقاصد
التي كان يري اليها في حياته » اهـ

اما ما قاله السر ملكولم مكريث وصرح به الورد بموافقته عليه فهذا
نص ترجمته

قول المستشار القضائي في الشيخ محمد عبده

« ولا يعني ختم ملاحظاتي على سير الحاكم الشرعية في العام الماضي
بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد
عبده في شهر يوليه الفائت وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة
التي أصابت هذه النظارة بفقدته فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق

بالشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيراً للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيراً من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظراً لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء وظيفته في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه امر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . اما الآن فانه يتعذر وجود احد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقدته ، اهـ كلام المستشار

قول اللورد فيه بكتاب مصر الحديثة

أما الشيخ محمد فكان عالماً من طراز يفضل كثيراً طراز اخوانه الذين اُشريت اليهم (كالسادات والبكري) وكان أحد زعماء الفتنة المراتية فلما جئت مصر سنة ١٨٨٣ كان منضوباً عليه ولكن الخديوي توفيق عفا عنه بما فطر عليه من مكارم الاخلاق وانقياداً لتشديد الانكليز عليه في ذلك وعينه قاضياً حسن العمل وأدى الامانة حقها . وكان متوسطاً في آرائه وعلى علم ونباهة فلم

ينكر المساوي الناشئة في الحكومات الشرقية وعرف انه لا بد من
الاستعانة بالاوربيين للاصلاح الا انه لم يكن من عداد المصريين المتفرجين
وكان يقول انهم لم يحسنوا تقليد ما حاولوا تقليده من الاخلاق الاوربية
وكان عدوا للاخديويين والباشاوات وأريد بذلك انه لو عثر على باشاوات
صالحين لما أعرض عنهم ولا عارضهم ولكنه لم يوفق الا الى عدد قليل
من خيارهم مع اختباره الطويل . وحقيقة الامر ان الرجل كان منطورا
على الخيال ويرى آراء لا يمكن الجري عليها الا انه كان مع ذلك مصريا
وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكون أمثاله كشار أولكن
اذا نظرنا الى نسيج محمد عبده والذين يطمون تعاليمه من جهة امكان
اتخاذهم ساسة للمستقبل نجد ان هناك بعض اوجه الضعف وقد قال المستر
ستاني لا ين بول ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون احداً اثنين
« اما متعصب او ملحد في سره » فمثل هذه الحيرة على شكل مختلف
قد أوجدت عقبات في سبيل المسيحيين الذين يؤمنون بحرفية تعاليم
المسيح دون منهاها أنها عقبات أعظم للمسلم الاصيل الذي يبذل عناية
كلية بحرفية تعليم دينه دون منهاها وأخشى ان يكون صديقي محمد عبده
في حقيقة امره « لا أدري » ولو انه يستاء من هذه النسبة لونسبت اليه .
وكان مباشره ومخالطوه مسلمون بمقدرته ولكنهم كانوا يرمقونه شزرا
ويقولون انه « فيلسوف » وكل من يدرس الفلسفة اي كل من يدرك
الفرق بين القرن السابع والقرن العشرين هو في أعين المتسكنين بالقديم
سائر الى الهلاك لاعمالة . هذا وان أهمية محمد عبده السياسية هي في
أنه أسس مدرسة فكرية في مصر على مثال ما أسس في الهند سيد احمد

منشئ كلية عليكرة وغاية الدين ينتمون الى تلك المدرسة هي زكية طرق الاسلام في عين الانسان او بالحري في عين الرجل المسلم ولكن شدة اشتباه المسلم المحافظ فيهم واتهامه ايام المروق من الدين يمنعه من المسير معهم طويلا وزاهم من الجهة الاخرى غالبا غير متفهمين الى حد ان يجذبوا اليهم المصري المقلد للطرق الاوربية فهم أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم وادنى من المصري المغالي في تفهمه ولذلك ترى مهمتهم عميرة جدا ولكنهم جديرون بكل تشجيع ومساعدة يمكن امدادهم بها لانهم حلفاء المصلح الاوربي الطيبين وسيري كل مصري محبا لوطنه ان في تقدم اتباع محمد عبده خير رجاء له في اتقاذ برجرامه الا وهو جعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً»

وقد علق اللورد في ذيل هذه الصحيفة قوله - اني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة ولكنه عمل شاق ففضلا عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديو ولم يتمكن من البقاء في منصب الافتاء لولا ان الانكليز ايدوه بقوة . وقد اثبتت عليه في تقارير السنوية ثناء عظيما وأنا أعظم الناس أسفاً حقيقياً على وفاته على اني في الوقت نفسه لا أرى بدا من الاعتراف بما عراني من الدهشة عند ما طالعت بعض الانباء الجديدة في كتاب المستر ولفرد بلنت فيظهر ان المستر ولفرد بني آراءه في المسائل المصرية على ماسمعه من محمد عبده فقال عنه في كتابه التاريخ السري انه فيلسوف كبير ووطني عظيم . وقد قرأت بدهشة وأسف ما ياتي بلسان محمد عبده .

« عرض علي الشيخ جمال الدين الفتك بإسماعيل يوما عند مروره
بمرجه يوميا علي كوبري قصر النيل فاستحسنت رأيته ووافقته ولكن الامر
اقتصر علي الكلام يتنا ولم نوفق الي شخص يتولي تنفيذ هذا العمل »
فكفاني أن أقول بمد هذا ان العالم المتمدن عموما ينظر شرا الي الوطنيين
ويحتقر بالاكثر اولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم
السياسية بمثل ارتكاب القتل » اه من ترجمة المؤيد

المقابلة بين القولين

من قابل بين ما قاله اللورد في تقريره وما كتبه في كتابه مصر الحديثة
يرى فرقا عظيما بين القولين فان عبارة التقرير لاذم فيها ولا تعريض وعبارة
التاريخ فيها ذم صريح ، وتعريض ظاهر بل المدح الذي فيها بمعنى ما في
التقرير ضئيل مبهم يحتمل صرفه الي الذم في بعض المواضع فانه لما وصفه
بالعلم فضله علي السادات والبكري وهما ليسا من العلماء ولما ذكر انه منهم
بالفلسفة فسر ذلك بالتفرقة بين القرن السابع والقرن العشرين . وقد قال
المؤيد في هذا التفاوت ما يأتي

« قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو
صديق مخلص للورد كرومر وقضى هذا اللورد زمنه الذي صادق فيه
هذا الشيخ وهو يساعده في الوظائف ويدافع عنه فيها . ويقول الآن
بصريح العبارة انه لولاه ما بقي في منصب الافتاء طويلا . كانت اللورد
يطربه مدحا في حياته كلما ذكر اسمه في مجلسه وكلما جاءت مناسبة لذكره

في تقاريره ويخيل لقارئ كتاب مصر الحديثة الآن ان اللورد يحاول ان يطمئن عليه أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه . فلم هذا ؟؟

رأي المؤيد في صداقة اللورد للشيخ

« ان جواب هذا السؤال موجود بين سطور اللورد كرومر فيما كتب عن هذا الرجل في كتابه الاخير . »
ثم ذكر المؤيد في بيان ذلك انه كان من زعماء الثورة المرافية وأوضح ذلك وأكده وذكر قول اللورد ان الخديوي السابق عفا عنه بتشديد الانكيز عليه في ذلك ، وانه كان على خلاف كبير مع الخديوي ثم بين صاحب المؤيد رأيه وأضاف اليه كلمة طالما حاكت في صدره ونوه بها حتى تفتتها اليوم فأراحنا وأراح الناس قال مانصه :

« من خلال هذا الكلام يظهر الجواب الحقيقي وهو أن اللورد كرومر لم يكن صديقا للمرحوم الشيخ محمد عبده كما كان هذا صديقا مخلصا له ولكنه كان متمسكا بصداقته الظاهرية لانه كان يريد أن يضع في يده رجلا قوي المارضة لدود الخصام عدوا لتوفيق باشا أولا وخلفه ثانيا ولا سماعيل باشا قبل ذلك . ولا صراء في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى . فكان اللورد يحبه من الجهة الاولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية . لذلك كانت نظريته وهو ينتقم باطرائه . أما الآن وقد مات الشيخ محمد عبده وفارق اللورد كرومر

مصر فلم تكن تمت حاجة لأن يداري اللورد فيه كل المداراة وإنما لاحظ أن يداري نفسه لما كتب عنه أولاً فيما كتب عنه ثانياً فجاءت كتابته هكذا خليطاً من المدح والقدح وتوب الرياء يشف عما تحته

قول المؤيد في الشيخ نفسه

«وعندنا أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان رجلاً عالماً فاضلاً ذا خلال محمودة كثيرة من صفات النجدة والوفاء والمروءة ولا نقول كما قال اللورد عنه أنه كان ملحداً أو لا أدرياً أو ضعيف الإيمان لأن الإيمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بطمها وأما ظهوره فكانت مجال مقال كثير لا صدقائه من جهة ولا أعدائه من جهة أخرى ولكنه كان على كل حال عالماً مصلحاً يحاول ما استطاع إصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل لذلك بغيرة لا تقتر وفي آخر عهده من الدنيا كان يعتقد في نفسه اعتقاداً ملاً جوائحه أنه رسول إصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهاداً حقيقياً وإن لم ينل حظ الثقة العامة بذلك ، وأضعف الجوانب في أعمال وآراء الشيخ محمد عبده كان الجانب السياسي منه فكان فكره السياسي خيالاً غالباً كما قال اللورد لأنه كان في كثير من الظروف يخيل له أن يقبض بكلتا يديه على اللورد كرومر من جهة وعلى الجانب الخديوي من جهة فيفشل في الأمرين معاً حتى يقول الجانب الخديوي من جهته ما يقول فيه وحتى يضحك اللورد من هذا الضعف السياسي فيه

« هذه كلمتنا في المرحوم الشيخ محمد عبده قلنا ما بحرية عامة في هذه المناسبة لنقول : أن كان اللورد أصاب في بعض ما قاله عن المرحوم الشيخ

محمد عبده فقد أخطأ في حقه مرتين الأولى في حياته لأنه لم يكن يعضده
ويساعده الا لفرض واحد وهو أن يكون عدواً حقيقياً دائماً للخديو
فكان يدفعه دائماً الى الامام في ذلك والثاني أنه تعرض الآن للطعن على
عقيدته والعقيدة مسكنها القلب خصوصاً وان الطاعن مسيحي على عالم
مسلم فيما هو مسلم به

ولكن اللورد أراد من هذا الطعن شيئاً آخر وهو ان المسلم ان صار
مصلحاً يوماً ما لم يستطع أن يكون كذلك الا وهو مارق من الدين حتى
انه لما مدح الشيخ يريم وذكر من صفاته انه كان يحاول أن يطبق أحكام
الاسلام على المعلومات المصرية قل عنه انه كان كمن يحاول أن يربع الدائرة

قولنا فيما كتب المؤيد

اذا تنازع الكاتب فكران أو شعوران عند الكتابة في موضوع
هو أصل في أحدهما والآخر فرع له فيوشك ان يذهله الفرع عن ام
أركان الاصل كما وقع للمؤيد فوجب ان نبين ما ذلط به المؤيد هنا
حتى خفي عليه به خطأ اللورد الحقيقي لنفي الموضوع حقه فنقول

(١) ان الاساس الذي بنى عليه المؤيد تفرقه بين كلامي اللورد
في هذا المقام غير صحيح وهو ان اللورد كان يطري الشيخ في حياته اذ
كان ينتفع باطرائه في دفعه لمداة الخديو، ثم ذمه بعد موته وخروجه هو
من مصر لزوال هذه الحاجة . فان هذا الثناء العظيم في تقريره الذي ليس
عندنا مدح منه سواء قد كتبه بعد موته واذا كان عند صاحب
المؤيد رواية لسانية عن اللورد فهي لا تقوم حجة عليه ولا يصح مقابلتها
بما كتبه اليوم الا ان يكون على سبيل التبع

(٢) ان كون الاستاذ الامام كان من زعماء الثورة المرافية لا يصلح سبياً ولا جزء سبب لمساعدة اللورد إياه والا لمساعد سائر زعمائها

(٣) ان اللورد فسر بنفس الشيخ محمد عبده للباشوات بأنه قلم وجد فيهم صالحاً وأنه متى وجد الصالح لا يمرض عنه ولا يمارضه لصدق وطنيته فوافقه صاحب المؤيد على كونه كان يكره الباشوات وعلى كونه كان صادق الوطنية . ثم مثل بنفسه للباشوات بمداوة الخديو الحال وأبيه وجده ونحن لا نوافقه على هذا التمثيل الذي يوم الحصر . أما كرهه لاسماعيل فهو معقول مهما كانت سنه ومعارفه السياسية في ذلك العهد وسندين ذلك .

واما توفيق فقد كان هو وأستاذه جمال الدين من حزبه وشيعته على أبيه وقد نقم منه اخراج استاذهم من البلاد ونفيه هو الى لده وكان راضياً منه أتم الرضى عند مساعد الوزارة الرياضية على الإصلاح في البلاد . ولما حدثت مبادي الثورة المرافية كان الشيخ مقاوماً للمرايين ولما استفحل الامر كان مرشداً معتدلاً بحسب علمه وقد ظهر له في أثناء ذلك استعانة توفيق باشا بالانكليز على المرايين فكرهه في أثناء ذلك كراهة شديدة كما يعلم من مذكراته في شأن تلك الحوادث ومنها ان مذبحة الاسكندرية كانت بإيعاز من الخديو ليثبت لا انكليترا وسائر الاوربيين مجز عرابي عن حمايتهم وقد كتب برودي المحامي عن المرايين شيئاً من هذا في كتابه نقلاً عنه . وأما العباس أيده الله بتوفيقه وعنايته فقد كان في اكثر مدة ولايته على مودة مع المرحوم وهو الذي اقترح من نفسه جملة مستشاراً في الاستئناف وهو هو الذي اختاره بنفسه منتمياً للديار المصرية ولم يكن للورد دخل في ترقى الشيخ محمد عبده في الوظائف الا عدم المعارضة والفضل الايجابي في ذلك

للأمير وحده كما كان يصرح به الشيخ مراراً. ولكن حدث في السنين الأخيرة بينهما شيء من سوء التفاهم بسبب بعض المفسدين الذين يعرفهم صاحب المؤيد أكثر من غيره. إذا كان يقاوم سمائتهم ومفاسدهم إلى أن غضب هو أيضاً. وزاد سوء التفاهم تلك المسألة التي أشار إليها المؤيد في ترجمة حسن باشا عاصم فقال ما معناه أنها مسألة كان يرى نفسه فيها قائماً بواجب ترضيه عليه الذمة وكان يراه مولاه فيها متعتاً. — وله أن يقول مثل ذلك في صديقه وشريكه فيها الشيخ محمد عبده —

فمن هذه الخلاصة الوجيزة يعلم أن إظهار اللورد الصداقة للشيخ بضع عشرة سنة لا يتأتى أن يكون المراد به دفعه في عداوة الخديو كما قال المؤيد. على أنه كان أثبت من أن يتدفع بيد اللورد أو غيره فقد كان في الذروة العليا من الاستقلال في فكره وإرادته وناهيك أيضاً بوطنيته وديانته. — حقا أقول أنني كنت أراه حتى في المدة الأخيرة التي قوسية فيها سوء التفاهم بينه وبين الأمير يمتنى لو يكون الأمير موقفاً مؤيداً في كل شيء يرفع شأن البلاد ويفيدها مصوناً من كل شيء ضار وأنني سمعته غير مرة يقول إننا كنا مطلقون برجليه فإذا اهبطه الانكليز درجة هبطنا تحت لأمه، وأنا كنا مرة نتحدث في استرضائه فأقدم بأنه لو أمره أن يخرج من البلد لا مثيل. — ولكنه كان ينكر على المعية أموراً كثيرة ويمنى الوفاق الممكن الذي لا يصحبه ضرر من جهة أخرى. — على أن المؤيد استنبط من عبارة اللورد أنه يحاول أن يطمئن على الشيخ أكثر من كل إنسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه فهل يكفي أن يكون سبب هذا هو الاستثناء عنه بموته وخروجه هو من مصر؟؟

(٤) توجيه المؤيد قول اللورد في الاستاذ الامام انه كان خيالاً غير وجهه فانه جعل تأويل ذلك بعد التسليم به ان الاستاذ كان يخيل له ان يقبض بكفتي يديه على اللورد من جهة وعلى الخديو من جهة فيفشل في الامرين . وهذا الاستنباط من خيال المؤيد ما أظن انه طاف بخيال اللورد اذا البعد بين الخيالين شاسع جداً . وخیال المؤيد وجهه ودليل من الخارج فان الشيخ رحمه الله كان يقرب من الامير للاستعانة به قبل كل شيء على خدمة دينه في نحو اصلاح الازهر ثم ابداء النصيحة الواجبة اذا عرض موجبها وكثيراً ما كان يعرض ذلك وقد سمعت من فم الامير في قصره بالقبة انه يستشير الشيخ ويعجبه رأيه ويثق به . وكان أيضاً يختلف الى اللورد للاستعانة به على خدمة وطنه وما كان يطلب منها شيئاً لنفسه . ومن مصلحة البلاد ان يكون فيها رجال يثق أمير البلاد وعميد الاحتلال معا بكفاءتهم وصدقهم وذلك من الحقيقة لا من الخيال

(٥) ذكر المؤيد في مواضع ان اللورد طعن في دين الشيخ عبده وعمله لا أدرياً أو ملحداً حتى ان من قرأ عباراته ولم يكن عارفاً بكلمة اللورد يظن انه جرم بهذا الطعن واللورد لم يجزم بذلك وإنما قال « أخشى » كما في ترجمة المؤيد نفسه ، أو « أظن » كما في ترجمة بعض الجرائد فوجب علينا ان نبين ذلك

(٦) قال المؤيد انه لا يطمئن في ايمان الشيخ لان الايمان محله القلب وان ظواهره كانت مجال مقال كثير لاصدقائه ولاعدائه . فنقول انا نحن نوافق المؤيد على قوله ان الايمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بملها ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح « هل شققت عن قلبه » لمن

قال يارسول الله اعط فلانا فانه مؤمن . ولكن المؤيد وقع في الحكم على القلب الذي انكره على اللورد اذ قال « قضي المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو صديق مخلص للورد كرومر » فلا خلاص كالايمان محله القلب ولا يمكن ان يطعم عليه الا الله تعالى فكيف أجاز المؤيد الحكم على القلب مرة ومنه اخري ؟

أما الظواهر التي تدل على قوة ايمانه فهي اقوي من الظواهر التي تدل على اخلاصه في صداقة اللورد مع العلم بانه كان ابعد الناس عن النفاق والرياء فانه لم يعمل للورد عملا خاصا به أو بدولته ولكنه وقف حياته على خدمة مصر والاسلام ابتغاء مرضاة الله . والمؤيد وان كان قد ادخل في مسألة الظواهر كلمة محتملة ككلمة ابي سفيان لم يقل فقال انها كانت مجال مقال كثير - قد قال من نفسه مقالا جازما هذا نصه :

« ولكنه كان على كل حال عالما يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل لذلك بغيرة لا تقتر . وفي آخر عهده من الدنيا كان يعتقد في نفسه اعتقادا ملاً جوامحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك » فالذي يعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن ان يكون ملحدا او لا ادريا اي شاكا في وجود الله يقول لا أدري أهو موجود ام لا ؟

صدق المؤيد وان كان في تعبيره بلفظ « رسول اصلاح » غرابة لما لها من المعنى الشرعي الذي ليس بمراد هنا . فان الاستاذ الامام كان يعتقد ان دين الاسلام لا يد ان يعود اليه مجده ونوره الذي حال دونه

ظلام البدع والخرافات والتقاليد والمادات وأنه هو عالم بحقيقته وبكيفية
تسرب البدع اليه وقادر على بيان ذلك وإزالتها بالحجة وإن هذا العمل فرض
محم عليه . وقد غمر هذا الاعتقاد عقله وقلبه وملك جنانه ووجدانه
فبذلك كان يرى أنه كان ملهم ومسخر من الله تعالى لهذا العمل ليس في
استطاعته أن يتوأنى فيه . وقد ذكر قاسم بك أمين في تأييده أن بعض
اصدقائه كانوا يلومونه على تفریطه في صحته وتعبه في بعض الاعمال التي
قلما تأتي بما يتوخاه من الفائدة فيها فيمدحهم بالتخفيف ولكنه يصبح في الغد
اشد اهتماما وعناية مما كان عليه بالأمس . وصدق المؤيد في قوله أنه لم ينل
حظ الثقة العامة باصلاحه اذ لو نال هذا الحظ لما قال لورد كرومر في الاسلام
ما قاله اليوم لأن الاصلاح العملي كان يمنعه من ذلك

رأينا في سبب اختلاف قولي اللورد

قال المؤيد أن الجواب عن التفاوت بين كلامي اللورد المذكور في
كتابه وقد صدق في هذه ولكن خطأ اجتهد فيه بينه به اذ لا اجتهد
في مورد النص . اما هذا النص فهو في موضعين ذكر أحدهما المؤيد
فيما ترجمه من كلام اللورد في الشيخ وأهله في الرد وأغفل أحدهما في
الموضعين . اما الذي ذكره وأهله فهو هامش اللورد^(١) الذي يذكر فيه
دهشته من استمداد مستر بلنت اخبار تاريخه السري للاحتلال من محمد عبده
وفي هذا الكتاب من التشنيع على اللورد وسياسته ما فيه . واما الذي اغفله المؤيد
فدونك ترجمته نقلا عن حاشية ص ٥٢٤ من المجلد الثاني في سياق الكلام عن
المعارف : « لقد دهشت بل اعترتني خيبة أمل عند ما قرأت في كتاب ألفه

مسيو جورفيل رسالة للشيخ محمد عبده أعطي فيها ذلك الرجل الشير
رجاحة اسمه «أوقورقاسمه» لتهم أو تمرىضات من هذا النوع ولا بد أنه
كان على يقين من أنها لا أساس لها . وكنت أرجو منه أفضل من هذا « اه
علق هذا على هامش معناه هل نظر الانكليز الى انحطاط المصريين السياسي
أو الاجتماعي نظر المقتبط فلم يحاولوا ترفيتهم كما يزعم بعض سفلة الناقدين ؟
ونحن نقول انت الرجل لم يطم اسمه لترويج التهم أو التمرىضات
كما ظن اللورد ولما أراد الموعظة والتبیه الى الصواب الذي يقتضيه ولكن
صاحب الكتاب استخدم اسمه لترويج كتابه وهو ما كان يقول الا ما يعلم تمام
العلم ان أنه صحيح كل الصحة . واذا كان اللورد يرجو منه يوم كتب تلك الرسالة
الى جورفيل أمرا أفضل من هذا فهو أيضا ربما كان يرجو من اللورد قبيل
ذلك أمرا أفضل مما رأى منه عند الحاجة الى مساعدته في أهم وأفضل عرض
له من حياته . وانا نورد الآن ما جاء في رسالة الاستاذ الامام عن المعارف وهو :

ما كتبه الاستاذ الامام لجورفيل عن المعارف

(التعليم العام) لا تنفق الحكومة المصرية على التعليم العام الا مبلغ مئتي
ألف جنيه مع ان في وسعها اتفاق اكثر منه لان دخلها قد بلغ في الميزانية
اثنى عشر مليوناً من الجنيهات وهي لا تنفق عن زيادة اجور التعليم
التي تقاضاها من الناس على تعليم اولادهم من حين الى حين وقد بلغت من
ذلك الى حد ان صارت تربية الاولاد عبأ ثقيلاً حتى على أوساط الناس واذا
استمر هذا التزايد أمسى التعليم زخرفاً لا يتسنى التعلي به الا في بيوت

الاغنياء فقط ومن المبادئ التي يجري عليها القابضون على ازمة امورنا ان لاحق لاولاد الفقراء في نوع ما من التعليم فهم مجاهرون به كل المجاهرة ويبدو منهم على الدوام في حديثهم وتقاريرهم وكتبهم .

نعم انه من المسلم الي حد محدود ان الوالد الذي يخصص جزءا من دخله لتربية اولاده يهمل ان يحصل من التربية على مقابل هذا الجزء وانه يراقب ولده في التعلم مراقبة فعلية ليحماه على الاستفادة من تعليم يكفه كثيرا من النفقات ولكن الذي لا يسلم به أحد ولا دليل عليه من التجربة هو ان يستتج من هذا ان كل تعليم مجاني يكون عتقا فانه مما تنبغي ملاحظته ان التعليم في المدارس المصرية من عهد محمد علي (باشا) الى سنة ١٨٨٢ كان مجانيا في كل هذه المدة ولم ينم هذا ان تنتج تلك المدارس عددا من الرجال المتعلمين تعلموا حقيقيا ومعظمهم من الفقراء ولم يضر اوريا ان التعليم مجاني في كثير من البلدان ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غير من الاختيار في مصر وما حضر من الاعتبار باوريا مادام الذين ييدم مقاليد حكومتنا مصممين على ان لا يقبلوا الا ما يهديهم اليه فكركم

يشق على الانسان ان يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والامهات على نظارة المعارف يقودون صغارهم اليها سائلين التصديق عليهم بقبولهم مجانا في مدارسها معتدلين بفقرهم ومدلين بما يكون بعض افراد اهلهم قد أدوه الى الحكومة من الخدم مؤملين على الدوام ان العناية الالهية والرحمة القلبية تلين صلابه ذلك المبدأ ولو مرة واحدة ولكنهم يضطرون في آخر الامر الى الرجوع الى بيوتهم أو الى قراهم خائبين خائري المزائم غير راضين لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الابناء الاعزاء الذين تمنوا لهم امانا كثيرة

ما حيلتنا؟ يقولون لنا «ان ابن ظهرانىكم من أبناء وطنكم اغنياء في وسعهم إنشاء مدارس مجانية للفقراء»

آه والأسفاه ! نعم ان أبناء وطننا في وسعهم القيام بهذا العمل وبأحسن منه ولكن مصر لما يوجد فيها مجنون للانسانية وأخص من بينهم محبي الانسانية المستثيرين ، قد يوجد أحيانا بعض منهم يشيدون مساجدا لا حاجة اليها لكثرتها غدا وبعض آخر يقف جزءا من عقاره على ولي ولكن همه الناس وانبطاها الى العمل لم توجه نحو التعليم فأمتنا أقامت زمنا طويلا تعتمد على الجماعة في كل شيء ومن أجل كل شيء

أما اذا نحن نظرنا الى هذا التعليم الذي تقوم به الحكومة المصرية من جهة قيمته فانا نضطر الى القول بأنه قلمي يكون رجلا في قدرته ان يمارس حرفة تقوم بعيشته ويستحيل ان ينشئ عالما أو كاتباً أو فيلسوفاً كيف بالنوابغ في شيء من هذا

وليس للتعليم العالي بمصر سوى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة الهندسة . أما جميع العلوم الاخرى التي تتألف منها معارف الانسان فالمصري قد يأخذ منها بعض معلومات سطحية في المدارس التجريبية ولكن يكاد يكون من المتعذر عليه ان يدرسها دراسة وافية بل يقضى عليه غالبا ان يجهلها . فعلم الاجتماع بفروعه التاريخية والاخلاقية والاقتصادية وعلم الفلاسفة القديمة والحديثة وعلم آداب اللغة العربية واللغات الاوربية وكذلك الفنون الجميلة لا تعلم بالكلية في مدرسة ما من المدارس المصرية فكان فينا القضاة والمحامون ، والاطباء والمهندسون ، ممن تختلف درجاتهم في العلم ولكننا لا نجد في طبقة منهم ذلك الباحث ولا ذلك المفكر

ولا ذلك الفيلسوف ولا ذلك العالم ولا ذلك الانسان الذي يمتاز بعمق
الفكر والنظر وبشهادة القواد وكرم السجايا الذي أوقف حياته كلها على
السي وراء مطلب من مطالب الكمال

وصفوة القول ان خطة الحكومة التي رسمتها لنفسها ويظهر انها
مصممة على ان لا تحيد عنها تلخص في أمور ثلاثة (أولها) مساعدة
التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بالكتاتيب حيث تعلم الكتابة
والقراءة وقواعد الحساب الرابع (ثانيها) التقليل من نشر التعليم في الامة
ما أمكن (ثالثها) حصر التعليم الثانوي والتعليم العالي في اضييق الدوائر
المصريون موقنون بأن من يدهم مقاليداء ورهم العمومية لا يعملون
كل ما في وسعهم لترقية الناشئين اخلاقا وعقولا وهذا الرأي مما يدعو
الى الاسف والاسى من جميع الوجوه فانه سيحدث في الرأي العام تياراً
من الاستياء ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وليت شعري ماذا يرجح الانكاز
من التماذي في ترك هذا الاعتقاد راسخاً في النفوس ! واذا كان ثمة أمر
يصح ان يتلاقى فيه الطرفان ويكون قاعدة للاتحاد فائما هو التعليم العام اذ لا يمكن
ان يوجد تناقض بين مصلحة الانكاز ومصلحة المصريين في هذا المقصد
فمن أراد استدرا ما في مصر من المنافع والخيرات فسيبيله في ذلك
ان يعنى بتعهد كل ما فيها من موارد الثروة وان يبدأ بالانسان بكل ما فيه
من مماتي الانسان فلا بد من امتزاج المنصرين الاوروبي والوطني واخذها
على التكاتف في السير نحو هذه الغاية يدا بيد

ولعمري ان الانكاز ليس يسيثون الى ان تقسم اذالوا ههنا الاهلين وارخصوا
من قيمتهم وصنروا من شأنهم فائما صاحبهم في ان يكون ابناء هذا الوطن

اعزاء اغنياء احراراً فان موارد الثروة والخير للانكيز منوطة بما يصيبنا من ثراء ورخاء »

هذا ما جاء في رسالة الشيخ محمد عبده لجورفيل عن المعارف ويليهِ كلام عن الحقانية ومعاملة الانكيز للموظفين المصريين ملخصه أنهم يَتمسَون ضعيف الارادة الذي يخضع لهم في كل شيء ولا يناقشهم في عمل ما ويقصون المستقلين في الفكر والارادة . وان كل رئيس منهم يعد نفسه مشترعاً فكلما خطر له استبدال قانون بقانون وضع قانوناً جديداً وأنفذه لان مجلس النظار لا استقلال له فيناش أو يمارض ومجلس شورى القوانين ليس له الا حق بيان الرأي والحكومة غير مكلفة الاخذ بقوله على ان فيه من الضعف ما فيه لان الافراد الذين يصاحون فيه للبحث قليلون

فأي شيء من هذه الرسالة ينكر اللورد لنشبهه له ؟ اما انه لا ينكر منها شيئاً ولكنه عز عليه ان يرى في كتاب أوربي كلاماً في عيوب ادارة مصر لرجل معروف بالصدق وعلو المكانة عند الاوربيين ولذلك قال انه أعطى رجاحة اسمه لجورفيل الخ

ان اللورد نفسه قد اعترف كتابة بأن المعتدلين الذين سماهم حزب أو أتباع محمد عبده لم يشجعوا كما ينبغي وقال في تقرير سنة ١٩٠٥ ان تعيين سعد باشا زغلول في الوزارة وهو أشهرهم انما هو تجربة . فهل له ان يقول مع ذلك ان ما كتبه الشيخ لموسيو جورفيل لا أساس له في اعتقاده ؟ لقد كان هو وجميع أهل الرأي في مصر يعتقدون حقيقة ما كتبه وهذا الاعتقاد لا يزول الا بعمل ينقضه فاذا كانت الحكومة الاحتلالية مغلصة فيما فعلت وتعمل لمصر وكان ما ذكره الشيخ من عيوب ادارتها غير متعمد

منها فلتستداركه بمساعدة المستقلين من المصريين ولا يصير عليها الاهتداء اليهم
 أما ما قاله الشيخ في رسالة عن المعارف فانه ما هو حكاية عن
 اعتقاد المصريين واستيائهم وهو مؤيد بما تذكره جميع الجرائد ان بعد ان
 وبما ظهر في مجلس الشورى والجمعية العمومية فكيف يقول اللورد انه
 لا أساس له ؟ ألم ينبأ بما جرى في هذا العام - حتى بعد ان قام ناظر المعارف
 بهذه النهضة الجديدة في ترقية التعليم من جهات متعددة - من قيام قيامة
 التلاميذ والجرائد والناس على مستر دنلوب بما كان قد ازدحم في صراكن
 الفكر والشعور من سوء حال الماضي . ان لم يكن قد ظهر به مصداق قول
 الشيخ انه سيحدث في الرأي العام تيار استياء عام من حال التعليم عاجلاً أو
 آجلاً فان ما ظهر قريب منه ولولا هذا الاصلاح الجديد لظهر اتم الظهور
 اما باقي كلام الشيخ فهو حكاية عن سياسة المختلين في التعليم وهو
 مؤيد بما كتبه اللورد في تقرير تلك السنة فانه قال (كما في ص ١٣٣ وما بعدها
 من النسخة العربية لتقريره عن سنة ١٩٠٥)

«يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من المدارس الاميرية
 التي هي فوق الكتائب وزيادة الاجور فيها » ثم احتج على ذلك بكون
 الغرض منها تعليم التلاميذ تعليماً أوربياً لكي تعد جمهوراً من الشباب
 المصريين لخدمة الحكومة ولتعاطي بعض الفنون » ثم ذكر ان محمد علي
 انشأ هذه المدارس لفرجة البلاد وان عباس الاول ألغاهما بعد ان خرج
 منها ما يزيد على عدد الوظائف وأعادها اسماعيل لفرجة البلاد كما كانت
 وانها كانت مجانياً بل كان التلاميذ فيها يأكلون ويأخذون مرتبات واطهر
 استعسان ذلك من قبل والاستغناء عنه الآن ثم قال « ويجب على الحكومة

ان تتوخى جعل اجرة التعليم في كل مدارسها المتفرجة مقارنة للنفقات التي تنفقها عليه . والاموال التي تنفقها على هذه المدارس تصير تنفقا على التعليم الاهلي الا لزم حاجة الامة ، يعني بالالزم لحاجات الامة تعليم الكتاتيب والصنائع فقط وهذا مالا يسلم به مصري قط

ثم ذكر ان الانكليز لما احتلوا البلاد وجدوا ان كل ما تنفقه المعارف العمومية « انما تنفقه على تعليم اولاد فئة صغيرة أكثرها من اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليما اوريا فآخذوا في تغيير تلك الحال وبذلت الهمة منذ سنة ١٨٨٤ لاخذ الاجور من التلامذة ولا بطل التعليم المجاني تدريجا ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئا جدا الى عهد قريب » ثم استدل بذلك على « ان ابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز » الخ فكيف يقول اللورد مع هذا ان الشيخ كتب ما يعلم انه لا أساس له ؟ سبحان الله كأن الشيخ كان يكتب سنة ١٩٠٥ لجورفيل في الوقت الذي كان اللورد يكتب فيه لناظر خارجيتهم ما يؤيد قوله ألم تر ان الشيخ قد كتب انهم يعني ولاية الامور يقولون لنا ان فيكم اغنيا يجب ان ينشئوا المدارس المجانية للفقراء ، وان اللورد كتب في تقريره (ص ١٣٥ و ١٣٦) « واذا اريد تمهيد السبل للتلامذة الذين تبدو عليهم مخايل النجابة الفائقة لكي يدخلوا المدارس العليا ووسائطهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان يقف المحسنون اموالا لتلك المدارس التي يعلم بها من كان مثل اولئك التلامذة ووقف هذه الاموال لتعليم التلامذة الفقراء الذين يستحقون ان يساعدوا انفع جدا من كثير المدارس الابتدائية المتفرجة » (للكلام بقية)

وعاشم افندي سر كيس السورين بمصر وغيرها الى الا كتاب للاحتفال بحافظ افندي ابراهيم الذي يوه بفضلهم ليكون هذا الاحتفال توددا من شعب الى شعب ما عزلة الشقيقتين " فلي الدعوة كثيرون وبعدا تمام مدة الا كتاب اقيمت الحفلة بفندق شبرد وحضرها مع جمهور المكتبتين كثيرون من وجهاء وادباء المصريين واصحاب الجرائد وكان ترتيبها هكذا افتتح الاحتفال سليم افندي سر كيس ببيان الغرض منه 'خطب سليمان افندي البستاني في الشمر والشعراء' انشد تقول افندي رزق الله قصيدة «مصر وسوريا» 'خطب سليم بك باخوس في اكرام الرجال للرجال: طليت قصيدة الامير شكيب ارسلان' خطب اساعيل بك عاصم انشد امين افندي البستاني قصيدة له خطب رفيق بك العظم طليت قصيدة لا سعد افندي رسم قرى كتاب في تحية الصحافة للشعراء المرسل من ادارة جريدة صا آفا الثرب بنو يورك انشد الدكتور ابراهيم افندي شادودي قصيدة له وقدم سليم افندي سر كيس لحافظ افندي هدية رواق المري في البرازيل وهي قلم من الذهب بشكل الريشة ثم الهدية الاكرامية من مجموع السورين وهي دواذ ومقلمة من الفضة . وختمت الحفلة بقصيدة الشكر من حافظ وهي

لمهر ام لربوع الشام تنسب
ركنان للشرق لا زالت ربوعها
خدران (الضاد) لم تهتك ستورها
أم اللغات غداة الفخر أمها
ايرغبات عن الحسنى وبينها
ولا يمتان بالقربى وبينها
إذا ألمت بوادي النيل نازلة
وان دعا في ترى الاهرام ذو ألم
لو أخلص النيل والأردن ودّها
بالواديين تمشي الفخر مشيته
فسال هذا سخاء دونه ديم
نسيم لبنان كم جادت عاطرة

هنا العلى وهناك المجد والحسب
قلب الهلال عليها خافق يجب
ولا تحوّل عن منهاها الادب
وان سألت عن الآباء فالعرب
في راثات المعالي ذلك النسب
تلك القرابة لم يقطع لها سبب
باتت له راسيات الشام تضطرب
اجابه في ذرى لبنان متعجب
تصاغت منهما الأمواه والعشب
يحنّ ناحيته الجود والدأب
وسال ذاك مضاء دونه القضب
من الرياض وكم حياك منسكب

في الشرق والغرب انفاس مسفرة
 لو لا طلاب العلا لم يتنفو بدلاً
 كم غادق بزوع الشام باكية
 بمضي ولا حاية إلا عزيمته
 يكرّ صرف الليالي عنه منقلباً
 بازض (كواب) ابطال غطارفة
 لم يحسم علم فيها ولا عدد
 اسطولهم امل في البحر من محل
 لهم بكل خضم مسرب نهج
 لم تبد بارقة في أفق متجمع
 ما عيهم أنهم في الارض قد ثروا
 ولم يضرم سرائر في منابها
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
 أو قيل في الشمس للراجلين متجمع
 سمو الى الكسب محموداً وما فتئت
 فأين كان الشاميون كانت لها
 هذي يدي عن بني مصر تصافحكم
 فما الكفاة إلا الشام عاج على
 لولا رجال تفالوا في سياستهم
 ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم

تهنو اليك واكباد بها طب
 من طب ريك اكن الملا تعب
 على أليف لها يرمي به الطلب
 وينثني وحملاه المجد والذهب
 وعزمه ليس يدري كيف ينقلب
 اسد جياح اذا ما ووثبوا وثبوا
 سوى مضاء تحامي ورده النوب
 وجيشهم عمل في البر معترب
 وفي ذرى كل طود مسلك عجب
 الأ وكان لها بالشام مرتقب
 فالشهب مشورة منذ كانت الشهب
 فكل حي له في الكون مضطرب
 الى المجرة ركبا صاعداً ركبوا
 مدوا لها سببا في الجو واتدبوا
 أم اللغات بذاك السعي تكسب
 عيش جديد وفضل ليس محتجب
 فصافحوها تصافح نفسها العرب
 ربوعها من بينها سادة ب
 منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا
 فاعلم الفخر في الذنب الذي كتبوا

أنجيل برنابا — مقل متنا له

قد تم طبع أنجيل برنابا كما قلنا في الجزء الثاني عشر من السنة الماضية وقد كتب له مترجمه الدكتور خليل سعادة مقدمة ذكر فيها ملخص ما قاله علماء الأفرنج فيه ورأيه في ذلك فنشرناها وقفينا عليها بمقدمة منا هذا نصها :

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى عيسى المويدي بروح الله ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين

أما بعد فإنا نرى مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على أنه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وأن رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي . فلقد دون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسيكون ذلك شأن أمثالهم إلى ما شاء الله

وأما من يحب العلم ويجتنب التقليد من كل أمة فهو يود إذا أراد الوقوف على أصل هذا الدين ونار يغفلو بطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أمرها ويبني رجميع بعضها على بعض بعد المقابلة والتظهير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وإن لم تظهر لرجال الكنيسة

لو بقيت تلك الاناجيل كلها لكانت اغزر بنايم التاريخ في بابها ما قبل منها أصلا للدين وما لم يقبل ولأريت لعلماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة مصونة بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والارادة ما لا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها

إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحد هو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجي بعده ليتم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الأنبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يقتضيه استعدادهم وإنما كثرت الاناجيل

لان كل من كتب سيرته عليه السلام سبها انجيلاً لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس

من تلك الاناجيل « انجيل برنابا » و برنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقيهم رجال الكنيسة بالرسل صعبه يواص زمانا بل كان « هو الذي عرف التلاميذ يواص بعد ما اهتدى (يواص) ورجع الى اورشليم » (١) فلعل تلاميذ المسيح ما كانوا ليتقوا بإيمان يواص بعد ما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا الذي عرفه أولاً وعرفهم به بعد ان وثق به . ومقدمة هذا الانجيل الذي تقدم ترجمته لقراء العربية اليوم ناطقة بأن يواص انفراد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح . ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشهرت وصارت عماد النصرانية . ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية . فلا غرو اذا عدت الكنيسة انجيل برنابا انجيلاً غير قانوني أو غير صحيح

لم نقف على ذكر لانجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي يحرم قراءتها فقد جاء في ضمنها انجيل برنابا . وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بعثة نينا صلى الله عليه وسلم على ان بعض علماء أوروبا برنابون اليوم في ذلك المنشور كما ذكر الدكتور سعادة في مقدمته والمثبت مقدم على الثاني صرت القرون وتعاقت الاجيال ولم يسم أحد ذكراً لهذا الانجيل حتى عُرِوا في أوروبا على نسخة منه منذ مئتي سنة فهدوها كنزاً ثميناً ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات الذهب والجهل لما ظهرت وانى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور ؟

ظهرت هذه النسخة في نور الحرية المتألق في تلك البلاد وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم وموضوع بحثهم واجتهادهم وانبرى بعض فضلاء الانكليز في العام الماضي لترجمتها بالانكليزية وتتميم نشرها وقد أهدت النسخة منها

(١) ا ع ٢٧:٩ كافي ص ٢٢٢ من الجزء الاول من قاموس الكتاب المقدس

عند نشرها فرأينا أنه يجب أن لا يكون حظ قراء العربية منها أقل من حظ قراء الانكليزية فكشفنا بذلك صديقنا الدكتور خليل سمادة فوافقت رغبته رغبتنا وترجم النسخة بالعربية ترجمة حرفية وبأثيرنا طبعها بعد مصادقتها على الأصل لأجل الدقة في تصحيحها

بحث علماء أوربا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة لخصها الدكتور سمادة في مقدمته فن مباحثهم ما هو علمي دقيق ككلامهم في نوع ورقها وتجليدها واقتها ومنها ما هو من قبيل الخوض والتخمين كأقولهم في الكتاب الأول لها والزمن الذي كتبت فيه وتبعهم في مثل هذا البحث أصحاب مجلتي المنتطف والهلل

ويجب ان ننبه في هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفية ، وأصل من أصوله العقلية ، وهي قاعدة إطلاق البحث أو بناءه على أسسه ولو مفروضاً . فان كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرض يتخذونه قاعدة مسلمة وربما كان فاسداً فيجبي كل ما بني عليه مثله لأن ما بني على الفاسد فاسد حتماً . مثال هذا ما اهتمن به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو انه عند الى جرة كانت في الشمس قلبها من غير ان يروه ودعاهم فقال اني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس بارداً ثم قلبها وليس الجانب الآخر منهم فاذاً هو سخن فطالبهم ببله ذلك فطفقوا ينشعلون المل وهو يردّها ولما سأله عن رأيه في ذلك قال انه يجب أن يثبت من صحة الشيء أولاً ثم يبحث عن علته . وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة بارداً والجانب المقابل للأرض سخناً غير صحيح بل قلبها اننا لا نختبر فطنتكم وكذلك فعل بعض الباحثين في أنجيل برنابا فرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ثم حاروا في حزر تعيين واضعه هل هو غربي أم شرقي عربي أم عجمي قديم أم حادث . وما قال أحد فيه قولاً الا وجد من الباحثين من يفسده حتى رأى الدكتور سمادة بعد الاطلاع على تلك الأقوال ان الاقرب الى التصور أن يكون كاتبه يهودياً أندلسياً من أهل القرون الوسطى تهر ثم دخل في الاسلام وأتقن

اللغة العربية وعرف القرآن والسنة حق المعرفة بعد الإحاطة بكتب العهد القديم والجديد . واستدل على هذا الفرض بلمحه الواسع بأسفار العهد القديم وموافقة التلمود وإحاطته بالعهد الجديد وغفل عن عزوه إلى كتب اليهودين ما لا يوجد في نسخها التي عرفت في القرون الوسطى وهي التي بين أيدينا الآن ككرو قصة هوشع وذهبي إلى كتاب دانيال ، وعن مخالفته لها أحيانا في مسائل أخرى ولو كان من أهل القرون الوسطى وما بعدها لما وقع في هذا الخط الظاهر مع علمه الواسع واستدل أيضا بموافقة بعض مباحثه للقرآن والأحاديث وما كل ما وافق شيئا في بعض مباحثه يكون مأخوذاً منه والا لزم أن تكون التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي لأوحيا من الله لموسى عليه السلام . على أن معظم مباحث هذا الأنجيل لم تكن مروفة عند أحد من المسلمين وأصوله في التعبير بعيد جداً من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة كما بين ذلك بعض القسيسين في مجلة دينية وأي مسلم يذكر الله ولا يثني عليه والأنبياء ولا يصلي عليهم ويسمي الملائكة بغير الأسماء الواردة في الكتاب والسنة

وقد كانت مسألة اليوبيل أقوى الشبهات عندي على كون كاتبه من أهل القرون المتوسطة لا من قرن المسيح حتى بين الدكتور سعادة ضعفها بدقة نظره فلم يبق للباحثين دليل يؤول عليه في هذا المقام فإن موافقة بعض ما فيه لبعض ما ورد في شعر دانتي يمكن أن يملأ بأن دانتلي اطلع عليه وأخذ منه أن لم يكن ذلك من قبيل تواردها في الطر

أما الهوامش العربية التي وجدت على النسخة فيجتمعل أن تكون لمرآب فرمينو الذي اكتشف هذا الأنجيل في مكتبة البابا بأن يكون دخوله في الاسلام حمله على تعلم العربية حتى كان مبالغ علمه فيها أن يترجم بعض الجمل بعبارة سقيمة تطلب عليها العجمة وما فيه من العبارات الصحيحة على قلتها لا ينافي ذلك فإن كل من يتعلم لغة اجنبية في سن الكبر تكون كتابته فيها لأول العهد من هذا القبيل : صواب قليل ، وخطأ كثير ، على أن أكثر العبارات الصحيحة في هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التي يمكن أن يكون قد اطلع عليها الكاتب . ويحتمل

أن يكون بعض القسوس أو من هم على شاكنتهم قد تعلم العربية ليتبين هل فيها مصادر لهذا الانجيل يمكن ارجاعه اليها . و يرجع هذا الاحتمال تسميته الفصول سوراً تشبهاً له بالقرآن أما عزو هذه الهوامش الى مسلم عربي في الاسلام فخطأ لا يحتمل الصواب اذ لا يوجد مسلم عربي ولا عجمي يطابق لفظ السور على غير سور القرآن أو يقول « الله سبحانه » كما جاء في مواضع منها هامش ص ١٤١ و ١٦ لان كلمة « سبحانه الله » ما يحفظه كل مسلم من اذ كاردينه ، أو يقول ميخائيل بدل ميكايل ويجعل اسم اميرافيل فيسميه اوريل أو رفايل ، أو يقول ان السموات اكثر من سبع وان العدد لا مفهوم له كما قال علماء الاصول . ولذلك أمثلة أخرى أضف اليها عدم اطلاع علماء المسلمين في الاندلس وغيرها على هذا الانجيل كما حققه الدكتور مرجليوث مؤيداً بتحقيقه بنخلو كتب المسلمين الذين ردوا على النصارى من ذكره ، وناهيك بابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرق فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا كما يعلم من كتبهما ولم يذكر في ردهما على النصارى هذا الانجيل بقي أمر يستنكره الباحثون في هذا الانجيل بحثاً علمياً لا دينياً أشد الاستنكار وهو تصريحه باسم « النبي محمد » عليه الصلاة والسلام قائلين لا يعلم ان يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام اذ المهود في البشارات ان تكون بالكنايات والاشارات والعميقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي وقد نقل الشيخ محمد يرم عن رحالة انكليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الانجيل مكتوبة بالقلم الحيري قبل بعثة النبي (ص) وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الاناجيل التي فيها البشارات الصريحة فيظهر ان في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الاناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن انجيل برنابا وغيره .

على انه لا يبعد ان يكون مترجم برنابا باللغة الايطالية قد ذكر اسم « محمد » ترجمة وأنه في الاصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر بلفظ يفيد مضاه كلفظ البارقليط

ومثل هذا الساهل معهود عند المسيحيين في الترجمة كما بينه الشيخ رحمة الله
الشواهد الكثيرة من كتبهم في الأمر السابع من المذلة السادس من الباب
باسم من كتابه اظهار الحق وزاده بعد ذلك بياناً في البشارة الثامنة عشرة
ولا يحسن القارى المسلم ان علماء أوربا وبعض علماء بلادنا كالدكتور
سماعة وأصحاب المقتطف والهلل يظهرون الرب في هذا الانجيل الموافق في
أصول تعاليمه للإسلام تعصباً لنصرانية فان الزمن الذي كان التعصب فيه يحمل العلماء على
طمس الحقائق التاريخية وغيرها قد مضى . وقد بحث علماء أوربا مثل هذه المباحث
في الانجيل الأربعة فينبوا انه لا يعرف متى كتبت ولا بأي لغة ألفت وقال بعضهم
ان مؤلفيها غير معروفين وأنهم بعضهم بواسطه وضع أكثرها كآري في دائرة المعارف
الفرنسية وغيرها بل منهم من جعل أصول تعاليمها مأخوذة من الأديان الوثنية
أكثر العلماء في هذا العصر أحرار مستقلون في مباحثهم الا من غلب
عليه التقليد الديني أو مصانعة المتدينين ألا ترى ان الدكتور مرجليوث
الانكليزي هو الذي دحفر شبهة من قال ان لهذا الانجيل أصلاً عربياً وأنه من
وضع المسلمين ، وان الدكتور سماعة هو الذي فند رأي المسندل على كونه من
وضع النرون الوسطى بما فيه من ذكر كون اليوبيل كل مئة سنة ، وان أصحاب المقتطف
يجوزون أن يكون له أصل ترجعت عنه النسخة الإيطالية ويحشون على البحث عنها
فأمثال أولئك العلماء يجب احترام رأيهم وان لم يكن دليله واضحاً وتعليقه ظاهراً
ومن لاحظ ان بعض القسيسين يجمعون المدة في اثبات الاناجيل الأربعة
ما فيها من التعاليم الأدبية العالية ثم قرأ تعاليم أنجيل برنابا يظهر له مكانه العالي في
تعاليمه الإلهية والأدبية . فإذا صرفنا النظر عن قاعدته التاريخية وعن حكمه لنا
في المسائل الثلاث الخلافية - التوحيد وعدم صلب المسيح ونبوة محمد (ص) -
فحبنا باعاً على طبعه وراء قيمته التاريخية ما فيه من المواءمة والحكم والآداب
وأحاسن التعاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

محمد رشيد رضا الحسيني

القاهرة في ٢١ صفر سنة ١٣٢٦



خطبة حقني بك ناصف

(رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب)

أكثر القائلون بتطبيق «سياسة الباب المفتوح» على اللغة العربية من ذكر جهود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم العربية ونموا علينا تخرجنا قبول الدخيل في لغتنا ورمونا « بالرجوع إلى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند حد ماأماه الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدروا أهلها أن ينتفعوا بكل ماخلفه الله » إلى آخر ماأثروا به من القضايا الخطابية بقصد التأثير في أفكار السامعين حتى تخيلوا أن الكلام الأعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضع في انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها وأن قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفه في اختراع آلة حرية أو معمل صناعي أو مصرف مالي ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة أن أضيع عليكم ساعة يمكنكم فيها اختراع بندقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الأمة المستضعفة لا تدري من أين تأتي ولا تعرف لتأخرها آلة

فتذهب هم كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه إلى الآبار فاشتطنا وقلنا الأزياء

الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبد لنا بها أزياء ضيقة فما عدونا، وحسبنا اقتعاد السيارات والدراجات بوصلنا الى المدينة فاقعدنا وما استغدنا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا النفاذج (البالو) معارج فما عرجننا، وغيرنا العمام بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافيات يطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضعاف ولا سببنا الى راقى الالمان، والا نكايرو واليابان

ان لا يرتفع الامم وأنحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددتها مسألة عقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستباحت والاستحسان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يطلب الكبير لا يجوز في العربية أن تنصبوا الفاعل وتقدموا خبران على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان قولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الا ولى حتى جاز لهم وضع الفاظ مقتضبة وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا اليسوار جالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقة وخلع المدار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوبة في الاسفار فمن شاء ان يحرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ما شا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدل معه واذا شاء ان يتبع المنصوص فيها هو بيانه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان عاد وحمود وأميم وعميل

وطسم وجديس وعمليق وجرم ووبار من أولاد إدوم بن سام
وأول تنقيح دخلها كان بعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة
وجرى أولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما أصبح اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى قبيلة جرم أدخل
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كريمة ومضر
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب
التي كانت تفد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها
ثلاثة أيام بسوق ذي الحجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة
اللغة في عصر الأمويين والعباسيين) فقد قصرُوا اختيارهم على ست قبائل
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لخالطتهم القبط أهل
مصر، ولا عن قضاعة وغسان وإياد لخالطتهم أهل الشام والروم وأكثروا
نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا عن تغلب لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين
اليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وأزد
عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين الهندين والفرس، ولا عن أهل اليمن
(حمير وهمدان وخولان والأزد) لخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين ولا
عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثميف والطائف لخالطتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لقصاد انتها بالاختلاط
 وعدوا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها خالية عن غنمة تيم
 وهي ابدال الهمزة عينا نحو عنت وعيك أي أنت وانك ، وعن تلتة يهراء
 وهي كسر أول المضارع نحو تلب وتلبو ، وعن كسكة ربيعة ومضر
 وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب وأيتكن ، وعن كشكشة هوازن
 وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو وأيتكنش وعن فحفجة هذيل وهي
 قلب الهمزة عينا نحو عتي أي حتى ، وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب
 بعد الياء الساكنة أو الكسرة نحو عليكم وبكم ، وعن وهنم بني كلب وهي
 كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهم وبينهم
 وعن جسيمة قضاة وهي قلب الياء الأخيرة جيمًا نحو الساعج يدعج أي
 الساعي يدعي وعن وتم أهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو
 التات أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سعد والأزد وقيس وهو قلب
 العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أنطى أي أعطى ، وعن شنشنة اليمن
 وهي قلب الكاف شينًا نحو ليش اللهم ليش ، وعن الخنخانية الشهر
 وعمان وهي حذف الألف في نحو مشاء الله أي ماشاء ، وعن طبطانية حمير وهي
 جعل أل « أم » نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وغممة قضاة وهي
 اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقله اللغة إلى لغة كل قبيلة على حدتها بل جمعوا الالفاظ
 التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة
 مقابل اللغة الأعجمية لا يخطئ التكلم إلا إذا خرج عنها كلها فلفظ المدي
 لغة دوس (بطن من الأزد) ولفظ السكبين لغة قريش فنقل الأئمة اللغتين

وأباحوا لكل إنسان أن يتكلم بأيهما شاء ولو لم يوجد في العرب من
تكلم بهما معا ومن هنا جاء الترادف في اللغة والاشتراك اللفظي ولو
جمعوا لغة كل حي من العرب على حديثها لتكرر العمل وطال الزمن
ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة
العرب عدوه غريباً ووحشياً بعد استعماله مخلاً بالفصاحة ولو كان معروفاً
عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أو آخر
الكلم وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا
لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير
مضبوطاً بقوانين تختذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل
من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فإذا لم يكن اللفظ
(مادة أو هيئته) قد سمع من العرب منعه بتاتا وشنعوا على استعماله
ولا جيل أن يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسوع من العرب ومقدار
الأنحطاط الذي كان يلحق بمن يخيل منهم أروي لك قصة وفود سيديويه
على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيه بين سيديويه
رئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي:
تسأني أو أسألك؟ فقال سيديويه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب
« قد كنت أظن أن العقرب أشد لسة من الزنبور فإذا هو هي » أيجوز
« فإذا هو أياها » فقال - سيديويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع
ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفنا وأتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه المعرب بياضك قد سمع منهم أهل البلد فيحضرون
ويُسالون فقال يحيى وجعفر أنصفت وامرا باحضار أعرابي من أهل
البادية وسألوه فقال «القول قول الكسائي» فقال سيديويه ليحيى «مره أن
ينطق بذلك فإن لسانه لا يطاوعه» فاكنتي المجلس بحكم الأعرابي وخجل
سيديويه وسافر بعد ذلك إلى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة
سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء
البلدين متى اختلفوا في أمر تسموه عند البدو وتسموه منهم

وعرفوا المعرب بأنه الاسم الأعجمي الذي فاهت به العرب الموثوق
بغيريتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبهم في ذلك كل من
كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والمصاب وأجمع
العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو إلا بكلام العرب ولا
يجوز الاستشهاد بكلام المولدين إلا في علوم البلاغة

وأجازوا استعمال الكلام في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة
بين المعنى الأصلي والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي
وحصرها تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية — نحو رعيننا الفيت أي الكلاء

والمسببية — نحو أمطرت السماء نباتاً أي ماء

والكلية — نحو «يجملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية — نحو بث الأمير العيون أي الجواسيس

والطالية — نحو «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي الجنة

- والمحلية - نحو سال الوادي وجري الميزاب أي مأواه
واللازمة - كاطلاق الحرارة على النار
والملزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي
لا صلاة كاملة
والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر البعير كالشفة للانسان
والعموم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرخ والدابة
على ذات الاربع
والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة
والبديلة - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي القا
والمبدلية - نحو « أكلت دما ان لم أرعك بضرة » أي أكلت دية
واعتبار ما كان - نحو « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى
واعتبار ما يكون - نحو « أراي أعصر خمرا » أي عنبا
الدالية - نحو فهمت الكتاب أي معناه
والمدلولة - نحو « قرأت معناه مشفوعا بتقيل » أي قرأت لفظه
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي المزايدة المجاورة للجمل وقد
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكاة نحو: اطيعوا لي جبة وثيضا
والآلية - نحو « واجعل لي لسان صدق » أي ذكرا حسنا صادقا
والتعلق - كاطلاق لفظ المصدر على الناعل أو المفعول كشاهد
عدل « وهذا خلق الله »
والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلاتكم

والمصدرية - نحو «فرجمو الى أنفسهم» أي آرائهم

والمظهرية - نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته

والتضاد - كاطلاق البصير على الاعمي

ومنى اشهر اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم

الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التنقيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة
بمينها فأني لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جريت عليه فليست
بمخطئ ما دمت لم تخرج عن المنقول وأية علاقة صادفتك من العلاقات
السالفة الذكر توصلك الى تسمية مالم تسمه العرب فليست مقيداً بلفظ
أعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال
في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتتهم
وتتجد حسبما يسمو اليه استمدادك وتصل اليه درجاتك من الاطلاع
وتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المديّة كما تقول دوس وان تقول
السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات وتلفظ «ياري»
بست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر
وتنصبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والمين
على الباصرة والذهب والياسوس وتصريح وتعمي حيث تحتاج لذلك
وتنقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد العدو فحبسوه وألزموه أن يكتب
كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم وعددهم
غشاً وتغريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:

« أما بعد فقد أخطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من السمي في تصرف احوالهم ، واني قد استضفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في المساقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحتُ فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدوف وأرسلوه الى الملك بعدما اطلعوا عليه فتفطن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السمي وانه رآهم أضافنا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمع بآية « كم من فئة قليلة » ولفتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كاهم عدو كبيرٌ عدو فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحضرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وأصبح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج بشرط الملاقة والقرينة وانتهت أدوار انتقيج فيها فلم يبق الا استظهارها والعمل بها. وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا قضت فيها لبانة للعلم والسياسة وتفرغت للفتوح والاستعمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فانارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا. ولما ضعف أمرهم ورثهم الغريبيون في حكمتهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يداؤون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسابنا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر عليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤ من بها ومن شاء فليكنف بها فقد تبين الرشد من الغي

ولما تعدت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس أن يكفونا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الألفاظ وطفقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطافية وجدلية لا تنفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً : ان العرب أخذوا ألفاظاً من الأعاجم في أطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فإلنا لا نشئ مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم أن ما أخذ العرب قليل جداً بالنسبة إلى ما نبذوه ونادر بإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحه غداً بالاولى في هيئتها أي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب إذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من العرض فننصب خبر المبتدا وخبر أن ونشتق من الجوامد كلها ونعمل الألف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيادات ونستعمل الزيادة لكل المماضي وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافها ونحدث فيها الأحداث الهائلة فتبيل فيها الالسنه وتفقد بعد قليل من الزمن مع أن أصحاب اللغات الحية « الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٨٤ أربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل على غيره أبدا وتكون دلالة بنفسه لا بعلاقة أخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما الى آلامنا: وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرّة أو عدم زيادته وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الألفاظ على المعاني وجب المسير الى الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعماله مع القرينة، ففي الهندسة مثلا تستعمل الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة، وفي الطبعة والكيمياء تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس بأصل معناها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجيء في الخاطر معناه الأصلي والذي يسمع جملة «سيارة الأمير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجمال فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما خاليا من المشترك والمجاز؟ أنا أراهمكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشارك فله مني عشرة دنانير وأمهاتكم شهرا، والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الأعجمية أصرح لانها تدل على صنف مخصوص بخلاف الكلام العربية فانها في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يجعل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لاعموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف وهندي وبناني وفي الرمح أسمر ولدن وسمرري ورديني وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رابعا : ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي أخف على السمع فاذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمعة » اشأز منك وسخر السامعون بخلاف « البيرا » : وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها واللاحاح في استعمالها لنظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدا فانهم يجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس بعناء حائكه وخائطه وقارئ الصحيفة لا يحس بعناء محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يعانون الاعمال وآخرون يتفهمون بها ونحن لانكلف أفراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتمب منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يوقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني أذكركم أننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازيته وأفوكاتو وكوليرا وواپور وقفصل جنرال ولما ابتدأ الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة ومحام

ووباء وقطار ومعتد كنا نتقرزها فلما ألحوا في استعمالها زال التقرز شيئا فشيئا حتى عفا الكلمات الأولى فجازاهم الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يخذو مترجوا اليوم حذو مترجمي أمس ؟ ولم لا تساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسا : ليس لنا أن تمسك بالقديم لمجرد قدمه : فنقول لهم وليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه ما لم تقم الادلة على أصلاحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نر لآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤانسات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

وبعد فاني لم أفهم الآن وجه التشبث بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل المعجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طبائنا اخلاذ الى الراحة والسكون فلا نريد أن نماني أعمالا جديدة لم تعودها فتخدعنا هذه الطبائع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نمرب كل يوم الف كلمة ولا نمجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا أن ما وصل اليه هو منتهى الكمال وأن ما يزيد عن ذلك يحسب من التعمير والتفريق ولا يريد ان يمتدح بكمال بعد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على نفسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذاك فما سبب هذا التثبث يأتري ؟
لقد وعيت كل ما سبق من الأدلة فلم أجدها فيها برهانا فقلل جمود قريحتي
ضرب بني وبين الحقيقة حجبا مستورا

وقد نشأ من التساهل في حياة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لا هو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

ونرى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو أبنا سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابلان تعلمه لغة الكتابة
ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستملونها في الكتابة فقط لانعكس
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي
الصحيح شيء من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة
كان يعني عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدهما وبضيم على كل متعلم
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم نخسر
الامة كل سنة من أعمار افرادها ؟ فاذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو

٧٠٠٠٠ وطرحنا منه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (ونفرض أنه النصف) ٢٣٥٠٠٠ يكون عدد الباقين ٢٣٥٠٠٠ نضربه في عشرة أعوام وهي مقدار ما ينجس كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تنحسر في كل عام عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠ سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعة ٢٧٥٠٠٠ ر فدان على فرض ان الفدان يزرعه اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها فياضية الاعمار تمشي سهلاً

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدى اللغتين واختلفوا في تعيينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب أرئين (باشا) بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول (١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكما منا نكون قد ازمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى أسهل لان كل شيء فيها قد ضبط وتمتع ووضعت له كتب متعددة (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل المصور فلذلك زمان ألفاظ تدخل مع أصحاب القوة ولذلك نرى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركية والفرنسية والانكليزية (٣) وان التزام العامية يحدث حجابا كشيئا دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب أعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويلكي والاعتماد بالمذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدريب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويحجب اليهم التحاور بها كلما اجتمع لفيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتلك ألسنتهم دربتها ويكون أخدم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامة فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق إلى أن تهجر العامة وتحل الفصحى محلها

فإذا ضم إلى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في النوادي العربية والتردد على معاهد اللغات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واقتناء أساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فإن اللغة العامية تنقرض في أقل من عشرين عاماً وتخلها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي إلى عصر مجده وأيام سمده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم وأخذ يبدل هذا الأمر عدته وعتاده وسأني رأيي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت له إن الأمر ميسور والخطب سهل فطلب إلي تجربة ذلك قبل أن يصدر الأمر فقلت نعم وكرامة ولم يرض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع

من شاء من المفتشين فأُسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر
فصم على امضاء عزيمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من
الماجرين، بأن التطبيق متعذر قبل حفظ اللغة وإتمام القواعد ولولا التوكؤ
على هذه المفالطة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان،
والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمتصرين لهما يخال ان بين
الفريقين حرباً عواناً وخلافاً ما يمهده اتفاق . ومنشأ هذا الاقتراق الذي
حي وطيسه واحتدم أوراه ان أدلة الفريق الاول تنتج أكثر من المدعى
ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بمخلق جديد ولولا ذلك
لكان الخلاف نظرياً لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع
النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق
للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى تحامها اذا التقي الجمعان واليكم البيان
(١) نقسم أولاً اللغة العربية الى لغتين لغة عامية ولغة فصحى
فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل
اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج
عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم نقسم اللغة الفصحى الى أجزائها حرف وفعل واسم فالحرف
لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا
ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آند» لوجود نعم ولا وحرف العطف
والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم»
لوجود ما يماثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول^(١) ما يفهم منه

رغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأثرم وتمبل وأمبس
ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدل والافما وجه تفضيل الاعجمي
على العربي ولم يقل أحد بجواز أبفل وأجر وأفرس والبفل والحمار والفرس
أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة السرعة
وعندنا قاعدة مذهبة بنى عليها وهي أنه لا يصار الى التعريب الا اذا جاءت
الحاجة اليه ولا حاجة الى اترم كما لا حاجة الى أبفل لا مكان التعبير بركب
الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام ففعل النزاع اذا الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى
مالا ينوب عن الفعل والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيه ففعل
النزاع اذا الثاني

(٤) ثم نقسم مالا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في
العربية كافية وهي أصرح من نظائرها في اللغات الاخرى فالنزع في الجامد
(٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فالاسماء المعاني كثيرة جداً
في العربية حتى عدها الباحث الاول ثروة واسعة فالنزع في اسم الذات
(٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم
والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم
الموصول والى ما وضع لمعين معنى وهو اسم الجنس

فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم
والاقاليم وماله شأن خاص من غيرها، والاتفاق على انها لا تخص لغة
معينة الا باعتبار معناها الاصلي قبل العلمية وانها تبقى على ما وضع لها
واضحها الا لضرورة والضرورة اما أن تكون بوجود حروف أعجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والفاء والحرف الذي بين الفاء والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والظين وبعبارة أخرى كجيم القاهرة أو قاف الصعيد وهي قاف تميم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة أخرى كجيم المقاربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والشين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حركات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية تقاربها أما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس وأسد كما تسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمدبعبدها بألف خالصة

واما باشتغال العلم على ما لا تميزه أصول العربية كالأبتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهمزة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المتطرفة بعد مدة همزة وهذا التغير هو الذي يسمى صقلا أو وضما في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضا

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وانما النزاع في اسم الجنس كما شرح الباحث الاول مرارا

(٧) ثم تقسم اسم الجنس الى ما استعملت له العرب لفظا سواء

وضعت له من عندها أو عربته من لغة غيرها وإلى ما لم تستعمل له لفظا
والأول يقبل ولا ينظر إلى أصل اللفظ قبل التعريب لأن التعريب جملة
في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا
(٨) ثم نقسم ما لم تستعمل له العرب لفظا إلى ما اصطلاح المولدون
على إطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كمنسافة وغواصة وداعة
وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، وإلى ما لم يصطلحوا على إطلاق
لفظ عليه الآن ولا خلاف بين الباحثين في أنه يجب البحث والتنقيب في
كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن إطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات
الجائزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطلاح من قبلنا على
لفظ منسافة وغواصة

ولم يقل أحد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الأنشاء
وصحف الأخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ
أعجمي واستعماله مؤقتا للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجا
من لغة العامة إلى اللغة الفصحى

فإذا انقضى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها
وهو ما لا يكون إلا نادرا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذ يراها الباحث
الأول بالمنظار الذي يرى به الممرجات التي صفاتها العرب ويقول قد احتطت
وما فرطت فرحاً بالدخيل المتيد ، وبعداً للأصيل الشريد ، ومالي أشغل
آمالي بنشد ضالة إن جاءت فلا كرامة ، وإن ذهبت فلا شيعتها غماة ،
وبرأها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به الممرجات فيحسبها كالرقعة

في الثوب والخصاء بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وجذا لو صحت
 الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،
 هذا هو الخلاف الطويل المريض ضيق البحث حلقاته وريداً حتى
 تضائل وانتهى الى تقدير النظر الى الكرامة المجتلية واستقبالها اما بالترحيب ،
 واما بالتقطيب ، وهو خلاف غريب ،
 حفي ناصف



باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي الياضي أحد العلماء الفيورين
 في حيدرآباد الذي يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيما كتبه في
 النسخ وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين
 بمقدمتها التمهيدية وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،
 صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،
 أما بعد فاني قد وقفت على رسائل لحضرة العالم الباحث الدكتور
 محمد توفيق افندي صدقي كان يرمي فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول (ص)
 وآماله غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله
 بل صراحته دالة على محو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .

شاء بأي صورة شاء وكأنه استشعر شناعة ذلك فأعلن رجوعه عن اطلاق القول في رد جميع السنن وخص منها قبول السنن القطعية التي نقلها الامة بالاجماع او بالتواتر . ورد جميع السنة القولية زاعما أنها آحاد وما تواتر منها ليس فيه شيء من الاحكام

وقوله هذا - وان كان أهون من قوله السابق ظاهرا - ما له وحقيقته بعد التزامه ثم تطبيقه على ما في نفس الامر الواقع هو حقيقة قوله الاول من رد اكثر السنن القطعية بل لا يبعد اذا قلنا كلها لانه ما من فعل نقل البناء من تلك الافعال الا وقد اختلفت في هيأته واحكامه المقومة لحقيقته . والمسلمون الناقلون لتلك الاعمال انما كان مستند اختلافهم في ذلك اما السنن القولية واما اجتهاد من يتأني له الاجتهاد منهم فاذا لم يجب أن تكون سنن الرسول (ص) القولية من الدين فلا أن لا تكون مجهولات غيره من الدين أولى وأحرى

واذا كان كل فعل من السنن القطعية قد اختلفت في صفاته وهيأته الطوائف والمذاهب بحيث يكون حقيقة هذا الفعل عند هؤلاء غير حقيقته عند أولئك - واذا كان المستند السنن القولية أو الاجتهاد وسلمنا أن كلامهم ليس من الدين - لزم أن لا يعلم المتعين أخذه وأن لا يجب عمل مخصوص للزوم انتفاء المدلول بانتفاء دليله والمسبب بانتفاء سببه اذ لا دليل ولا سبب لوجوب أو حرمة أو ندب أو كراهة الا السنن القولية المفسرة للقرآن والاهامة على أحكام الاعمال فاذا انتفت اتفق كل ذلك وجاز لمن شاء أن يقول ان الواجب من الاعمال كذا وكذا وان معنى القرآن ومصادره اذا اودا كيت شاء فعاد الامر في جميع أمور الدين

إلى الأجمال والأبهام ولزم الانسلاخ عن دين الإسلام وهذا هو ما يتحاشا عنه كل من يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

والحقير قد نبه حضرة الدكتور في رسالة أرسلتها إلى حضرة سيدنا منشي المنار ألا أغرو ولكنه أرسل إلي مكتوباً يذكر فيه أن بعض تلك الرسالة ضاع عنه ويطلب إرسال ذلك إليه لطبع الرسالة ولكنني اعتذرت حيث لم يبق لدي منها شيء لأنني أرسلت إلى حضرة المسودة. ولما كتب حضرة الدكتور رسالته الأخرى التي طبعت في المنار (الجزء التاسع من المجلد العاشر) بعنوان (النسخ في الشرائع الإلهية) رأيت صدر رسالته بالكلام على حقيقة النسخ واختار القول بمجوازه عقلاً وشرعاً ووقوعه في الشرائع الإلهية والقوانين الوضعية البشرية وهذا شيء لا تنازعه فيه لكنه أنكر وقوعه في القرآن فلا وخص ذلك بالسنة النبوية ثم تدرج من مسألة النسخ إلى تقسيم السنة إلى قسمين فعلية وقولية وكل منهما إلى متواتر وآحاد ثم يبدأ لما خلاصته أن القولية لا سيما الآحاد منها لا يجب العمل به بعد زمن رسول الله (ص) وزعم أن السنن القولية مطلقاً إنما هي شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية وعلل ذلك بالنهي عن كتابتها وزعم أن النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوها بالعناية التي عومل بها القرآن قصداً منهم لأن تندر وتزول من بين المسلمين فلا يعملون بها

هذه خلاصة قوله لكنه يظهر من تناقض كلامه وجوب العمل وقبول ما كان متواتراً من ذلك لا ما نقل آحاداً سواء كان سنناً أو صحيحاً أو مشهوراً أو مستفيضاً

وحيث كان ذلك مخالفاً لدين الإسلام فيما أعتقد به

الآحاد الصحيح بجميع اقسامه مستلزم للطعن في القرآن وتكذيبه ومخالف
لجاهير المسلمين بل لجميعهم بل لجميع الاديان والملل وسائر متبعيها بل
مخالف لما عليه مدار الاجتماع البشري كل ذلك على ما أعتقد ولا احسب
ان احدا ممن عرف بالعلم والعقل كحضرة الدكتور بخالقي وينازعني في
ذلك بعد التفكير وبشرط الانصاف - حيث كان الامر كذلك فيما أعتقد
بمشي حب اظهار الحق والتعاون على البر والنصيحة الى مناقشة حضرة الاخ
الدكتور فيما كتبه في رسالته مما رأيته خلاف الصواب لما عرفت من حسن
نيته ورجوعه الى الحق كما هي عادته

وأتمس من مولانا المرشد وسيدنا العلامة القدوة داعي الانام ،
لا تباع حقيقة الاسلام ، منشي المنار مولانا حضرة السيد محمد رشيد رضا
وأرجوه أن يدرج هذه البضاعة المزجاة في مناره، وان يسقط ما فيها من
الغلط بصائب أفكاره ، وان يشر كنا في صالح دعواته، ولنعلم ما كنا بصده
من الشروع في المقصود فنقول : (سيأتي المقصد)

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

اذا أراد المستفتي ان لا يتأخر نشر سؤاله والاجابة عنه فليكتبه على ورقة
مستقلة ولا يجعله في غمرة كتاب آخر فيكلفنا استخراج منه اذ ربما تمر الشهور
ولا نجد ورقا لنسخه . ومن سأل في ورقة واحدة عدة أسئلة فليفصل بينها في الكتابة
فيبتدىء كل سؤال بسطر جديد . وليكن الخط واضحا . ومن علم ان في عبارته
غلطا فليأذن لنا بتصحيحها ان شاء والا نشرناها على علانها أو أهملناها

الفصل الأول (*)

(مكة وحالة قریش الاجتماعية عند البشة)

نشأت خديجة في بلد شأنه عجيب ، قصي عن العمران ، في واد غير
زراع ، لا تناسب فيه الأمواه ، ولا تكتشفه الحداث ، ولا تقوم الصناعات
فيه دولة ، ولا يجد مبتغي الزخارف لديه مجالا ، ولكن أبداه الله جمالا
مضويا ، وكساه جلالا روحانيا ، فالفدة تهوى اليه ، والطلال تزجي له من
كل فج عميق ،

هذه البلدة المقصودة هي « مكة » المكرمة الشهيرة التي لا يجرى
اسمها وشهرتها أحد ، هي أم البلاد العربية واحة في القطعة المسماة الحجاز
من شبه جزيرة العرب ، قائمة بيوتها في سهوح جبال محيطة بها
لم نقف على مقدار عدد نفوسها في تلك الايام التي نشأت فيها خديجة
ولكن عدد مقاتلتها لم يكن يتجاوز الالفين في الغالب فيمكننا ان نحزر
أهلها اذ ذاك بنحو خمسة عشر ألفا كلهم أولاد آب واحد قد ورثوا
باستعدادهم لا بنسبهم هذا المقام الكريم والبلد الشريف ممن كان قبلهم
من القبائل . وذلك أن قصي بن كلاب استطاع ان يجمع جميع ذراري
فهر بن مالك الى مكة ويذاحم بهم من كان فيها من القبائل فلم تلبث ان
صارت لهم خاصة

(*) من رواية خديجة أم المؤمنين

وفي مكة هذه بيت مقدس قديم العهد يكاد يكون أول أمره
عجروا عند المشتانين بالتاريخ اسمه بيت الله أو الكعبة . وكان جميع
عرب الحجاز يعظمون هذا البيت أكثر من كل البيوت التي شرفوها
ويحجون إليه ، ويتعارفون ويتعاطفون لديه

كانت هذه البلدة المشرفة تضم بين تلك الجبال المهيبة أمة صالحة
الاستعداد للرفي متى أدت طريقته كما تضم الصدفة جوهرة لا يظهر بهاؤها
ورواؤها حتى تعالج بمض المعالجة وتزال عنها القشور أما من حيث
الحضارة فلم تكن كما يتظر ابن حضارة هذا المصر من البلدان وإنما
هي بيوت ساذجة مبنية بالحجارة واللين ومسقوفة بمجدوع النخل خالية
من الزخرف

وهذا البلد الأمين باق الى يومنا هذا لم يزد على طول القرون
الا تشريفا وتكريما ولم يتغير فيه الا أشكال الابنية وازدياد التجارة
والبيت المشرف لم يتغير وضعه ولا وضع الشماثر التي حوله وإنما بني
هناك زيادات وتحسينات اقتضتها الدواعي

ومكة معدودة اليوم من جملة بلاد الدولة العلية العثمانية بيدانها لم تحرم
حتى الآن من أمير عربي يتصل نسبه بسيدتنا خديجة هذه ، وتقوده
فيها وفيها حولها نفوذ تام يستمد من السلطان العثماني ومن احترام العرب
لهذه السلالة

ومن الآثار المشهورة الباقية في مكة بئر زمزم ويقولون ان قبيلة
جرم كانت دفنتها ثم احفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ص)
وكان ذلك من مفاخر عبد المطلب لأنه لم يكن بمكة من ماء الا في آبار

بعيدة عن البيت المشرف فلما أخرج عبد المطلب زمزم في جوار البيت انصرف الحاج اليها . ولحق زمزم حديث طويل خلاصته تدل على شغف عبد المطلب بتسهيل الماء على الحجاج فاذا تأملنا في حرص القوم على مثل هذه العناية بالفرباء وابناء السبيل نعلم شيئا من روح تربية المهتم وترقية المواطن في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه «خديجة»

وكان من جيد أمر أهلها في مجتمعهم ذلك أنهم اقتسموا النظر في الأمور العمومية فيما بينهم فكانهم كوّنوا حكومة جمهورية من غير رئيس عام وكان أمر هذه الجمهورية الفريية الوضع سائرا على منتهى النظام ولكن لم يكن هذا النظام لسرا في ترتيب هذه الجمهورية فانها لا يؤمل منها في حد ذاتها ان تثمر نظاما بالغاً منتهى الجودة والقوة وانما ذلك أثر من آثار تربيتهم العمومية فالأخبار كلها دالة على ان القوم بالجملة كانوا كأنهم منطورون على التضامن التام فلذلك كان من مزايا ذلك الاجتماع الذي لا نهده له نظيرا ان كل فرد من أفراد تام الحرية لا يشعر بقهر حاكم ولا يخشى سطوة جبار وكل منهم في أمن من فوات الحقوق واعتداء الحدود . الجنايات قليلة ، وكرامة الناس محفوظة ، والآداب سليمة ، والحدود غير متجاوزة ، والحقوق مصونة ، وذرائع الفساد مسدودة ، وسلامة القطر غالبية ، والمزايا التي بها كمال الانسانية راجعة .

فاذا أضفنا الى كل ذلك احترام الغريب وتوقيره اياهم وتوقيه أذاهم نجد ان ذلك المجتمع لا يكاد يوجد نظيره ولكن مع كل هذا الجمال والحسن والصالح في هذا المجتمع كانت فيه عيوب فاذا أزيلت يصبح اول مجتمع

واق في الدنيا وخليتها ان يفيض على جيرانه من بركات العقول التي اشربت
بديع جماله، واشرايت الى عظيم كماله، ثم ناقت الى تعريف العالم بما اكدت
تلك البقعة التي لم تكن شيئاً مذكوراً من العقول المنيرة والارواح العالية
وقد وقع ذلك فان الذي منه تنشأ الاسباب واليه ترجع الامور قد
اتاح لهذا البلد الجمهوري، من ينظفه من تلك الميوب التي اشربنا اليها فكان
بعد ذلك كما هو المنتظر منه أي تم ظهوره فصار مشرقاً لنور عظيم بلغ مشارق
الارض ومفارجها فأخذ كل قوم منه بقدر استعدادهم

اما الجمهورية التي اشرنا الى انها كانت في هذا البلد فقد اقاموها على
على أساس يأمنون معه من الزلزال وذلك انهم رأوا الشرف انتهى الى
عشرة رهط من عشرة بلون لاشتهارهم بأعمال مجيدة، ثم اجمعوا امرهم
على ان يكون النظر في الاءور العمومية من خصائص هذه البيوت
المشرة وراضوا على ان يكون لكل بيت من هذه المشرة وظيفة يختص
بها تعد من مفاخره فهم بهذا الصنيع قد أخذوا بشيء من أصول حكم
الاشراف وبذلك أعطوا الاعمال التي يجذبها الفرد أو الاسرة حقها من
التكريم والتشريف ليزداد نشاط أربابها وحرص غيرهم على التشبه بهم
وأخذوا أيضاً بشيء من أصول الحكم النيابي وهو أعظم الآيات على
وجود التضامن الذي هو أحد الاركان التي تحفظ بها سعادة الامم.

أما الشورى فقد وفروا منهم حظها، وعظموا في أنفسهم حقها، وبها
كانوا يشرعون ما يشرعون من الاحكام والحدود، ويفصلون ما يفصلون
في بعض القضايا والحقوق

وقد ألفوا الرئاسة العامة من بينهم كأنهم عدوها لنوا اذا صدقوا

في تضامهم وصلحوا في تشاورهم وارانتهم الحق وقليلة الجدوى اذا مرض
تضامهم ووهي نظامهم . أو أنهم خشوا أن يكون حب الرئاسة اذا وجدت
مدعاة لكثرة تنازعهم وتنافسهم فلا يأمنون بعد ذلك كثرة الفشل والشقاق
وسقوط الهيبة من نفوس الغرباء ووقوع الفتور في نفوس الأقربين .
أو أنهم أنفوا أن يملكوا عليهم أحداً لأنهم كلهم يحملون بين أعضائهم
نفوس الملوك وجمهوريتهم هذه لم يكن لها رئيس عام ولكن كانوا يقيسون
واحد في وظيفة رئيس عام مؤقتاً

أهل هذا المجتمع اللطيف لم يكونوا أولي شغف بالمحاربات فعلاقتهم
الخارجية مع جيرانهم من القبائل وأهل القرى والبلاد كانت
حسنة ولكن هذا لم يعدم عن أن يكون استعدادهم تاماً لما ينزل بهم فان
نزل بهم ما يطيقونه كشفوا الئهم عن قوتهم وبرزوا من غير ريث وان نزل بهم
ملا قبل لهم به تريثوا وعمدوا الى الاناة وفتقوا من الحيلة أبواباً يخرجون منها
الى السمة من الضيق ومن فلّ الجيوش بالحسام الى فلها بالبيان وقد أعطوا
من هذا حظاً عظيماً . ومن أشهر حوادثهم الخارجية التي ضاقوا بها ذرعاً
مجوم القائد الحبشي أبرهة الذي كان نائب على بعض بلاد اليمن فقددهمهم
بجيش عظيم لم يروا لانفسهم طاقة به فقابله عبد المطلب جد النبي (ص)
وكان يومئذ رئيس قريش فأحسن مقابله ولطف ببعض الشيء من حديثه
التي كان بها مسوقاً لهدم « بيت الله » على زعمه لاسباب فصلها رواة الاخبار
ثم أصابته داهية سماوية فتقل بجيشه ثانياً عزمه لانه رأى في أهل هذا
البلد ما لم يكن يخطر له في بال
نعم رأى في مقدمه هذا على هؤلاء القوم عجبا من الأمر وذلك

انه لما اتاهم ارسل اليهم رجلا حميرا كان معه اسمه حناطة وأوصاه ان يسأل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها فيبلغه ان الملك لا يريد الحرب وانما جاء لهدم هذا البيت فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قریش وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هاشم فجاءه وبلغه ما أمره به ابرهة فكان جواب عبد المطلب اننا لا نريد حربه قال حناطة انه أوصاني ان يريد مواجعتك ان لم تريدوا الحرب فانطلق عبد المطلب مع حناطة اليه فلما رآه ابرهة رأى الوسامة والجلال فأعظمه واكرمه وأخذه الى جانبه وقال للترجمان سله أن يقول ما يبدو له فلم يكن من عبد المطلب الا أنه صرف لسانه عن الخوض في عزم القائد على هدم البيت وجداله فيه بل أظهر الاقتناع بضرورة المسألة وعدم معارضة القائد في أمر هذا المبد وقال له اذا لم يكن لك غير هذا الأرب فرد علينا أبانا قال ابرهة للترجمان قل له قد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمني أتكلمني في الاموال وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك فأجابه عبد المطلب اننا نحن أرباب المال وأما البيت فله رب هو سيمنه فقال له انه ما كان ليمتع مني فأجابه أنت وذلك ورد ابرهة الا بل على عبد المطلب وبقى مصرا على عزمه ورجع عبد المطلب على قریش فأمرهم ان يقتصموا بالجبال، ولا يأتوا أمرا حتى يروا ماذا يكون وقد أتى من لدن العناية النبية ما لم يكن في الحساب فان ابرهة لما أصبح وتها لدخول مكة برك الفيل الذي كان يركبه وحرن واتوا كل باب من أبواب الحيل ليقوم ويمشي تلقاء مكة فلم يتم ثم رأوا حجارة تسقط عليهم من أرجل صنف من الطير فتشاهم ابرهة وتذكر ما انذره به ذلك الرجل الجليل السني

الظلمة عبد المطلب من حماية هذا البيت بطريقة لا يلبسها عقله فحمدت
في صدره جذوة الحدة والتهور وخذل أمام هؤلاء القوم الذين حاربوه
بالسلم ورموا عقله بسهم نافذ من يان عبد المطلب مع رمي الطير جيشه
بجسارة من سجل

وهذه أكبر حوادثهم الخارجية واشهرها ، وفي عام هذه الحادثة ولد
النبي (ص) وقد سموه عام الفيل لما ذكرنا من قصته ورجال هذه الحملة
قد عرفوا بعدها باسم أصحاب الفيل وقد أشير الى مجمل هذه الحادثة في
القرآن المجيد

الفصل الثاني

(بيوتات قريش وخصائصها)

أما بيوت شرفهم العشرة فهي :

هاشم ، وامية ، وثوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ،
وعدي ، وجمع ، وسهم ،

وأما الأمور التي كان توليها من خصائص هؤلاء فهي : السقاية ،
والعمارة ، والعقاب ، والرفادة ، والحجابة ، والسدانة ، والندوة ، والمشورة ،
والاشناق ، والقبه ، والأعنة ، والسفارة ، والايثار ، والأموال المحجرة ،
هذه الاسماء أكثرها اصطلاحية يحتاج الى تفسير يوافق العصر
الذي نحن فيه حتى نفهم شكل ذلك المجتمع الذي سميناه جمهورياً على
حسب اصطلاح عصرنا

فأما السقاية فقد تفرم من اللفظ نفسه أي سقاية الحجاج الذين كانوا
يأتون « بيت الله » من كل جانب ولا يخفى على أحد أن العناية بهؤلاء
الغرياء وتوزيع المياه عليهم من أهم الأمور العمومية في ذلك الظرف وكان
بنو هاشم هم أهل هذه الوظيفة

وأما العارة فهي منع من يتكلم في « بيت الله » بكلام سفيه قبيح
أو يرفع فيه صوته وكانت هذه الوظيفة أيضاً في بني هاشم الذين منهم
العباس صاحبها

وأما المقاب فهي راية قریش كان من شأنهم فيها أنهم يحفظونها في
بيت من البيوت المشرفة فإذا وقعت حرب أخرجوها فان اتفقوا على
أحد منهم أعطوه راية المقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها
فقدموه وقد كانت هذه الوظيفة أي حفظ هذه الراية من خصائص بني
أمية الذين منهم أبو سفيان صاحبها

وأما الرعاة فمنها ما الأسف وكانوا يجمعون من أنفسهم أموالاً
لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت الرعاة في بني نوفل الذين منهم الحارث
بن عامر صاحبها

وأما السداة والحجاة فمنها ما خدمة « بيت الله » وحفظ مفتاحه
والظاهر من هذه الوظيفة أنها دينية ولكن متولي هذه الوظيفة الدينية
مشارك مع عشيرته بتدبير الشؤون الاجتماعية وهذا العمل الديني نفسه
قد كان عند القوم من أهم الأمور العمومية في مدنيهم وجمهوريتهم
وقد نستطيع أن نشبهها من بعض الوجوه بوظائف كبار رؤساء الدين
في الأمم المتقدمة اليوم ولا يخفى أن وظائفهم من متمات مدنيهم، ولأن

يتولونها شأن يذكر عندهم . وقد كانت الحجابة والسدانة في بني عبد الدار
الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها
واما الندوة فمنها ظاهر من اللفظ نفسه وكانت دار الندوة في
بني عبد الدار ايضاً

واما المشورة فيريدون بها رئاسة الشورى وليس بعيد عن الصواب
اذا شبهناها من بعض الوجوه برآسة الوزراء أو رآسة مجلس الاعيان وكانت
هذه الوظيفة من خصائص بني أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة
ابن الاسود وكان من شأنهم في هذه الوظيفة ان رؤساء قريش كانوا لا
يجمعون على امر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة فان أعجبه
وافهم عليه والا تخير وكانوا له أعواناً

واما الاشناق فهي الديات والمغارم فقد كانوا يساعدون من يستحق
المساعدة ممن حمل مفرماً أو دية وكان النهوض مع صاحب المفرم لجمع
المطلوب من خصائص بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر
اذا نهض مع أحد صدقه قريش وأعانوا من نهض معه وان نهض غيره خذلوه
واما القبة فأشبه شيء بنظارة الحربية ولكن كانوا يمدون اليها
وقت الحرب فقط وامل ذلك لسداجة الحرب اذ ذاك أو لاستعدادهم
لها كل وقت اذا تأججت نيرانها وقد كانوا يضربون قبة فيجمعون اليها
ما يجهزون به الجيش وكان ذلك من خصائص بني مخزوم الذين منهم
خالد بن الوليد صاحبها

واما الاعنة فهما رئاسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومي
أيضاً وخالد صاحب هذه الوظيفة هو ذلك الفاتح العظيم القائد العام في

الاسلام لجيوش أبي بكر خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وما أظن تاريخ فنّ التعبئة اليوم يخلو من الاستثناس بذكر تلك التداير المخزومية التي كان لها شأن عظيم في الاسلام كما هو شأنها في الجاهلية (أو الجمهورية) وأما السفارة فالمراد بها ظاهر وقد كانوا يحتاجون الى السفارة في الحروب أي في أوائلها أو بعد شوب نازها وتعاظم أوزارها ويحتاجون اليها اذا نافرهم حي للمفاخرة . وقد كانت هذه الوظيفة من خصائص بني عدي الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك بذلك الخليفة الثاني الشهيد بكل منقبة صالحة اذا كان سفير قوم

وأما الايسار فهي الأزلام والقدايح كانوا يضربون بها اذا أرادوا أمراً وكان هذا من خرافاتهم وعيوبهم ويحق لنا أن نبالغ في استهجان هذه الخرافة التي كانوا عليها الا أن يكون لهم شيء من النظر من وراء الخرافة كما هو الحال في كثير من الامور الباطلة التي تروج في الامم بسماع من العقلاء أو بترويج منهم لها وقد كانت هذه الوظيفة لبني جمع الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها

واما الاموال المحجرة فهي الاموال التي سموها لآلهم ويصح أن تسمى هذه الاموال أم الاوقاف الخيرية اي ان بينهما تشابهاً . وقد كانت هذه الوظيفة أي تولي النظر في الاموال المحجرة من خصائص بني سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها

هذا ما كان من حيث ترتيب التضامن واقتسام الاعمال المهمة . واما الامور الجزئية التي كان الافراد يختلفون فيها فتفصل فيها كباراً سراً وعشائراً في الغالب على طريقة التحكيم ولم يكن للقوم من شريعة مكتوبة

وانما كانوا يعضون في الامر كما يبدو لهم الصواب فيه ويقيمون
الامور باشباهها

وهنا يختر في بال القارئ أن يسأل عن الضيف الذي لا يأوي الى ركن
شديد من رهطه كيف كان حاله اذا أهين أو ظلم في ذلك المجتمع الذي
لا شريعة فيه مكتوبة ولا قوة مهيمنة من شأنها وخصائصها دفع القوي
عن الضيف . وقد بحثنا في هذه المسألة المهمة فوجدنا القوم لم ينسوها
ولم يهملوا شأنها وذلك انهم قرروا في مؤتمر لهم حماية الضيف والذود
عنه وكان من حديث ذلك المؤتمر ان قبائل من قريش اجتمعت في دار
عبد الله بن جدهان الشهير وتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجذوا في
مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه
وكانوا على من ظلمه حتى رد عليه مظلمته فسعت قريش ذلك حلف
الفضول وكانت الارهاط المتعاقدة بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن
عبد العزي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة

نعم كان من النقص في نظامهم أن لا تكون حماية الضيف من
خصائص الجمهور ولكن يظهر انهم كانوا يكتفون في الضيف بأن يجيره
واحد من بيوت العزة والقوة فانه يصير مثل مجيره في نظر الجمهور فلا
يجسراً حدان يعني عليه

ويمكننا ان نستخلص من كل ما تقدم ان القوم كان لهم شبه قانون أساسي
الا انه غير مكتوب ولم يكن لهم قوانين مدنية أو جنائية قط . والامر
في الامور المدنية سهل في المجتمعات البسيطة الصغيرة فكل انسان يستطيع
فيها ان يحتفظ بحقوقه أو يستعين عليها بالتحكيم وما أشبهه . واما الحوادث

الجنائية فلا يجوز إهمالها وتركها من غير أن يتولى الفصل فيها الناس مقيدون بقوة تنفيذية مخافة أن تكثر الجنايات ولكن تكافؤ القوى في العسائر والبطون المتساكنين في بلد واحد قد يكون مانعاً من كثرة الجنايات وإذا أضيف إلى ذلك صلاح الأخلاق والتربية العمومية كان هذا نعم الظهير على تقليل المدوان وقد كان القوم يتواصون باجتنااب الظلم ولا سيما في البلد الأمين ومن وصاياهم في ذلك قول إحدى نسائهم توصي ابناً لها:

أُبيّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بنيّ ولا يفرّك الغرور

أُبيّ من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أُبيّ يضرب وجهه ويلح بخديده السير

أُبيّ قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما بنيت بمرصتها قصور

والله آمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وتواصوهم بالنهاي عن الظلم يفرينا بتعرف فلسفة القوم التي كانت

تحثهم على مثل هذا

الفصل الثالث

ديانة أهل مكة عند البعثة

ويظهر لنا أنهم طرّقوا كسائر الأمم باب الضالة المنشودة وهي معرفة ما هي نفوسنا ومن أين مبدأها وإلى أين متنها وماذا يزكّيها وماذا يدرّسها نعم طرّقوا هذا الباب ولكن يفتح لهم عن الطريق الموصل إلى

هذه الحقائق المكنونة بل كانت نصيبهم كنصيب الا كثيرين ظنونا
ورجماً بالغيب

أدرك القوم ان للعالم خالقاً ومديراً هو الذي خلق السموات والارض
وما فيهن ، وهو الذي خلق السمع والابصار والافئدة ، وقالوا كما يقول
سوام انه تستحب الرغبة اليه والرهبة منه ولكن في هذا السبيل تاهوا
فتركوا همنا العقل والتفكر وقلدوا الامم واتخذوا من الحجارة أوثاناً
وقالوا ان تعظيم هذه الاوثان يقرب الى الله لان هذه الاوثان تماثيل أو
كتماثيل لأناس صالحين محبوبين عند الله فتعظيمهم الى درجة العبادة
يقرب الى الله

لقد غلطوا في ظنهم ان الله يحب هذه الحجارة . وأخطأوا بزعمهم
ان تنزيل القول الى تعظيم هذا الجماد (بهذه الصورة) تعظيماً قليلاً يرضي
الله تعالى . وحادوا عن الحق بتخليهم ان هؤلاء يشفعون لهم عند الله تعالى
وقد كان الواجب ان لا يكون في قلوبهم حب وعبودة الا للحق القويم
ولم يكن جائزاً ان يشركوا به الجماد ،

وكان لهم أغلاط أخرى كثيرة في ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله
فقد زعم بعضهم ان الملائكة بناته ، وزعم بعضهم ان الجن شركاؤه في الملك
وظنوا جميعهم ان لن يبعث الله بشراً ليعلمهم ويركبهم ،

غلطوا في كل هذا وتسفط فيه عقولهم ولكن اعتقادهم بأن للعالم
صانعاً مديراً عظيماً هو رب الكل وانه يجب ان يتقرب اليه العبيد قدر قو
على ما فيه من النقص والبعد عن الطريق القويم قلوب كثير منهم وكأنه
أعدها لقبول حق سيظهر نوره فيمحق خطيئاتهم الاغترافية

والمشهور ان القوم لم يكونوا يقولون بالمعاد والجزاء الاخروي ولكن الحقيقة أنهم كانوا في ريب وشك أي لم يكونوا جازمين بشيء في هذا الباب وكان أناس منهم تذهب بهم عقولهم الى وجوب المعاد والجزاء الاخروي ولكن عدم اعتقادهم بالجزاء الاخروي لم يكن مانعاً من ان تكون قلوبهم منجذبة الى الاخلاق والاعمال الطيبة التي تحت على مثلها الديانات من البر والإحسان والعدل والصدق والكرم وحماية الضيف وترك العدوان والابتعاد عن الخيانة والبغي وما أشبه هذه المناقب وعقولهم انما طرأ عليها التسفل الى تعظيم الجماد لان الوثنية هي الغالبة في عصرهم ولا يبعد عن الصواب من يقول ان الوثنية هي الغالبة على طباع البشر كلهم الا قليلاً

فاذا صرفنا نظراً عن تلوث عقولهم بزرغات الوثنية لا نجد من بعدها هذه المقول مظلمة وهي التي اضاءت لهم فمرفوا بها الاخلاق الصالحة والفاسدة ولم يكن يعوزهم الا ان يقوم فيهم مرشد يهديهم التي هي أقوم من طرائق الاعتقاد بالله وصفاته والتقرب اليه بتوجيه الوجه واسلام القلب اليه ولولا ان للقوم عقولا صافية لما رجي لمحي المرشد من فائدة لانه لا يظهر نور الارشاد الا في الألواح النقي ولكن الرجاء بالقوم في محله فانه لما جاء المرشد لقي أراضى في منتهى الاستعداد لما أراد أن يلقى البذار والى جانبها أراض أخرى فيها من أعشاب التمسك بالقديم ما يحتاج الى زمن في معالجة ازالته وقليل من الاراضى كانت سبخة ليس في الامكان أن ينتج فيها البذار

لا يهولك من القوم سقم عقولهم فيما كانوا يعتقدون فان البشر

كلهم الا قليلاً كانوا ولا يزالون يفتقدون أمثال مستقدات القوم
فوا أسفاه ان هذا العيب عام وراسخ في البشر ومن أصعب الاشياء استئصال
جذوره ولا ندري السر في هذا . ولكن انظر الى هذه الجماعة القليلة
كيف أقامت لها شأناً رفيعاً في العرب كلهم اذ غلبتهم على التوطن في
جوار البيت المشرف وأحسنن المقام في هذا الجوار الشريف فقامت
بمحقوق حجاجه من سقائهم ورفادتهم ، وقامت بمحقوق المستضعفين فيه
من حمايتهم وتأمينهم ، وقامت بسنن التضامن والتعاون والتواصي بالعدل
والاحسان حتى رضي العرب بتقديمهم عليهم اذا تقدموا واياهم لا أمر
عظيم وشرف جسيم على انهم ليسوا في العرب أكثر عدداً ، ولا أقوى
ناصرأ . لا جرم قد خصهم الله بأفراد كانوا في نقاء القلوب آية ، وبلغوا
في صفاء العقول الفاية ، والأهم والشعوب تحيي بأفراد وتموت بأفراد
واذا سخر الإله سعيدها لانس فانهم سعداء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد حريتهم التي كانوا عليها فانهم
لما خلاصوا من تملك أحد عليهم خلصوا من شرور كثيرة تتبع التملك
فكانت معاشراتهم ساذجة خالية من عبارات الملق والخنوع وكانت
مكاسبهم لا تقسم لا يشاركون فيها مشارك ولا يعرفون المغارم المرتبة
والاتوات المنسوبة

وهم في أمن من حيف القضاة لانهم انهم يتحاكمون يوم يشاءون الى
من يرضونه من كبارهم ولا قانون لهم في المسائل الجزئية ترتد من
أحكامه فرائضهم وانما يخشون بأس بعضهم فيرتدعون عن الشر الذي
يثار له المصوم أو يثار له من أصابهم خاصة

وكان جائزاً لا حدم ان يتدين كما يريد بشرط ان لا يعيب دينهم
الذي كانوا عليه ولا يدعو الى ابطاله وقد كان لبعضهم فلسفة في النشور
والجزاء الاخروي وبعضهم انصرف عن عبادة الاوثان وبعضهم ميل
الى تقليد أهل الكتاب فلم يكونوا يحاسبون أحداً على مثل هذا
ولم يكن لديهم نوع من المبايعات حراماً بل يبيعون ويشتررون كما
يشاءون وكل منهم عارف بمصلحته ولهم همة في التجارة والرحلة فيها الى
الشام وغيرها في الصيف والشتاء
أما أهل الصنعة فيهم فلم يكن لهم من قيمة والغالب ان يكون
الصناع غرباء

ولهم ازاء حسنة الحرية سيئة كبيرة وهي امتنان الرقيق واحتقاره
وتكليفه الشاق من الامور ولم يكن بعضهم يأنف من إكراه امائه على
البناء ليأخذ ما يعطين في سبيله
أما نساؤهم الحرائر فلم يكن جائزاً لمن الزنا ولا سيما اذا كان لمن
بعولة يدهاته لم ينقل لئلاهم رتبوا على الزواني عقاباً بل كان عقابهن الى
رأي أهليهن اذا شاءوا

وكان لنسائهم كثير من الحقوق ولهن ان يواجهن الرجال ويبرزن
أمامهم حاسرات ويمكن ان يقال بالاجمال ان حرية الرجال والنساء كانت
تامة ولذلك نمجب من قوم هذا شأنهم اذا رأيناهم لم يروا لحال الرقيق
ولم يذكروا انه يستحق الرحمة لانه مسلوب أفضل كساء كاهموه ربهم
الأعلى ، الذي خلق فسوى ،

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فمنهم من أتى الله ويستمعون القول فينبهون أصحابه

المعراج

١٣١٥

بمنازلها ومنازلها
بمنازلها ومنازلها

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى ر ه متار ١ ه كمنار الطريق

(مصر الجمعة ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٦ - أول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزمهر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)
(١١٨ : ١١٤) ياءها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خبالاً ودثوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما
تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيت إن كنتم تعقلون
(١١٩ : ١١٥) هاء ثم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون
بالكذب كذبه ، وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم إلا نمل
من النمل ، قل مؤثوا بنفطكم إن الله عليم بذات الصدور (١١٦ : ١٢٠)
إن تستنكم حسنة تسوهم وإن تصبنكم سيئة يفرحوا بها وإن
تصبروا وتحفظوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، إن الله بما تعملون محيط

قال الأستاذ الامام ان الآيات السابقة من أول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والمناسبة وان هذه الآيات وما بعدها إلى آخر السورة في بيان أحوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وإرشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر لبيان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات (١) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلوات كانت مدعاة إلى الثقة بهم والإفشاء اليهم بالسر وإطلاعهم على كل أمر منها المخالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضا (٢) ان الغرة من طابع المؤمن فانه يبنى أمره على السر والامانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بلداً مالا يظهر له هو وان كان ذكياً (٣) ان المناصين للمؤمنين من أهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر أطفاء نور الدعوة وإبطال ما جاء به الإسلام وكان هم المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأيد الحق . فكان الممان متباينين ، والقصدان متناقضين ، (ثم قال) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكر فهي لا شك مقتضية لان يفضي النسيب من المؤمنين إلى نسيبه من أهل الكتاب والمشركين وكذا المخالف منهم لمخالفه من غيرهم بشيء مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعريض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلوات بين المؤمنين وغيرهم حداً لا يتعدونه فقال

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ

قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَحْنِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ إلى آخر الآيات

« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستبطلون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة الثوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دونكم » معناه من غيركم و « يألونكم » من الإلو وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الأصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالأفراخ التي تؤثر في المنخ فيختل إدراك المصاب بها أي لا يقصرون ولا ينون في إفساد أمرهم . والأصل في استعمال فعل « لا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحتك » وسمع مثل « لا آلوك نصحاً »

على معنى لا أمنحك نصحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من العنت وهو المشقة
الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

أما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من
المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والخلف في الجاهلية فأنزل
الله فيهم ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد
أنها نزلت في المناققين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . وذكر الرازي
وجهاً ثالثاً أنها في الكافرين والمناققين عامة قال « وأما ما تمسكوا به من أن ما بعد
الآية مختص بالمناققين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فإنه ثبت في أصول الفقه أن
أول الآية إذا كان عاماً وآخرها إذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً
من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

وأما المعنى فهو نهى المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين
بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألونكم » الخ نعت للبطانة هي قيود
للهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو أن النهي خاص
بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو أنهم لا يألونهم خبالاً وإفساداً لأمرهم
ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودوا ما عثم » أي
تمنوا عثكم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم
لكم من كلامهم . فهي لشدة ما يعوزهم كتمانها ويعز عليهم اخفاؤها على أن
ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع
من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم
إليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك إذ لم يكونوا على علم
بطبائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين
من يصح ان يتخذ بطانة ومن لا يصح ان يتخذ لخبايته وسوء عاقبة مبايئته . أي

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعتبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان تتخذه بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديته وأسمى إرشاده ؟ لقد خفي على بعض الناس هذه التعليلات والقيود فظنوا أن النهي عن المخالف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلماً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت هذه الآيات لاسيما اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن الآيات جاءت مقيدة بتلك القيود لان الله تعالى — وهو منزها — يعلم ما يعتري الأمم وأهل الملل من التغير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فانهم بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد اقبلوا فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم (كفتح الاندلس) وكذلك كان القبط عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يجعل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء واحداً في كل زمان ومكان أبداً لا يبد ؟ ألا إن هذا مما تبذه الدراية ولا تروي غلته الرواية . فأن أرجح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قتادة القائل بأن الآية في المنافقين ويؤيد رأيه الموافق لما اخترناه مانصه : « ان الله تعالى ذكره إيمانهم المؤمنين ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالفش للاسلام وأهله والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صفتهم . وإما باظهار الموصوفين بتلك العداوة والشئان والمناسبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخائته ومباطته فغير جائز ان يكونوا نهوا عن مخائته ومصادقته الا بعد تعريفهم إياهم إما بأعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفوهم بها . وإذا كان ذلك كذلك وكان إبداً المنافقين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى إخوانهم الكفار (أي كما قال قتادة) غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله عن

اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بأنفسهم على ما وصفهم الله عز وجل به ففرغهم المؤمنون بالصفة التي نعمتهم الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر منهم على ما بينا ولو كانوا الكفار ممن ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل ء اهـ

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كبنى النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء اثباته لهم لمكان العهد والمخالفة ويمنع أن يكون مراداً به جميع الكافرين أو المنافقين

فهذا حكم من احكام الاسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحد له مسكة من الانصاف انه في هذه القيود التي قيد بها يعد متهمي التساهل والتسامح مع المخالفين ء إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الا من ظهرت عداوتهم و بغضاؤهم للمسلمين ء فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استعمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر ء وطريق الصذر فيها أظهر ء فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الاسرار ويستمان برأيهم وعملهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار انصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل (٦٠ : ٨) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين ء إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

ومن يتولم فأولئك هم الظالمون) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى (٣ : ٢٨ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله) (١) هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفتان الآخران وملوك بني أمية من بعده على ذلك الى ان قتل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل فيه !! « رميتي بذاتها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن حده حتى كتب الأستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي نفسرها نوردناها برمتها لانها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل وجه وهذا نصها (تقلا من الجزء الثاني من تاريخه) :

« قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعه والجيوش العاملة والاهب الوافرة والأسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحراز وآلات لا بد منها للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة الا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولو رأي وحكمة يتعهدونها بالأصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الخلق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوطئون طرق الامن وييسطون بساط الراحة ويرفقون بقاء الملك على قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها بل يحملوها على أجنحة السياسة القوية الى أسمى مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بمحبة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة على سكانها وحتى تكون

الحية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم يجدون في أنفسهم منها على ما يجب عليهم وزاجرا عمالا يليق بهم وغضاضة وألما موجعاً عند ما يمس مصلحة المملكة ضرر ويوجس عليها من خطر ليتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال وظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليلا الى فساد كبير في الملك . ف هؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنفعة الواقية والقوة العالية .

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتاب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بتقصد النقود وبذل النفقات ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفياء تهمهم حاجات الملك كما تهمهم ضرورات حياتهم لا بدان يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة ويراعي ناموس الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق وقلا يخطئ في رأيه أو يتأوّد في عمله من أخذ به دليلاً وجمل له من هديه مرشداً وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطلب أسبابها لا يجد لها من علة سوى الميل من قانون الفطرة والانحراف من سنة الله في خلقه .

«من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والرحمة والحمة والنعرة على الملك والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ ووشيج يشد صلته بها . هذه فطرة فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرّب يراعي نسبته اليها ونسبتها اليه ويراها لا تخرج عن سائر نسبة الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحريمه (راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة أن ما تناله أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الارزاء يصيبه سهم منه خصوصاً ان كان يبيده هجمات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه (حينئذ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمله من المنفعة أو ينشأه من المضرة

فعل ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله إلا إلى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سلمة من الضعف والتمزيق موقرة في نفوس المتظمين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التغالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والأديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدين الإسلامي الذي حل عند المسلمين وإن اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فإن كلا من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحية على الملك ومنشآن للغيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فتلهم في المملكة كمثل الأجير في بناء بيت لا يهيمه الاستيفاء أجرته ثم لا يبالى أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل هذا إذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فإن الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يمسه شيء مما يمسها من الضعة لأنه منفصل عنها إذا فقد العيش فيها فارقها وارتد إلى منبته الذي ينسب إليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لا يصق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم يدهاذه العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الحذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلي شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالهم هي لم يقتضي الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبرائتهم من أغراض آخر فأنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأمرهم يهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الأجانب في الممالك الإسلامية لا يجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يجدون منها الباعث على النفس والخيانة) ومن تتبع التواريخ التي

تمثل لنا أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خلقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها بيد أجنبي عنها وإن تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول المنصر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء إلى الوظائف السامية في أعمالها، فإن ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً إذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الأخلاق والسجايا الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمة أبناء الدين أو الأمة ويطرأ النقص على شفتهم ومرحمتهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك إذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافعهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضرره أخف وأقرب إلى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجنبي لها من الأمور في البلاد لأن صاحب اللحمة في الأمة وإن مرضت أخلاقه واعتلت صفاته إلا أن ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة لا يمكن محوه بالكلية فإذا أساء في عمله مرة أزعجه من نفسه صاحب الوشيجة الدينية أو الجنسية فيرجع إلى الإحسان مرة أخرى وإن ما شد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات إليها ويميله إلى المتصلين معه بتلك العلائق وإن بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الأسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلموا أمورهم ووكلاهم من كتابة وإدارة وحماية الأجانب عنهم بل زادوا في موالة الغرباء والثقة بهم حتى ولو هم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكهم في ممالكهم بهدماراً وكثرة المطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالضعف والاحتقاد الموروثة من أجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب أنهم إذا اتعنوا خانوا ، وإذا عززوا أهانوا ، يقابلون الإحسان بالأساءة ، والتوفيق

بالتحقير ، والنغمة بالسكفران ، ويجازون على اللقمة باللطمة ، والركون اليهم بالجفوة ،
والصلة بالقطيعة ، والثقة فيهم بالخدعة ،

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لا تنقض ؟ ألم يأن لهم ان
يرجعوا الى حسم ووجدانهم ؟ ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم
الحوادث وودتهم عليه الرزايا والمصائب ؟ ألم يحسن لهم ان يكفوا عن تخريب
بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم ، ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب
عنكم ؟ هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » قد علمت شأنهم ، ولم تبق رية في أمرهم ،
« ان تمسككم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » سارعوا الى ابناء أوطانكم
واخوان دينكم وملككم وأقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير
عون وأفضل نصير ، اتبعوا سنة الله فيما ألهمكم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين ،
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى أسفل
سافلين ، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تجربوا ؟ الى متى الى متى إن الله وإنا اليه راجعون » اهـ

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطانة
للقائمين بأمر الملة ، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطانة لرجال الدولة ، وان لم يكن هؤلاء
الغرباء متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك
ينت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تين حال المؤمنين معهم :
﴿ هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من آثار الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم
الذين لا يقصرون في افساد أمرهم وتبني عنهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي
منها اكبر مما ظهر . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم اوفي طائفة منهم (٥ : ٨٢)
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود (الخ يعني اولئك اليهود المجاورين لهم في
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا أولئك اليهود الفادرين السكائدين واقرار القرآن
اياهم على ذلك لأنه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجد في الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتانا؛ بل تعصبا خروا عليه صبا وعميانا؛

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجدر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آنفا (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) بل هم قسوس اوروبا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين؛ وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهم الاسلام — والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام — بالتعصب والبغضاء المخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لقضت عليهم . فنصارى الشرق ومسلموه وكذا وثنيوه إنما اغترفوا غرفة من بحر تعصب أوروبا ولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام أولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فمعناه أنكم تؤمنون بجميع ما انزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر ببعض الكتب الالهية او النبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب فأنتم تحبونهم بمقتضى ايمانكم هذا . وذكر بعضهم ان جملة « وتؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمعنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم؟ فأنتم أحق بغضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير : « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الايمان » كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة : قوله « ها أنتم أولا ، تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن يحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المنافق منه لأباد خضراؤه . » . حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن برحمته ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضرائه » اهـ
فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر والمنافق منها له حياً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قالوا ان من علامة أهل السنة ان يرحموا المخالف لهم ولا يقطعوا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا نكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعتزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

ونتيجة هذا كله ان الانسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لإخوانه البشر على قدر تمسكه بالإيمان الصحيح وقربه من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فهذا نحتاج على من يزعم أن ديننا يغرينا بغض المخالف لنا كما نحتاج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطعنون ببعض علمائهم وفضلائهم ، لمخالفتهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليهم عدوى المتعصيين ، فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم في الدين .

ثم قال تعالى شأنه ميدان الشأن طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الأمة وكونها كشخص واحد « وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الا نامل من الفيض » كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقاً وخداعاً ومنهم من كان يظهره ثم يرجع عنه ليشتكك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (*)
وإذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا ما في نفوسهم من الفيض والحق الذي لا يستطيعون معه الى التشفي سبيلاً . وعرض الا نامل كناية عن شدة الفيض ويكنى به ايضاً عن الندم « قل موتوا بفيضكم » فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الا عزة وقوة وانتشاراً وقال ابن جرير « موتوا بفيضكم الذي على المؤمنين لا اجتماع كلمتهم واتلاف

جامعتهم ، فليعتبر المسلمون اليوم بهذا لعلمهم يتذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء

الابزوال هذا الاجتماع والاتلاف وبالفرق بعد الاعتصام ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾
فهو يعلم ما تضم صدوركم من شعور الفيل والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف
يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يديه بعضكم لبعض من ذلك : ويعلم كذلك
ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حدهم وسوء طويتهم ﴿ ان تمسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها ﴾ المس في الاصل كاللمس والمراد بتمسكم هنا تصبكم وامل اختيار لفظ المس
في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشعار بان اولئك الكافرين يسوءهم
ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما عسى باليد وانما يفرحون
بالسيئة اذا اصاب المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يتبادر الى فهمي ولكن
رايت صاحب الكشف يجعلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل
منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع
تفسير أبي السمود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
للايدان بان مدار مسااتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة
السيئة . وإما لأن اليأس مستعار لمعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق
البلاغة العليا : والحسنة المنفعة سواء كانت حية او معنوية وأعظمها انتشار الاسلام
ودخول الناس فيه وانتصار المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال
قتادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام الفة
وحماية وظهورا على عدوهم غاظم ذلك وساءهم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة
واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به »
فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدهم وأوطأ محله وأبطل حجته وأظهر
عورته ، فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من كيدهم الذي

يدفعهم اليه الحسد والبغضاء فقال ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتتقوا اتخاذهم بطانة ومواليتهم من دون المؤمنين لا يضرهم كيدهم لكم وهم بمنزل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكاليف وامثال الأوامر عامة وتتقوا ما نهيتهم عنه وحظر عليكم — ومنه اتخاذ البطانة منهم — لا يضرهم كيدهم . و « يضرهم » بتشديد الراء من الضرر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب « يضرهم » بكسر الصاد وسكون الراء المخففة من ضاره يضيره والضير بمعنى المصرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس وحبس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعاملته وقريبه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تفضي بما في الضمير الى من تسكن اليه وتأنس به فلما نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خطائهم وعشوائهم وحلفائهم وعلل بما علل به من بيان بغضائهم وكيدهم حسن ان يذكر بالصبور على هذا التكليف الشاق عليهم وباتقاء ما يجب اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياهم وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وابتقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالحجة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال (٤١ : ٣٤) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فان لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجوز دفع السيئة بمثلها من غير بغى ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني النضير الذين نزلت الآية فيهم أولاً بالذات فإنه حالفهم ووادهم فنكشوا وخانوا غير مرة أعانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم أعانوا الأحزاب الذين تحزبوا للإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتعذرت موادتهم واستمالتهم بالحجة وحسن المعاملة فكان اللجأ الى قتالهم وإجلائهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الأستاذ الإمام مأمثاله: المحيط بالعمل هو الواقف على دقايقه فهو اذا دل على طريق النجاة لمعامل من كيد الكائدين والوسيلة

للخلاص من ضررهم قائما يدل على الطريق الموصل للنجاة حتما ، والوسيلة المؤدية الى النجاح قطعا ، قال كلام كالتعليل لكون الاستعانة بالصبر والتمسك بالتقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطاب بتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعا — يعني على قراءة الحسن وابي حاتم « تعلمون » بالمشقة الفوقية او على الالتفات — ومن كان عالما بعمل فريقين متحادين محيطاً بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، ونتائجه وغاياته ، فهو الذي يعتمد على ارشاده في معاملة احدهما للآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يناهضه ويناصبه فهداية الله تعالى للمؤمنين خير ما يبلغون به المآرب ، وينتهون به إلى أحسن العواقب ،

وأقول ان الإحاطة إحاطتان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلقها بالعمل وذلك من المجاز الذي ورد في التنزيل كقوله تعالى (٦٥ : ١٢) احاط بكل شيء علماً) وقوله (١٠ : ٣٩) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) واما الإحاطة بالشخص أو بالشيء ، قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعدو أي اخذه من جميع جوانبه بالفعل او التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى (٢ : ٨١) واحاطت به خطيئته) وقوله (١١ : ٩٢) إن ربي بما تعملون محيط) وقوله (١٠ : ٢٢) وظنوا أنهم احيط بهم) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دلسكم يا معشر المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فعليكم بعد الامثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة قدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله (٤٨ : ٢١) واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها) فعليكم بعد القيام بما يجب عليكم ان تثقوا به وتتوكلوا عليه ،

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله « ها أنتم أولاء » أصله انتم هؤلاء فقد تمت أداة التنبيه التي تلحق اسم الإشارة « أولاء » على الضمير . ويقال في المفرد « ها أناذا » وعلى ذلك ففس . واعرابه : ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره وتجبونهم في موضع النصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاء اسم موصول وتجبونهم صفة

اليمن

سبب فتنها وإمام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تريد بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود وهم على بقاء عيظاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الفائرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الأستانة ومصر والشام والأناطول وغيرها من الأقطار الإسلامية : لا تزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوربية التعصب للجنس كما علمت الأتراك ولا للبقعة كما علمت المصريين فهم يتمنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنار من قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المهتدين به يكفون الدولة في اليمن أمر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فخرت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ما هي في أشد الحاجة إليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواتبها المرة بعد المرة ، وأضررت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجوب إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بهدم الخضرع للدولة العثمانية ولكنهم مع ذلك يتمنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فما بالك بغيرهم حاولت الدولة غير مرة أن تقيم الحاجة الشرعية على هؤلاء بوجوب طاعة

السلطان ، وتحريم الخروج والمصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة
فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي
يغير الحق حجج عملية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد معها شيئاً
وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه
الشيخ محمد الحريري مفتي حماء المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه
يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

﴿ المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ﴾

﴿ عصمتي بالله وما توفيتني إلا بالله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف بركنهم جهل الجاهلين ،
وارفع بمحمد سعيهم غفلة الغافلين ، فهم بحور العلم الزاهرة ، ونجوم الهدى الزاهرة ،
وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ
المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المشر روضه الوريث ، السيد محمد
الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك
بالحبل الأقوى ، واعاد على محياه السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وصلى الله
على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى
صحابته الذين اتبعوه بعد مماته وفي محياه ،

أما بعد فانا محمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وانه وافانا منك أيها
السيد كتاب كريم ، ومسطور رائق فقيم ، افاد معرفة بحقوق العترة النبوية ، والسبالة
العلوية ، بما ورد فيهم من الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة المروية ، وان ذواعي
الحجة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المكاتبة والمواصلة ، وان من
لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لا سيما ولاية الأمور ، الذين ناط الله

بهم صلاح الجمهور ، وافاد الله الله انه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والائتلاف ، وانه يرى الخير في إصلاح ذات البين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وانه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وانه مناط الرضا للرب الأرباب ، وان السلطان الأعظم ممن أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهد الكفار ، ومناذرة الأشرار ، وان رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقع الفجار المعتدين ، وان القطر الجاني المحروس بالله محل الايمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وان سمعه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة ايمانية

فنعول نعم الامر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقع بها ذوي الاتحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعول على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا يوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، و« شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا اليها الناس باطراف النواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكاب الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فسدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الأكراد والمجوس تحكم في البرية . « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استعنا وتوكلنا عليه وبذلنا في الجهاد جهدا ، امثالاً لقول الله عز وجل « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « ولئن كن منكم يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقوله « كنتم خیرامة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وخوفا مما خوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « تأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر او لیسلمن الله علیکم شرارکم فیدعو خیارکم فلا یتجاب لهم » حتی اذا بلغ الکتاب أجله کان هو الله المتصرف لنفسه ولم نزل تنوخی ان السلطنة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفعت الیها تلك القبايح التي لا یختلف فی وقوعها اثنان ، أن تأخذها حمة الدين والایمان ، علی تلافی مفرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم یزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ایها السید ان تلك القبايح مباحة فی الاسلام ، وان فعلها مستحل من أتباع شریعة سید الانام ، فهات الدلیل ، ولا یقول بذلك الا ضلیل ، وان انكرت ایها السید أن ذریة الرسول ، هم الحجة فی الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذین اصطفینا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخیرات باذن ذلک هو الفضل الکبیر » وقوله تعالى « قل لا اسألكم علیه اجرا الا المودة فی القربی » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « انی تارك فیکم ما إن تمسکتم به لن تضلوا من بعدي ابدا کتاب الله وعترتی اهل بیتی ان اللطیف الخبیر نبأنی انهما لن یفرقا حتی یردا علی الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « ان عند کل بدعة تكون من بعدي ولیا من ذریتی » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بیتی امان لاهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بیتی کسفة نوح » وغیر ذلک مما لا یتحملة المقام فالظهور أیین للحجة ، ووضح للمحجة ، لا ما خوفتنا به من القتل والنکال ، فانا اهل یت لا تزغزعا کواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا فی سبیل الله إلا من اشرف الخصال ، ولا نفرع الی غیر ذی الجلال ، ولا ندعو سواه فی البکور والآصال

علی ان قومی یحسب الموت مغنما وان فرار الزحف عار ومغرم « آمن هذا الذی هو جند لکم ینصرکم من دون الرحمن إن الکافرون الا فی غرور » ان ینصرکم الله فلا غالب لکم وان یخذلکم فن ذالذی ینصرکم

من بعده « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » فنحن من وعد ربنا على يقين « والعاقبة للمتقين » وانك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائما لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه « او تاليا كتاب الله وذاكرا اذا اطلع الفجر صباحه « ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل « وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل « ولا نفتخر كفيرنا بالآلات الحرب الفاخرة « ولا بالسيوف المتكاثرة « التي تحت امرنا عائرة « بل تبهرنا من الحول والقوة « وتمسك باذيال سيرة الائمة والنبوة مغارس طابت في ربها الفضل فالتقت على انبياء الله والخلفاء اذا حمل الناس اللواء علامة كفافهم مشار التمع كل لواء فقد اوضحنا لك ايها السيد طريقتنا « وأبلغنا اليك افعال أعادينا « فاي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون « ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال « لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل « ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية « وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية « ولينهم عن محاربة العترة النبوية « التي هي بضمة من الذات الشريفة المحمدية « ولأوفي جدنا الاعظم اجر تبليغ الانباء المشار اليه « بقل لا اسألكم عليه « الآية . ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال « وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته « انا حارب لمن حاربتم سلم لمن سلمتم « وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وثبتهم بقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون » قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين « يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويمحرمكم من عذاب اليم « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء « ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار « فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من اوامر

الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخويف بالخلقين كما قد قيل
جاء شقيق عارضا رحمه ان بني عمك فيهم رماح
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والا فهو عندنا من اعظم
المسالك ، حقنا للدماء ، ورفعنا للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية السوء والحقن ،
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه اهل بيت النبي الموثق ، وان يعيدنا من نزغات
الشیطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان اللائق بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة اليمانية من جملة الممالك
التي بأيدي الكفار وقد اضربوا عنها صفحاً ، وطووا عنها كشفاً ، وما سارعوا لغير
مملكة اليمين التي بأيدي اولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما انزل الله ، ويتمنون محارم
الله ، فهلا جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ، اللهم اشهد وكفى
بك شهيداً ، اه

(المنار) تسمع الدولة هذه الاخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال
الجيش الى اليمن فاذا توالى انكسارهم ارسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة
على امام الزيدية ! الم تعتبر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين
والاستقامة فبذلك لا بسواه تنظف نار الفتنة ، وتخضع اليمن للدولة ، فاذا اعوز
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبغ اليمن في الخروج عليها ، او
الخروج من سلطتها ،

المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الاسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي
القريني وقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وسمت نفسها اللجنة
التأسيسية قد وضعت لهذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالعربية

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية والى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين. وقد جمعت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث «مواد» نذكرها بنصها وهي:

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ وظيفة المؤتمر هي البحث في الأسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية ومما دخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رقيهم

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ لا يجوز التعرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيما كان نوعها اهـ

وقد سرنا موافقة الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة سروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والجمود على كتب متبناها محال ولذلك جرينا في المسار على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لان المنار كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها (بحث في المؤتمر الإسلامي) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه (ص ٦٨٠ م ١٠)

« ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على الجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة — ونفي بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

» ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني الشافعي وغير

السلفي والشيخي والأباضي . ومن السنية الحنفي والمالكي النخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي ، قالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنة العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به . كتبنا هذا لتنيه لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها الى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نخاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهر تقييد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من نخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان يلقنا عنه انه ممن ينكرون على المناوئ انحاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأيناه الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجمل الثناء فحياء الله تحية مباركة طيبة .

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عقبة في سبيل الاصلاح وموافقته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقه ، ولا نظلمه شيئاً من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصرحوا بها ان في علماء الأزهر كثيرين يعتقدون بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولاً ويندر من يتجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشرة والدعوة اليه على رؤوس الاشهاد . ذلك بان كبراء الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة ينكرون ذلك على قائله ويضطهدونه ان استطاعوا ويبالغون في ذلك مبالغة هي عندي من مآثرات العجب . افلا يحق لنا اذاً أن نكبر إجازة الشيخ سليم البشري جعل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

الدينية مشروطا بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ونحن نعلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر ؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن بالحديث ولعل الخير جاء من هذه الناحية فأهل الحديث ما زالوا أبعد الناس عن التقليد ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط الذي سررنا به على اجماله واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا يسر الله واجتمع المؤتمر فانا سنحتاج الى تحديد ما هو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من العسر مافيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين لا جنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاتراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية النسب وجنسية الوطن ولا يعدون هذا مما يتعلق بالدين وهذه المسألة من اكبر المسائل التي نتظر من المؤتمر — ان اجتمع — حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال زمان » ان أحداً ذكيا ترك يريد ان يلقى في المؤتمر خطاباً يبين فيه أن ارتقاء امة الترك يتوقف على انفصالها من العربية لفقد دينا وسياسة !! وربما يسمع المصري وغير المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها نابتة الترك من التفرنج هذا القول فيرونة عجيباً غريباً ولكن لا يجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم منافسات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل هذا الرأي حتى غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية نحن نمد هذا شذوذاً وغلواً ويوافقنا على رأينا كثير من فضلاء الترك لاسيما المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيستمعون من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا يخطر لهم الآن في بال ، ونسأل الله ان يحسن العاقبة والمآل

الرد على اللورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمل المغالطة في هذا الفصل فعمل محمد علي
وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم
الحكومة في فرجة عدد معين للوظائف . والاتفاق في وقت كانت
الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت يزيد فيه دخلها على
خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح
ان يتبع في هذا المصير لكان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائما
ولما سألنا ان نكثر ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدم اوارقائها
فانها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فها بال اللورد يمثل
ظلمات الماضي الخالكه شريتمثيل ثم هو يجعلها اساسا يبنى عليه سياسته في التعليم ؟
اللورد قد قدم المشرعين في كتابه ذما يلبغوا بين انهم لا قيمة لهم في نظر الشيخ
محمد عبده فكيف لا يندره اذا طلب لبلاده تعليمات اتفق من هذا التعليم
الذي لا يقصد منه الا تكوين المشرعين ؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء
لامتياز جائر لان الذين كانوا يملكون مجازهم في الغالب اولاد الاغنياء ، فان
المدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون بتحويل الامتياز
عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أرادته
القائضون على أزمتها

او كانت الطريقة التي أزيل بها امتياز أولاد الاغنياء على أولاد
 الفقراء في التعليم المجاني عادة لكث من العدل ان يتمتع الماء عن
 الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لا تزرع
 منها أرض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض.
 لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من
 الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حمل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة
 في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من
 التاريخ الذي وضعناه له . وقد حمل ذلك الحكومة على الشروع في إصلاح
 التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة العرابية فأوقفت كل عمل وتلاها
 الاحتلال ونفي الشيخ من البلاد . وبعد عودته رأى سياسة التعليم غير سديدة
 فقدم لمعبد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة ^(١) فيما يجب
 اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ،

لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه « المدارس الاميرية
 ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة » ^(٢) ثم ذكر
 غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل
 باشا . ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها فجاء
 اللورد يذكره من بعده في تقريره ١٩٠٥ ويجمله حجة على بقاء ما كان على ما كان
 الا المجانية فانه يري ابطالها بعد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها !!
 مرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في
 المحاكم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

جرب طريق التصريح فلم يجد موصلا الى المطلوب فلما صار مفتيا وعضوا
في مجلس الشورى حاول ان يحصل مجلس الشورى وسيلة الى عرضه
وبرأيه طلب بعض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين
ولوئح التعليم في نظارة المعارف (بروجراماتها ومنشوراتها) علي المجلس
ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده
وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية (وقد بينا ضعف اقوال
الناظر يومئذ في المنار ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥)

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح باسم المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم
تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التجهيزية . وقد ذكر في آخر
تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية (دار المعلم) ضعف
تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضعيفا
فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب
الشيخ محمد عبده لمسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له فهي تذكرة ان
كان ناسيا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن العجائب
ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية :
فمن ذا كتب ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد ؟ اللورد يعرف ذلك
اذا لم يكن السخط قد انساه تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج
المدونة في الحاضر والدواوين الرسمية وكما ناطقة بأن الشيخ محمد عبده
لم يكن راضيا من التعاليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول
في السبب الاول لسخط اللورد علي الاستاذ الامام وتغيير كلامه فيه

افضاء الاستاذ الامام مستر بلنت بسبب الاحتلال

اما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من انه هو الذي لقن مستر بلنت جل ما في كتابه (التاريخ السري للاحتلال) من عيوب ادارة المحتلين بمصر^(١) فهو مما يندر فيه فان هذا مما يغيظ السياسي والحاكم المطلق حقيقة . واي شيء يؤلم الانسان اكثر من بيان عيوبه واظهار سيئاته ؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يعذر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتها ومدونيهاء واللورد في كتابه « مصر الحديثة » مؤرخ لاحاكم فكان يجب ان يتذكر ذلك . ثم اذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتعمد القبح في امرائها وعلمائها وعمالها وجميع اهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه اظهار الحقائق . اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق . فكيف يسخط على من سلك طريقته ومن اعانه على ذلك ؟ اليس من العدل العام ، ان يدين المرء كما يدان ؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاوزين ان يفضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكاشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤلما له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي صرورة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
ألا إن متعنى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد ، أن يؤاخذ الناس
بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقاتهم ومحبيهم ،
ثم ان اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند

ما يحدث صديقه ان كل ما يقوله سيحفظ ويدون وينشر بين الناس ولذلك
يتقده بعض أهل الرأي على مستر بلنت ذكر مسائل وخواطر حدثه بها
الشيخ محمد عبده فنشرها وهي مما لا ينبغي نشره كتمني جمال الدين لو يقتل
اسماعيل باشا واستحسان محمد عبده لرأيه . على ان هذه المسألة اصغر من
القالب الذي وضعها لورد كرومر فيه كاسنييه

بقي علينا وقد بينا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب
هذا الاختلاف ان نين الحق فيما لمزه به فنقول انه يمحصر بحسب
ما اطلعنا عليه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

الاولى وصفه بأنه خيالي

قول اللورد في الشيخ انه كان مفطورا على الخيال^(١) لا يتفق مع قوله فيه من
الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصلحا - ومن الجهة السياسية
والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وان اتباعه اذا تجمعوا وسوعدوا
على ما اختطه لهم من المبادئ المعتدلة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم
كالجبروتيين في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما
لا يتفق مع قول المستشار القضائي الذي وافقه هو عليه - ومن الجهة العلمية
والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل
واستنارة الذهن

ما هي الآراء الخيالية التي كان يبدىها اللورد فيتندر عليها تنفيذها لانتها
خيالية لاعملية ولعله يعني بها تلك اللائحة^(٢) التي اقترح بها عليه جعل التربية
الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب وبين له فيها انه لا يصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) قدمت الإشارة الى هذه اللائحة

البلاد المصرية وتكون بآمن حتى من التعصب وقتنه الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الالفه ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي اوضحه أتم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة (كاتراحه في مجلس شوري القوانين تعليم تاريخ الاسلام في المدارس التجويزية) فلماذا يسيء الظن بدينه وهل تكون هذه الغيرة على الدين لضعاف الايمان اولاد اذريين ؟ للورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك مناقضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو منتهى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية^(١) ، والاخر يمثل الاسلام بأنه آفة المدنية ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه مصرأ . ويمكن ان يقال ان تقديمه تلك اللائحة لعميد انكلترا وأمله بأن يقنعه بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا العميد وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخيّل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهوانه لما كان منتهى غرضه من حياته اصلاح الدين بالتربية والتعالم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يعبدان يكون تقريره في اصلاح المحاكم الشرعية خياليا أيضا في نظر اللورد

« ١ » جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد

فان لم يكن التقرير نفسه خيالاً فالجراح كاتبه على اللورد بالسماح بالمال من خزانة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت عن هذه المطالبة حين قال له اللورد « انني لا أعطي قرشاً واحداً للمحاكم الآن » كما اخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال « انه هكذا قال لا أعطي بضمير المتكلم وهكذا يقول » فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يعد من الخيالات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها ؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقريراً فيه اصلاح للمحاكم شرعية وراء اصلاحها لاصلاح كبير للبيوت الاسلامية لان من سياسة انكلترا موت الشرع في مصر وإبطال ثقة المسلمين به حتي ان لورد كرومر الذي يعد من خيارهم يرى مطالبته باصلاح المحاكم الشرعية من الخيالات والاهام ، أو من الاماني والاحلام ، ؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي وميال للورد وحكومته بما هو شر من ذلك ؟ نعم انه كان للاستاذ الامام ، آمال في حسن مستقبل الاسلام ، قد قد يمدّها حتى بعض المسلمين من الاماني والاحلام ، فان منها أنه سيتشر في اوروبانفسها في يوم من الايام ، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علم بها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ « لا أدرياً » فانها آمال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن أولاً ، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الاديان وطبائع البشر ثانياً ، فهو قد كان يقول على رموس الاشهاد في قوله تعالى « ٥٥: ٢٤ » وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

١٩٢ آمال الاستاذ الامام في الازهر وآراؤه في الادارة والقضاء (المنار ج ٣ م ١١)

لهم ، الآية « ان هذه الآية لم يأت تأويلها بعد ولا بدان يأتي ولو بمدحين
وان كان بعيدا » فهل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا (قيل انه قد
حصل) من رجل لا أدري ؟

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لورد كرومر فانا نعرف منه كل شيء واللورد
لا يعرف منه الا اشياء محدودة منها بعض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب
هذه الحجة من بطائه ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان
يستدل به على كونه كان ، فطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد
بالمساعدة على التربية الاسلامية وإصلاح المحاكم الشرعية الا ان يكون
ذلك توجه هيمته الى اصلاح الازهر ولكن كل ما ثبت به من اصلاح كان
خياليا وقد نفذ شيء كثير منه كما هو مدون بالتفصيل في كتاب (أعمال مجلس
ادارة الازهر في عشر سنين) وما لم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه
خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا
المقام بمحل لذكره

نعم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما
تثبت به من مبادئ الإصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله
في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرّون على بيانها
والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ،
وهذا يهدون جميع طبقات أهله الى ما جبالوا منه ، ولكن الموانع التي اعترضته
في طريق الإصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته
الاولية ، وما أظن ان اللورد كان مطلعا على هذا وإلا لما خطر في باله ان
يكون الرجل « لا أدريا »

أما المسائل المتعلقة بالقضاء أو الإدارة فبهدي أن آراء الاستاذ الإمام فيها كانت تعجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن إلغاء النيابة العمومية عملاً برأيه أو لم يعمل بها كمشروع الجنايات الأخير الذي طالت فيه المناقشة بينهما ولكن بعد أن كان اللورد قد أشرب المشروع في قلبه وإن أكثر النابغين من رجال القضاء كانوا على رأي الاستاذ الإمام في معارضة المشروع

وما ذهب إليه المؤيد في تأويل كلمة اللورد من أن الشيخ كان يحاول القبض على السلطين فيجعل الأمير وعهيد الاحتلال معاً في يديه فهذا من آراء صاحب المؤيد التي لم تخطر للورد على بال فيما يغلب على ظني

الثانية ظن اللورد أنه لا أدري

نيز اللورد الاستاذ الإمام بلقب « اللأدري » (*) وهو قد أخذ من ستانلي على أنه لم يجزم به فقد ترجم المؤيد عبارته فيه بكلمة « وانخشي » أن يكون كذا وترجمها بعض الجرائد « وأظن » أن يكون كذا ، وهذا من الظن الذي قال الله فيه « إن بعض الظن إثم » وقد قال بعض العلماء النابغين من صريدي الاستاذ الإمام أن اللورد قال هذه الكلمة لينفردنا من طريقة المرحوم الدينية ولكننا لا نترك ما عندنا من اليقين فيه لأجل ظن لورد كرومر

أما أنا فأقول أن قاعدة ستانلي التي استنبط منها اللورد كلمته هي من المسلمات عندهم فينا وهي « أن المسلم من الطبقة العليا لا بد أن يكون أحد

١٩٤ / اتهام العقلاء بالاحاد - ورأي فاضل انكساري في الاسلام (المجلد ٣ م ١١)

اثنين متعصبين او ملحد في سره » وعندنا قاعدة مثلها كنت اسمها واتا
تليد مبتدي وهي « ان النصراني المتعلم ملحد لا دين له فان تعصب لقومه
وأهل دينه فانما يتعصب لهم تعصبا جنسيا » ومما كنا نسميه من الآثام
وبعض مشايخنا : « ان مما يمتاز به الاسلام على النصرانية المبروفة ان المسلم
يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم
العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة
ونمو أيام كان الاسلام حيا في قوسهم في أول نشأتهم ولم يصير للنصارى
علم ولا مدينة الا بعد ضعف الدين وزعزعة عهدهم ، فالأمر والمثل تشابه
في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ويؤيدونه
من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى المجاهرين بالاحاد وكثير ما هم
ولما كان النصراني يعتقد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا
واعقادا نظريا ان كان ملحدا كان الملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري
ان المسلم الناقص المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا
ولا يعدمون من المسلمين المنقرضين من مجاهدين امامهم بالكفر ويسكرون
معهم في هار ومضيق فيؤيدون دليلهم بالحس ولا يلمنون ان هؤلاء الذين يظنون
انهم قد ألحدوا بعد اسلام لم يعرفوا فيما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكليز ذوي التربية العالية فيهم وجرى
يني وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع مني جوابا
عن شبهة من الشبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة
يقول « ان ما هو له مقبول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الازهر

يقولون به أو سئلوا هذا السؤال . . وقال لي مرة « أن كنت الاسلام
ما تقرره فأنا مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الاسلام « انني
أنا اعتقد هذا فأنا ان اكون مسلماً وأما ان تكون كافراً » وقال لي مرة
« ما اظن ان احداً يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده »
ولا يبعد ان يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت
في المنار سؤاله ايامي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته
له من حكمة الصيام وانجابه به

وقد دعاني غير واحد من فضلاء النصارى الغداة في رمضان وعرضوا
عليّ القهوة سراراً كثيرة فكنت أقول متعجباً أو نسيم انتا في رمضان ؟
فيقولون او أنت تصوم أيضاً ؟ فأقول : أي شيء يبيع لي القطار ولست
سريضاً ولا على سفر ؟

ولكن اذا كان الملحد من النصارى هو الذي يظن ان المسلم العاقل
لا بد ان يكون اسلامه ظاهرياً وهو يسرّ الايمان في قلبه قبل اللورد
ملحد ام هو مقلد لستانلي في تكذيبه من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف
يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يرم بالايان والمقل جميعاً ؟
قال اللورد بعد ما ذكر أنه يخشى ان يكون الشيخ محمد عبده لا أدرياً وان كان
يستاء من هذه النسبة « فقوله هذا يشعري أنه ذكر أمامه ما يدل على أنه يظن فيه
هذا الظن تصريحاً أو تلويحاً فاستاء وامتنع وتبرأ من ذلك وأنكره وكيف
لا ينكره على اللورد مستاء وقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف
في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأوساً منها عنده فكان جل
قصده من معرفة رجالها ومداراهم الاستعانة بهم على خدمة العلم والدين

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يتردد على الأمير ليستعين به على اصلاح الأزهر ويختلف الى اللورد ليستعين به على اصلاح المحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه لديه فيها . كان يستجديها معاً لمصر وللإسلام وقد اعطى كل منهما قليلاً وأكدى . فلا عجب اذا جاءت كلمة اللورد في دين الاستاذ الامام غثة باردة تضائل في طمر بال فانها عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يعرفه ،

الثالثة استعصان قتل اسماعيل باشا

نقل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا عند سرده على « الكبرى » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمداً استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما ^(١) اي لم يكشفها به أحداً لا اعتقادها انهما لا يجدان من يتجرأ على ذلك

كبر اللورد هذه المسألة وعظمها ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجته « ان العالم المتحضر كله ينظر بمد هذا الى الوطنيين شرراً » ويحتقر بالاكثير أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على اضعف الشرقيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على اضعف المصريين الذين يعدهم من اضعف الشرقيين عقولاً واستنتاجاً ان يفندوا أمثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سألتنا أحد

لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبنسر والفيلسوف
أرسطو: هل تقولون ان تفكر رجل غريب كاسيد جمال الدين الا فتاني في قتل
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستعسان تلميذه كعبد المصطفى لفكرته
وهو شاب في سن الطلب والتجصيل يتبع وجوب احتقار العالم المتسدين لها
والوطنيين المصريين دأبنا لان تلميذاتهم استعسان من زهاء ثلاثين سنة قتل
أمير خرب بلاده ومهد للاجانب احتلالها ؟ - لو سئل الثلاثة هذا السؤال
لاجاب الفلاح المصري واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبنسر بجواب واحد وهو
ان الوطنيين لا يلحقهم ذنب ولا لوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة
تنافي المدنية ، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وفد السيد جمال الدين على مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد
عبد في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان همه من حياته ايجاد
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان
اسماعيل باشا هو المقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يعد
من الغريب عند الامم المدة ان يمتنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم
المدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشز لان من علمهم
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة ؟

يا لله من هذا العالم المدني الذي لم يفكر في مثل هذا قط ؟ ما هو
واين هو ؟ أليس هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مدة لا تتجاوز قرنًا من الزمان (٥)
ونفي بالروساء رؤساء الجمهوريات الذين تبعهم أقل من تبة الملوك
ان خطور الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطالة به قد يكون غنيا
لا يصل الى درجة العزم، وقد يعزم الانسان على الشيء حتى اذا امامه مباشرة
راجع نفسه وثني عن منه فرجع عنه نادما، فليت شعري ماذا كان يكون حكم
لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين
يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ الى تنفيذ ذلك الخاطر؟
اما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملا سياسيا فهذا مما
لا يجهله لورد كرومر ولا أحد من ساسة انكلترا وفرنسا الواقفين على
احوال مصر الاخيرة، وهم يعلمون انه اذا ترك السعي لقتل اسماعيل باشا
فانه قد سعى لعزله

قال الاستاذ الامام في كتاب تاريخ الثورة العربية الذي عهد اليه
بتأليفه الامير عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السعي في عزل اسماعيل
باشا وذكر ارسال فرنسا موسيو تريكو مأمورا فوق العادة ليتبعه مع وكيل
انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق الى رؤيته (اي اسماعيل) بيدياً
عن كرسي الخديوية، وطلاب الحرية من الاهالي كانوا يترددون على
رئيس الوزارة المصرية يظهرون له الميل الى جناب الخديو السابق توفيق
باشا رحمه الله وكانت بينه وبين السيد جمال الدين مكالمات ومخاطبات في هذا
الامر فسمى هو والكثير من الاعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

الاسبق بوجوب التنازل (عن الخديوية) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض الطلب لا يفيد وإن الدولتين لا بد أن تنازلا ما تطلبان عاجلا أو آجلا والفكر فى الحرب رأى طائش فإن الناس عموما فى انحراف عنه فإذا حصل حرب خذله الجيش فى أول واقعة وكانت عاقبة ذلك أشنع، وإن أمس شيء بالصواب أن يحول الأمر على السلطان

«ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين إلى وكيل دولة فرنسا وأبناؤه أن فى مصر حزبا وطنيا يطلب الإصلاح ويسعى إليه وأن الإصلاح المطلوب لمصر لا يتم إلا على يد ولي العهد توفيق باشا وانتشر ذلك فى القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهى أول مرة عرف فيها اسم «الحزب الوطنى الحر» اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسماعيل باشا لم يكن امثله من اولئك الملوك الذين قتلهم الطام المتعدن وأخروهم ملك البرتغال بل ولا من اولئك الذين ناروا عليهم وقتلوهم بحائسة او بغير محاكمة ومنهم شارل الاول ملك الانكازا الذي قامت في وجهه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت بقتله. وان اغتيال ملك او أمير مخرب للبلاد، ظالم للعباد، مضيع للملك، مهلك للحرث والنسل، أهون في نظر الفيلسوف من القيام بثورة عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب، ثم يقتل الملك بعد ذلك بمحاكمة صورية او حقيقية ان لم يقتل اغتيالا

ان ماشرحه لورد كرومر في تاريخ «مصر الحديثة» من فظائع اسماعيل باشا كاف في بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين ناروا عليهم وعينهم بتدبير فلاسفتهم وعقلائهم فأين من اسماعيل باشا لويس السادس عشر وشارل الاول

٢٠٠ تمثيل الاستاذ الامام حال مصر في زمن اسماعيل (المئارج ١١٢ م)

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العرابية حالة مصر التي تركها
عليها اسماعيل باشا تمثيلا تلطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب
ذلك لحفيده الامير الخال كتابا حاول فيها الاعلام مع توقي الإيلام فقال:

﴿ شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﴾

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تداخل دولتا فرنسا
وانكلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة معها بمقود ووعود
عدت قوانين وأصولا يجب احترامها

— وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي
للعالية والآخر فرنساوي للاشغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا
— وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلة تؤدي بتنفيذها الى اشهار
افلاس الحكومة ، وأدت بالفعل الى انتزاع املاك كثير من ذوي الثروة
من الاهلين

— وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب
من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا
— وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من النفقة عن مصالح
البلاد الى حد أنهم كانوا لا يفهمون للوظائف معنى الا انها وسيلة لتحصيل
النقود من الاهالي بأية طريقة يندس منها شيء في جيوب المباشرين
للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض الختفين
به والمقربين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يتقدها دفاع ولا حماية

وانما يراد بها الظهور بمظنة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدريب
حربي وكثيرا ما كانت تستعمل في حفر الترع وإقامة الجسور للمنافع العامة
او الخاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الجانب كانوا
أركان حربها، وعليهم الموّل في أغلب شؤونها

.. وبعد ان فتح على الاهالي أنفسهم باب الاسراف والرفه في المعيشة
تقليداً للمصريين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا
لنفتاتهم ميزانا صحيحا يبادلون بهين ما بأيديهم من الاموال وما يتفقون
في اللذات

.. وبعد أن نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعايتهم
لما عليه الاهالي من غنى وفقر واستمالهم اشد العقوبات في سلب ما
بأيديهم أن اضطر الاهالي الى التدابن بالربا الفاحش حتى كان صاحب
الارض يأخذ من المرابي المئة بمئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا
ولا يخشى عاقبة فان امامه القدوة العظمى وهي الحكومة تستلف النقود بمبالغ
من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم
يرها بيمينه

.. وبعد ان صار للربويين بذلك سلطة على الاهلين وطمع في اموالهم
يفوقان سلطة الحكام وطمعهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو
ذوات الحكومة وأمرائها، على أن ينالوا من الحكومة ما يشتهون في
الوقت الذي يريدون متى صادفوا مكانا من رضى الخديو او بعض

المقرين اليه فكانوا يسخرون الاهالي في أعمالهم الخاصة ويتصرفون فيهم
كما تصرف الراعي في ماشيته بدون ان يراعي أحد منهم في ذلك نظاما
ولا عدلا ولا استبقاء منفعة من يوم الى آخر وتعود الاهالي على الشكوى
الى الله وحده من ضيق الحال وخمود المزارع وانقطاع مصابيح الرشيد
في جميع الطبقات

- وبعد ان صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا
يبدأ على نفسه وما يديه ، اذا تكلم تتمتع في كلامه ، واذا قصد امرا خطا
اليه على غير هدى ، تلقى وراءه مخوف مفاجأة بما يكره .
- وبعد ان كانت النافذة قد شملت جميع الطبقات الدنيا والوسطى
حتى خيف القبط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة
اخرى من الزمان

- وبعد ان صارت عيون الناس بأسرهم شائخة الى ما عساه ينزل
من السماء ليبدلهم بالمدينة على الخروج بما هم فيه
- هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى المرحوم توفيق باشا مسند
الندوية فيها . هذه كانت شدائد مملكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها
الرشيد ، ويتعثر فيها العزم الشديد ، «اه المراد مما كتبه هناك

وقد استطرد منه الى بيان اعتقاد أهل مصر في حكامهم الى ذلك العهد
ثم الى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الانقلاب في الافكار وقدسية
الاشارة اليه - وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث العرابية ومقدماتها ، وان
شئت قلت من تلها وأسابيلها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم
اسماعيل لم يكتب على سبيل القصد ولم يرد منه الا مقتضاها في بيان الحال ، فضلا

عن المبالغة في التوبيخ والتعدي ، فهل يلام من له عقل يفكر ، وقلب يشعر ، اذا
مات ذلك الأمير ، وتغنى لو يمتاله احد من اولئك المظلومين المقهورين او
استحسن تغنى من تغنى ذلك ؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدما بعض الناس قد حاس من اللورد في الشيخ
محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم انهم «أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم
وأدنى من المصري المتغالي في ترجمته» (١) والحق ان هذه العبارة لا
ينتقد منها الا لفظها فهي مدح كتب في حال استيائه واستعاض فبجاء شيئا
بالدم اذ توهم انهم دون الفريقين في علم او فضل وممنهاما الحقيقي ان هؤلاء
القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف المتشددين في المحافظة على الرسوم
والتقاليد القديمة باسم الدين وطرف المتغالين في تقليد الا فرنج الدين اضاخوا
دينهم وثروتهم في ذلك وقد بالغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه
العبارة الا ما اوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من ان حزب الشيخ محمد عبده
هو الحزب المعتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد
الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ
في بيان المراد الا ان احداها كتبت في حال رضى فثلث المعنى مضيئا
واضحا والثانية كتبت في حال السخط فنشي المعنى فيها غاشية من
ظلمة الايام

وقد زلّ قلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله
اذا ذكرها يبرق من الخجل وهي انه ذكر في التقرير ان توفيق باشا صريح

عن الشيخ محمد عبده « طبقا لما انصف به من الحلم وكرم الخلق »^(١) وقال في كتاب مصر الحديثة انه عفا عنه « بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتقيادا لتشديد الانكيز عليه في ذلك »^(٢) فزيادة اتقياده لتشديد الانكيز تقتضت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتقياد لتشديد الانكيز لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكيز بل لم يكن هناك حاجة اليه

فاللورد جدير بأن يجعل من هذه العبارة اذا قابلها بعبارة تقريره في المسألة لانها جمعت كلامه متناقضا او متعارضا وأبانت ان يحابي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما معا كرما وعلما وكرم خلق فلما سخط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئا عن تشديد من الانكيز في طلبه لا عن مجرد الطلب فيقال إنه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد اللورد بذلك أن يظهر فضله عليه ، ليثبت أنها أساء الى من أحسن اليه ، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وإدارته لمستر بملت . والمؤرخ المحابي متهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه ، ولا بذمه لمن يسخط عليه ، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء اللورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الشوائب منتهى الفضل وشهادة اللورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسم الرأي

- (٣) كان على علم ونباهة
 - (٤) كان عدوا للعدويين والباشوات غير الصالحين
 - (٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثر امثاله
 - (٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية
 - (٧) ان له في مصر حزبا مستقلا يجمع بين أصول الاسلام والمدنية
 - (٨) ان أتباعه هم حلفاء المصلح الاوربي الطيبون الجديرون بمساعدته
 - (٩) ان له برجراما لجعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً
 - (١٠) ان تقدم اتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا
- فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه العشر ولا يضرنا مما ظنه انه كان لا أدرياً، ولا جزمه بأنه كان خيالياً، ولا إيهام عبارته أن حزبه الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما
- نعم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطاً بين المحافظين الجامدين، والمتفرنجين المقلدين، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن اذ كياه كل فريق من المتفرنجين والجامدين يجلونه مع احتقار كل منهما للآخر. وقد عرف أصحاب المقطم والمقتطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح هو به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ٩٥٢) مانصه^(١) : « فأول مزية امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين اتقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علما مهتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقههم غير ما جرى عليه

المتقدمون كالمعلم واللائحة وطلبة العلوم الدينية والعلوم ومن جرى مجراهم ، وكان قائدا للآراء ومديرا للأفكار ضد الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون أن القديم لا ينفي عن الحديث وأن من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال . ونقول ولا نخشى في الحق لومة لائم أن التقيد فاق الاقتران كلهم في هذه الزمة حتى اتفرد فيها أو كاد ، الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين لمجلة المقطف ما نصه (١) :

« وكان ذكي القواد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتهيب الكبراء والعظماء لمجرد ما هم فيه أو ما أدركوه من رقة المقام فاستطاع أن يكون علما يهتدي بنور علمه المحافظون الذين لا يروقه إلا ما جرى عليه المتقدمون كما كثر العلماء وطلبة العلوم الدينية والعلوم ومن جرى مجراهم لأنه كان ثقة فيهم - وعضدا قويا لأبناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، وصريحا صادقا للذين يطلبون الاستشارة بها والسير في سبيلها ، » الخ

هذا رأي أصحاب المقطم والمقطف سقاء إلى اللورد لأن شتيه

غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده

وإذا أراد اللورد أن يعرف مكان الأستاذ الإمام من نفوس أرق

الطائفتين (المحافظين والمتفريجين) فليقرأ ما أثبت به الشيخ أحمد أبو خطوة

أرق الأزهرين علما وفهما وقاسم بك أمين أرق المتطمين في أوروبا واللورد

يشهد بنبوغه وقد أثنى عليه في خطبته التي ودع بها مصر ذلك الوداع المشهور

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطوة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا حوالي هذا القبر الجمال الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاستاذ الشيخ محمد عبده» الخ ثم فصل اصلاحه للازهر والمحاكم الشرعية قصيلا

وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يوضح علينا ما خسرناه بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده» وقال انه «وصل الى أعلى مقام يمكن ان يناله انسان في هذه الحياة مقام الامة بأوسع منهاها تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجراً على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال:

«سادتي: ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقيع، والجمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس المتأززة تقرب من الكمال أكثر من غيرها فتتمو زهرة الجمال فيها تنمو عجيا وتكثر فروعها وتنتشر طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها، ومن هذا القسم المتأززة كانت نفس امامنا العزيز، نفس خلقت على أحسن شكل، زيناها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثلاً في الجمال يجب ان نضمه دائماً امامنا لتعلم منه «كنا وكنا» وذكر بعض من ايا الامام ثم قال «وتعلم منها أيضاً مباح ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسه وجاهد حتى أرسلها الى اقصى ما اتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال»

وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يعرف منها طريق اللورد في الكلام من رجالنا وننقل منها الى المقصد الاهم وهو كلام في الاسلام والمسلمين فنقول

القرآن والعلم

تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتبه بعض علماء الأفرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبعهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للطمع في الكتاب العزيز ناسين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتي ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتي خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظرفيه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواهيه ، وقد رايت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

المسألة الاولى

(الحجر)

قال الله تعالى (١٥ : ٨٠) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا يغتفون من الجبال يوتاً آمنين) . اعلم

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مءنة شهيرة عند الساميين تءى باللغة اليونانية (بئرا) أى الصخرة وهى المسماة فى العهد القءيم بمءنة « سالع » كما فى سفر الملوك الثانى (١٤ : ٧) وفى كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين « بئرا » و « سالع » بمعنى واحد لكنهما بلقن مختلفين . يحيط بهذه المءنة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور فى سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن يومهم منحوة فى الصخور ومنظر هذه المءنة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المءنة وسمع ذكر « الحجر » فى القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ « بئرا » اليونانى لئوهم انها فتىء الحاء والجيم « الحجر » وبنى على ذلك ان « الحجر » فى القرآن هو « سالع » فى العهد القءيم . ولما كانت مءنة سالع هذه معروفة عنها ما ينافى ان أهلها أهلكم الله بالصبيحة وما يءل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه انططاً والجهل بالتارىخ والله يعلم انهم زكاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحقى وجاهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بئرا او سالع وان احداها تبعد عن الاخرى بهذا عظيماً فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتزل بها حجاج الشام وتسمى بمءنة صالح وهو النبى الذى ارسله الله الى أهلها « ثمود » ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التى كانوا ينحتونها فى جبالها المسماة « أثالب » كما قال فى دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالع ليرى بعينى راسه أنهما مءنتان متباعدتان فى موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر فى الجنوب الشرقى لسالع . ومعنى الحجر المكان الذى حوله حجارة وهو غير معنى « سالع » أى الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما راء فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يقم دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوة

(المآرج ٣) (٢٧) (المجلء الحاءى عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبنى على الارض والبعض الآخر
ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من
سهولها قصورا وتنتحون الجبال بيوتا — الى قوله — ٧٨ فانخذتهم الرجفة فأصبحوا في
دارهم جانحين فكانت لهم قبورا بعد اهلاكم وان لم تكن جميعا كذلك في اول
أمرهم ومن ذلك تعلم خطأ مقاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسمى
(محمد) في هذه المسألة

المسألة الثانية

(الإسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ليريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)
المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت
كان خربه تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف
إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا
يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك
مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدأ الإسلام إلا أماكن
بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه
يسمونه مسجداً لهم بل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً
لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا
يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنياً
مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى اورشليم
وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع
ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

ففيها أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خرباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الإطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذابح (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلباً إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تسمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا أن ما شاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فيما قلنا ملققون أو أننا لأجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الأسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا هم بختنصر وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجازوا خلال الديار) اليهودية أي

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير (وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر ملكهم وفتح بابل واقعدنا اليهود من أسرهم واكرم مشاهيرهم وأحسن اليهم وردهم الى بلادهم فصاروا فيها أعزاء وسادوا على اعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فقادوا الى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه مختصر وأحرقوه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (واعدناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيراً) فرجموا من الاسر باشيء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة ومباهم ونحف وغيرها كما في سفر عزرا (١ : ٤ - ١١) (٧ إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة) العقوبة الثانية (بعثنا عليكم عباد لنا ليسوفوا وجوهكم وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تديراً) فدخله تطس الروماني بمجيئه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تديراً كما فعل الكلدانيون من قبل وتشتت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع ان الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شي واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فانه قال في أول القصة « بعثنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوربيون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون انكليزاً وفي الأولى فرنسايين ولاشترأكم في الوصف (وهو كونهم أوربيين) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً لليهود العرب (٥٥ : ٢) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني اسرائيل في زمن موسى ولاشترأكم يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فما تقدم تعلم ان القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما اوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشأت اليهود في أنحاء
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليها
يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأعجمي الناشئ بين الوثنيين
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده
كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له اذا أراد ولم يقد على تربيته معلم وليس له مدارس
ومع ذلك قد نلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الأعجاز وعبرة
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي
يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ما حل بهم من المصائب حتي
كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس
المخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعيا ٤٥ : ١) فلذا
كثير الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه ايامهم من الحزن والبلايا والازايا التي
حلت بهم في بابل التي اظنبت كتبهم في وصفها وتعييدها وانذرهم الانبياء بها قبل
وقوعها ثم صاروا يبشرونهم بالخلوص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص
ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب أشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون
أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم
ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتي انهم كانوا ينسبون للمسيح
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم
كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح
٩ : ٢٧ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب
زكريا بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله
متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاملهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بيناه ونبينه
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانيين صاروا يترقبون مجيء
مخلص لهم ككورش وهم إلى الآن ينتظرون ذلك !!
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة
الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين
فلا يقال إنه أخطأ وجاهل التاريخ كما يدعي جملة المسيحيين افتياتاً عليه ورغبة منهم
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (لها بقية)

باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

٢

بحث النسخ

قال حضرة الدكتور « النسخ هو ابطال حكم لبدل اولغير بدل » واقول ما ذكره
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا نطيل بالمناقشة
فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو
صرح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين — اما هو في عرف السلف فهو
زيادة على ما ذكره يعم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص أو تهديد أو

حمل على مقيد وتفسيره وتبينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا — وهل الإنشاء والنسخ شيء واحد أم هما شيان ؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند الخلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالآحاد الصحيحة ام بعضها دون البعض ؟ اما السلف فلا تعلم عنهم خلافا في جوازه

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الاوامر والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك

واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه « هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ » فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او المستقبل مما يؤدي نسخه الى كذب او جهل — بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الأخير وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لإفضاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة البعث والجهالة اما اذا فسر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه لانهم لم يشترطوا في النسخ منافاة المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بعد قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلاً » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما نمحو من آية وقال ابن أبي مجيح عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن أبي حاتم وروى عن ابي العالية ومحمد بن كعب القرظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما نسخ من آية ما نسكت وقال عطاء أما ما نسخ فما ترك من القرآن وقال ابن أبي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي ما نسخ من آية نسخها قبضها قل ابن أبي حاتم يعني قبضها رفعها مثل قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بقي لها ثاقل » وذكر عن ابن جرير ما مؤداه اختيار مذهب المتأخرين في تفسير معنى النسخ وانت ترى بهذا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون إلا ما نقل عن أصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من أنهم كثيراً ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظراً لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام تارة ولظهوره في باقي معانيه الأخرى ولم يكونوا يحددوا الأشياء بالحدود والتعاريف التي اصطلح عليها المتأخرون فإذا كان النسخ عندهم مفسراً بالرفع والقبض الذي هو أعم منه عند المتأخرين فأنه جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الأحكام في جميع أنواع الموضوعات والقصص والأخبار للادعان والاعتبار ورداً على المعاندين الكفار فإذا قامت الحجة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم القلج وعليهم القلب فالعقل لا يوجب إبقاء الحجة مسطورة مكتوبة كما أنه لا يجب ولا يلزم حبس وإبقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما أن الأحكام تختلف باختلاف حال المكلفين كذلك التعاليم الأخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضاً — فإذا أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من أخبار أو غيرها لمقتضى والمصلحة ثم رفعها على ما لها من الأجلال فائزة بالنص وبقهر الأعداء خير منقوضة بريب أو تكذيب لاسيما إذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فياترى أي جهل وعبت يلزم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلسنا ممن يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون أو بنسخ لفظ وإبقاء حكمه كما يزعمون. واستدل على ذلك باستزامه الجهل أو العتب وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلتا يديه يمين فهو يعبر لرسوله صلى الله عليه وسلم عن شئونه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمعان

الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قد اعتبروا بمداولها ثم يكررها ثانياً مقتض في قالب عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالحال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله أكل منه والكل بالنسبة اليها معجز وكما قال تعالى « نأت بخير منها »

ومما يوضح ذلك ويقر به ما هو واقع في المحكم بين دقي المصحف من ذكر القصة الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغايرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة وتقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولاختلاف أحوال المتلقين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه ومنهم من يميل الى الاختصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذ حسن ذكر القصة الواحدة بعبارات وألفاظ متغايرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى وأخرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالإعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإلغاء ما هو كذا فقد قدمنا الحسنة فيه وسببه واذا بقي محفوظاً لأفراد لا يصح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فما ذلك الا ليتحقق صدق قوله تعالى « مانسخ من آية أو نلغها » الآية وليعرف ان البديل خير من المبدل فيشكروا الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسي لفظه وإنما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت بروايته آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تتبعنا المصحف وجدنا ما هو أولى وأظهر مثل قوله تعالى « ويحبون المال حباً جماً » الآية — اما ما يذكر في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكه لان الرجم أول ما نزل في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحيتد قال صلى الله عليه وسلم — في حديث عبادة رضي الله عنه « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً الثيب بالثيب جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والغامدية

بعد ان قال ذلك . انظر ذلك في زاد المعاد لشيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله
ولنعدي ما كنا بصدد فنقول: اذا لم يشترط في النسخ المناقاة والمناقضة بين النسخ
والمنسوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق
النسخ والإلغاء — الآية — ولم يخص بذلك حكما واذا جاز الإلغاء للنسخ كذلك
قال تعالى « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا نقص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ
ورفع لفظ وإبقاء حكمه لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو
خير منه لانه اذا وعد بإعطاء احد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها وأكملها « ولست أعطيك
ربك فترضى » او يقال نأت بخير منها او مثلاً أي المنسية والله اعلم بمراده
فان قيل ما الحكمة في رفع ألفاظ وإبدالها بألفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد
بيننا ذلك فيما تقدم ولكن نحن مهملنا فلما نستطيع ان نعلل ذلك باصح واحكم
مما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلاً » اي لما كان
المنسوخ قبل نسخه مناسباً للمصلحة ومطابقاً للحكمة فاذا نسخناه لمقتض فإما هو لنا
بخير منه اي اكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدلل به حضرة الدكتور وعمل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فما يلائم البشر في
زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف
حالة الانسان بالصحة والمرض — فهذا التعليل للنسخ انما اخذه حضرة عن
المتكلمين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل احد حتى انهم قد يدعون لانفسهم
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه
ناقص منه وما درى المساكين ان النقص وصفهم اللازم الذاتي والله در الشاعر

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأقنه من الفهم السقيم
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار المنسوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة
البشر بحيث يكون نسبه اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك اي النسخ

(المارج ١١م ١١) تعريف النسخ وحكمته وحكمة الرخص والضرورات ٢١٩

لا يكون الا بعد احراجهم غاية الاحراج بحيث يكونون قد عانوا ما قرب ان يكون خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة الدكتور؟ قد منا ذلك لتعلم ان النسخ يقتضى او الحكمة لا عيب فيه عند العقل الخ لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة ممتنع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكرم عليه وهو تبديل ذي الخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وعمت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح ابواب المعارف والرقى الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ماعسى ان ينجم من خير يقدم او بلاء يهجم

فما ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكمته نعم هو يقرب ويضارع مانصبه الشارع مسوغا للرخص في المحكم لانه ألزم عباده بامثال ما شرعه محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ومخصصات فاذا عرض مانع او مخصص فقد رفع عن العباد الالتم وجاز لهم فعل او ترك ما اقتضاه الحال وبذلك قد ينقلب الواجب محرما والمحرم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف باختلاف المكلف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما احتف به من البشر وبمحاله من صغر وكبر واقامة وسفر وضعف وقوة وامن وخوف وقد يختلف بالمواسم تبعالضرورات او توقعها ولو ظنا في بعض الحالات وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل « عند الضرورات تباح المحظورات » قال تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق بذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكلف او المكلفين — بحيث لا يبقى ملائما لطبائهم بان تكون نسبته اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون علة النسخ وحكمته كما عرفت بل هو باق ومعتبر للرخص في الشريعة المحكمة

الثابتة الباقية فكيف يجعل مناظراً وسبباً للنسخ وقت التشريع لاسيما وقد نص الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك
ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ الغلط الذي ارتكبه كثير من جهابذة القاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف ان منشأ ما أصابوه واصطلحوا عليه مما اوجب لهم الحيرة «دع على نفسها جنت براقش» وما ضيقوه مما وسعه الله فعليهم «لا علينا»
وبما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين تظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين الى آخر الابد ولزوم انه دين عامة البشر وانه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متمسكين به يا ارحم الراحمين
(الكلام بقية)

الجامعة المصرية

﴿ هبة حسن بك زايد ﴾

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من العسرة المالية. ثم اختير للجنة التأسيس الامير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً فجد واجتهد مع اللجنة فهب المشروع من نومه حتى تقرر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاها ما تيسر المشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخصص للجامعة خمسة آلاف جنيه ككل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيهما) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطيانه الجيدة على الجامعة

وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفية في داره ببلده
فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجهاء وأصحاب الصحف العربية
والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة

وبعد أن افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي
باشا مدير الأوقاف خطبة للأمير فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي
تضمن الثناء على حسن بك زايد وبيان أن الجامعة صارت قادرة بعد هتته هذه
على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا حفي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفية . وقال
بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في تقدم الأمم بالعلم والحث على التبوع للجامعة .
ولا غرو فقد كان الدكتور ممن اكتب لها بألف جنيه فهو ما قال الا وقد فعل .
ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها
من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه
الأيام ، وأعطى آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد وافقه منته بعدها بأيام
ممدودات ، واننا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الاكتابات للجمعيات الخيرية والمكاتب
والمستشفيات وغير ذلك ولا يمد يديه لمساعدتها وتحمل جزء من مواردها الا عدد قليل
من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن
أسميهم منكوبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء
الامة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه
راجعا على الأكثر الى سكان الأرياف فانهم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم
ينجولون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم

(١) الطرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ

اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حيازتهم لتعصيد الاعمال النافعة
طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستسمحكم اذا قلت
ان هذه الصفات كانت تفيد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تديرها أكثر
اعتدالا في حركتها وأكثر تميزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان
أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم
أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير
في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمتهم وتعظيم وطنهم أكثر من
اهتمامهم بشراء الزهور وتشيد القبور وإضاءة الأضرحة — لو كانوا يحدون للاعمال
بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأماها في البلاد الأخرى
أغنى جفينة في هذا القطر . ولكنها أفقرها جميعاً
من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف
من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع أو غير نافعة كان نصيب
الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجنب الخديوي أدركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة
آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعد الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة
الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشهور الوطني على نعمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم
وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا
ونطلب أن تتحقق فيه أمانينا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية
العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .
ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا استطيع ان امنع نفسي من التصريح
بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة أن يخفيه لشدة تواضعه وهو
انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة
العاملين فيها لتحقيقنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا
البلاد ولم نسمع منهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن تقتدي بهم ونهجر
القول ونعتمد على العمل

إذا أردنا أن نفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء أن ننظر إلى أنفسنا ونعرف
قيمتنا ووزن قوتنا وندرس أسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا
يجب علينا أن نفهم أن مسائلنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير
بمسحاة بل أنها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وإن لتكوين ونمو الجماعات
الإنسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والأخلاق والأقليم والجنس واللغة
وطرق التربية فتغير الحال الاجتماعية إنما يكون بتغير الأسباب التي اشتركت
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه
فهو تعب ضائع

أيها السادة : إن من أهم أسباب انحطاط الأمم وارتقائها طرق التعليم والتربية
وإذا نظرنا إلى ما يجري عندنا وجدنا أن التعليم الموجود الآن لا يصلح إلا لإعداد
موظفين أو أصحاب فنٍ يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد
عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها أصحاب المدارس الخصوصية
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت إلى عدم
التوسع فيه للأسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال
وفي الحقيقة أنه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم
العام بجميع فروعه ودرجاته وإذا نظرنا إلى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد أن القسم
الأكظم من التعليم في يد جمعيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وإن عمل الحكومة
فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطلب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فئة يكون مبدؤها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتاج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الأمم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتمدد فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً من حين إلى حين لتكامل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء إلى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بعلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في

مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي إليه أسرارها
فيصير شاعراً بلدياً أو عالماً حكماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية
إحساننا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لا نهتم إلا بالتأنيج في جميع
أمرنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات
الأقارب والأصحاب . وليس من المتصور أن تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فتحت
أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل .
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب العلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك
أنه مقنود في بلادنا . حب التعليم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب
التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتستع
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها لتنمو العقلي والرقى الأدبي
فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمة أجل خدمة . فشكراً للسابقين
وشكراً للآحقين في هذا العمل الصالح . واني أرى في الصف الأول من صفوف
الحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رجائين
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اه

باب الحجة والبرهان

مصاب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كثير فيختلفون مثلهم فمسي الأمة وتصبح وكأنها لم تتقدم
أحداً . ولكن في الناس أفراداً أمتازوا بالمزايا النادرة في قومهم فأولئك إذا مات
الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا
يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين
القاضي بحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف
كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتاله المنية فجأة (في ٢١ من هذا
الشهر) فلم تذكره بمرض ولا سقم بل لم تذكر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخطب عدته ،
ويأخذوا للمصاب أهله ، بتوطين النفس على الصبر ، وتوجيه قواها الى الجلد أو التجلد ،
امتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تهوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية
التي ولوا وجوههم شطرها

امتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة
والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء
الحقوق والاخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجه همه في السنين الاخيرة الى فرع
من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساوتهم ذيهن فلم يكتف
بكتابه فيه بل جعله هم الأكبر الى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب
النساء وتمدينهن وتحتي مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب . قال
ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين
كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة
يعد رجالها على الأنامل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم ففكر

أكرمهم على أثره : مات الأستاذ الإمام فتلاه صديقه علي بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في ترقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرازق الذي كان في مجلس الشورى هو الثانيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا تفاقم بالرزينة به الخطب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فانه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعم وقطعت الرجال ، فللأمة ان تمثل اليوم بقول ابن النيه :

والموت تقاد على سكفه جواهر يختار منها الجياد

فقد كنا نقول ان هذا البيت من الشريعات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ، ولا ننسى ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نافعة الأزهر وإبراهيم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لخلولة المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطباتها ومن أركان النهضة الجمالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشأم فقدته على هذه البلاد فقد ذكرني بما تتابع بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة قتل بعده عثمان وعلي (رضي الله عنهم أجمعين)

كمل للأستاذ الإمام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمراعاة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه (اي من نفسه) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لجي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشعرية ، فلماذا كان لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، أجعله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله ببنونها ، وتحصيلها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ومعناه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً بمرجداً ، أو خيالا متوهماً ، كان قاسم من المهائمين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرفعه أحياناً عن عالم المادة وما فيه النصب والغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهن عليه

ما أصابه من ذلك وقيض عليه الجاد والصبر ، ويحيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ به ، لانتفى أمره فلسفة عالية تظهر على لسانه ، وقيض من قلبه ، فتروي أرض مصر بالحكم الجليلة ، في غلاتل من الشرقيات الجليلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان مافي هذه الطريقة من الخطا في الحكم قد يسر انتزاعه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد معه البرهان ، لذلك كان قاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تعد عند المنطقي من الخيالات ، وهو يراها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان قعيد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى ولكن خدمته لها كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسر له ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يحب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كنزاً مخفياً لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتاباً باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كعبارة كتاب فرنسا للقاء . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحماسة وقد بين فيه ماله حجاب من الفائدة وشنع على مافي اوروبا من التبذل والتهتك وتجارة الاعراض واخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر فآله ذلك النقد والتشيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد أن شفى غيظه وارضى غيظه بذلك عاد الى نفسه وفكر في الامر فرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قاتلاً في نفسه انه لا ينفعنا اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعينا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيبنا فنعرفه ونسعى في ازالته وطلق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر وقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

وانتهى به البحث والتقيب الى تصنيف (كتاب تحرير المرأة) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تربيته وتقدمه زمانا طويلا وبعث همه غير واحد من حملة العلم والطرايش جميعا الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صيت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعند من المصلحين الاجتماعيين ثم ألف كتابه (المرأة الجديدة) لتعزيز رأيه وتقيد آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة وتحريراً وتأثيراً على انه فوقه صراحة في المقصد وحرية في القول المخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في الستين الأخيرتين من عمره الاشتغال بتأسيس « الجامعة المصرية » فلم يدخر وسعاً ، ولم يأل جهداً ، وكان مناط الأمل ، في إنجاح هذا العمل ، وأي مصاب تروا به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم ، ويكمل رشادهم ، وتعرف الناس قيمتهم ، ويشرعون في الأعمال الكبيرة ، التي يرجى نهوضهم بها ، وينتظر نجاحهم فيها ؟ ؟ فهذا ما ضاعف الحزن على فقيد مصر اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية ، وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصاحبها بأصدقائه من رجال الاستقلال ، وما يرقى الأمة من الأعمال ، وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم ، وأنشأت النابتة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الأهل ويندبه النساء ولكن قاسماً بكى عظماء الرجال ، وأقدمهم على التجلد والاحتمال ، وندبه مثل سعد باشا زغلول وفتحي باشا زغلول وإنما ارادوا ان يؤثناه فكان تأييدهما ندبا وتعدادا ، وبكاء ونشيجا ، أبكى معهما جميع من بلغ القبر من المشيعين ، وذلك ما لم يهد لسواه من الميتين

وجلة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأيين الأستاذ الأمام من أنه لا يوجد في الأمة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه ،

مصافحة اسوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الخ والأمريكي والهندي
والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والعثماني من تركي
وكردية وعربي ومن العرب الحضرمي والنجدي والحجازي والعراقي والسوري . ولم
نر صنفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري
فهو جاره في بلاده وموافق له في لغته وأكبر عاداته مع كونه عثمانياً مثله ولكننا
على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين
تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري
لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأ
كله ومشربه وهواه وجدده وهزلته فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء
المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين المخطأين
مما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون أخوتهم وأقاربهم وجيرانهم وأهل البلد
ينافسون أقرب البلاد إليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك
قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم
ضعفت أو تلاشت وخلقها المنافسة في الصحافة أو السياسة . فكانت بين المقطم
والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقبة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ
رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من
قارعهم فيه صاحب جريدة الاهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرد عليهم
من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تطبيق الحكم بالمشق وهو
كما قال علماء الأصول يؤذن بعلية مانعه الاشتقاق . أعني أن رد اللواء على
أصحاب المقطم من حيث هم منسربون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علوة

ما يرميهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو صكان الآخر كما يدعي
— وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائناً لمصر ولو كان مجموع السوريين
كذلك . وهذا باطل لأنه مبني على أصل باطل ولكنه سرى في أوهام كثير
من الناس لا سيما الأغراب . وهذا ما عناه حافظ بقوله

لولا اناس تغالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا

ونحمد الله ان كلا من المقطم واللواء اللذين بعينهما حافظ قد رجح — مع اصراره على أنه
كان حسن النية — عن الخطة التي كانت تعدوا وكادت تجعل المنافسة بين جريدين
سبباً للتعادي بين شمين كل منها صنولاً آخر وشريكه في كل مقومات الحياة حتى
أوشاك ان يصدق في ذلك ما قيل من ان سوء التفاهم كثيراً ما يكون اضر من سوء التصدد
لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم افندي سر كيس من تأليف جمعية من
خيار السوريين علما وأدبا وجمع طائفة من النقود منهم ومن غيرهم من السوريين
بالا كتاب لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علما وأدبا الى الاحتفال باسم
السوريين لا كرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الحفلة موادة السوريين المصريين كانت الخطب
واقصائد التي اشرنا اليها في الجزء الماضي ممثلة لذلك احسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه
الذي يستحقه فأنت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم افندي
سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين
اللذين هما بمنزلة الأخوين

(تصحيح غلط) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غمضة »
ينها وبين الراو فتصير « وعن غمضة » قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص
١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريباً » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه قضيخاً »
وما كان قليل الدوران على ألسنتهم . وفي هذا الجزء أخطأ مطبعة أخرى مدرجة
كلمة « محمد » في ص ١٧ ص ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « إذا »
في ص ٣ ص ١٠١ وصوابها « إذ »

الفصل الرابع (*)

(مقام النساء في قوم خديجة)

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاماً مهيناً بل كان لها لديهم مقام كريم وجل ما عرفت عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرمون البنات وأنهم كانوا يدفنون أي يدفنون في التراب ومن على الحياة (١٦: ٥٨) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُنسِئُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) هذا ما عرفت عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره وإطلاقه يستغف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندهم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره وإطلاقه ليس من شأن الذين يحبون معرفة الحقائق

إن كل بلد فيها فقراء وذوو اليسار ، وفيها الحق وأولو الألباب ، وفيها القساء وأهل المرحمة . فليس من العقل ولا العدل أن يجعل عمل بعض الحق أو القساء أو الفقراء في بلد مثلاً ومراة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحق وقساء كما هو الحال في سائر البلاد وكان

أناس قليلون من هذه الاصناف يأتون هذا العمل القطيع نفعي الواد
(دفن النبات في الحياة في من الطفولية) فلا ينبغي أن يقال بدون
تقييد إن القوم الذين نشأت منهم سيدتنا هذه كانوا يبدون النبات . إن
قوما نبعت فيهم مثل هذه السيدة لا يقتل ان يكونوا قتلة نبات كلا
انهم لم يكونوا يقتلون الاجساد ، ولم يكونوا يقتلون منهن المقتول
والارادات ، واما الذي نقل عنهم فهو عمل نكر يكادون لا يذكرون
من فقرائهم او محتاجيهم او قائلهم

ولم يكن الذين يبدون نباتهم يأتون هذا العمل القطيع تقيظاً من
هذه النسبات البريئة او احتقاراً لجنس المرأة كما يلوح لاول وهلة بل
كان يسوقهم الى ذلك فساد في الخيال وضعف عظيم في الطبيعة . وان
الخيال الفاسد يزين المنكر حتي يظنه صاحبه من المعروف كما يشاهد
كل واحد منا كثيراً

كان منهم فقراء يزين لهم خيالهم الفاسد ان قائلهم اذا ظلت في
ميدان الحياة ربما نالها ضيق من فقرهم وربما عجزوا عن ان يكر منهن نفقة
تساوين بأنسابهم ، من ذوي قرباهن او جوارهن ، فيرون مواراتهن في
التراب ، خيرا لمن من بقائهن دون الارباب ،

لا نكر ان الحق ان هذا خيال باطل ولا سيما عند المؤمنين ولكن
هذا الخيال الباطل لم يوح الي صاحبه ان الفتاة شجرة خبيثة يجب اجتثاثها
قبل النمو ويستحسن حرمان الوجود من ثمراتها وانما ذن له سوء عمله
هنا من طريق اخرى هي كرامة فنانة

يُحْيِي فلك المسكين ان قاتله ان عاشت تعيش مثله في قصص تذيب
 القواد واول قد من الجلود ، و كرب تسود الوجوه البيض وتبيض الشعور
 السود ، فيزين له خياله ان يحمي كريمة فلذة كبده من مثل هذه الحياة التي
 بلاها قلاها وان يتي بالهم ساعة عند توديعها وتسليمها الى الابد آلام
 صنيق يراها فيها كثيرة النصب قليلة النصيب كما يتي أحدهم بالهم السكي
 آلام سقم من من

وكان منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن الفتاة ربما
 وقعت في يدهن لا يرى له ولها حرمة. ولو قضى على كل البشر بمثل هذه
 الوسوس لا دنت الدنيا بالانقضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون
 الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فلذلك لم يوجد لهذه الوسوس سلطانا
 على قلوب البشر الا قليلا من بلننا شيء عنهم من هذا القليل

سواء ما يزين لهؤلاء الفقراء والحق الذين كبر نصيبهم من القسوة مع
 نصيبهم من الفقر والحق قلوبهم المدم ان اليسار ليس محتكر في يوت معينة
 واشخاص مختصة وانما يتاح للعاملين المحسنين مع الظروف المناسبة ، وان
 قيمة كل امرئ ما يحسنه ، وان ليس عليه الا ان يعمل بالمعروف عند
 قومه ويعبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه ، لما سهل عليه ان يقصف
 يديه غصنا منه أنبت الله ولا لذة أكبر من تربيته وتربيته

ولو علم الا حق ان الفراد من قوم العدو نهاية الجبن وغاية الخذلان
 ويضع أقصى درجات الخسران لرأي انه جدير بالبكاء على حظه من
 ضعف النفس

وهيات ان يكون قوم «خديجة» على هذا النمط من ضعف النفوس

وهم المعروفون بالشجاعة والاقدام . وأي قوم تطيب لهم الحياة اذا كانوا
لابرون سلامة حرمهم الا بافانها ؟ واني نجد الشخص الطمأنينة اذا كان
دأبه الحرب ، من غير ما طلب ؟

أما انهم كانوا يكرهون البنات اذا بشر أحدهم بها فلا يستطيع أحد
انكاره لأن القرآن المجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى
هذا الى قوسهم من شدة احتياجهم الى البنين الذين سيكونون المدافعين
في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه ان البنت
تظل طول دهرها مكرهة وان النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم .
ما ذنب القوم اذا كان نفر من فقرائهم وحماهم قد ضمنت قوسهم فاستسلموا
الى الاستراحة مما يلذ للكرام التنب فيه ؟ وما إجرامهم الى الانسانية
من بعد ان يقوم أعجاذهم باقتداء كثير من الفتيات اللاتي تصدى أبائهن
لواذهن من الفقر ؟

ان العرب كافة وفريشا خاصة كانوا يعزّون المرأة ولا يهينونها وقد
أعطوا النساء كل ما هن من الحقوق في نظر العدل ولم ينسوا ان
المرأة كالرجل هي انسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن لهذا الانسان المؤنث
نفساً كنفس ذلك الانسان الذكر تنضب وترضى وتنعم وتشقى فأعطوا
دماغها ونفسها حقها

وقد روي لنا ان هنداً بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا «خديجة» جاءها
أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبوا الزواج بها فقالت عنفها
لي فقال « اما أحدهما ففي زروة وسمة من العيش ان تأبتيه تأبلك ، وان
ملت عنه حظّ اليك ، تحكين عليه في أهله وماله ، واما الآخر فوسع عليه ،

منظور اليه، في الحسب الحبيب ، والرأي الارب ، مدبره أرومته ، وعن
 حذيرته ، شديد الذيرة ، لا ينام على ضنة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ، (*)
 فقالت يا أبت الاول سيد مضياح للحرمة فما عشت ان تلين بسند إبانها ،
 وتضع تحت جناحه اذا تابعها بطلها فأثيرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء
 عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد أحقت ، وان
 أنجبت فمن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد .
 وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة النقيفة ، وآتي لا خلاق مثل هذا
 لموافقة ، فزوجها الثاني وكان هو أبا سفيان بن حرب فولدت
 منه معاوية مؤسس دولة بني امية الشهيرة وأحد نجباء العرب ودواهمهم
 فهكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا « خديجة » لا يفتات أهلها
 عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحمى والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمر
 العمومية ، ونأهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من أربعين سنة
 بين بني ذبيان وبني عبس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأة ولم تسكن
 من اطفائها الا بما لها من المسكنة وحسن الرأي وذلك ان يهبة بنت أوس
 ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المري
 وأراد ان يدخل عليها قالت اتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضاً تعني بني
 عبس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قالت « أخرج الى هؤلاء القوم
 فأصلح بينهم ثم ارجع الي » فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن
 ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فشيا بالصلح ودفا الديات من أموالهم

وحسبك من اشترى من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمار بن الاشتر الهمدانية،
وبكارة الهلالية، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية، وام سنان
بنت جشة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن ربيعة، ودارمية
الحجرية، وام الخير بنت الحريش بنت سراقبة البارقى. وأروى بنت
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية.

وفدت سودة علي معاوية بعد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر؟ قالت بخير
يا امير المؤمنين. قال لها انت القاتلة ل اخيك :

شمر كفعل أليك يا ابن عمار	يوم العطان وملتي الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد (*)	علم المهدي ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قدما بابيض صارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر الذنب، فدمع عنك تذكاري
ما قد نسي » فقال « هيات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام، ذليل المسكان، ولكن
كما قالت النساء :

وان صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وبالله اسألك يا امير المؤمنين انتفاخي مما استغفيت » قال : قد فطنت
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد، ولا مورم

مقتد، والله سائلك عما اقترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من
 ينقض بيزك، ويبسط بساطناك، فيحصدنا حصاد السبيل، ويدوسنا
 دياش البقر، ويسومنا الخسيصة، ويسألنا الجليظة، هذا ابن اوطاة قدم
 بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عزومنة،
 فاما عزلة فشكرناك، واما لا فمر فذاك، فقال معاوية «أي أي تهديدني
 بقومك والله لقد همت ان اردك اليه على قتب أشرس فيفدحكه فيك»
 فسكت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
 قد حالف الحق لا ينفي به ثنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال
 ما أرى عليك منه أثرا قالت : بلى أتيت يوما في رجل ولا صدقاتنا فكان
 بيننا وبينه ما بين النث والسمين فوجدته قائما فانتقل من الصلاة ثم قال
 برأفة وتطفأ لك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء
 فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم
 قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ
 بما في يديك حتي يأتي من يقبضه منك والسلام، قال معاوية اكتبوا لها
 بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة ام لقومي عامة » فقال « ما

انت وغيرك » قالت « هي والله الفحشاء واللؤم ان كان عدلاً شاملاً
والأيسني ما يسع قومي » قال اكتبوا لها بحاجتها .
ووفدت بكارة الهلالية ايضاً على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه
وكان يحضره عمرو بن العاصي و مروان وسعيد بن العاصي فجلسوا يذكرونه
بأقوالها التي قالتها في مشايعة علي ومصاداة معاوية فقالت « أنا والله قاتلة
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر » فضحك وقال ليس يخشاك ذلك من بك
وكتب معاوية الى عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن
قيس الحمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان
يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال « مرحباً قدمت خير مقدم
قدمه وافد كيف حالك » فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها « أأنت
الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين الصفيين تحضين على القتال وتوقدين
الحرب فما حملك على ذلك » قالت يا أمير المؤمنين « مات الرأس وبثر الذنب ،
ولا يعود ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث
بعده الامر » قال لها تحفظين كلامك يومئذ قالت « لا والله لا احفظه » قال
لكني احفظه وثلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها
والله يا زرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه » قالت « احسن الله شأرك
وأدام سلامتك » فمثلك يبشر بخير ويسر جليسه » قال « أو يسرك ذلك »
قالت « نعم والله » فقال « والله لو فاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم له في
حياته ، اذكرني حاجتك » فقالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسي ان لا
أحال أميراً أعنت عليه أبداً . ومثلك من أعطى من خير مسألة . وجاد عن
غير طلبه ، قال صدقت وامر لها وللذين جاؤا معها بجوائز .

ووفدت عليه ايضاً ام سنان بنت جشمه وعكرشة بنت الاطرش،
ولما حج سأل عن دارمية الجعونية فجيء بها اليه فقال لها « بشت اليك
لا سالك علام اُحييت عليا وابغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟ » فاستعنت فلم
يفعل فقالت له « اُحييت عليا على عبده في الرعية ، وقسمه بالسوية ،
وابغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بالحق ،
وواليت عليا على حبه المساكين ، وابغضته لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك
الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى » ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟
قالت « أي والله » قال فكيف رأيته ؟ قالت « رأيته والله لم يفته الملك الذي فتتك
ولم تشغله النعمة التي شغلتك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صديقاً طيباً » قال صدقت فهل لك
من حاجة قالت « نعم تعطيني مثقاله حمراء » قال ماذا تصنعين بها قالت
« أغذو باليا بها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المسكريم ، وأصالح
بها بين المشائير » قال « فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن ابي
طالب ؟ » قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي حياً ما
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت
عليه أروى بنت الحارث وجرى لها معه حديث من مثل ما تقدم
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية . وهكذا
كان حظهن من النصيحة والخصافة ، ومبلغهن من المشاركة في الأمور
العمومية والاختصاص بالاسباب ، والمشايبة لبعض الأحزاب ، وما أتينا الا
باليسير نوطاً لمعرفه مقام السيدة خديجة في قومها

في كل يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ
في كل يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ

المجلد الحادي عشر
١٣١٥

في كل يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ
في كل يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ

في كل يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ

في كل يوم من أيام شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ

فتاوى المفتان

فهنا هذا الباب لا حاجة لأسئلة المتفرقين خاصة ، إذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه واقببه ويطلبه وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب فالباور عما قد مناهنا خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورعاً اجبتا غير مشترك لئلا نضل هذا . ولئن عمده على سؤاله شهران او ثلاثة ان يدكره مرة واحدة فان لم يدكره كان لنا على رخصه لا نطاله

ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجوا ان تميزوا جانب الالتفات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشار

صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع المباحثات التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التفسير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغير أيضاً وهم جراً فيخشي من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإبدالها بالترجمة يبد هذا الطريق . مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين . قال : في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحدية » فإذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشار صادق نبوت »

أما أدبنا معشر الترك الروسين فانهم مصرون على ترجمته ويقولون لا معنى للقول بأنه لا تجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقاءه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قزاق وتطبع ترجمته تدريجاً وكذلك تثبت ترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز فرجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة حرره الامام الخفير أحسن شاه أحمد

الكاتب الديني السماري

(ج) ان من تقصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبينوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه لهم لاجل دعوة من ليس من اهل اليه وارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يفرقوا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لغوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نفرق ونقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولكننا نذكر شيئاً مما يخطر في البال اسدهجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استغناء عنه بترجمة أعجمية يعينهم عنها تفسيره بلغتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل القرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي تنكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا الا من حيث انها مبينة له . قالدين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد (ص) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فروع عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فلي هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآناً شياً من اصول الإسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لترجمته فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها
(٤) ويلزم من هذا حرمان المختصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وانما هذا من الآيات التي تجعل من مزايي المسلم استعمال عقله وفهمه فيما أنزل الله (٥) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لم فيما فهموه من نهي عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخال مسلماً يجعل لمترجم القرآن هذه المزية

(٧) ان القرآن يذوع للهداية والمعارف الإلهية لا تخاف جسدته ، ولا فتناً تتجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده وحكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقاً لمعوم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارئ بالمعنى الذي صورته المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى (١٥ : ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح) من الحجاز بالاستمارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدث المطر عقب ذلك يشبه تلقيح الذكر للأنثى وحدث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فأذا هو

جری علی ذلك بان فرضنا أنه لا يوجد فی اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام « لواقع » العربي فی احتمال حقیته ومجازه اذا اطلق فان القارئین یقیّدون بهذا الفهم ویمتنع علیهم ان يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الراح لواقع بالفعل اذ هي تحمل مادة القاح من ذكر الشجر الى انائه . فان لم ينطبق هذا المثال علی القاعدة لتيسر ترجمة الآية حرفية فان هناك أمثلة أخرى وحسبنا أن يكون هذا موضحاً . والترجمة تتفق بنا عند عدد من الفهم یعوزنا معه الترقى المطلوب (٨) ذكر الغزالي فی كتاب « إلبام العوام عن علم الكلام » ان ترجمة آيات الصفات الإلهية غیر جائزة واستدل علی ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته فی تفسير (٣ : ٦) هو الذي أنزل علیك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً (١) وین ان الخطأ فی ذلك مدرجة الكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي فی الاستدلال علی ما تقدم ان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يفعله المترجم فی مثل هذه الالفاظ وهو ان شرحها بحسب فهمه ربما یوقع قارئ ترجمته فی اعتقاد مالم یرده القرآن

(١٠) وذكر فی ذلك أيضاً ان من الالفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها — لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها — فاذا اطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤدياً المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غیرهم من الاعاجم . وهذا المقام من منزلات الاقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً فی هذا المقام ان من هذه الالفاظ ما يكون مشتركاً فی العربية ولا يكون فی المعجمة كذلك فقد يختار المترجم غیر المراد لله من معنی المشترك ولا یخفى ما فيه وقد مر نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء انه اذا ظهر دليل قطعي علی امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بین تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة وإذا فات يفوت بفوته خير كثير فباطلاً كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوربا (وهو فرنسي نسبت اسمه) ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي غمرة الاحتفال السنوي لندسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال بتليد بقراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف يحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لهم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من اختلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لهم صاحب إظهار الحق من الخلافات التي كنا نقرأها ومحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذي نقلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أصح من بدل القرآن العربي واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكره هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوهاً أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنيه واللفظ في حقيقته ومجازه كما حققه بعض أهل الأصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم إيجاب هوائه غير مفهوم فهي ممنوعة فأننا نقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

(المار ج ٤ م ١١) انتشار العربية مع الاسلام ثم عود الاعاجم الى الجنسية ٢٧٣

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برتبة . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وتقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكر لهم تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كثير من الأعاجم حتى يولد الصين — ودرجة عليا للمستقلين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ويعبدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يتصموا به وهو جبل الله فلا يفرقوا وتكمل فيهم اخوة الاسلام التي ختمها عليهم بقوله (٩٠:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط العربي (الانلاتيك) الى بلاد الهند فلم كان هذا الا خيراً عظيماً تأخت فيه شعوب كثيرة وتعاونت على مدنية كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها ؟

ثم هذا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشأوا يتراجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك قفلوا بالعصبية الجنسية مافعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وابقاء القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في اعادة

الوحدة الإسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام وان يستنوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجعلوا تعلم العربية إجبارياً في جميع مدارس المسلمين ويحبوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بأراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في احوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المفتونين منابسية أوربا وماونونها على تقطيع قبة ما تركه الزمان من الروابط الإسلامية بقوة العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول اغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : : ألا إنها فتنة في الأرض وفساد كبير وفي الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلقتهم مع قائده إماما لهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الاسلام مع بيان ان المترجمين المعني الذي يفهمه هو

سد يأجوج ومأجوج

(س ٢) من أمين افندي الشباصي بهندسة عقبره (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الفراء

كنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبعده . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على مر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينجيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الأرض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استغرابي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جبالين كبيرين ومن حديد ونحاس ومن دونه أمة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؟ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الأرضية أمام نظري ألقب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا اخي اني اظن ان هذه الأمة هي أمة التار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخترقت آسيا والهند ومصر وأوربا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر

أنني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ففرغ فلما سألوه عن السبب قال ويل لأمي من السيل المنهل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك اثتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيدته عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تفيدوا الجواب على صفحات المنار الاغرخني يقتنع المشاغب كما هو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر اقدم

(ج) سألنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار ونقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين لاسيا القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدلل بعض العلماء على ان السد بني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يفترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فان حالة مدينة ذلك العصر وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها اعتراضاً كهذا فايدينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلاً فكم من أرض يابسة فاضت عليها البحار ففمرتها بطول الزمان وكم من أرض انحصر عنها الماء فصارت أرضاً عامرة متصلة بنيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طمست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدينيات القديمة بالمشاهدة او الاستدلال ما يجعل بعض اسبابه كالأنوار والنقوش والالوان وجر الاقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سبيلاً حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها وبين السدين فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهر بائية ؟ الله أعلم بذلك هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الأرض التي بني عليها الاعتراض. ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسلة وذلك انه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « فريند » بروسيا ومياه الهندوقية موضع يسمى « دمنقير » في باب الحديد

وهو أثر سد قديم بين جبلين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره مطبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك (راجع ص ١٥ و ١٦ ج ٣) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قيتين اسم إحداهما « آقوق » واسم الثانية « ماقوق » . وتعريب هذين اللفظين يأجوج ومأجوج ظاهر جلي . وأما الموضع الثاني فأننا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابة وهو : « في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (مثو بضعة فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة وادعيق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شاذجة متعصبة ليس فيها مسالك معبدة فالمتوقِّل فيها على خطر السقوط والهلوي . وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها إلى الوادي ومنه إليها وفجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي (الذراع الفارسي متر وأربعة سنتيمات) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبلين إلى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فأماسكه خمسة عشر شبراً وأما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن أرضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل إلى قلعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بهد زبر الحديد المبني بها السد فقصارى ما تيسر لم يعمد منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمنتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداهما قلعة العرصة والثانية قلعة الباحة اهـ

فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا اللقب من القاب ملوك العرب الحيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالأذواء (كذي يزن وذي الكلاع وذي نواس) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منه وهم الترك كما ورد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويعدّهم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولاً من

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد انك وذهب أثره من الوجود ؟ ان قيل منع من ذلك ان اند كاكه وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة اجبنا بجوابين (أحدهما) ان قرب الساعة يتمد ألقا من السنين بدليل أن نبينا نبى الساعة وقرب الساعة نسبي اى هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيها) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اى ساعة هلاك امة معينة كما ورد في شرح بعض الأحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سبب برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد العصر والأوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء نفعي الله بعلومه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو : ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتتة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا ؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف ليس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرأة فلا يحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشايتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعها بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لافرق بينهما شرعا ولا عرفا . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشايتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشعائر الوثنية أي تعظيم الصور أو عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك اقترام (الستار) الذي كان معلقا في بيتها لمشايتها الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأسا . وحديث اقترام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يعترف بأن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأي فرق يبقى عنده بين ماساء فعل الصورة وحبس الصورة ؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض البالية الرجل المنقب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل للمصور المسلم أن يصور لهم معبودهم بالآلة الشمسية ليعظموها ويعبدوها بناء على أن فعله حبس تلك الصورة لأفعل لها ؟ إن هذا قول لا وجه له فيما نرى والله أعلم

﴿ الوقف على المساجد والمدارس ﴾

(س ٤) مستفيد من سناقوره

ما قول المنار المنير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها وبناء المساجد للصلاة ولا يخفى عليكم ما ورد في فضلها فأني الأمرين من البنائين أفضل أفيدونا (ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعائر الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والعلوم منها ما هو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الإمام الشافعي إلى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد إن أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المنار وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لإقامة الجمعة والجماعة فلا شك أن بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف إقامة الشعائر عليه وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج أهلها إليها معا وحينئذ يظهر أنه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن أن يصلى فيه ويعلم ما لا بد منه حتى ييسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم أن بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة إليها مضاد لمقتضى الشريعة وهو لا يكون عن رياء أو جهل

السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالامضاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالمجلس النيابي :
كان عهد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان
عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضغط إرادته يوافي العبيد فيما
يريد قلما يراجع في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العبيد ما لم يكن يرى من
والده من المقاومات فكان يتنهر فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد
فأكثر من المستشارين والمفتشين والقضاة وكبار العمال من الإنكليز وفعل ما فعل .
ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى ألسنة الناس حتى صارت تشويشاً مزعجاً . وقد كان
لورد كرومر يفتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منها وطبيعة الوقت
ما يجعل دون ذلك حتى انها تكلموا غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمان
قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته
على اقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار
الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كعصر في عرفهم فلم
يتم اللورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه
الرجوع الى كبار الامة في معرفة مطالبها الحقيقية لانها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير
ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو
لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشير فمالج الأمير
تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة
الديلي تلغراف الانكليزية أهم ما فيه الإشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة
للسياسة الجديدة التي سنينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي
فيها وهي اختيار الأكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم « مسؤوليتها »
وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زعلول وزيرا للمعارف وأخيه أحمد
فتحي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبدالحق ثروت باشا نائباً عمومياً

وهناك مقدمة ثالثة جربها السيد الجديد فجاءت كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلتزموا تبعه سياستها وادارتها على غار بها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الأمة وما دونه من مجالس المديرات

ما هو مجلس نواب الأمة ؟ هل هو مجلس الشورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحمليه تبعه وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ما تطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة والامير ينفذها رغائبها بمصر انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل يقتخر احرار انكثرا بذلك لموافقته لستهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن ستسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تخرس فما كان منه عن شيء مضى فهو مما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراه الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخططون في ظنهم ان الحركة الوطنية ستسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى نقد الوطنيين الذين يحملون تبعه الادارة وتكون الحجة على المحتلين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعه العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استنبط الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستعقبهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام (المكشف)

القرآن والعلم

٢

حجج تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

المسألة الثالثة

(ذو القرنين ومطلع الشمس ومغربها)

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨ : ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً)
تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد مراكش ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فمعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب . . ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق أفندي صديقي

(المجلد الحادي عشر)

(٣٦)

(المأرج ٤)

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها
تغرب في عين حمة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من
وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر
ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً
« حتى إذا بلغ مغرب الشمس رآها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها
تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى (٢٦ : ٥٧) فأخرجناهم من جنات
وعيون (أي أنهار جارية) وكقوله في وصف الجنة (٨٨ : ١٢) فيها عين جارية)
وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة (حامية) أي ساخنة ولعل سخونة
الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بجوارها وإذا كان المراد
مياه المحيط فقد تكون سخوتها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء
كما هو معروف للمطالع على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطي ينطبق عليه
هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذا القرنين
وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فان تيار الخليج (Gulf Stream)
الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى
قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل أفريقيا الغربي ولون مائه
أسود وهو ساخن (فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فهرنهايت)

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترًا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس
أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذا القرنين وصل إلى جبل عال من
جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية
العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد
الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية
وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كلاسكندر المقدوني وغيره وكان يتيسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الأمم المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بجيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضيقة والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحيريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الأمم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في ألقاب العرب أهل اليمن كذي يزن وذو كلاع وذو نواس . ونقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحيريين قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يتبغى أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد أن العرب ما سألو النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظراً لاندساس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الأقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمطئون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام قيل إن اسمه الصمص بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب أنهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس . فلا يبعد أن يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد بني سدأ بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التمدي على الأم المجاورة لهم وهما قيلتان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرهما أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تطأها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصدا ومن هبوب الرياح ونزول الامطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون مغطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وجعلها إليه فجفت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الفساد في الأرض وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل والسي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيئ الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخته أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقترب الوعد الحق » كقوله (١ : ٥٣) اقتربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا انبأت عن الحوادث المستقبلية

﴿ المسألة الرابعة ﴾

﴿ بجي بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧) يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه بجي لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان بجي هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهودسي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟
ونقول لانسم باب لفظ بجي في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان بجي من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יְחִיָּה) وينطق بجيه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه «يهوه حنون» أي الله حنون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ بجي غير يوحنا وجود شخص مسمى باسمين كثير جداً قد يكون الاسم الثاني لقباً له وأمثلة ذلك في كتب المهديين كثيرة جداً منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لباوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و ٢) وكان النبي عليه السلام يغير كثيراً من أسماء أصحابه فيشتهرون بما سباهم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لهم أكثر من اسم. هذا اذا لم قل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الاناجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا قل اسمه الحقيقي «بجيه» الى لفظهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (بجي) ولما اشتهر عن بجي الشفقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣) وحنانا من لدنا) صاروا يلقبونه يوحنا حتى شاع بينهم ذلك أكثر من اسمه الاصل الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثاً له من نسله خوفاً من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه بجي وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ قالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم» فقوله تعالى «لم نجعل له من قبل سمياً» أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ يحيى هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا» أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

مسألة الخامسة

(السامري والمجمل)

قال الله تعالى (٢٠: ٨٨) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَباً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا الْمَكْمُ وَإِلَهُ مُوسَى — إلى قوله — ٩٥ قَالَ فَاخْطُبْكَ يَا سَامِرِيُّ ٩٦ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي «
رجحنا في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم .
انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى (٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ (الجودي) وهو اسم جبل ولفظ (السوأل) وهو علم لأحد نابغي شعراء اليهود من العرب .
وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ (شموئيل) والتغير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ (شمري) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغير طفيف في الكلمة . وهذه التغيرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .

(نبوخذ ناصر) ولفظ عيسي وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التفسير والتحرير في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى (فأخرج لهم) أي صنع لهم السامري (عجلاً جسداً) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جسد كذا العجل الذي صنعه السامري من الحي وكتماثيل الحيوانات فانها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها (له خوار) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الحيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى (قال فما خطبك يا سامري) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت (قال بصرت بمالم يبصروا به) أي علمت مالم يعلموا وأدركت مالم يدركوا (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفه فيناواقفت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها . وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لها (٢٠ : ٢٧) قولا (إنارسلوك) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهم كما كانت قريش تهكمون على رسول الله ويقولون له (٧ : ٢٥) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ثم قال السامري (فقبضتها وكذلك سولت لي نفسي) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجربتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت مالم يعلم غيري . وهذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر

المفسرين من انحرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الاصفهاني وارتضاه منه فخر الدين الرازي وعمره

(٩٧ قال) له موسى (فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه) وانظر إلى الملك الذي ظلمت عليه ما كفاً لنحرقه) أي لنبردنه ويؤيده قراءة « لنحرقه » بفتح النون وكسر الراء وضبطها خفيفة (ثم لننسفنه في اليوم نفساً)

فان قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته ؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا قبل التأويل حتى لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لهم بما لو سمعوه لقباه وما لو سمعه العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراء مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء على أن معنى الآية الصحيح لا ينحى على العلماء . فان القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرقبين فلذا تنوعت أساليه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم يخطئ الغرض . ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض .

مسألة السادسة

(تكون الجنين)

قال الله تعالى (٣٣ : ١٢) ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طينٍ ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا

المُضَنَّفَةُ عِظَامًا فَكَسَرْنَا الْعِظَامَ لَهَا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٦ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ

اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الإنسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده إلى يوم يمته

(الطور الأول) « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » أول الأحياء في هذا العالم لا شك في أنه خلق من مادة الأرض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الأحياء تتكاثر باقسام الخلايا ثم بالتلقيح الذي يعقبه الانقسام (ومعنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الأنثى) فإن الإنسان في طوره الأول كان طينا وإذا نظرنا إلى الإنسان من جهة أخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الإنسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » النطفة الإفراز فتطلق على النبي ولا مانع من إطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحاً لأن ذلك غير معروف لجمهور الناس وهو لم يأت لتعليمهم أمثال هذه الأشياء وإنما هو يؤيد قضاياه بما يعرفونه ولا ينكروه واكتفوا به بذكر التي دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الإنسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فإذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد بالقرار المكين أعضاء الأنثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الأنثى يسبحان قبل التلقيح وبعده في قليل

(١) المناج : النطفة في الأصل الماء أو كل سائل فيصبح إطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الأنثى الذي فيه البويضات إذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقه » وذلك بانقسام البويضة بعد
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقه وخلاياها
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقه مضغه » وهي قطعة أكبر من العلقه قدر
ما يوضع في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من انقسام البويضة الأصلية بعد تغذيتها
في جدار الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية

(الطور الخامس) « فخلقنا المضغه عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغه
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصبح بالتدريج بعد هذا التوزيع عظاماً
(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغه
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا مغايرة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فيما تجد بعض الخلايا يتحول إلى
عظام تجدد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصبح
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد أن كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله
أخبركم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا
بم تراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل
كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها بإجمال خال من الوهم والخطأ داعياً إلى التفكير
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريد القرآن الشريف ولا يريد تدريس
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطباب فيه لأن الناس يصلون
إليه من غير طريق الوحي

محرر المسألة السابعة

(ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون)

قال الله تعالى (٥٧: ٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ
٥٩ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) ومن المعلوم أن بني إسرائيل من بعد
غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فما معنى هذه الآية إذا ؟؟
ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثاني
وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يبعث
فرقة من الصاكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم
واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان
المصريون يمجنون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقيم فيها تحت
رعاية دولته كما يفعل الاوريون الآن في الممالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك
الى عهد منفتح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني إسرائيل من
أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف (فأرسل فرعون
في المدائن) التابعة له كبلاد مصر والشام (حاشرين) يجمعون إليه جيشه وقومه
المستوطن في هذه البلاد قاتلاً لهم (ان هؤلاء أشردمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون
وإنا لجمعٌ حذرون) ثم قال الله تعالى (فأخرجناهم) أي المصريين (من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم) في مصر والشام (كذلك وأورثناها بني إسرائيل)
أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها
الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في
هذا الموضع (١٣٧: ٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغاربها التي بارَكنا فيها وَوَعَدت كلمة رَبِّكَ الحَسَنِي عَلَى نَبِي إِسْرَائِيلَ (والأرض التي بَارَكَ اللهُ فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله (٢١ : ٢١) وَنَجِيْنَاهُ وَلَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا الْعَالَمِينَ) وقوله (١٧ : ١) سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ فَأَنْتَ تَرَى مِنْ هَذَا أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يفسر بعضها بعضاً وإن المراد من ميراث نبي إسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم يبلاد الشام (المسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٣

حجة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور : وإذا قُتِلْنَا لِأَحَادِيثٍ — إلى أن قال — فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الإمام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الأصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتى بكلام ثم قال : « والذي نراه نحن أن العقل لا يستبقي وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ أو أن الرسول (ص) يبين ذلك بيانا ينقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والناظر يرى باديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور أن قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة، لأنه إذا كان النسخ هو كما ذكر إبطال حكم إلى بدل أو غير بدل وجاز أن يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا إلى بدل مثلاً في حق من علم صدور ذلك القول منه (ص) فما ذلك إلا قول بجواز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة فقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها ويعلم صدورها عن رسول الله (ص) اما ما ذكره حضرة الدكتور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ يقتضى لا يستتبع عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فما هو؟ ام شرعاً - فابن هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمل وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقتضى والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان ينقلوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم يرد ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لامتناع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحال لا ينكشف لنا الا باحدهما فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا لبلوغه اليه -

اما اشتراط حضرته في رساليه لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظاً يصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد

من مصادقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجملا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في النسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتهما الى غير ذلك فحين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يعين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يوثنى بما لا يتبين المراد منه الا مع مبین - والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التجلي فظهر بذلك ان معرفة النسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفة في كل محل بما يعين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون النسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكمين ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما والعكس؟ وقد ذكر علماء الأصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ وينبوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندري ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرته في هذا الموضع وليعلم انه باذنه الى التهمك والتعريض بمخالفته الى استحقاقهم أشد العذاب قبل اوانه اذ لم يتم حجة على ما قال ولم يحط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ما هو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل نقول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار ونقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستبجه فلا محل للتشيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فاقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل النقلی

وفي الاستقراء أي تتبع آيات القرآن فحاضرة الدكتور استدل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله إذ النكرة (أي لفظ مبدل) في سياق النفي تعم وأقول قد اختلف في أن المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق أنه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالأية المذكورة ليس هي عندنا مما تدل على منع النسخ بمعنى السابق وإنما تدل على صيانة القرآن عن اتحال المبطلين وعبث أعداء الدين وإن الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وتقول أيضاً نفي الشيء فرع عن ثبوته ولا شك هنا أن المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز أن ينسب إلى الآية وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « إن الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب أن لا يطلم على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال أن يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه أن التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته إنما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعل اليهود والنصارى في كتابهم أما التبديل بمعنى النسخ بأن يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكماً هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الدكتور والرسول (ص) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عامٍ إلا وقد خص وما من مطلقٍ إلا وقد قيد إلا آيات التوحيد وما ضاهاها وأيضاً قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحل المعين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه عقلاً

أما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا: وإذا اتينا بحكم في الشريعة الإسلامية يدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا إنما أنت مقتر كذاب تختلق الأحكام وتنسبها إلى الله إلى آخر الآيات - وزعم أن القول بأنه مقتر في قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مقتر » إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ وأقول إن قوله إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز أن تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم إن ما ذكرته حضرة وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وإنما يدل على خلافه فإنه تعالى إنما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بأن أكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا أن الغلام النصراني يعلم النبي (ص) اقترأوا وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك أيضا أن الله لما برأ رسوله (ص) من تهمة الكاذبة ذكر أن سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان إنما هو ضلالهم وعدم إيمانهم بآياته فإنه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بأن المتري في تبديل آيات الله إنما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص أيضا في إرادة المشركين فظهر أن القائل بأنه مقتر إنما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها إنما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والافتداء بعبادتهم وعن الأصفاء والالتفات إلى شبهاتهم عند نزول ناسخ أو تبديل آية مكان آية لأنهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم أن ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما أهل الكتاب (اليهود) فلم يأت لهم ذكر حتى يهود الضمير اليهم وأيضا فإن الله تعالى قد عيّن هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود إذا كان المراد بالآيات الأحكام وبالآية الواحدة الحكم لايمانهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المخصوصة فإن أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبداء على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت متروهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم تقول لو كان التبديل اي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تقيده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) « انت بقرآن غير هذا او بدله » حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله « قل ما يكون لي ان ابده من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي » فانه لا معنى للتقييد حينئذ وبذلك وهذا تبين عدم دخول التكلم وهو الله تعالى في عموم لفظ « مبدل » من قوله « لا مبدل لكلماته »

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يلجئه الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدراي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لما ينتهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يحمله على معاني يفرضها مع ترك ماسبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون الخرافون كالمقراطة والملحدون من المتصوفة وسائر الطوائف المتبدعة الذين اذا تكلموا في القرآن يترامى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قد بين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضعيفة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالأخص آثار الصحابة (رض) ولعمد إلى ما كنا بصدد فنقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيرها فإنه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية نقيها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة ؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

وتقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي (المعجزة) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالها وترك تأييد نبي آخر بها ؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انتقضت بانقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باق يرى تابعا وخاضعاً لأسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بمثلا لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة الثاني متمتع ولا ففى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلا والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولما هو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما تنسخ من آية اي من مثل آية او ننسها نأت بخير منها او مثلا. ومؤداه ما ترك مثل معجزة الاتأت بمثلا اليس هذا تناقضا يجب ان ينزه القرآن عنه ؟ وتقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

وتقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم الا بحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها -

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بعقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجع ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله أن هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكيناً لهم ودفعاً للشبه التي يثبها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء ويمنعه غداً الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبيههم على ان هذا انما هو حسد من أعدائهم ودونك الآية وما قبلها يبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

١٠٥ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فالآية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كالفرع من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالاً لصحة النسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى أعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد مقتضي نسخ بعض الاحكام والتعاليم الأهلية الى ما هو انسب باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر — وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) هو زيادة لا يوضح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للأشياء فهو يعلم المناسب والاصح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعدل مخبراً أحوال الرعية فلا يليق بعله ترك ما فيه زيادة الخير والأنسب باحوالهم لما هو أحط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره — فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو انسأها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً للالزام الشرط والجزاء — فاذا أبى الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه؟ وما معنى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما تنسخ من آية أو تنسأها » بفتح النون وهمزة بعد السين ومعناه حينئذ نوخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما تنسخ ما ترك وعليه يكون المعنى هكذا : ما تنسخ أي ما ترك من آية أي معجزة أو تنسأها أي نوخرها . وهو على ما فيه من الركاسة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها وحيث اني رأيته انما مال الى التأويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل فائدة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه .

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تأويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول (ص) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فعليك البيان بشرط عدم التأويل والخروج عن الظاهر لا نرى ان التأويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة ووافقنا وهو غاية ما تمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه للتوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا بنسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأجبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكى عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما يعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومردول وقال السيد صديق حسن خان ولعله تقلاع عن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قطعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يعتد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من بلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر أحداً حكى قول الأصمعي إلا وأصمى عليه باللوم - ونحن لا نرى في الطعن فائدة (١) لانا نعلم كثيراً انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ من قوله ويترك ومن تتبع الغلطات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من الاشياء وامر من الامور ولا يبقى بيده شيء من الحق وذلك هو الخسران المين

أنا علي بن الحسين

كتاب التربية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن التربية فلما كتب في ذلك الفيلسوف لبسنر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن عاصره ولمن يجيء بعده فهو الذي بنى قوانين التربية على أسس المنفعة وبين خطأ الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه التاريخ . وكتابه في التربية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

(١) المناج : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على طعنه هذا بأبي مسلم وابن هو من ابي مسلم بل اين منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟ انا نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه يبرز أبا مسلم بالجهل ومحمد من صديق حسن اهتداءه بكتب الشوكاني ومحاربه التقليد وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكننا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا هفوة من هفوات الغرور . نعم ان لا يمسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف أو ابدى علماً وفهما فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الائمة المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟ ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ماعدوه منسوخاً ؟ فكيف يعد أبو مسلم من أجهل الناس بالشرعية ان وجد لهذه البضع الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي ينفيه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعاً حسناً على ورق جيد
فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمنه عشرون قرشاً وهو يطلب من ادارة الجريدة

مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلتقى في نادي دار
العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حقي بك ناصف) بأمنيتهم فوافقت رغبته رغبتهم
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة
الاولى فأوعت ثمانى خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع
عبد العزيز (نمرة ٥)

بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ٢٨٠
اودعه ما رواه عن النساء من خطبهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات
الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام ففيه من الخطب خطب عائشة
ام المؤمنين في فضائل ايها ورثائه وخطبتها السياسية بالبصرة وخطبتها لما بلغها قتل
عثمان وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لما منعها أبو بكر ميراثها وغير ذلك
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسن كلام كثيرات
منهن مع معاوية في تخطيته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الأزواج
مدحاً وذماً ووصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر أغراضهن ثراً ونظماً ، ولته
خلا من اخبار مواجبهن ، واحاديث رفقهن ، اذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،
طبع الكتاب احمد افندي الانفي طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

ما رآه خفيا من مفرداته حتي بعض كلم الرث والمجون الذي كان اجدر بالخفاء منه بالظهور ، وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع النار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

مطالع البدور في محاسن ربات الخدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً ونثراً جمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو الخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لئلا كتنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وثمان عشرة قروش وثمان الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

تحفة المجالس وثره المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم وأخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصصين والنساء والعشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق العطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضماها الطيب بيورف بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالمرية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي ونقلها الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

(المراجع ١١م) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غورست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش
فبحث القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص
بالذكر اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها
في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حداثها قبلت
٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في (المرأة في
الإسلام والنصرانية) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على
كتاب لورد كرومر (مصر الحديثة) وثن النسخة منها ثلاثة قروش

تقرير السير ألدن غورست

كان الناس يتظرون هذا التقرير انتظار من يتوقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السير ألدن غورست
المستند الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن
من فروع التفسير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة
التقرير السنوي بالعربية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه
فلما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والعربية في وقت
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه اليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب
انكليزي ويحيى انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورمى عن قوسه
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسنه بقدر ما كان ذلك يخاشنه

وصرح بعض الاحزاب بان هذه المحاسنة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك
وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الايام ، لاسيما بعد زيارة الامير الملك الانكليز
في هذا العام ، وهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان
هذه التقارير توارخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نسيناه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض
ما يسنح له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعن له من الآراء والخواطر او يراه
من غريب المناظر . وقد ألقى الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعت وأطلقت
عليه هذا الاسم « كلمات لقاسم بك أمين » فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات
كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمه المنوية
واننا ننقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحتل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وتروج كل فكر
ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

رب كلمة تجرعها الحليم مخافة ما هو شر منها
اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك
ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم
وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الحال ولا في المستقبل مادام
موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فمما كثرت موارف
الانسان لاعتلا كل فكره — بعد كل اكتشاف بتحقيقه العلم يبحث عن اكتشاف
آخر وفي نهاية كل مسألة يجلبها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشغل
بمثل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول
الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار
له ولا حد لا في الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كانت الله غير موجود ما خسرت أكثر من غيري وان كان موجودا ربحت مع الراجحين لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يهتدي أحد حتى الآله من نصبه أتى البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليها لذتها وينغص عليها شهوتها
وستنشر بعض آرائه في أهل عصره

شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دumas الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية حنا افندي العنحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن الصبا نبوغاً قلما قاربه في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعد من آيات حياة العربية قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكرر فيها فرائد اللغة التي هجرها الكتاب لقلة اطلاعهم وتزين بالامثال والاقتباس والتضمين وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين ونقل فيها الاغلاط الشائعة الآن طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى الينا نسخة منها وعهد الينا ان لا نكتب عنها شيئاً الا بعد قراءتها فقلنا لا بد لهذا من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد الينا بذلك لعله بأننا نعرف قيمة هذه الترجمة اليلفة . وثمن الجزئين معاً عشرون قرشاً وهي تطلب من طابعها

(القطر المصري) مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر انشأها أحمد افندي حلمي اشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

الفصل الخامس (*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام، واني بليغ لا تأخذه الهية اذا دعى لتصور هذه المنزلة ؟
سيدة بطلمتها الفخامة والشرف يتجلىان ، والجمال والكمال يتألقان ،

ومزايا كالزهر نقعاً وطيباً وكزهر السبا بهاءاً ونورا

من شرف حسب ، الى كرم محدد ، الى سؤدد قبيل ، الى عز عشيرة ،
الى جمال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حجبى ، الى طهارة نفس ، ذلك
ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » ، وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في
المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء ، ولا نبأها بفريب من الانباء ،
بل هي معروفة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب
بغير الجول ، قد طويت اعلامهن ، ولم ينشر ذكرهن ، ولم يسم في
أقوامهن مقامهن ، فكيف تسمي اسم « خديجة » وعطت منزلتها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء
هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعاتهم . وليس
بكافي لتعالى امرىء ان يكون كاملاً بل يدمع ذلك من احاطة قومه
علماً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجاره

الكرامة عند من لا يعرف منزلتها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم
فالحق ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعادة
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعادة جدهم ،
فقد ربح قوم كان للافضل منزلة كرامة لديهم ، وخسر قوم لا يعلم بينهم
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواش من النقائص المتخلية
على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لو فرقة مزايها الشريفة فنحن
بقومها الذين شرفوا هذه المزايأ أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها
هي التي نالت مقاماً كريماً في قريش بل كثير من فضليات نسائهم نلن المقام
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي مدود وعقل مذكور ، وتقى مشابهة
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل و ابا
الفتوح و ابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه الا بمحاورة سيدة من اولئك
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
نحن نعلم ان أكثر الناس يمرون بالملزية يهدون أمثالها فلا يلتفتون اليها
ما لم تكن رائدة وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يهدونه ايضاً
ما يستحق الالتفات اليه ، ويغري بالارتفاع منه ان كان مفيداً ، والتغافل
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المجهود

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفتنا الألفة
عن إجلال شأنها هي في جلالة الشأن عند الإيمان فوق ما تصور. وفي
كثير مما لا تفكر فيه منها ما تخر الافكار صاغرة أمام زاهر فوائده
وباهر أسرارها. فلذلك أحيينا ان نمر بقارئنا سرّة في تفصيل جملة تلك
المزايا التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لا نربما
اختلج في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايا معبودة في كثيرين وقد
يكون قارئنا من حزب الا كثيرين الذين لا يبالون بالمعبودات ، ولا
يطربون بغير الثرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المعبود ، ولم نُهدر ما وراء المشهود ،
ولا عدنا بمبتدعات التصور ، ولا قدنا بثرائب الحوادث ، وشواذ المصادفة
وخوارق العادة ، ولم نمت الى افئدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومألوف
لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المعبودات
على ما قلنا . واذا تبنا اليها بنظر الإيمان غير وسنائة من بصيرتنا الفيناقيها
عند سأم النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور
وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكّرين هذه
الوحدة ابداً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم
يكن حسناً بنا ان ننسى أحاسن ما تله لنا هذه الامم من الصور التي لا تحصى
اننا بتذكّرنا من سادوا وشادوا ، وبتذكّرنا من صلحوا وأصلحوا ،

بندكرنا من أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ امنا الحياة وترتاح نفوسنا
باعتجلاء أحسن صورها ، وتوارد عليها اللذة باشتياقها الى نصيب من
ثروة تلك الام التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك
المظاهر ولا يسي تلك الصور ، ولم لا تنوق الى حديث ذلك التراث وهو
يملا كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنه جواهره مخبراً فهي لا تسجز
ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل يلوغ ما تميل اليه
النفوس منها

الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة ، فقد أبدع لنا في « خديجة » المثال الاسنى منها ،
وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى ، وبثور هذه الزواهر رأينا
مدارك قريش في الافق الأعلى ، وتربيتهم الادبية والعقلية في المنزلة العليا
نحن مشرقي الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثراً في
الحقيقة مغبون الحظ ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة
شريفة مسعدة لصاحبها وغيره وتلبي منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى
النافعة الآتية بالنبطة والجور ، ولدى التأمل نجد اعتماد فطرة الشخص
هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير
فاذا اجتمع في الشخص اعتماد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،
والكمال السمي

عرفنا حسن استعدادها لان التربية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر
النفس اذا كان غير صالح لقطبها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ما نشاء،
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر
جديراً بالتأني وقلماً رأينا من نوره او انفت اليه فلذلك عينا به نحن
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيم فان
التربية الشخصية مقتبسة في الغالب من التربية العمومية . والمجتمع غالباً
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولا ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشهر
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف ، والمردودات حتى يطلق عليها
اسم المنكر ، ويضطر الناس الى تقرير تربية عمومية هي ان لا يخالف المعروف
ولا يوافق المنكر ، ويبقى للناس سبج في المسكوت عنه من الاشياء حتى
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجبه على نفسه ، وذاك
يستبج شيئاً حتى يحرمه عليها . وأعقل الناس في هذه الاشياء المسكوت
هنها من جعل المعروف والمنكر معياراً لها فكل ما قرب من المعروف كان
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف ، وكل ما قرب
من المنكر كان مسترذلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .
والاصل في المنكر هو الاذى والمدوان وعليه قيس الاصل في المعروف
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فلى هذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعاليهما تشاد

الاعمال فيها

وأي باحث لا تأخذه هيبة اذا اطعم على ما كان يقوم بخديجة من التمتع في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل، أي والله ان هؤلاء القوم انما زلزلوا في ذلك البلد الصغير البعيد، واخوانهم الآخرين الضاربين في تلك النياقي، يدهش المنظام ما يراهم من الباع الطويل في فن التربية على مقتضى مجتمعهم ذاك. فترحم مثلاً لما كانت السجاعة ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جملوها في المنام الاول ولم يأتوا بطبعها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بنفوا بهم في الجود الكواكب وازنت اذرض بمنقوب همهم، واثيرا خيمهم الانسان على انفسهم، كما فعل كعب بن مامة الذي اثر رفيقه بانه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان وكل مكان تجدهم جملوها شعاراً محامداً وتاج المناقب وسيروا فيما ضربوه من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ماقى» وكانوا ينادون بالموت قتلاويتهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فخطب فقال «ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه. اننا لائموت حنفاولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خلفاً منه» ذلك لانهم كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويرون الحياة الرذيلة معرضة للعدم أكثر من الحياة الشريفة ولمثل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي

عدداً وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:
نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها

لا يستكرن أحد إذا قيل له ان الشجاعة هي السجية التي لا ترق
الأم إذا خلت منها كانت في العرب من الاخلاق الفاشية التي لا يعتدون
بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على قوسهم انطباع هذا الخلق فيها لأن
أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجعان واقدامهم في الشدائد
حتى فضلوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهناك من الشعر في
الشجاعة والشجعان ما يفعل في النفوس فعل الشعر فيستزلهما من الخوف
على الحياة والهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في
سبيله كقول عنزة وهو أحد مشهوري شجعانهم:

بكرت تخوفي الخوف كائن
أصبحت عن عرض الخوف بمحل
فأجبتا ان النية منهل
لا بد ان أسقى بسكاس المنهل
فاقني حياء لا ابالك واعلمي
أني امرؤ سأموت ان لم أقتل

وقد يظن ظاناً ان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا
الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا نزيد ان تأتي بآية على
شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بعد اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا
ان ندل القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذ أراد كسرى
أن يوقع سوءاً بيني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم
جيشاً كثيراً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجهزوا له واعانهم قبائل أخرى
فتوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم
العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار،

وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحمى النمار، واتقاء العار،
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر :

وجند كسرى غداة الخو صبحهم منا غطازيف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ملهمة شهباء يقدمها للموت لا عاجز منا ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة موفق حازم في أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم مثل الاسنة لا ميل ولا كُشف
لما رأونا كشفنا عن جاجنا ليعلموا انا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لوان كل ممدٍ كانت شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم ملنا بيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطمة صبرت حتى توت وكاد القوم ينتصنوا
بطارق وبني ملك مرازية من الاعاجم في آذانها الشنف
من كل مرجاة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل في حافات جمعهم والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الحدود صدود عن سيوفهم ولا عن الطعن في اللبآت منحرف

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرج المجلي :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة الا اصطلينا وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذى قار
جئنا بأسلابهم والخييل عابسة لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيه يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت ساقية يوماً ذوي كرم فاستقي الفوارس من ذهل بن شيابا

واسقي فوارس حاءوا عن ذمارهم وانلي مفارقهم مسكاوربحانا
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة المربية أكل مظهر وكان
النذر لهم بنية كسرى وعزمه لقيط الاياي اذ كتب الى بني شيان
ينجبرهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والتحميس واستشارة الزائهم
وفيه يقول:

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فرعا
وقلدوا أسركم لله درككو رحب الذراع بأمر الحرب مضطلما
لا مترقآن رخاء العيش سائده ولا اذا عض مكروه به خشما
ما زال يحلب هذا الدهر أثطره يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمر على شرد مويرته مستعكم الرأي لافعلاء لا ضرعا (*)
وليس بشغفه مال يشوره عنكم ولا ولد يبنى له الرفا

فملى مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من
الشجاعة التي لا قوام الا لهم بدونها وكانوا لا يمتدون بالجباز ولا يعدونه
شيئا ذنورا . ينالك بذلك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مغارا لنا وفينا زياد ابو صصمة
فسته رمط به خمة وخمة رمط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة» في فقه التنس والحكمة والمعارف
أقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها
من غير كتب وكانت لهم إمام قبل بل بحر كات الكواكب والأواء التي

(٥) الميزة طقة الحبل والحبل الشديد القتل . والشرد اقتل عن اليسار
والنن استعكم امره ونوبت شكنه . واتهم ارجل المرم والضرع الضعيف

تتبعها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة
بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب
يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها الباري في الممدين والنبات
والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكأوا
يمبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة
عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق
ان تسمى علماً وإنما كانت الناسون يعرفون اخبار اولئك الاشخاص
واخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان الاسباب في اشتراك هذه المعرفة
بمعلم الانساب أن تاريخ الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب
التي من أهم نوازلها معرفة تقرب القبائل وإلحاق القرويع بأصولها على
شدة البعد بين الأصول وتلك القرويع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون
بهذا العلم يلقون منه على من يتعلّقون حولهم . قال رؤبه بن العجاج
قال لي النسابة البكري « يارؤبة لملك من قوم ان سكت تنهم لم يسألوني
وان حدثهم لم يفهموني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تلقي هذا
العلم حق الرغبة قال رؤبة فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال
فما آفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،
ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من
الانصباب على حفظها ودراسة الحكم الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني
ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث مني من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستقصان

أو الاستهجان إلا ويجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا ينبئك ببعض ذلك شيء كالمأثور من كلهم الجوامع التي سارت مسير الأمثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الأقوال ، ولا نستطيع أن نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نبيد بالقارىء عن سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار غناية العرب بهذا كرم الحكم والآداب ، وصياغتها بأبداع البيان ، ومقدار ما وسعت منها تلك الأفكار. ذكروا أن عمرو بن الطرب المدوناني وحمزة بن رافع الدوسي اجتماعاً عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلنا حتى اسمع ما تقولان. فقال عمرو لحمزة أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال « عند ذي الرتبة المديم ، وعند ذي الخلة الكريم ، والمعسر المديم ، والمستضعف الحليم » قال : من أحق الناس بالحق ؟ قال « الفقير المحتال » والضعيف الصوّال ، والفني القوّال ، قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال « الحرص الكاند ، والمستמיד^(١) الحاسد ، والمخلف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنعة ؟ قال من إذا أعطي شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا مظل صبر ، وإذا قدم الهدى ذكر . قال من أكرم الناس عشرة ؟ قال « من إذا قرب منع ، وإذا ظلم صفع ، وإن ضويق سمح » قال من ألام الناس ؟ قال من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك كنع^(٢) ، ظاهره جشم ، وباطنه طبع^(٣) قال فمن أجل الناس ؟ قال « من عفا إذا قدر ، وأجل إذا اتصر ، ولم تظنه عزة الظفر » قال فمن أحزم الناس ؟ قال « من أخذ وقاب الأسود بيديه ، وجعل

(١) المستيد هو المستعطي (٢) معنى كنع هنا انكمش (٣) الطبع بفتحين

المواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيّب دبر أذنيه ، قال فمن أخرج الناس ؟ قال
 من ركب الخطار ، واعتسف المثار ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار^(١) ،
 قال من أجود الناس ؟ قال « من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود »
 قال فمن أبلغ الناس ؟ قال « من حلّى المنيّ المزير ، باللفظ الوجيز ، وطبق
 المفصل قبل التحزير » قال من أنعم الناس عيشاً ؟ قال « من تحلى بالمغاف ،
 ورضي بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف ، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى
 الناس ؟ قال « من حسد على النعم ، وسخط على القسم ، واستشعر الندم ،
 على ما أنعم » قال من أغنى الناس ؟ قال من استشعر اليأس ، وأظهر
 التجميل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم » قال فمن
 أحكم الناس ؟ قال من صمت فادّكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر » قال
 من أجهل الناس ؟ قال من رأى الخرق مغنياً ، والتجاوز مغرماً »

وما ذكرناه من جهة معارف النعم الذين نشأت منهم هذه السيدة
 كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من التربية تثقيف اشقيهم
 بما عندهم من المعارف على الطريقة التي اتقوها وتمدوها في التلّيم وهي
 الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتماريّف والتفاصيل
 التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني عليها الآخرون . وليس كل فرع أهله الذين
 بهم اعتماد لا لتقاطعه بسهولة ولا يكاف البليد في شيء ان يكبد في تفهمه
 مدرسته ، أو ينفذ في حفظه ذا كرتة ، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به المقالة من رهط خديجة التربية على العدل ولقد
 اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المبرصوم

٢٢٠ أصول الفضائل عند العرب أعدتهم للإسلام (المذارج ٤ م ١١)

وكذلك واهلوا بتداح الصفاء وتشريف الاعضاء والنفائض واجلال الطهارة واهلوا وكان من اكرم الناس واجلها لقب الطاهر والظاهرة وقد حذت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فاذا عرف المطالع الكريم ان هؤلاء النعم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي أصول الفضائل فهي السماحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني المنوح من يد القاطن المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدار وفي البلدان واحد بل يصل ذلك الفضل برسالة وباني من يده سبغته الى الثروات الصغيرة التي في الادمغة ويختص به سبغته أفراداً ممن عنوا بتوجيه الفتول والقلوب الى تصفية النفس وتزكيتها من النجاسات وتخليتها بالفضائل ممن لم يجهلوا ا كبر همهم تجويد المأكل والملابس والسكن والاراش . فاذا تشر من هؤلاء الافراد في امة ظهرت وان حل الخفاء بهم واستوفت وان بنحس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تلقوا اعدية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت اكثرهم خير مقدمة خير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من اكبر مميزات جماعته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او تلك الدين وافهم الوحي بنعتهم بنام اهلها قائل « كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ »

هو في الحقيقة من شعاع من شعاع الخلق قد انوار
فيها كبريا وما يدرك الا اولها الايباب

المعراج
١٣١٥

في جادى الثاني يستقر القول فينبغي ان
تكون الدين مداهم الله واولئك هم اول الانبياء

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و ه منارا ه كمنار الطريق ه

(مصر - الاثنين ٣٠ جادى الاولى ١٣٢٦ - ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨)

المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصرينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد المالي ارقى من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحدثهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون مثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويحمل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكذ هر شقيقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقنعهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المراكز منهم فواقفتهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنعهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قيل المحتالين بغير حق واغلظوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولا ثقيلا في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

واقترع عليهم فكان ذلك جل ما ينفون من حركتهم الجديدة (١) قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكاون كل يوم للشيخ عبد العزيز من الصبيان الكثيرة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون بتعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها واممها المسيحية قبل ان يبيدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاو يش الذي أهانوه أضعافاً هاتهم وان يرد عليه ويتبرأ منه كهراء المسلمين ، ويعقدون الاندية والسمار للبحث في هذه النازلة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا منذ سنين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(١) مما كتبوه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز التي جعلوها تكاثهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ٣٦٩٨ من جريدة مصر الصادر في ٩ يونيو الماضي وهذا نصه :

اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر تقابل ماجاء بصحيفة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغى الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل ينبذ نبذ النواة ويترك ينبج نبح الكلاب وليس من يسمع له قولاً » ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتلفرافات الكثيرة لما كتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق الذين خلق (أي اللواء) لها عدوا ليخزي هو واتباعه (أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء) اذا كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئين والسامعين، والأساتذة والمتعلمين، أن صار يفضل كثير منهم القبطي، على المسلم الشامي والحجازي . . . بل سمعت غير واحد من المعلمين والمتعلمين يقول لا فرق عندي بين أن يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وأن المسلمين جمعوا أحزابهم وأنديتهم شرعاً بينهم وبين القبط - وأن القبط يتعصب بعضهم لبعض في كل مصلحة وكل عمل حتى في القضاء - وأن المسلمين على شدتهم في انتقاد حكاهم قلما ينتقدون القبط فهم ينتقدون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله بحجة أنه لم يكن فيه مرغماً للانكليز ولا معانداً لهم أو أنه يجب عليه أن يعمل أكثر مما عمل ولا ينتقدون وزير الخارجية القبطي الذي هو الصق بالاحتايين وبالاتفاق معه ستلخ لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الإسلامية تعير وتسب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها بسوء - من علم هذا وأمثاله يتعجب أشد التعجب لهذه الثورة المعنوية التي أثارها القبط في الوقت الذي بالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الإخاء بينهم وبينهم . حتماً أن في الأمر مثاراً للعجب ، وقلنا رأينا من بحث في حقيقة السبب ، يقول بعض الناس تبعاً لبعض الجرائد أن قطبي الرحا لهذه الحركة اخنوخ افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية وجمع الإصلاح القبطي وصاحب جريدة مصر اللذان يسمى كل منهما الجعل ولده مديراً فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لحظ شخصي فكانت فتنة جنسية أو طائفية باتباع الجمهور لها . ومن رأيي أنها بريتان من هذه التهمة ولو كان ذلك هفوة لهما ، لما خفي على جمهور طائفتها الخازمة اليقظة ، بل يغلب على ظني أن هذه الطائفة تجل عن أن تتوصل إلى تقرير جمل المديرين منها بهذه الوسيلة لأن ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم ، ودعوتهم إلى مساواتهم وموالاتهم - هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن، بمتى ما عندهم من الجرأة والإقدام والراجح عندي أن القوم شعروا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبارهم بالنيل الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل أن نعلم به - وهو عزم الانكليز على السماح لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي - ومن البديهي أن جمهور القبط لا يرغبون في أن يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقال المختلون من سيطرتهم على البلاد . فلما علموا بذلك

وأما أنه لا سبيل إلى تحويل الإنكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امتهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا إن هؤلاء إذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الأكثرون حقوق الأقلين. وأنني لمعظم لقد رهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وإن ترجيح عندي أنهم ربما أخطأوا في اجتهدهم، وجاء الأمر على خلاف مرادهم، وحينئذ يكون شر هذه الحركة أكثر من خيرها، وإثمها أكبر من نفعها.

سمعا غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم المالية يعد من الأمور الطبيعية في الاجتماع فإن الفئة القليلة إذا لم تقصم بمررة التعصب فإنها تنوب وتقني في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لا بد منها.

ونقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر جموده فما بالك بادعاء ضده. ثم إنه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عابها القبط في هذه الأيام إلا إذا كان لها حدث جديد، أو أوتيت إلى ركن شديد، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد، لأنهم سلالة فرعون ذي الأوتاد، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل، وآتوي معتد، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون، وهم في الحقيقة رعايا ذميون، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان، وما هو الركن الشديد الذي يأوون إليه الآن،

لا يظهر لنا حدث غير ما يبناه من تغير السياسة الإنكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها. ولا نعرف لهم ركنًا فيما صمدوا إليه إلا رغبة السياسة الأوربية عامة والإنكليزية خاصة في نبز نهضة المسلمين بالنعصب الديني - فهذا ما رأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

مصر برهاناً على ان في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانها فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتعويل في رغائبهم عليه .

ولكن فاتهم على حذقهم أن السياسة (لا سيما الانكليزية منها) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصدها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التعصب الإسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنشرهم بأن السياسة الجديدة التي بينها المنار في الجزء الماضي واقعة ما لها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صار موكولاً الى ارادة أميرها باختيار المختارين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهم بمجد الاسلام الاول والشهادة بزواله كالتصير عنه « بالعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يعتذروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده ما يكتبون في الجرائد ، وبترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوروبية ، لإيهام أوروبا ان في البلاد تعصباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المفاضلة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربحاً للقبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبنون بها ان يتحدوا بالقبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفحتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجني ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبوتهم من أضعف جانب فيهم كنبزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطباتهم واحزابهم وعد القبطي أخاهم ، والمسلم غير المصري « دخيلاً » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أى غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائغة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من القاطع والتدابير بين العشاء والخطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تعصيف في مشاققة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم أو الى خير منه ان استطاعوا والمسامون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان يغفروا لهم، وينسوا ما كان منهم، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا اني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنتي أفضل أن يكون تنبيههم لذلك بغير هذا ، أحب ان يقتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووثام مع من يعيش معهم . وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط — ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا كان خيراً لهم . أحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلانا لموقفها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الواقع في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تمزج الرواية بشيء من التأييد والتجريح ، فضلا عن الهجر والتقييح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يتازون بحق رسمي على غيرهم من انصارى المتجنسين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود أيضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجهلون فيها المصريين عنصريين فقط ويعدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعدهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الأمم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي قانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

فانني اشهد للقبط بأنها أرقى طوائف الشرق الأدنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة الملية لا أقرن بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعذر في التشوف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحققة بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهاننا على علو هممها وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات ووافقها بعض آخر كما وافقتها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكتاتين من الفريقين المهجر والسباب ، والتنازع بالالقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يستدر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تتندر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد تعادلا في الاهانة فتساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معنا انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يغلب على الفريقين نزعة الرابطة الدينية (وان تنصل من ذلك كل منها) وأن هذه الحركة أضفت ماقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة الملية ، وابعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا برب رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الفيور عليهم ، المتفاني في ترقيةهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها اتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟ ؟

اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلوبهم في جانب الروس المشهورين بالتعصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الخط الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها اسلامية والبلاد عن كونها دار اسلام فمن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تخرج فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجعلنا القبط مديرين لأمور المسلمين ، والخال على مانع لم منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرتنا العدوان ، وأرثنا الأضغان ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يندك ولا يظهر ، وعقبة لا تزول ولا تقهجم ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذاً ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا ما رآه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخطئ فيه يادر الى الكتاب ، واستغفر ربه وخير راكماً وأتاب

فَتَاوَيْتُ الْمُبْتَائِينَ

فَعَمَّا هَذَا الْبَابُ لَا جَابَةَ أَسْئَلَةِ الْمُشْتَرِكِينَ خَاصَّةً ، أَذْ لَا يَسْمَعُ النَّاسُ مَآءَةً ، وَنَشْرَطُ عَلَى السَّائِلِ أَنْ يَبَيِّنَ
أَسْمَهُ وَلَقَبَهُ وَبَلَدَهُ وَعَمَلَهُ (وَفُلَيْتَهُ) وَلَهُ بِمَسَدِّ ذَلِكَ أَنْ يَرْمِزَ إِلَى أَسْمِهِ بِالْخُرُوفِ أَنْ شَاءَ ، وَأَقْنَانِدُ كَرِ الْأَسْئَلَةِ
بِالتَّدرِجِ ظَالِمًا وَرَعْمًا قَدْ مَنَّا خَرَا السَّبَبِ كَهَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَيَانِ مَوْضُوعِهِ وَرَعْمًا أَجْبَنًا قَبِيرَ مُشْتَرَكٍ لِكُلِّ هَذَا وَلَمِنْ
يَفْضِي عَلَى سِوَالِهِ شَهْرَانِ أَوْ ثَلَاثَةً أَنْ يَذْكُرَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَانْ لَمْ يَذْكُرْهُ كَانَ لِمَا نَذَرُ صَحِيحًا لَا فُقَالَهُ

بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حبيب افندي عامر وكيل تلغراف (بليس — شرقية)

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله
عز وجل — لا اعبد ما تعبدون ولا اتم عابدون ما اعبد — فإني إن أعطيتها حكم غير
العاقل كفاعدتها النحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وإن اعطيتها حكم
العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذئ عقل أفيدوني مأجورين والسلام
(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة أي « المعبود » وإذا أريد بها
الصفة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل
بعد اطلاقها على الأصنام من قبيل المشاكلة لأجل التماسق في التعبير . ولعل السائل
يعلم انه قل عن سيويه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أغلي لا مطرد والشواهد
عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشاف : « وما » عام
في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل » اه أي فاطلقوا
« ما » على العاقل في نفس القاعدة التي ذكرها فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي
حاشية الأمير على المفتي بعد ذكر عبارة الكشاف : قال التتازاني أي يصح إطلاق ما
على ذي العقل وغيره عند الإبهام لاستفهام أو غيره فإذا علم ان الشيء من ذوي العلم
والعقل فرق بمن وما فتختص « من » بالعاقل و « ما » بغيره . وبهذا الاعتبار
يقال ان ما لغبر العقلاء . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطابق

أهل العربية على قولهم « من لما يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كانت لغوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر معها مراداً به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه بـ « يعقل » مفيداً غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لاحظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما لانسان ؟ اه وانت تعلم ان (ما) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة هذا . اتيت رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأجبت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

« الكافر هو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغض عينيه ، وإذا سمع احرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يدعن حاجة إذا اخترقت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حجاباً فيما وجد نفسه فيه مع الكثير ممن حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٢٢ : ٨) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه : الام يدعونا ؟ إلى الله فنحن نعقده ؟ إلى توحيدنا فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر تتخذ شفعاء اليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكاتبهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده وتوسل اليهم ليتوسلوا اليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيتهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به في قوله (١) قل يا أيها الكافرون ٢ لا أعبد ما تعبدون) أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما تزعمون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣ ولا أتم عابدون ما أعبد) أي أنكم اسم عابدين إلهي الذي أدعوا إليه كما تزعمون فإنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه ، بتعظيم الوسائط لديه ، فتوسلتم بها إليه ، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده ، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلماذا لا تعبدون ما أعبد بل تعصونه وتخالفون أمره . ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعاتهم ، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسمائهم ، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به أو في خلواتهم ، وهم على اعتقادهم بالشفاء — عبادة لله خالصة وأنت النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء ، نهى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال (٤ ولا أنا عابد ما عبدتم) فما هذه مصدرية وليست بالموصولة مثل التي تقدمت أي ولا أنا عابد عبادتكم (٥ ولا أتم عابدون ما أعبد) أي ولا أتم عابدون عبادتي . ففاد الجملتين الأولين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المنزه عن الند والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين ، أو المحابة لشعب أو واحد بعينه ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، لا أخذ قهره بناصية كل من نابذ المبلغين الصادقين عنه ، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فأين هي من عبادتي (٦ لكم دينكم) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إلي فلا تظنوا أنني عليه أو على شيء منه (ولي دين « ه ») أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه ، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي يناه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة « لكم دينكم ولي دين » فإنها صريحة في أن المراد فهي الخلط المزعوم ، وما دلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية (٦ : ١٥٩) أن الذين فرقوا

(٥) لفظ « دين » مضاف إلى ما المتكلم المحذوفة لأجل الوقف

دينهم وكانوا شعباً لست منهم في شيء) أي لا علاقة بينك وبينهم لا في المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فإن صح شيء مما ورد فيه فأحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اهـ

حجرات النقوط

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله : « هل ما يسمى (النقوط) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالنقدية أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يذلل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على إزاله ولا على المبدول له إلا أن يقصد به الإغاة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والنقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبل الهدية والأصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بهذا لا يحتاج إلى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الأصل

حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة

(س ٧) من الشيخ أحمد شرف الدين بالأزهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله. أما بعد فقد جمعتي وجماعة من اكابر علماء الأزهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامع سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدهتموه ونشرتكم ذلك بمناركم المضيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو (قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار أحدهما فقد أتى بمسرة) وإذا صبح هذا فلا لوم إذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لأن كلا يريد أن يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرجه بهذا اللفظ وقد علمت أن من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على الصل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة غفر له » في إسناده وضاع وله شاهد في إسناده ضعف . وروي « من زار قبر أبيه أو أمه أو عمته أو خاله أو أحد أقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اهـ

ولعله يعني بحديث الشاهد من زار قبر والديه أو أحدهما في كل يوم جمعة غفر له وكسب براء لما فيه من الزيارة عزاء في الجامع الصغير إلى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي إسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الإمام أحمد أنه كان يضع الحديث فهو موضوع لا ضعيف ولا شك عندي في أن كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المختلقون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الأقربين في أيام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا أصحابه في شيء

زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد أفندي حلي الكاتب الأول لمركز المسلية (السودان)

حضرة سيدي الحبيب النسيب الفاضل الأفخم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والأكرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم أخلاقكم المشهورة الإجابة على السؤالين الآتين وأرجو أن كان سبق لسيادتكم التكلّم عنهما في مجلدات غابرة أن تجميعوني عليهما وأكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتهم بدرجة في أول عدد لأهمية لزومهما عند الجمهور خصوصاً في هذه الأصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحت مشهورة بين العالم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من أركان الإسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

(المنارج ٥ م ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت بوفاة النبي ٣٥٣

س ١ « هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل أحد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س ٢ « هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون أو يذيعون ؟ هذه هي استئني ياسيدي وقد اقنعت المجادلين لي في السؤال الاول قولا عن اغاثة اللهفان للامام الحجة ابن القيم فلم يقنعوا واما السؤال الثاني فلم أتكلم عنه بشيء لعدم معرفتي حقيقة ولم اعثر في الكتاب المذكور على شيء بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتنعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لا اعتقادهم فيه وهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في محبتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكذب انا وعلى اي حال فاتنا ممنونين وتجدنا متظرين بفارغ الصبر افندم

زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالخج كما يتوهم العوام . وحسبك في الترخيب فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » ر اما احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرها

استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تخرى أصحابها الصحاح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهايات والموضوعات

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم وتخييره بقبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس البجلي القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبو إدريس متروك أيضاً قاله الدارقطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يسكت عنه وان طال عليه الامل وانا سننشر في المنار بعض ما نكتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع ما نكتبه في مصنف خاص . ونعتمد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تنقيح ما في العبارة) فبدأ بعبارة ثم قسم القول وزد على كل قسم منه بالتفصيل

﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته : « قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جهة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الاوربية من جهة التمدن العمومي يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسنى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح (في المعاملة) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القدسية التي جاءت من أسلافه والدم اليوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه . ومن الجهة الاخرى نرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينوب فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

« فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟ انها مبينة في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبينها بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قريش إذ قالوا « أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث وإداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام - وخصوصاً الفقراء بينهم - عزاء روحياً فضلاً عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيراً من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السيرجون سبلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوماً ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية ونالت بعض التقدم تجد أنها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اهـ

« وليسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستانلي لاين بول - وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة ما في الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة (أولها) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منوط جداً . (ثانياً) ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التفسير فتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي ما فيه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي ثبت ارتكابها لجريمة الاعتداء بالسلاح لئلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فإما ان تقطع يده ليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعد ذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه أولاً ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوخز بحربة في الجانب الايسر وتبقى الحربة وهي مخز في محل الجرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ افلقوا خواطرهم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجربات القرن العشرين المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمغالاة في اكرام الشارع الاصل قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بقيد من حديد لا سبيل الى النجاة منه . ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » فالمسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملفوف بالشرع اكثر من التفاف الناس باقلنسوة في القرون الوسطى »

(ثالثها) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق . فقد قال السيد (امير علي) « ان محمداً وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فحفض من هذا الشر » ولكنه عجز من الفائه تماماً أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنواناً لسلوكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعبد العبيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطفهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقاً على الرق . وقد اشتهر أخيراً ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه الهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهبوا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيراً في الحرب وزد على ذلك أن الخصام الطائفي كان كثيراً فقام السنون في وجه الشيعيين واضطهد السنون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلاً منذ سنوات غير كثيرة . ونرى من الجهة الأخرى أن توريج الاسلام لم يشوهد شيئاً من مثل تاريخ ديوان القتبش وزد على ذلك ايضاً أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لعواطفه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشوبه شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد لبث المهلال والصليب والجامع والكنيسة جنباً إلى جنب سنوات كثيرة

ومع ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والافتقار للمشركين فقط بل يشرئبهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله (ثم أخذ يصف الاسلام فقال) : « ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضربه عينا بعين وسنابن وعليه بحمدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكراهية يجب أن يكونا أساساً للعلاقات بين الرجل والآخر بدلاً من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بعضاً خاصاً للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن (٤٧ : ٤) فاذا قُتِلَ من الذين كفروا فاضرب الرقاب حتي إذا أنثتموهم فشدوا الوثاق ٧٠٠ يا أيها الذين

آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)
وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله — « ومن الجهة الأخرى نجد في سورة البقرة قوله (٢ : ٢٥٦) لا إكراه في الدين) فالأقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الاكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته » نعم ان محمدا انما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسرروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أليست كلمة الغازي وهي اسمى لقب يطمع باحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يجارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرع شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن نعتبر كل بلاد غير اسلامية « دار حرب » ، فتى علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعاً على الدهشة من نمو روح عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طيانتهم وترقيته لعتولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري — مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد انه يدرك الفوائد التي أجزلها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفاءته — فهو على كل ذلك لا يقد أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكر دائماً ان اليد التي منحتها ليست يده مسلم وهذا الامر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

أجنبياً عنه . مها بذل الانكليزي من وسائل التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - (وهنا نقل اللورد قول المستر باري) « الاسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان مبزة الاسلام الا حقيقة مكسرة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن »

« وليس هذا وحده الخائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . والبحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الايض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والأذواق نجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخاطفين . حتى انك لتجد في أقل الامور شأننا في اعمال الحياة باعنا غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلتقي في السماء أولئك الذين رافقهم في الارض وهذا الأمل من جمل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لأن الخوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالباً الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة وأما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طلباً معيناً

« المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فانه يصلي جهاراً بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهاراً انه معتمد على الله في جميع أعماله وأمره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الأديان الشرقية « ان الله موجود عند المسلمين وجوداً يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك »

« ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارة وينام ليلاً وأما المسلم فهو في صيامه ينقطع عن الأكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فاتها تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً وأما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع

« قد يكون المسيحي نظيفاً بعض الأحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة نبل التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الأمرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

« ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجمد الفرق بينهما ظاهراً » ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

« وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعج السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على ما يروونه في جنوبي أوربا ونظراً كما قال « لاين » في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً منتظماً النمو ولكنها ناشئة عن معاشره الطبقات السافلة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسورت سميت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن (٣٨:٦) وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

وكما انصف في هذه جار وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الاوربي على التنظيم وانخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال : « فقابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « مفتحجي » سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضا انه سأل شيخ الازهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد « وقد منه أدبه الطيبي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كير وكوبرنكوس وتعاليمها » الخ

(الكلام بقية)

القرآن والعلم

٣

تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

المسألة الثامنة

(موت سليمان)

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ » فلما قضينا عليه الموت (أي على سليمان) مآد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » أعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل الموت ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يبدأ التعفن في الجثة فتزول يوستها وتسقط فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه (منسأته) فجاءه الموت فحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يمت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

(المجلد الحادي عشر)

(٤٦)

(المنار ج ٥)

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره
فدخلهم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم
ثم دخلت فأرة (وهي من دواب الأرض) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت
تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم
المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع
ساعات او يوما او يومين

فلما حرك الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن
فسقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو
كانوا يعلمون الغيب مالبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين
حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى
(٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ
سليمان ما ينافيه

﴿ المسألة التاسعة ﴾

(الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان)

قال الله تعالى (٣٨ : ٣٤) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم
اناب ٣٥ قال رب اغفر لي ونهبي لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت
الوهاب ٣٦ معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان
يرزقه ولدا يرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاخبره الله تعالى ولم يجب دعاءه
في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الحلقة (كأن يكون لارأس له ولا مخ أو نحو
وذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت
منه الى الحي المدرك سماه الله جسدا كأنه لا روح له فلما وجد سليمان أن من رزقه
الله ليخلفه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على كل حال

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجع الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن
عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي » اي حيث إنك لم ترزقي بمن يرثني في هذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا
ومتعني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتي تعرضني بذلك لما حرمني من
النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطيور
وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه (وهو ابنه رجهم) ولكنه كان ضعيف
العقل سيئ التدبير ردي السياسة حتي خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل
ووقع الانقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلم أن قوله تعالى « وألقينا على كرسيه جسدا » معناه ذاك المولود
الناقص وهو أول من رزقه وقال ألقيناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون
الآن وتقول العرب « ألقى الليلة على كرسي الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى
بالواد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في
بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو
مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافة فاحذر مما
قالوه ولا تبعأ به فانه مثار لشبهات كثيرة

﴿ المسألة المباشرة ﴾

(اللؤلؤ والمرجان)

قال الله تعالى (٥٥ : ١٩ مرج البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١
فبأي آلاء وبكها تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فقال كثير من الناس
إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الطاهر
واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الانهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار
مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماؤها بعضها :

نهر هنتر Hunter و كلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales
من أستراليا

﴿ المسألة الحادية عشرة ﴾

(السماء في القرآن)

السماء من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب
سما والكوكب سماوات والفراغ الانهائي الذي فوق رؤسنا هو سما أيضاً وقد وردت
هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام
بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية
ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل
في الكوكب وفي النبات فمثال الأول (١ : ٥٣ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٦ : ٥٥ والنجم
والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلام من المعنيين ويسمى هذا النوع من
الالفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه
من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى
(١٠ : ١٦ أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٢٤ : ٣٣ ألم تر أن
الله يرزقي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله)
الآية وفي قوله (١٥ : ٢٢ فليمدد بسبب إلى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٧ : ٥٥ والسماء
رفعها ووضع الميزان) معناه الكواكب والألف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى
(٦ : ٥٠ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماصة ثم هي
في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضاً (وزيناها) بأن جعلنا
أشكالها جميلة مستديرة وإن بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالأنوار
الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (وما لها من فروج) أي شقوق فلا ترى كوكباً
منها به كسور أو منشقة أجزاءه أو متفرقة فهو ككتأ كيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى
(٥ : ١٧ وقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ
اللانهائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين باقتضاض الشهب منها
لا هلاكهم كما في قوله (٣٧: ١٠) إلا من خطيئة الخطيئة فأتبعه شهاب ثاقب وهذه المسألة لا
يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة
له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبتت نبوته عندنا بالإبراهيم القاطمة
كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧: ٢) خلق سبع سموات طباقاً المراد به الأجرام السبعة السماوية
المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس
والمرج والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه
العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا
إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين
والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥: ٤٤) لها سبعة
أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد
الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى المقام عدم ذكر
العدد هنا بالمرّة لقلته فلو لم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما
ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له
ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من
بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالذكّر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع
أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا
هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية
وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي
عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقة لها بتفسير الآية كما لا ينبغي على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الأفرنجية أيضاً في عدة معاني مختلفة فهي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يبين هذه المعاني المختلفة كما هو المهود في اللغة العربية

(المسألة الثانية عشرة)

(الأرض والجبال)

قال الله تعالى (١٢: ٦٥) الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمـرُ ينهن) وقال (١٥: ١٦) وألقى في الأرض رواسي أن تُمـدبكم) وقال (٧: ٧٨ والجبال أوتادا)

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع إلا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فإنها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الأرض (بالأفراد) مثلهن » أي في العدد وهي كونها سبعة وفي كونها طباقاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الأصلية أو الأساسية فإن الآية لا تدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الأصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما يناء سابقا في مسألة السموات

وقوله « وألقى في الأرض رواسي أن تُمـدبكم » تُمـد من مادت السفينة أي

(١) حاشية - من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالمهر بالنسبة للأرض وهذه التوابع أو الاقار نصيبها فيهم معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فإن الألف واللام هنا تصح أن تكون للجنس لا للمعد والمعنى أن الله جعل الاقار أنوارا نصيبها السموات

مالت واضطربت ففني الآيات أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنحها من الميدان والزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساوياً بالنسبة إلى المركز فإذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوماً من حركة الأرض حول محورها . وأيضاً فإن الجبال بثقلها العظيم على الأرض ربما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كوني طبقة حجرية عظيمة بقي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض الملتهب ونسف قشرتها أو زلازلها الدائم ولا يخفى أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هدأ للبشر جميعاً بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادراً كما هو الآن وحاصلاً لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباساً » أي كاللباس في السر . فالله أن الجبال كالأوتاد المغروسة في الأرض وإذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع نقاطها إلى مركزها كما تشد الأوتاد بالجبال المربوطة بها أدركنا ما ينهما من الشبه العظيم فهنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ٨٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

المسألة الثالثة عشرة

(تفسير آيات عدم صلب المسيح)

قال الله تعالى (٤ : ١٥٧) وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح (قالوا ذلك نهكاً والمسيح معناه عندهم الملك لأنهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسعي عيسى مسيحاً لأنه كملك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والأوهام والمقائد السيئة ورقى نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالملاك المظالم الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافذين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون أن المسيح سيأتي ويرد

لهم ماقدومه من المجد والسلطان (عيسى) تعريب لفظ يشوع ومعناه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسمي به كثيرون قبل المسيح بينهم مكيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير خلاصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب (بن مريم) وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي اشتبه عليهم الامر فأخذوا واحدا يشبه ظاهرين أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاما بحيث يخدع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرأ تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتهون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و«فرير» مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا المعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم اربعة من منهم بأنه هو هو وقال خمسة انه غيره والباقيون ترددوا جدا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطا بأقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالا كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم من شابههم من الكسور او العجرج او آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جد الأطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلف طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإيناه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

(وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى (٥٥: ٣) إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا) وكقوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة (١١٧: ٥) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى (٢٥٣: ٢) ورفع بعضهم درجات) وقال (١٧٦: ٧) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض) فعني الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بمجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى (١٦٩: ٣) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله (٥٤: ٥٤) إن المتقين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكل هذه العبارات « كمنه الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصاً يشبهه فأغثروا به فأخذوه وقتلوه وصلبوه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيدته فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذاً وبطلاً وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب وذهب بعض الأنبياء إلى بعض الجبال ووفاتهم بها امرهم عبود كما وقع لموسى عليه السلام (راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦)

ثم قال الله تعالى (٤ : ١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي أن كل شخص من أهل الكتاب لابد عند

وفاته ان تتضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه أنهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به إلا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بأنه سيحيى يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد إلا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

وأما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإِنَّهٗ لَعَمِلُ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) فمعناه إنه دليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله (٢١ : ٩١) وجعلناها وابنها آية للعالمين

وقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من جوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى (٦١ : ٩٤) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) . وقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلب الله الرومانيين على اليهود فشتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يعصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت ديانتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى (٣ : ٥٥) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وانما عبر تعالى بالقاء في قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنينا هنا هي عند الله كالحظات (وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون) (انهم يرونه بعيداً ونراه

قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليههم لأنبيهم لا ينافي أنهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالآيمان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٢٨) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته (الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الايمان ، (للمسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٤

﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أنكر ما الأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف - الدين الذي يكفر منكره شيثان القرآن وما تواتر عن النبي (ص)
وتقول ان الله جل شأنه ارسل رسالا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه - بل عرفوا الرسول بأنه بشر أو حي اليه بشرع وأمر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ام بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول أكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخصص طريقا ولا طرقا معينة لحملة الشرائع في تبليغها الى من نأى وبعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل ذلك احد من رساله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فحين تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

٣٧٢ التواتر ليس شرطاً لقبول الخبر في الدين ولا غيره (المنارج ٥ م ١١)

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق أهل الملل قاطبة وهذا مما يحمل حضرة الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسوله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر بالبحال ولا يكلف نفساً إلا وسعها فلو أوجب على الأمم تبليغ كل مسألة من شرعه بالتواتر وعلى المبليغيين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً للاشاة الأديان، ومعطلاً لسائر المواصفات ومعاملات بني الإنسان، والله منزّه عن إرادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لقول مسائل الدين

دل القرآن على أن من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسوله وردها جحداً أو مكابرة أو بما شا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسوله واستحق العقاب وشديد العذاب ومن بلغته الحجة عن رسول من رسوله حين وجوب طاعته في خصوص تلك المسئلة من طريق لا يردها في جميع شؤونه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتقيب ثم رد ما جاء عن الرسول بتلك الطريق تشبهاً فلا شك أنه معاند ومكابر ومنا بد لطاعة ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة أو آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين يعني الأحاديث الصحاح والآحادي ولو كانت مشهورة ومستفيضة ثم قوله « الدين الذي يكفر منكروه شيطان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في أن من أنكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في أنه لا يكون الشيء واجباً إلا إذا نقل بالتواتر. والحق أن التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما أن من أنكر ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من أنكر بعض الواجبات عند غيره كما قد عرفت أن الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرائطه عند أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض صورته وعلى قول الجمهور يمكن أن يوجد تواتر في أمر ما ويعسر على بعض الناس معرفته وتحقق وقوعه في ذلك الأمر بل يمكن أن يوافيه حمامة قبل أن يبلغ من ذلك مرامه، والحق أن من أنكر ما عرف وجوبه من دين الإسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بنحو

الآحاد كفر وكذلك من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد
الاسلام أو نشأ بعيداً عن العلماء كافر وإن لم يكن منقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية
فحين لا تنكر أن بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن تنكر انحصار العلم الخبري
فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما أنا لا نسلم أن ما هو متواتر عند أناس يلزم أن
يسلم تواتره الآخرون .

ب من رمى التقليد جانباً وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه
والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظراً الناقد البصير
علم علماً لا يعتريه شك أن كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما
جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام ، عن الخلاق فاطر الأنام ، وحيث كان غرضنا
في هذا المقام تحقيق الخبر المسند إلى رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب تقوله

العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية إليه فمنهم من شدد وضيق فلم
يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه إهمالاً لأفضل ما امتاز
به الإنسان في اعلام مدارج إنسانيته هو تعطيل لجميع الارتفاقات والتعاون على تحصيل
أنواع العلوم المختلفة المواضيع إذ من المحال أن يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي
قد حققها وعرفها جميع البشر — هؤلاء المضيقون غاية معتقدتهم تعرية الإنسان عن
أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما
عرف من أن إحساس بعضها أقوى من إحساس الإنسان . ومن نتائج مذهبهم
المشوم ضياع وانحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين أفراد
الناس في أشد ضروراتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيقين من أكثر الناس
تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد
ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجددهم على جانب بعيد وفي
غاية المناقضة لما أصلوه مما ذكرناه عنهم

ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

٣٧٤ الخبر - وجوب قبوله وجوبه على من صح عنه (المنازع ٥ م ١١)

وهؤلاء هم الزنادقة المنكرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوت وهؤلاء يؤول انكارهم الى تنقيصه تعالى شأنه المؤدي الى نفيه المؤدي الى الحال في الضروريات والقدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلاً لنفسه أو مفعولاً لغيره فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فلم يأكل الطرق المؤدية الى العلم لكنه أهل ببعضها لاشتراطه لها شروطاً يصبر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدتين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسماع أو بلوغه بالاجماع عملاً أو التواتر فقد نصب في طريقه العقبات ، واقام دونه سد المحالات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ انا لا أظن انه يلزم ذلك في الأول ولئن ائزمه فالواقع والمشاهدة تردده وهي أعجل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم إذا بطل في الأول اشتراط ذلك ففي الأديان كذلك ! اقدمنا من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه قالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية - وهو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد . الخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروى حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والامر ما ذكرناه وجب عليه التنقيب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ما قررناه في الرد على الدكتور صدقي (ص ٩٢٦ م ٩) وقد ذكرناه منذ ايام في ذلك فرائنا مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الآحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

يقبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيح بلا مرجع
لم يوجب الله علينا مشر المسلمين التقليد بما أسس بعض الناس بل نهانا عن
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل
مخالفته للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان نترك ما لدينا من الحق ونقتصر على
مادى المخالفين وان دل عليه ديننا اماما خالف ديننا فلا شك انه مخالف للعدل والعقل
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل
الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فعليه البيان نعم في الدين اشياء لم تستعد بعض
العقول لا إدراكها وسببه ما قدمناه من تضيق بعض الناس وسد أكثر ابواب
الطرق المؤدية الى العلم فاذا كمل لبعض الناس استعداد العقل وصار انسانا بالمعنى
الذي خلق لاجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكمل العقل الا بإدراكها فعلى من
لم يأت هذه البيوت من أبوابها ان يسأل اهل العلم (الكلام بقية)

شكر المنار على تأين ذكاء الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله البيهقي مدرس
العلوم الادبية في مدرسة طهران السياسية ورغب اليها ميرزا محمد علي خان نجل صديقنا
(رحمه الله) ذكاء الملك ان تنشرها في المنار فنشرناها شاكرين للاديين فضلها وهي

هو

جدير ان يؤذن في المنار معارف عنونت في المنار (٢)
وكناف في محاق الجهل دهرا بفرته سألينا من سرار
سأجل شكر منشئها دثاري واجمل مدحه ابداء شعاري

(١) المنار: صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصدى لبيان
بما كتبه الثاني في اعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الاصل « معارف
عنونت باسم المنار » او « عنونت في ذ المنار » فسقط لفظ « ذا » سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصب وجوه
أملني لشمول عواطفه رجاءاً ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف
اللطائف ، الأكطالب الإيناس قبل الألباس ، والمناج بلا اسباب وامراس ،
ولكني اجل سيدي من ان يحتاج العبد الى تقربه بالوسائل ، ويمت اليه بذرائع
القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهارا ، بدعونا الى نار قراه ليلا ونهارا ، فلا ألام
على ذلك الاقدام ان ليت دعوته ، وصليت قبلته ، وأتيت ناره ، ويمت داره ،
قيل بمبج مأواه ونائله في الشرق يسأل عن نيله سبلا
على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من
مولاي نعمه التي أحيت القلوب ، وامانت العيوب ، وحسن منا الاخلاق ، وعلق
علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،
ولو سكتوا اثنت عليه الحقائق .

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنارج في مدرسة السياسة من طهران ،
بعد ما وقفت على فائمة المجلة في خراسان ،
تنورتها من أرض طوس واهلها ينرب أدنى دارها نظر علي
وقفت على تأين الفقيد الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من
الأسف . ماجري الى التلف

فقدنا ذكاء الملك لأبل سماء وما حال ملك زال عنه ذكاؤه
فقدناه لو ان يفتدي لفديته ولكن قضاء الله حتم مضاه
مضى رحمه الله وأصحي على قلوبنا سهام الهموم ، وأحصى على اكبادنا مكاي
الهموم ، فلولاً خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمراه اليانعان ، وثمراه الطالعان ،
لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكنا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه
وفي الحي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن
فما انا مع عقدة لساني ، وعجمة يائي ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وتقصان
بضاعتي ، وكلاثة يراعتي ، أشكر من مولاي أدام الله بقاءه ، تأينه على فقيدنا ذكاء
الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

ويقيم على تثقيف الأود من المعجم والعرب ، وأن يجعل كتابي هذا عنده مقبولاً ،
لامردود علي مبدولاً ، وأنهى الى تلك الحضرة العالية من أدينا ذكاء الملك بن
الذكاء ، أزكى وأوفى الثناء ، اختتم كتابي معذراً بذلك الخطاب
لا تنكرن وان اهديت نحوك من علومك الفرو وأدائك التقا
فبسم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا
العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعو بيدائع نكار
لسدة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

البرهان الصريح ، في بشارت النبي والمسيح

(عليهما السلام)

بسمه تعالى سنشر كتاباً فيه بشارت النبي والمسيح عليهما السلام منها لاني عليه
السلام وأمه من نبوة اشيا ص ٤٠ عدد ٣ وص ٤ عدد ٢ و ٢٥ وص ٤٢ عدد ١٦ و نبوة
دانيال ص ٣ و ٧ و ٩ الوارد فيها ختام انبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك
الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهاء المدة سنة ٦٣٢ وهي سنة الهجرة والأذن بالفتح
والجهاد . وتبين فيه صحة الترجمة في مواضع منها في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦
عدد ١٣ « انساناً وحشياً » قال العالم الامرائيلي الترجمة انسان بري (يسكن البرية) يده في
الكل ويد الكل فيه ولفظه العبراني يري آدام أي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا
محمد عليه السلام لانه من اسماعيل . وفي مزمو ر ٨٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته
أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب
للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجعله أمة لانه نسلك والاصل العبراني
ان نسلك هو ولفظه « كي زرعخاهو » اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام « وخلق
الرب له من غير اب » من نبوة ارميا ص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حديثاً في الارض
انني تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأيد نبوة ارميا هذه في القرآن
الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعيا ص ٤٩ المختصة بالمسيح يحكي بالوحي
ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عدد ٥ قال الرب جابلي من

(المجلد الحادي عشر)

(٤٨)

(المارج ٥)

البطل عبداً له لا وجامع يعقوب فيضم اليه اسرائيل ومن ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤١ اما انا فقلت عبثاً ولحيته الثاني عدد ٦ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجملك نوراً لأم تكون خلاصى الى أقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ١٣-١٤ وفي عدد ٦ « واجملك » قالوا بطلها فقد جعلتك . وما ذكر في اعمال الرسل ص ١٣ عدد ٢٧ خلاف الاصل العبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخا ص ٥ عدد ٣ و٤ تؤيد ان له عجبتين كنبوة اشيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشيا ص ١١ التي هي لحيته الثاني لان فيها يرفع راية الامم ويجمع بني اسرائيل من اربعة اطراف الارض وهذا معنى ما ورد في نبوة اشيا ص ٤٩ عدد ٦ تكون خلاصى الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشيا أيضاً المتمة لص ١١ وهذا في آخر الايام كما في نبوة هوشع ص ٣ عدد ٥ ونبوة اشيا ص ٤٩ تؤيد مجيء المسيح بحبيته الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يحبه منهم كما في عدد ٢ « في كنيسته اخفاني » وعدد ٨ « وحفظتك » وقد قلت اليهود من ارض فلسطين سنة ١٣٢ ثم لما دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشيا ص ٥٣ عدد ٨ « انه ضرب من أجل ذنب شعبي » والاصل « ضربة لهم » ولفظ لهم بالعبراني « لاموا » لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالابل وحضروا منها والتي ارمياين كثيراً منه في صرائيه وفي عدد ١٠ « فسر » والاصل فاراد وفي عدد ١٠ أيضاً « ان جعل نفسه ذبيحة اثم يري نسله » ولم يكن في الاصل العبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يري نسله وفي مزمور ٢٢ عدد ٦ : « تقبوا يدي » والاصل « كاسيدي » مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل العبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى ص ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ ونبين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة ونذكر نبذة في فضائل الاسلام ونطلب منه تعالى العون في البدء والختام

(تنبية) في نبوة اشيا ص ٤١ عدد ٢٥ « أنهضته من الشمال » وقبل وضع الحركة كانت التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها « أنهضته من مخبأه » وهو الفاء وعلى وضع الحركة قام نبينا « ع م » من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قبادر كيانى وفي ص ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قبادر وفي عدد ١٣ « خروج الرب كرجل محروب » اشارة للجهاد وقبادر ابن اسحاق كما في التكوين ص ٢٥ عدد ١٣ « ياخذت هارون » ورفاههم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح

وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عدد ٢٤ سبي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣
 تمت في يهوذا المكاني واخيه يوناثان
 وموجود بلد اسمها سامره «شمر ون بالبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما
 في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ وفي آثار توتنيس الثالث وجود يهود فلسطين قبل دخول
 بني اسرائيل
 احمد ترحمان

باب الحجة والادلة

نادي دار العلوم

لا يجمل أحد من المتعلمين في مصر، ان أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة
 العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع
 للبلاد، واقدر على القيام بأعباء التعليم والارشاد،
 فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما أفادوا - ثم فتحوا باب
 البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن
 المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا
 وأنشأوا المصارف (البنوك) المالية - وان الدين اذا كان بمنعهم من كل ما يعرف
 عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر
 خطب غير واحد من أعضاء النادي ومن غيرهم في الربا فكانت خطبهم ينابيع
 للفوائد النقية والاجتماعية والاقتصادية - وقد سلك كل واحد منهم مسلكا أنار فيه
 المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد
 للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام - وقد ألقى صاحب هذه
 المجلة (المنار) كلمات وجيزة في ذلك أدجناها في التفسير من هذا الجزء ولم يكن
 بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزا عن سائرها وإنما كان ذلك
 هو الحللي للمسألة والمقرب للصواب من الافهام
 ثم بحثوا في مسألة الزواج والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وأفادوا

السبع والخمسون

قَالَ لِبَقَائِكُمْ قَالُوا لِمَ

اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعده

نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحة بالادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة او تمني متفرد في العاصمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتقلهم من مبادئ التقاليد الأوربية الى غايتها

لا أنكر ان بعض العمل التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف مثله وضعت الامم الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنت القبور وشرقتها، وعظمت هذه الآثار المائلة حتى عبدتها ولكن كان إثمها اكبر من نفعها، وشرها اكثر من خيرها، ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور وتشریفها كما في حديث علي كرم الله وجهه في صحيح مسلم وغيره « لا تدع مثالا الاطمته ولا قبراً مشرفاً الا سويته » ربما قالت باحة بالادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس رسوم الوثنية حتى لا تنزع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في هذا العصر « عصر المدنية والتمور عصر المادية والعلوم » واذا انتفت العلة انتفى المعلول فقد قال مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره في الجريد على من ذكر نصب تمثال لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور على ذلك ولكن لم يكونوا يسكتهم مدعين

من سبيل تفسير هذه الشبهة على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام للتماثيل والنصب والقبور مشرفة الا اكتفى بأن أقول ان هذه شعائر وثنية منع الاسلام صورها لأنها تذكر معانيها بعد حين أو يخشى ان تعيد روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سداً للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضاً ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير الهوام ، فلو نصبت التماثيل و بنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فأنهالا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر و تبرك بها او يعبدها الجمهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعاةها و أفعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولم فائق بزيارة الأضرحة واعتقاد راسخ بنفع أصحابها حتى أنك لو دفنت حماراً و بنيت له ضريحاً و قبة لزاره عدد من الناس تبركون به وهم يعلمون انه حمار فإذا كان الامر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظامهم » اهـ
ونحن نقول مع الباحثة ان عظماء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يحرمه الاسلام و بعده معارضاً للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده و مصطفى كامل و قاسم أمين فنقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيماً دينياً بعد ان يتخذ هذا مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين و داع من دعاة القرآن و محام عنه وعن السنة ، و اقوى خاذل في عصره للبدعة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام و عقائده ، - قد نجله أشياعه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأولياءه كقولهم : فقيد الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه . بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، و كاد بعضهم يفضلهم عليه . و ذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاه به ان روحه مشرقة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن ! : و ذكر أخوه الكبير من أنباء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجعله بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمته وكلامه كالانجيل والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الأمير او كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعده رثيت في القرآن

هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء في رثاء الانبياء والصديقين

بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، (٣٩ : ٣٠) انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أي انك يا محمد تموت وهوؤلاء المشركون الذين قالوا (٥٤ : ٣٠) تربيص به ريب المنون) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال (٣ : ١٤٤) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟) الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صاح « قتل محمد »

أفرايت من ينلو فيه الناس ذلك القلوة الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب — وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه نفعنا اكثر مما نفعنا الاسلام! — أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟ ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلعكم وخففوا السير واتشدوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستعجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتمم لم تبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الاسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية المالك التي فتحتها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل ونقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والاعتداء بسيرتهم هو مما يفيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة الى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعوا اليها داع ، وكلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والأدبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبذلون لها المال ، وتدعون الى تعميمها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كمال افضل ما يعزى اليه من الأعمال ، فلماذا لا تبذلون لترقيتها ما جعتم للتمثال ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يجبا به ذكره ، ويرغب في التأسي به ، فلماذا لا تبذلون المال لنشرها ، وتعميم النفع بها ؟ ؟

الفصل السابع (٥)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع ، ومحبوب ، لفائدته عند العقل ، ومع كثرة ما ألقت العيون رؤيته ، والآذان سماع أحاديثه ، لا تزال أسرارها موضوع التفكير ، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب ، كيف لا وهو السر الأعظم في جذب الانسان الى مقاماته العلى من الابداع ، والسبب الاكبر في ابعاد ما بينه وبين الحيوان في مراقب الوجدان والادراك ، فشرفه مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم . واما قوم حرموه فقد باؤوا بحرمان عظيم . ولذلك لم نجد بداً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة» فانها مزية جديرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء القوم انهم كانوا لاحظاً لهم من الجمال ، ولا ذوق لهم في الحسن ، ولا نصيب من توجه النفس الى الاحسن .

كبرت سبة ان يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديعة

وكبرتنا نقصيراً ان لا نبين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يعيروا اسرار الخليقة نظرة تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس ، ويجدهم فيه أهله الكرام

ان العرب قد تناسبت أجزاؤهم ، وتناسقت أوضاعهم ، واعتدلت أشكالهم ، بياضهم جميل ، ليس فيه بهق بعض الاجيال ، وأذمتهم لطيفة ، ليس فيه حلكة بعض الاقوام ، ولعل من فازت من حسانهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين ، وتكون آية المتهى في جمال العالمين ،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمعن بما يتناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تتفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة ، واستواء الهامة ، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعها ، وحلاوة الميسم ، وملاحة العينين ، ولطف الحاجبين ، ورقة الشفتين ، ونعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهورينهم ومشهوراتهم . واذا اضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كانت ذلك فضلاً في الجمال ، قد يبلغ به متهى الكمال ، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكتروا في كلامهم من شيء بمقدار ما أكتروا من وصف الجمال وقدراً ينام يستحسنون هذين اللونين كثيراً : البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة . قال ذو الرمة احد شعرائهم :

يضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القرآن المجيد تشبيه حسان

(المنارج ١١) استعداد العرب بحب جمال الحلقة الى معرفة جمال الخالق ٣٨٥

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عند ما ينطبع فيه الاحمرار بسبب من الاسباب تكون حرته أنطف من الحمة الملازمة لبعض البيض وعن مثل هذا عبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حمة خلط صفرة في ياض مثلاً حاك حائك دياجا

ولكنة الياض اللطيف في العرب شبهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للابيض المشرب بحمة أزهر ، وتشبيهم بورد الحدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحمة لا تنطبع الا على أديم أبيض ورأيناهم يشبهون الاعناق كثيراً بأباريق الفضة كما قالت قريبة بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس عجيب بعد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغرمي القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجدنا حب الجمال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، ونقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ما هو أولى ، نقلهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، ودرقت بهم الى عشق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

الذين شفقهم الجمال المحسوس ، ان يفهموا الجمال المعقول ، وان يزدادوا
نصيحة من نصيحتهم من ذاك ولم يعزّ طيبهم ان يتقلوا الى العالم الجديد
الذي دعوا اليه لانه تبدى لهم اجل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للعرب الحظ الاوفر من الشفق بالحسن
والاستحسان يزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا
لذلك العهد من ارق الاجيال الراقية على بعدهم عن الزخرف ، وعدم
نظمهم بكل اسباب الحضارة ، ولطنا اذا بحثنا عن المؤثر الاعظم في وفرة
جمال هذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المعتدل من الماشي ، والتقل
في المعتدل من الاقاليم ، وحب اليهم المعتدل من المهن والاعمال ، وأضافوا
الى ذلك انهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً ولا انتخاب دخل كبير في
تحسين الجنس وتجويد النسل .

وان بدا لأحدهم أن يتزوج عن سماع بجمالها سماعاً تجده لا يقصر في
البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقه ، وجودة اعطائه ،
والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجيل وعلى مبلغ هذا
الشعب من الجمال :

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن حبر ملك كندة جد امري
القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن علف (الذي يقال فيه لاجر بوادي عوف
لا فراط عنه) وكانت ذات جمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتعطي
اليها وتتحن ما يلهه عنها فلما رجعت قال لها الملك « ما وراءك يا عصام »
قالت : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة زينها شمر حالك ، ان أرسلك خلف
السلاسل ، وان مشطته خلفه عنقيد كرم جلاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان

كأنها خطا بقلم، أو سودا بحجم، قد قوسا على مثل عين البهرة، التي لم
يرعها قانس ولم يدعها قسورة، بينهما أنف كداليف المستول، لم يخلص
به قصر ولم يعض به طول، حفت به وجتان كالأرجوان، في ياض محض
كالجنان، شق فيه قم كاللحم، لذيذ المتسم، فيه ثانيا غرور، ذوات أشعر، يتقلب
فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، يزين به عقل وافر، وجواب حاضر، يلتقي
بينهما شفتان حراوان كالورد، مجلبان ريقا كالشهد، تحت ذلك عنق كابرقي
الفضة، ركب في صدرها عقال دمية، يتصل به عضدان ممتلئان لحما، مكثران
شعرا، وذراعان ليس فيها عظام عيس، ولا هرق يجس، ركبت فيها كنان
رقيق قصيرها، تقدر أن شئت منها الاتامل، تنأ في ذلك الصدر ثديان
كالرمانين بحر كان عليها ثيابها - إلى أن قالت حين انتهت إلى وصف ساقها -
وشيتا بشعر أسود، كأنه خلق الزمرد، يحمل ذلك قدمان، كعدو
اللسان، - فبارك الله مع صغرهما، كيف يطيقان حمل ما فوقهما،
ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كتول بعضهم من قصيدة

ويزين فوديتها إذا حسرت صافي الندائر فاحم جمد

فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود

وجبينها صلت وحاجبها شفت الخط أنج ممتد

وكانها وسى إذا نظرت أو مدف لما يلق بعد

فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لرهط خديجة حظ منه

كثير ولم يكن حظها هي منه قليلا

الفصل الثامن

تراؤها والثناء عند قومها

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجمال وفضائل النفس حظ من الثراء أيضا و تراؤها في حياة أبيها وكانت تاجرة وامل آباها نحلها رأس المال باديء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئا يجب منه في قومها فاتهم كادوا يكونون كلهم تجارا ، تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد ، وشرية تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود ، ومنافسة الاقرب والابعد ، ولولا شفقتهم بهذا لما سمعنا بصدى همهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا الاستطابوا من العيش ما استطابوا ذلك الاعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسانه : « مخ مخ عيشنا عيش تمل جاذبه ، ^(١) وطعامنا أطيب طعام واهنؤه وأصرؤه ، القت ^(٢) والهيبد ^(٣) والصليب ^(٤) والعلز ^(٥) والذآنين ^(٦) والمراجين ^(٧) والضباب ^(٨) والبراييع ^(٩) والقنافذ ^(١٠) وربما أكلنا والله القد ^(١١) واشتوينا الجلد ،

(١) تمل من التمل وهو الشرب بعد الشرب « ٢ » القت القفصة وهي الرطبة من علف الدواب « ٣ » الهيبد الحظال يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبخ يؤكل عند الضرورة « ٤ » الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها « ٥ » العلز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في الحاجة من الوز والدم . (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبات طويل ضيف له رأس مدور (٧) المراجين جمع عرجون المود من النخل (٨-٩-١٠) الضباب البراييع والقنافذ حيوانات معروفة « ١١ » القد جلد السمكة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرخص بالاً، ولا أعمراً حالاً، أو ما سمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إِذَا مَا أَصْبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مَذْيَقَةً^(١) وخمس تمرات صفار ككوانز

فنحن ملوك الناس خصباً ونعمة ونحن أسود الناس عند المراهز

وكم متنب عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به حق فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعة ، ورزق من السعة ، وإياه

نسأل تمام النعمة «

هذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما

الاعراب الا بشر قد يستطيب غيرهم من البشر ما يستطيعون اذا خلصوا

الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة

ما يقيم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتسابقون الى ما به

القبضة من المقتنيات والدخائر ، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات

والبدائع ، وبمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف ، وقوة

في المدارك

وقريش كما عرف القاريء كانوا ممن أعدهم الله لسل عظيم في

الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه مالم يكن في سابق تربيتهم

وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأفونه وما أمأهم الا المقامرة

في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لا ثقاً بمن هم

عتيدون لمثل ذلك ان يقيموا في بلادهم ولا يعرفوا العالم ، ولا تميل نفوسهم

الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع ، بل اللائق

(١) المذيقه تصغير مذقة وهي شربة من اللبن المزوج بماء كثير

يهو لاء أن يكون كل واحد منهم أنطق حاله بقول ذاك الشاعر من
أبناء ملوك العرب (امرء القيس)

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لجهد مؤثّل وقد يدرك الجهد المؤثّل أمثالي

وحقا كانت حال القرشين ناطقةً بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له
في المجد أرب، فلا بدع إذا انصرفا أنقسم إلى تحصيل المال فانه أعظم
أدوات هذا المطلب وقد نجح فيه منهم كثيرون وقموا بالنبي قومهم
عند الشدائد منهم عبدالله بن جدعان الشير بجفته التي كان يقدمها للفقراء
والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمدقومه بالسلاح في حرب حاربوها
وسلح مئة كمي من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل
أحد أخوة السيدة « خديجة » العوام أبو الزبير ^(١) ومنهم أمية بن خلف
ابن وهب وابنه صفوان الذي أثار عن النبي (ص) أنه قال فيه « ابن صفوان
بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير ^(٢) وكثيرون
غير هؤلاء.

فيالله ما أشبه قريشا الضاربين في أغوار رمال العرب وأتجادها لنقل
المتاع من هذه البرية وإليها على مراكبهم سفن البر، بالفيئيين الضاربين

« ١ » تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها أربعة
عشر عاماً وحضرها مع أعمامه يحيى لهم النبل . وعبدالله بن جدعان مري شير ومتر
كبير وهو من نخد بني جمح

« ٢ » أمية بن نخد بني جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي
« ص » أما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم

في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هذا النهر الى ذاك على
مراكبهم قلائص البحر ، فظنن كانت لا بناء تلك السواحل رحلتا شتاء
وصيف بين زئير الامواج ، ومعاركة الامراء ، فلا بناء هذه البراري أيضا
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمر الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا تقسوم ولجيراتهم
انما هو في أن يمتنعوا للتجارة لانها في الاعم أقوى الاسباب المقربة من
البدائم ، المبعدة عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى
فكان لذلك ربهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالاقوام في
ذلك المصر السحيق والمكان البعيد . وكان بلدهم على هذا البعد عن العمران
المتمل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الخليج الذي كانت
تجبه العرب الى البيت المعظم الذي فيها وجدير ببلدة يحج اليها العرب
ذلك الخليج ان تكون للامن داراً ، وانما تبسق شجرة التجارة في رياض الامن .
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقفة في العام قبيل أيام الخليج
وينفدون اليها ليديموا ويشروا ، أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه
« ذو الحجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع أسفل مكة
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان النعمان بن المنذر ملك
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يمت كل عام الى
سوق عكاظ جمالاً محملة بزاً وطيوباً لتباع في هذه السوق ويشترى له

بعضها من آدم الطائف^(١) ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجبرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحصالات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأغنيائها وقوا كهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زبيب الطائف ذلك الزبيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأى يادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقيس ثقيفاً فكذلك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من آدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغي الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجمون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة « أم القرى »

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب حيرته ببيان وجيز لا يسعنا اكثر منه لئلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للدبغ وبعضها للطب وبعضها

« ١ » آدم بضمين وفتحين الجلود المدبوغة والواحد آدم

الطيوب وبعضها التنظيف فإذا أضفت الى ذلك ما كانوا يحففونه من ألبان
الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصوافها وأوبارها وجلودها
وما كانوا يحففون من التمر والزبيب وغيرهما تجديضاً غير يسيرة يحمل
مثلها الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه
في العواصم

نحن اليوم لا تصور مجتمعاً حضرياً الا بأن يكون فيه أمير مسيطر
وجندله حافظون، ووزراع وصناع وتجار للمماش ضامنون، وقد رأى القارىء
ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله نفسى ان لا يقبس على استغنائهم عن
سيطرة الامير استغناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة كلاً فان هذه الثلاث
لا قوام لقوم بدونها . ونحن اذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة»
منها لا نقصد به عدّ مفاخر لهم الا من جهة أنهم تطبوا بمداركهم وهمهم
على كل ما كان يحول بينهم وبين المنافسة في إدراك شأوالأمم والابتعاد
عن البداوة من بعد ان أو شك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب
إخوانهم الآخرين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العاصرة
وأعطوا الحضارة حقها على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق . وترام
مع هذا لم يخالفوا سنن العرب فيما يأتون منه ويرفعون عنه فأقاموا
ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب
كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة
على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خالياً

منها البتة فهناك اودية يعود فيها الزرع والقراس وتجرى فيها العيون . وما الطائف عنهم بعيد وهو أبو الزراعة

أما التجارة فلم تكن العرب تأت منها فلذلك باشرها القوم بأنفسهم كما باشر بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأتون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الأدهان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الاداة والماعون والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الاشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الاكسية المتأداة ، وضروب الاطعمة والاشربة المعهودة ، وصنوف الماعون والاداة اللازمة ، والحقايق المعروفة ، والحيوانات المتداولة والأسلحة الشائعة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة ويقال ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشهير كان بزازاً ويقال انه كان سمساراً كما ان أبا بكر الخليفة الاول كان بزازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزخرف وأبعد عن التسابق الى المتاع الزائد عن الحاجة نرى ان حاجاته التي تحتاج الى عمل التجار لم تكن قليلة ونرى أنها وحدها كافية لان يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الاول في ثراء قريش وكثرة الثرىين منهم لا نألم نهدلهم الى ذلك العهد وجها من وجوه المراج ونماء المال أعظم منها

وأصناف الأموال التي كان الثراء بها عندهم هي الذهب والفضة ، والابل ، والرقيق ، والأراضي للزرع والقراس ، والأراضي للمدن ، ، أما الذهب والفضة فهما الواسطة المعطى في تبادل العروض والاحتيا

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر أنه كان لديهم من ماضي كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك أنه بعد أن ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته (المدينة) والآخر عدو له في وطنه (مكة) أدت تصاريف المداوة الى اشتعال حرب بين الفريقين في الحبل المسمى بدير بين مكة والمدينة فكان الظفر لأصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشرين سبعة مائة أسيراً افتدوا أنفسهم ووزوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجلة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من أنهم اتفقوا على حرب النبي في أحد ربيع العير التي جاء بها يوسفیان من الشام وقدره خمسون ألف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابل فهي أوفر أصناف أموالهم والابل مال كثير البركة لصاحبه فالقليل منها فيه الثمن والغناء ، والنعمة والهناء ، من درها النداء ، ومن أوبارها الكساء ، ومن جلودها الماعون والحذاء ، ومن بعرها الوقود

للاطبخ وكشف الظلماء ، وظهورها سرا كب للظلم والحمل والنجاء ، (١)
وإطونها أعظم بها واسطة للنماء ، فبميشك أيها المطالع ! في أي صنف من
أصناف الأموال الحضرية يجد أحدا مثل هذه البركة ، التي لا تحتاج إلى
شيء عظيم من الحركة ؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعد مالا في جميع جهات الأرض
وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق وإذا صرفنا النظر عن استرجان
هذه المادة نرى أن لا شيء أقيم من عمل الآلة المتحركة بنفسها ، النامية
بطبيعتها ، المدركة بخلقها ،

وأما الأراضي للزرع والغرس فكان فهم أفرادها يكون منها كثيراً
ومن متولي قریش من كان يملك أراضي في الطائف كقبة وشيبة ابني ربيعة
(من نخذ بني عبد شمس) وغيرها

وكان نظر القوم إلى الزرع والضرع أعظم من نظرم إلى الذهب
والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال « حبر أن يصطكان إن أقيمت
عليهما نقدا ، وإن تركتهما لم يزيدا ، إن أفضل المال برقة سمراء ، في ربة غبراء ،
أوعين خراة ، في أرض خوارة ، » أشار بهذه الكلمات القليلة إلى أن
الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الأرض
التي هي أول رأس مال أما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن
حركات دولاب الأعمال فقط . وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الأمم
وأما أراضي المدن فالظاهر أن بعضها كان مشاعا وبعضها كان مملوكا
أما كون بعضها مشاعاً فنأخذ من عادة العرب في جاهليتهم من أنهم لم

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجمل لها
حيى وحرما الملوك الذين يمدونها من جملة الاموال العمومية التي هي
حق للخزاة العمومية خزاة المملكة . واما كون بعضها كان مملوكاً
فمنستقيده مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي^(١)
الذي كان يملك معادن بني سليم . وكانهم اشيع ملك بعض الناس بعض
المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتح ان يقطعه شيئاً منها
فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبلية (منسوبة الى قبل بفتحين)
وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه اياها
وأقطعه جبل قدس للزعر

هذه هي اصناف الاموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف
اليها العروض والامثلة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول
اليوم كل ثراء فاز ملك الارض والمعادن لا يزال ايضا ينبوعاً ثروياً
للثروة ، واستخدام العملة بأجر بخس نوع من الاستعباد والاسترقاق
اعني ان فائده المادية كفاثته ، والنقود لا تزال كثرتها وقلتها ايضاً معياراً

« ١ » الحجاج بن علاط ليس بقرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً
من قريش « من بني عبد الدار وهط خديجة » وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان
مكثراً من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له ان لي ذهباً عند
امرأتى « في مكة » وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فاذن لي لأسرع السير
واخبر أخباراً اذا قدمت أدراً بها عن مالي ونفسي فاذن له النبي « ص » وقدم مكة
وأخذ أمواله بحيلة

« ٢ » جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيما ثروة الاسم، وعلى مقدار ما تقدم كله يكون محور التداول للعروض والامتنعة والاثاث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي من ماله الى آخر على ان يتجر به ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان معهم دأ فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالية فلم يكن بأس على المال بتسليمه الى من يتجر به بالمؤاجرة او المضاربة فلذلك لم تصعب التجارة على السيدة « خديجة » التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال في أموالهن ولم يكن لابيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآييا

وفي ايثار هذه السيدة ارسال أموالها في التجارة على الاتجار بالنقود في مكة كما يفعل المرابون دلالة على بعد نظرها، وعلو همتها، وعظيم عطفها وحنانها على وطنها فان الأوطان تسمو باقدام أرباب أموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها مثل ذلك بشيوع المتاجرة بالنقود

الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت
أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج
المرضي في الجاهلية كالزواج في الإسلام أي أن الرجل يخطب إلى الرجل
بنته أو من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجه. وأما ما يذكر من
أنواع أنكحة الجاهلية الأخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج
المرضي ولم يكن السفاح والمخادعة من فعل الشرائف والكرائم، وإنما يفعل
اغلب ذلك الإماء والمقاتر

وولدت هذه السيدة ولداً من أبي هالة وسماه «هنداً» على عادة العرب
إذا كانوا يضمون للذكور أحياناً أسماء الإناث فهند هذا هو ربيب النبي (ص)
أخو فاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الإسلام وأسلم. روى
عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الشمائل
وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سبب القارىء من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لا نكتبه
السبب وذلك أننا نحب أن لا ندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً
ومهملاً ولا سيما بعد أن رأينا أن كثير الذين كتبوا في سيرتها لم يتعرضوا لذكر
ولدها هذا فكاد يضيع ويختفي إلا على المتقنين في بطون الأسفار الواسعة وعذرهم

في ذلك أنهم إنما يتعرضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ تشرعوا
بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن
يعرفوا بشخص من مضي فيمسون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطعونه
ومجدونها إلى شيء آخر

على أنني لا أنكر أنه إذا سطت الشمس لا يبقى لبعض السراج
مكان. فمن ذا الذي يعلم أن هذه السيدة اتصلت بشمس الهدى « محمد »
صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أم الحسين ثم يرجع
باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الأول أبي هالة ؟

لمرك إذا وصلت بدورها إلى هذا المقام تضاءلت أمام نظرك كل
ما نسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك إلى الاطلاع على هذا الشأن
الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رزق الكون
كله باسمه الشريف

فمن هنا بدء الحياة العليا لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها
في لوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماء السمود ، أمامها الآن
الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ،
وليتبارك كلاً وجهاء

الخلاصة

(في ذكر آيات علمية من القرآن)

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعبيرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فان هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله . ولنذكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتتة على التعبيرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٥٧:٧) وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقال أيضاً (٣٤:٣) ألم تر أن الله يرحي سحاباً ثم يؤثف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ٤٤٤ يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله (من جبال فيها) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كاشبه أمواج الماء بالجبال في قوله (وهي تجري بهم في موج كالجبال)

(٢) قال تعالى (٨٨:٢٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّاً السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) وهو صريح في حركة الأرض . وليس ذلك في شأن القيامة فان قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) لا يناسب مقام الإهلاك والابادة . وقال أيضاً (٩١:٩) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٣) قال تعالى (٣٠: ٣) أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتهبة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً (٤١: ١١) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) أي وهي ذات دخان لا لهاب أجزائها ولكون أكثرها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى (١٣: ٣) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي فسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)

(٥) قال الله تعالى (١٥ : ٢٢) وأرسلنا الرياح لواقح) أي ملقحات للأشجار (٦) قال الله تعالى (١٧ : ١٢) فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وهو يشير إلى أن القمر (وهو آية الليل) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى (٣٦ : ٣٧) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

(٨) قال الله تعالى (٣٩ : ٢١) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض) الآية

فقل لي بأبيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو يخطر له على بال وخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجهل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات منفصلة عن أصل

واحد وأنها كانت دخاناً . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطبيعية . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العالم الحكيم
الدكتور محمد توفيق صدقي

باب المناظرة والمراسلة

ع

بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر

ولنعم فنقول التواتر هو وإن كان من الطرق المفيدة للعلم إذا وجد إلا أنه لا ينحصر إفادة العلم بالأخبار فيه كما أن لا نلزم به كل أحد قبل أن يعرف أنه متواتر إذا لم يقصر في الطلب أو كان معذوراً بعده عن أهله
قال حضرة الدكتور لم يتواتر من أقواله (ص) إلا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين

أقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع يبعد تواطؤهم على الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناء على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعزلة التواتر في الأحاديث النبوية . وهذا أولى ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي نقلاً عن شيخ الإسلام أن قول ابن الصلاح نشأ عن قلة الإطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لابعاد العادة أن يتواطؤوا على الكذب أو يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن أحسن ما يقرر به كون التواتر موجوداً وجوداً كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة (أي المتواترة عن مؤلفيها) بأيدي الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها إذا اجتمعت (أي أو اجتمع بعضها) كما قال ذلك جمهور أهل الحديث (على حديث وتعددت طرقه تعدد

فحيل العادة تواطؤهم على الكذب أفاد العلم اليقيني بصحته الى قائله . قال ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من تجرد عن التعصب والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر لمنصف مكانة الخبر الذي ينقله آحاد ثقاة قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والتقوى وعرفوا ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متعمداً ينبأ مقعده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت ونحملوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والترهيب عن كتم العلم

فاذا اتصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يبعد ! يمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً — فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يبعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ما سمعوه وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة — وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله — وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لانه نقيض بمثل هذه الاسانيد اليقينية متواترة — على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها . على أنه اذا نسي ذلك لا يحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويبعد كل البعد ان ينسى نسيانه لذلك وابعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية الندور فلا نسلم ان ذلك يضر في الدين اذ قد اغتفر ذلك أي النسيان والخطاء فيما حاجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط وبما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

في القضاء لأن أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر فليضر الحاكم أن يحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة إذا لم يقصر فلأن يتنكر ذلك في الرواية أولى لكون الضرر منها أن وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً - فتبين بذلك أن ما عسى أن يطمئن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ على شاذ على شاذ كل منها يبعد وقوعه عادة - بل هو أولى بالوثوق من خبر الجمع الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع أو يبعد العقل تواطؤهم على الكذب عادة - فبعد الكذب عن ذكرناه أكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكرناه وحيث كان الأصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية أو تصديقية هو ما أدركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي السماوي وهذا الأخير لا يكون إلا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتفاوت الناس فيه تفاوتاً لا يحصره حد فقد صح لدينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا أنه قد تصحح الجماعات ما يهدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد يتبين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد - وذلك دليل واضح على أن الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالأفراد الكثيرين من بني نوعه

ونحن أيضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه إذا خالفه فيه من يعتقد أنه أحفظ منه فمثل هذا المنصف إذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يبعد كل البعد أن يقدم على خبر سمعه بنفسه خبر الكثيرين غير العدول - وهل يمكن أن يقال ما علمه الإنسان وسمعه لا يسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؟ فتبين بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضاً احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما أنه لا يضر الخبر وهو علم في حقه ما لم يتذكر أنه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح إذا كان الخبر بالكسر بالصفات التي ذكرناها

أن خبر الآحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

الكتب السلوية في شرائعها وانباء الله ورسالة في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن يلقوا عنهما جماً وفرادى وبعبارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأمور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكليم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمراء الله بأنذارهم وخرج من بين أظهرهم إلى مدين معتمداً على خبر الواحد . واثني الله على من احتج بخبر الواحد كوث من آل فرعون إلى غير ذلك مما لا يكفي لبسطه المجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره إلا مكابر فكيف يصح قول حضرة الدكتور لا يجب العمل بخبر الآحاد مطلقاً ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله إن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم وبه قال داود الظاهري والكرائسي والمحاسبي وحكي هذا عن مالك بن أنس .

فإن قيل إن الجمهور قائلون بأن خبر الآحاد يفيد الظن . قلنا أولاً إذا كان غرض الباحث مقصوراً على طلب الحق وهو ضالته فلا محل لهذا الاعتراض من أصله على أنه محتمل أن يكون قولهم « خبر الآحاد يفيد الظن » قضية مبهمة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآحاد قد يفيد العلم

وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور أن المشهور والمستفيض لا يجري فيه اختلاف وذهبوا أيضاً إلى أن خبر الآحاد يفيد العلم إذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم أحاديث الصحيحين — بل أكثر أحاديث ما صنف فيما يحتاج به من الكتب التي صنف في الصراح والحسان لأن أخبار الحسان تعدد الطرق — ولا يهولك ما قد تسمع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فإن شرائعهم في رجال الحديث الحسن ربما لا يلقونها من وسم بأعلامات الفضل والعدالة في زماننا هذا — يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى أنهم قد يمدون أحاديث من

(١) المنار : أي هي بمعنى بعض خبر الآحاد يفيد الظن . وفيه إن المتبادر من

الإضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا

سمع في بيته الفناء موضوعاً — فإن قيل إن هذا إفراط قد يؤدي إلى ضياع كثير من السنن. قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسموه بالصحة والحسن منتهى ومبرأ من كل احتمال يؤدي إلى عدم قبوله — على أننا لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات إن كان هو من السنة في نفس الأمر وإن كان مكتوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

أن أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيها يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الأمة بأسرها صحتها أو حسنها لتعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التابعين أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للعمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة وعليه فما قرروا صحته فقد اتفقت الأمة على قبوله إذ كانوا بين عامل به ومأول وهو يهد العلم لأن سكوتهم عن الطعن فيها هو كذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو المتأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كبير لا يجوز العقل تواطئهم على الكذب عادة

وأيضاً يدل ذلك على أن هناك طرقاً معضدة كثيرة ألبأتهم إلى عدم الردولها نرى من لم يلتزم ذلك بالعمل عدل إلى التأويل — وإن ما هذه حاله لا يبعد أن نقول أنه أعلا من بعض أنواع المتواتر — وما ذكرناه معلوم إن عرف حال الحديث واحتياطهم في رواية السنة —

الآن تراهم قد عمدوا حتى إلى جميع ما شاع على ألسنة العوام مما نسب إلى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل رده إلى أصله فما بالك وما رأيك فيهم إذا وجدوا ما لا يصح مكتوباً في كتب الهداية ؟ تراهم يسكتون عليه وقد عرف من عاداتهم أن ما في أسناده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم ؟ إن أهل الحديث لا يعتبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم إن كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر إلا وهناً —

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الأحكام في كل طبقة إلى

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية - فان كان أحد يشك في قولنا فليتبعم كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفسير وغيرها - انا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فإذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجزم بان رجال هذه الأسانيد يعدتواطوهم على الكذب - لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث -

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فسادهم ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرفت فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما ذم الخرص وبعض الظن لقوله تعالى « ان بعض الظن إثم » وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجدته انما يذم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك « هل عندكم من سلطان بهذا » وقوله « ما أنزل بها من سلطان » وقد يذمهم الله بما رخصهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » وهذا لا يصدق على الأحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يعتقد ان ذلك من الظن اذ لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم اذ هؤلاء لم يارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الآحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد تفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراى عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) المنار : اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن . وهي المقدمة الاولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا إيراد عليه لانه يقول ان بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو انما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .
ان من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وان كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه ان القرآن متناقض متخالف وانه من عند غير الله لأن الله أمر وأوجب الحكم بخبر الآحاد وسماه عدلاً في قوله وإذا « حكم بين الناس ان تحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وهنا عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما اتج المحال فهو مثله فازم ان الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بانه ظن فعلي كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف انه صحيح والله أعلم

وايضاً اطلاق الظن مقابلاً للعلم انما هو اصطلاح حادث يخالف لاصطلاح القرآن وعاداته في محاوراته لان الله جل وعلا قد اطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا ان لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائكة حساية — وظنوا انهم احيط بهم — وظنوا انهم قد كذبوا — فظنوا انهم واقعوهال الى غير ذلك مما اطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك حملة القرآن من العلماء لا يبعد ان يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم او بعضهم

فمن يقول منهم ان بعض الاحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن ان يحمل قوله على ما ذكرنا على انا قد قدمنا انه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في بعض الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك تقول ان علمهم بالاحاديث الصحاح انما هو من باب الاختبار والعمل باحسن الامرين او الامور التي انحصر الحق فيها وما ذلك الا لمرجح علموه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا أحسن ما انزل اليكم — تقبل منهم احسن ماعملوا — فيتبعون احسنه » الى غير ذلك فاذا تعارضت ادلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لا انحصار الحق فيها — والحالة ان الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحبيكم الله » فيجب على العالم ان يجتهد وإذا رجح احدها فهو انما يرجح بمرجح علمه لا ظنه فلا يصح ان يقال ان هذا عمل بالظن حتى يقال انه مذموم

ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتركم بمعناه عندكم وزيادة على ذلك تلتزمكم شاعات وفضائع لا يلتزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نبرئ حضرة الدكتور عن التزام ما يؤدى الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها نستقد انه انما يجب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بغاية السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيد عند كل منصف اجلالا

﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعبرون عما كثرت روايته او ما روته الجموع بالمشهور وهو عندهم كغيره لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولا

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره اي حده فمنهم من قال هو ما نقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر فقال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل اربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يحويهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجح عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علما بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه على كل ما في الاعيان من الوقائع طردا على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على مستند التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواترا كباريس مثلا واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح

ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون تارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القيود المعتبرة في الرواية عند اهل الرواية كالبلوغ وكمال العقل والاسلام والعدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بنجر مثلا فنحن نناشد الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بنجرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جماعتي لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تعد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك نقول ان كل جمع يفرضه التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع فقط لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضيه الا انه في بعضها ايمن واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ماثلوا به لذلك هو قولهم كأن يخبر اهل باريس بقتل او موت كبيرهم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون اقادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان لقرائن ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا نقصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو للقرائن لا الكثرة لاننا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس انفسهم فيما اذا كانوا محصورين بهساكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدم عساكر الروس الى بلدهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ماذكرنا يفيد العساكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يتشوفون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن عدم امكانه حينئذ

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئنة لا يتازعها شك في وجود البلدان النائية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا ما تواتر اليها من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم مجرد الكثرة

وان كانوا كفارا او فسقة فجارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القرائن فان القرائن انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عد بل القرائن قد تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفسقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته وايدته وهي تختلف باختلاف اماكن الخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او متفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحب الاوطان والاقدام والفخر وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يعود على الافراد بفائدة او نقص ولو بتوسط فائدة او نقص طوائفهم واممهم واقوامهم واطنائهم

ولما ذكرناه واضاف اضعافه مما لم نذكره وتوسع ذلك لو سلم صحته ولان تكليف العباد به تكليف لا لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل لا كثر معارف البشر وإلغاء لا كثر الاحكام الديانات ان لم قل لكلمات واحراج للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردا فردا كالبهايم لم يجعل الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالحق عندنا ان اخبار الجوع لا تفيد العلم الا اذا ايدتها القرائن او شاركهم التقات - وخبر التقات المتواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم - ثم خبر الآحاد الأثبات الضابطين بشروطهم يفيد من عرف حالهم او حال من وثقهم العلم ويجب على من بلغه خبر عن المعصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال روايته فاذا وجدهم بالشروط المعبرة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواتر الا عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين والله المستعان (للرسالة بقية)

اهم الاخبار والآراء

(اعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية)

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جمادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصدارة الى الولايات بالانتخاب. فشمّل الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف مللها وألحانها. أما سبب نيل هذه الأمانة التي تشوف اليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التدبير العظيم الذي قامت به جمعيات الأحرار العثمانيين في أوروبا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستعيرين فيها وورثتهم في ذلك في وقت آخر وما كاد نبأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم فأنشأ يهنيء بعضهم بعضاً والبشر يتدفق من وجوههم. ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الأزبكية وهم يهتفون بالأناشيد العثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رحبة قهوة « اسبانددار » وطلق يترنم بعضهم بالأناشيد الآخرون يصفقون لهم وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه المجلة فخطب بالمرية خطبة وجيزة صفق لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً. كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائد لمساوي أحرارنا وجمعياتنا السياسية. وضباطنا ذوي البسالة والحمية. وانه يجدر بنا معشر العثمانيين ان نتأخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الآلاف ويهلك فيها الحرث والنسل : وأنه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظهر للأمم كلها أننا أهل لهذا النوع الراقي من الحكومة فيجب ان يتحد الترك والعربي والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالأعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد المحبة والمساواة ...

ومما قلته أيضاً أنا نشكر للحضرة السلطانية المبادرة إلى إجابة طلب الضباط الناطقين بلسان أحرار الأمة . فبطل التصفيق أو قل عند ذكر السلطان وأشار كثير من الترك والأرمن إشارات الإنكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك الأعظم جمهور عظيم من فضلاء الثمانيين المختلفين في الجنس المتحددين في الثمانية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة بإعلان السرور وإرسال برقيات الشكر إلى جمعيات الأحرار في أوروبا وإلى الأستانة وقد كانت جمعية الثوري الثمانية قررت في يوم الأربعاء الماضي جمع أكثر هؤلاء الأحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الأعظم سعيد باشا بأن يختم تاريخه بمساعدة الأمة على إعادة الدستور وجمع « مجلس المبعوثان » فلما بشرنا بالبرق في مساء يوم الجمعة بصدر الأرادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع إلى ما ذكرنا اقترح الجمهور أن ترسل تهنئة برقية إلى الأمير صباح الدين داماد (ابن اخت السلطان) رئيس جمعيات الأحرار يباريس يشكر له فيها اسمه وسمي الأحرار ويكلفه فيها أن يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين أظهروا الثورة العسكرية في مكنونية وإخوانه كنوري بك وأنور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة أخرى إلى الصدر الأعظم فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة إلى السلطان . قلت : إن ضباطنا وأحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حق قدرها وبادر إلى الإجابة ولم يضطر الجند إلى سفك الدماء . فوافقتي على هذا الاقتراح من حضر من السوريين أكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني أكثر الترك والأرمن وقال واحد من أشهر أحرار الترك : أنه لم يجب الطلب فضلاً واحساناً ولكنه إجابة بعد أن أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة (منكه) وقال بعض المعتدلين منهم لا بأس بأن يذكر في تعارف الصدر الأعظم تبليغ السلطان سرور الثمانيين وبعدها طول البحث انتخب الجمهور لجنة منهم لتقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل حقي بك القائمقام العسكري (لأن الدستور رجع بقوة الجند) قررت أن تحتفل في أحد دور التمثيل احتفالاً بخطب فيه الثمانيون بالتركية والعربية والفرنسية

(المأرج ٦) (٥٩) (المجلد الحادي عشر)

والارمنية والرومية . وان يعرض على الجمهور المحتفل صورة رسالتين برقيتين إحداهما
للامير صباح الدين افندي والثانية للصبر الاعظم وترسلان بعد اقراوه عليهما . وقد
بذل الحاضرون ما يلزم من النقود لاجل ذلك بغير اكتاب بل بمجرد الاريجية .
وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الازبكية لاظهار السرور
بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرنا هذا الاجتماع في اثنا ما اقترح
علينا حسين بك تيمور الذي دعا الى الاحتفال وبعض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين
خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم اطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستور اي
بغير علة ولا سبب ، ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى
سيلان !!! ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطع
كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة

مظاهرة في حديقة الازبكية

اعلن حضرة حسين بك تيمور — انه سيخطب في حديقة الازبكية نحو الساعة
السادسة بعد ظهر أمس لاظهار السرور بمنحة الدستور لآخواننا العثمانيين . فبناء على
هذا الاعلان توافد الناس من خاصة وعامة الى حديقة الازبكية ولما وافت الساعة
السادسة اتفروا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع افندي المدرس
بالدعوة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال اننا نؤمل البلوغ الى
غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الامد . ثم اختتم خطبته بالدعاء لجلالة
السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي
من طلبة العلم في الازهر الشريف فحذا حذو الخطيب الاول في الموضوع ثم تلاه
حضرة الشيخ صادق عمران قتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية
ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الاستاذ العلامة السيد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي القليل فأجاب دعوتهم
وارتقى مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد للمسلمين خاصة فنه عيد بحكومة

الشورى التي يتمتع بخيرها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الامور العامة المتعلقة بسياسة الامة وإدارتها ولم يفوض القرآن الامر فيه الى الرسول (ص) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الامر فيها اليه وإلى أولى الامر من الامة يديرونها بالشورى بينهم من هم أولوا الامر ؟ زعم بعض المخرفين أو المخرفين ان أولى الامر هم الملوك والسلطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلطين وانما كان يستشير أولى الرأي والمكانة من الامة فهم أولوا الامر بغير نزاع أفرايتم هذه الهداية إلى حكومة الشورى وسلطة الامة . هل يوجد عناية وتأكيد في شريعة ودين أبلغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرض ان يكون خاتم رساله مستقلاً بإدارة الامور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرضى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد انخلاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا نخوض في الكلام عن الماضي فانما غرضنا الكلام عن الحاضر تقلب الزمان ودالت الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا العلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكبيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الامة وانفذوا ذلك من نحو ثلث قرن فوضعوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت الامة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذه منها ولكنها لم تنله باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابغي وزرائها أصحاب الادمغة الكبيرة والأفكار البعيدة والغيرة الشديدة كدجت باشا وخواجته

لم يكن العقلاء في الأمة العثمانية يعدون على الأصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الأمة كثير من أهل الثرية العالية والمعارف السامية ولكنهم لم يكونوا منبئين في الأمة كلها ولا مشتغلين بأشرب روحها معنى الحكم الذاتي

فلما رأوا أنفسهم قد سلبوا ما فيه سعادة الأمة وعزة الدولة وأنه لا سبيل إلى استرجاعه من الأعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا أن يطلبوه من جانب الأمة بتوجيه نفوس المعلمين إليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى أتيح لها الظفر الآزواني ما تمنناه » ولما بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفقهوا قوله فحدث شيء من الشغب وانقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة

وأزيد على ما ذكرته الجريدة ما جاء في بعض الصحف وهو أن بعض المصريين صاح ليحي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . أو حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : يا شيخ رشيد لا تتكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فما زادهم ذلك الا صياحا بسقوط تركيا الفتاة أي الأمة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة!!! وظنوا الجاهلهم أن من لوازم حب السلطان أن يعيش على شيخوخته وضعفه عمر أطويلاً بغير امة أو بامة مية وجودها كالأعدم فكذا يكون الاحتفال بالدستور!! أما العثمانيون الاخير فقد جعلوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنته ولا شكر عملاً برأي السواد الأعظم وخلافاً للرأي أكثر السوريين وهم العدد الأقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسند كر شيئاً عن الاحتفال في الجزء الآتي

أرسل إلينا كثير من المحبين رسائل النهائي بنيل أمثال الدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد ، منها ما هو به وانا الخاضع ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهتمين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما ننشر شيئاً مما فيه العبرة والفائدة من تلك الرسائل

الفصل العاشر*)

محمد (عليه الصلاة والسلام) قبل تزوج خديجة

واذا العناية صاحبت مرءاً فلا تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما
ودع التردد إن أتاك حديثه مهما حوسى مهما نما مهما سما
لا تسأل كيف أبدع الإنسان من فتق الكواكب من رتق موادها،
وقدر مدارات الحركاتها، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقنيات ليلنا
ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظيات في أحشائهن شبلنا، الملائات
بنسائهن نسائتنا، وبأرواحهن كياننا، ولا تسأل لم خلق لنا الأرض جميعاً
نشرح أحشاءها، ونقطع أوصالها، ونستخرج أفلادها، قد حصرناها
على عظمها في يدنا، وحشرنا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، إن
شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزائها، فيأتي منها من البدائع ما يدهش
اللبابنا، ويسحر أبصارنا، وإن شئنا لم نعبأ بها، واستشرفت قوسنا إلى
غيرها، فاطلنا إلى مصادر الأرواح ومواردنا، ومشارك الأسرار
ومنازلها، وارتقنا إلى ينابيع الكوان ومظاهرها، وتلمسنا نعمة حياة لا
نحتاج فيها إلى ماء الأرض وهوائها، وترايبها ونارها

ولا تسأل كيف تقاربت صورنا معشر الإنس وتباعدت حقائقنا،
ولم طالت آمالنا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جشمت قوسنا
بتكثير الصور ثم شغقت كل نفس بأواع منها، وتخالقنا في تميزها وترجيح

بعضها على بعض، وتدابرتنا في مناهج طلابها، وقاطعتنا في سبيل اكتسابها،
ولم هذا البون في أنصباتنا، والفرق في مرامينا، والبعد في مدارجنا،
والقبح في معارجنا،

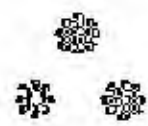
ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم ساجدة في أفلاك الحقائق،
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الأنوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاعريهم دابة
بين أوراق الآجام وأحطابها، أو تحت دخان القمار وقصها، ومع الصف
صورهم منطوية في أحشاء الأواكل، ومنسوجة في الأواخر مع أخواتهم
الأوائل

لانسأل عن هذا كله ان كانت نفسك قد وقعت عند مطأئها من
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري
مرها في الاكوان والوجودات، البادي خط جلالها وجلالها على لوح
آيات الينان، من الاشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من
تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات
لقوم يفكرون * ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار ان في ذلك لآيات للمالين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتنائكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يرسل
البرق خوفاً وطمأنينة من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والارض
بأمسه ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون

إذا وقفت نفسك عند هذا المطلبان من المعرفة فقلها تصل بك إلى معرفة
أن ذا الحياة الأزلية ذو حكمة ليس في وسع استعدادنا أن نحيط بأسرارها
خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا ، ومهما طافت في سوح قدسها
صوفي سراننا ، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المساح الفكرية يجر
أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا إلى مادون هذا السر الأعظم ، ووقعها بنا
في كثير من أشراك الأوهام في الوجودات التي هي تحت حسوسنا ،
وفي جوار جسومنا ونفوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة إلى الأذعان بأن هذا الحي الأزلي
الحكيم ذو عناية ربانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الأمر
كله فيما يبدى ، ويصور ، وله الحكمة فيما يتوَع ويخير ، منه كل شيء
والله المآب

وان كنت في ريب من الحكمة الأزلية ، والعناية السرمدية ، فدع نفسك
واقفة ماشاءت في صفة النفي ، أو دائرة في سجن الشك ، أو طائفة في
جو الهم لا قرار لها . وإنما نمحي هنا للذين هم بربهم يؤمنون



سبق في العناية الأزلية أن تكون هداية شمو ب كثيرة إلى أقوم
سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من
هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي
أخرج الله إنسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب ^(١) من كبار أشراف قريش وورق عشرة أولاد

(١) اسم عبد المطلب شية وتسميته بعبد المطلب حكاية وهي أن أباه هاتما -

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه فزوجه شريفة من شرافت
تريش من بني زهرة تدعى آمنة فحملت منه وقيل أن تضع حملها توفي فلما
وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمداً» صاحب القرآن
فما أسعدك يا عبد المطلب أ كنت تدري وأنت في أبواب أبرهة
الجشي تطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل
مكة أن سيولك في هذا العام حفيد تنقي أعناق الملوك في الأجيال المقبلة
خاصةً لذكركه

أ كنت تفكر إذا قصارى أملك حفظ مقامك بين قومك المنقطعين
في تلك البرية أن اسمك سترن به المحافل في الأمصار النائية والشعوب
المختلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعده الله
لنصب يتيه من أجله العالم ويبقى ذكره فيهم إلى الأبد
أ خطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يحج إليه إلا العرب
ستحج إليه كل شعوب الأرض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية
أ جاء في خلدك أن كنتك آمنة الزهرية انما ولدت من يشرف الله
به قومك ويجمع به كلمتهم ويولي سلطانهم وينشر لغتهم ويقيم لهم مجداً مع
الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في «يثرب» (المدينة) فلما ولدت تركه عندها
حتى كبر وكان هاشم تاجراً تفرج تجارة إلى الشام فأتى في «غزة» فذهب أخوه
المطلب بن عبد مناف ليأتي بأبن أخيه فأبى والدته أن تعطيه إياه حتى أقامها بأن أقامته
في بلوته وبين قومه وعشيرته خير له ولا جاء به كان مرده خافه على بهير فظنت
فريش انه عبد اتباعه فقالوا عبد المطلب وقال لهم المطلب ومحمد انما هو ابن أخي
هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتهر بها وصارت كأنها علم له

هل كنت ملها اذ سميت محمدًا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له
المالون تحيداً لا ينقطع، وتعيداً لا يزول؟
أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك اياه وعنايتك به إنما
كنت تحفظ للعالم كله التحفة التي آتاهم الله من كرمه، والوديمة القدوسية
التي اختص الله بيتك لظهورها، وقومك لا تشار مبداء نورها
فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير ايها المخصوص بناية
الحلي الأزلي، فليدم ذكرك جلالاً للمعافل واسمك سامياً مع اسم حفيدك
نبي الشعوب وبركة العالم

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما
الصلاة والسلام أي حوالي سنة سبعين وخمسة مئة وحوالي السنة الثامنة
والأربعين من ملك كسرى أو شروان. ولم يكن قومه يعرفون سني
الأمم وتواريخها ولا سني انفسهم وإنما كانوا يحفظون الأعمار ووقوتها آجال
الأشياء بالوقائع الشيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الاميين الى عهدنا
ولعام الفيل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها تقدم تدور
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وابائه المسير لقاء مكة لذلك سميت
بهذا الاسم. وحادثة الفيل شديدة الشهرة ويصح ان نقول انها من التاريخ
المقدس عند المسلمين أي انها ذكرت في القرآن ولكن على اسلوبه في
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على اسلوب المؤرخين وثقة الاخبار
وقد أعطي لمرضعة على غانة قريش في اعطائهم الأ ولاد للمراضع
من القبائل النازلة قرب مكة ابتغاء ان تتربى أجسامهم في البادية حيث
الارض النظيفة قد كسيت من الازاهر أبديع المنارق الطبيعية، والنسائم
(المنارج ٦) (٦٠) (الجزء الحادي عشر)

متحملة من ذلك المير تهديه الى النفوس رائحة وغادية

اذا بزغ رأس النهار أرسل الى أفئدة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب
عقبى العمل، وسوء منقلب الكسل، وكان بينه وبين سكان البراري وساسة
الأنعام عهداً أن لا يقبل بطلته الباسمة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات
من مباسم همهم، وثمور اجتهادهم، ورافقون اليه آيات الشكر على ماله من
الايدى البيضاء في اخضرار عيشهم، وايدى ضاح وجوه آمالهم
بزغ الفجر يوماً على نسمتين في أباطح تهامة قد أسفر عليهما
البشر، وتقدت النبطة من أعماق جوائنهما الى أسارير وجهيهما، ولم يكن
ذلك الانس والبشر لما حولهما من مجالي عرائس الطبيعة لان السماء كانت
شحيحة عليهم تلك السنة فلم تتزعج حياضهم، ولا أوقعت رياضهم، ولو لم يصن
الوادي لهم القليل مما أغشوا به مرة لقتلهم الظلم - ولا لما حولهما من وافر الرزق
وسابغ النعم لانهما لم يكونا يدا كان الا فنيات قد جارت عليها السنة، وقتلها الجهد
والجذب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً،
وأشبعتهما ابتهاجاً، ولم يكونا يفتران عن هذا الحديث الذي كانا يتغذيان به
صباح مساء، ويجددان به شكرياً على هذه النعماء، وهذا ما كانا يتحدثان به :
— حقاً يا حليلة انك قد جئتنا بتحفة سنية ونسمة مباركة

— أي والله يا حارث وانظر ما أجمله، انظر الى هذه الاشجار المذهب،
انظر الى هذه العيون الدعج، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى
انمكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على مرآة هذا الجبين
كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سعد صبيحة
يوم كانا قبله في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بحفيد عبد المطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من بركته قالت
خرجت مع زوجي وابن لي صغير علي أتاني لي قراء^(١) معنا شارف^(٢)
لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من
بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، والكننا كنا
نرجو الفيت والفرج ، فخرجت علي أتاني تلك فلقد أذمت^(٣) بالركب
ضعفنا وعجزنا حتى قدمنا مكة فتمس الرضعاء فاما امرأة الا وقد عرض
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك لما انما
كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع
أمه وجدده فكنا نكرمه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت
رضيما غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لا ذهبن الى ذلك اليتيم فلا خذنه »
قال لا عليك ان تقلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت
اليه فأخذه وما حماني على أخذه الا اني لم أجده غيره . قالت فلما أخذه
رجعت به الى رحلي فلما وضعت في حجره قبل عليه ثديي بما شاء من
لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام
معه قبل ذلك . وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انما حافل^(٤) فلب منها ما
شرب وشربت معه حتى انتهينا ربا وشبعنا فبتنا بخير ليلة قالت . يقول صاحبي
حين أصبحنا تلمي والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله

(١) القمر بالضم لوزن الى الحضر . أو يأسر فيه كدرة . حمار أقره . أتاني قراء

(٢) « الشارف الثقة المسنة » (٣) أذمت بالركب أي حبستهم لا تقطاع سيرها من

خلفها أي هزلها وخففها (٤) حافل كثيرة اللبن

لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي ليقان لي
 «يا ابنة ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا»^(١) أليست هذه أتانك التي كنت
 خرجت عليها؟ فأقول لهن بلى والله انها لي. فيقان «والله ان لها لنا
 قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أدلم أرضاً من أرض
 الله أجذب منها فكانت غني روح على حين قدمنا به منا شباء ابناً
 فعباب ونشرب وما يجلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان
 الحاضرون من قومنا يقولون لعياهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي
 بنت ابي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياحاً ما تبض بقطرة لبن وتروح غني
 شباء ابناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته
 وكان يشب شباباً لا يشبه النملان»

فيا لك من سميدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي ربه العناية
 الخاصة ولم يكشف لك من آثارها الا هذه البركة التي ملأت يدك وويلك كن أيها
 المراضع الغيبات المعرضات عن اليتيم التماساً لارضاء الذين لهم آباء. لقد فاقن
 الحظوما الحظوظ بالاختيار، وعزاء لك أيها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتما
 * * *

بمدان ربي «محمد» (ص) في بني سعد عند السيدة حليلة جيه
 به الى أمه فذهبت به وهو ممثلي قوة وهو ابن ست سنين الى المدينة
 لتزيره اخواله من بني عدي بن النجار وفي عودتها الى مكة وفيت في مكان
 يسمى الأبواء. وكان عبد المطلب شديد العناية بمجده وكرم فيه عظم
 الشأن فلما بلغ الثامنة من عمره ودّعه، فخارقه هذه الدار وتودعه في الجنب
 الآلهي الذي من لده وأرادت الروايات التي رواها النبي صلى الله عليه وسلم

وقام مقامه ابنه ابو طالب شقيق عبد الله ابي النبي (ص) فأدخله
في آل بيته وتمهد تربيته وتثيقته

وكان ابو طالب امراً نبياً شهيداً صادق المروءة، ماضى المزية، نصيراً
للمعدل والانصاف . عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه انصافاً ما يمكن
ان تكلف النفس في حياة ابن اخيه لما قام بالدعوة ومن موافقه أمام قريش
في نصره والودعته . وقد خلف ابو طالب أباه عبد المطلب في المقام السامي
بين قومه فكان ابن عبد الله يتنقل في بروج العز والسؤدد والسعادة في آفاق
الشرف الهاشمي ، وتطعم في جواهره الكريم صور البر والعدل والإحسان
على مثال الخلال الشريفة التي كان يجلي بها ذلك الرجل السامي التربية (أبو طالب)
نحن قد رأينا من آثار العناية الازلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح
القول معها انه كان مستغنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول ان إعداد
ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار العناية الفائقة به
أما تربيته إياه التربية الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء
الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لا نظير لها وصار
على صورة من الجمال كانت تجمل الدين برونه يقولون لم تر مثله . ولا يتم
الجمال الا بصحة البدن وهي انما تتم بحسن التربية الجسدية
واما تربيته إياه التربية العقلية فكانت جديرة أن يسجد أمامها فلاسفة
النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يجملنا في حيرة من
أمر هذه القبيلة الصغيرة المبتعدة في دارها عن مناشئ الارتقاء العقلي ، ومناجم
الإشراق النكري ، لا كتب يدرسونها ، ولا قوانين للمعارف يرتبونها ،
ولا شيء الا غرائز طيبة يتوارثونها ، وقواعد عامة يتناقلونها ، وحصافة أو توها

في نقش أصبح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت القوائد في الدواكر،
وكذلك يفعلون في التربية الاخلاقية ينشئون التربية على دروس
المشاهدة في مدارج السبل، ودروس القصد والاعتدال في ممارج الأمل،
فيأتي من تلك السلائل التي لم تحتها عدوى الاجيال الفاسدة توابغ في العقول
والاخلاق، أفذاذ في المهمة والاعمال، بطبع من المربين، ونقش من المثقفين،
وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز، وربيته النجيب،
نشأ « محمد » (صلوات الله عليه) في أمثل التربية بأنواعها كلها على
يد ذلك الفاضل العظيم فجاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً، أذكاهم
عقلاً، وأزكاهم نفساً، وأصدقهم لساناً، أنداهم في العرف يداً، وأثبتهم في
الأزم قلباً، أرحمهم للضعيف، وأشجعهم على القوي، أبرهم للقريب، وأعدلهم
للبعيد، أقربهم إلى المعروف سمعاً، وأبعدهم في الأمور نظراً، أسداهم رأياً،
وأشداهم اقداً، أليهم للصاحب جانباً، وأكرمهم للخير صاحباً، وحسبك
أنه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك
المنصب العظيم فزاده جمالاً وجلالاً وكلاماً والله أعلم حيث يجعل رسالته
نشأه ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثني
عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر
على ما تنكح الارض وتعلن من طبائع الاقاليم البتيرة، وأحوال العالم
التحولة، فني طريقهم من مكة الى الشام منازل أمم كانت قبانت . كانوا
على وجه الارض جمالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تحيا بها الامم شالت
نعامتهم طراً، وطاروت نعمتهم جميعاً، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً، وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخاوية

أو المنتقلة الى غير أهلها عبرة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بمدان صار نبيا قوله سبحانه وأولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

وفي طريقهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها، ومزارعها ومصانعها، ومتاجرها وحكومتها، وأراه كيف يكدر الناس جميعا لياكل ثمر منهم خبزهم بعرق جبينه، وليتمتع ثمر آخرون بثمرات تلك الارض الطيبة، ونفائس ما تملكه تلك الايدي الشقة، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليتم قوامه، ويحفظ نظامه

ومر به على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المزاولة في هذا الحطام الزائل، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغريبة في هذا الهيكل الجسماني، غير ممدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما بقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بصري» وقف به على الراهب «بحيرا» وكان على حظ عظيم من علم الفراسة أو الكهانة فأنبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفرة صرته على أساليب التجارة، وأطلعه على ضروب البضاعة، وصنوف الاداة والماعون التي يتعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بلده ما ليس فيه وكيف

يكون لهؤلاء الوسطاء في نقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية
البدائع الانسانية ما ليس لميرم

فناهيك بما ملأ به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من
صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي درس كذا من فوائد التربية العملية
ما ليس في ألف درس من التربية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب القجار وهي
حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تنبأ
الصفوف، وتتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وإن أودى بهم الصبر
إلى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف
ماقبة الدين تنقطع قلوبهم جبناً، وتخور عزائمهم جزعاً

ولم يباشر في هذه الحرب قتالاً وإنما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم
النبيل أو يرد عنهم النبيل . وكان ذلك كافياً لتمرنه على مواطن النزال، ومواقف
النضال، وليس يخاف أن الأخذ بيد الناشئ إلى معارك أبطال المبايعات،
ثم معارك أبطال المقابلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجمله أهلاً
للمقامات الملي بين الرجال، حتى إذا أتاه الله للاخذ بقوم إلى سوح المز
والسودد والصلاح والفلاح، كان ثم الدليل الهادي، ونم السائق والهادي
فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » أن يخرج
في تجارة لها إلى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار وأشار
عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الراكب
إلى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع إليها باعها
فربحت أضافاً وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب

الحج
١٣١٥

فيشرع بيدي الذين يستمعون القول فيتموه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثار الطريق

(مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٦ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨)

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمن الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمما قد منما خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمما أجنبنا غير مشترك مثل هذا ، ولما في على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يدكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا عفا له

﴿ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ﴾

(س ١٠) من ع . س . ط . في ستغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » المنير بمصر
قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الأيام بين مجلة « الامام » بـستغافورة
ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وأرباب السلوك وذلك بسبب
السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولى
الابصار أحيانا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جبهة صوت كل
خطيب حيث قد امتلأت الاسماع تقيفا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب شهبافنومل
بسط الجواب وبيان الحق بأداته ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتم
سابقاً في هذا الصدد فترجوا ان لا نحيلونا على ما ليس بأيدينا أثنا بكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة
النقشبندية المريدون ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة
الشيخ في قلب المريد ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها
لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد فخلو قلبه من صورة الشيخ وان قوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) دليل ثم وقوله تعالى (وابتغوا
اليه الوسيلة) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى
مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المريد عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذا

نادیاه ولو كان في التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا
ومات المريض حزينا . ويقولون ان الشيخ يربي التلميذ بذلك
ومن السؤال أيضاً قولهم يجب على التلميذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا
يجوز له ان يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة لانه كالنبي المرسل بالنسبة اليه ولا
ينكر عليه ولا بقلبه وان عقوبة الانكار حينئذ الحرمان وواجبوا على المرید ان يعتقد
انه لا يمكن ان يصل اليه مدد ولا خير من ربه الا بواسطة الشيخ لانه الوسيلة له .
والشيخ محلات السلوك والتفكير يحشر اليها جملة من الرجال الثبان والنساء الشواب
يجمعون بها من غير محرمية بل جلهم جهال بالواجبات العينية وان الذكر وحده
كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اكثر الفروض العينية . وقد اجابهم محلة
الامام بالمنع في الجميع وان تلك المبادي مما تبع ضلال الامة فيها من قبلهم من الام
وان بعضها فيه ميل الى جانب الشرك وقد نقل الامام ماقاله المفسرون في الرباط الشرعي
والوسيلة الشرعية وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فيها كن
نقص منها مبتدع مردود عليه قوله وان الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم
يعلمها النبي احدا من اصحابه ولا علمها الصحابة احدا من التابعين وان تطهير القلوب
من الصور والتماثيل ليس باولى من تطهير محلات العبادة منها . وانه يحرم متابعة
الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم
يأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طيب ديني هو نبينا محمد صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اكل الله به الدين فلا دواء ديني نافع الا وقد
بينه لنا ومن لم تشف امراض قلبه ادوية القرآن لا شفى الله مرضه ، وان النبي ارشدنا
الى دواء الوسواس وهو ذكر الله ليخنس الشيطان فمن لم يخنس شيطان وسواسه
بذكر الله فهو الكاذب ومستحيل ان يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب
موسوس متبوس وما في السؤال من الآداب هو ضد الادب في الاسلام ولم يؤدبنا
به النبي ولم يعمل به الصحابة فعلى طالب الحق ان يلزم هدي محمد صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع الى نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجليلاني واضرابها اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريد الشيخ اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكر ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومروا منه بانكارهم الى نحو ذلك

وانا نسأل من المنار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون بعد الايام والساعات والله المسئول ان يديمكم نفعا للعباد وشجى في حلق اهل البدع والالحاد آمين
ع . س . ط

(س ١١) من س . س . في (كوالا لمغور) في جنوب ميلادي .

سيدي . تصدر في سنغافوره مجلة علمية مليئة بلغة الملايو اسمها (الامام) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحرميها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علماء وعملوا شئرا خيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين . وفي المجلة باب للفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة النقشبندية وهي احضار المريد بصورة الشيخ في القلب عند الذكر وابطه من جملة الارادة التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ اخذا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأفتي الامام بان الامر ينفع هذه الرابطة والعاملين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها مستندا لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالخازن والجلالين في الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب . ثم قال . اذا فاحضر المريد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحرمه . او ما معناه . ثم انهي على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل . واورد لنفي الرابطة آيتين آية « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . اه بالمعني

فلما نشرت هذه الفتوى وهاتئذ التصريحات التي لم يعهد لأحد من قبل هذا
الكتاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرره
تضليل عباد الله الصالحين وأوهوا العامة أن الإمام يسعى في هدم المعتقدات وهم
إلى الآن يحرضون العامة بهجر الإمام وعدم الإطلاع فيه . أما الحقير وكثير من
مخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتينا من عند الأستاذ بيان شاف
في هذه المسألة التي نعلم ويعلم الكثير أن لكم التمدح المعلى في حلها والله يقيم لنا .

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسألة لرجوت
أن أكون صادقاً ، وإذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يدعن له كل عاقل منصف
ذلك بأنني قد سلكت الطريقة النقشبندية وعرفت الخفي والاعف من لطائفها وأسرارها ،
ونخضت بمحار تصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر ، وما تهذف أمواجه من الجيف ،
ثم انتهيت في الدين ، إلى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت أن كل ما خالفه فهو
ضلال مبين ، وأمهّد للفصل في المسألة تمهيداً يقرب المراد من طالب الحق فأقول
قد عرفنا من طباع البشر وأخلاقهم أن يألفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا
به فإذا وجدوا لهم مخالفاً فيه تعصبوا له ووجهوا قواهم إلى استنباط ما يؤيده ويثبت
ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك إلى محري الحق واستبانة الصواب
فما تآزعوا فيه . ولو لا فشر هذا الخلق في الناس لما بقيت الأديان والمذاهب
والأحزاب والشيخ والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه
ثم إن من أخلاق البشر أيضاً أن لا يجتمعوا على شيء إلا إذا اعتقدوا أن فيه
خير لهم وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال أو تجربة واختبار وللبعض
الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال
على هاتين القاعدتين نبى التعصب المذاهب والطرق في جميع المال وعليه يتخرج
أخذ كثير من أهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية
وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الأطراف وبكثير من القواعد
والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصالح أو العالم إلى شيء يظهر له بحسب اجتهاده أنه حق أو خير فيتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ومعرفة بدليله أو عن محض التقليد فإذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم متقصين لهم تمصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزاون مختلفين إلا من رحم ربك وهم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فإذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه أتوا إليه مدعين، وقبلوه راضين مطمئنين إذا تدبرت هذا فاعلم أن أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الأصول والقواعد إلا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها إلى مرتبة اليقين بأن ذلك مفيد لهم وموصل إلى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم . واعني بالعالم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشهودها ووجدانها وصفاتها وأخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا علمهم الإلهي عليها وكل منهما إذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ إلى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف إذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا أن الأفلاك النعمة في الهيئة اليونانية هي السموات والكروبي والعرش وكذلك فعل بعض أهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تأويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعية ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على أن ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لأنه مما يتعلق بمجهر الدين وهو عبادة الله ومعرفة فلا يقاس على ما يمكن أن يستنبط من القرآن من أسرار الكون التي لم تؤثر عن المصدر الأول

قال السيد الآلوسي القشيري في باب الإشارة من تفسير سورة الجمعة : « وذكر بعضهم أن قواه تعالى « وبن كبري » بعد قواه سبحانه « يتلو عليهم آياته » إشارة إلى الأفضة القلبية بعد الإشارة إلى الأفضة العقلية الإنسانية ، وقال بخصوص التأويل المرشدين فيكون مرادهم بأفضة الأنوار على قلوبهم وحتى تخلص قلوبهم

وتركوا نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة النقشبندية ، وقالوا بالرابطة
ليتها يركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم ثبوت ذلك دليلاً يعول عليه عن
الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل
ما يذكره في هذه المسألة ويعدونه دليلاً لا يخلو من قاذح بل أكثر تمسكاتهم
فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الإطباب لذكرتها مع ما فيها . ومع
هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين — التوجه والرابطة — وقد شاهدت ذلك
من فضل الله عز وجل . وأيضاً لا أدعي الجزم بعدم دليل في نفس الأمر وفوق
كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه ،
أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وإن كان
للبحث فيه مجال ، ولأرباب القائل في أمره مقال ، اهـ

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه
الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم يرضه شيء
بما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه
ما وجد لها من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأتي قد وجدت
أثر الرابطة والتوجه في نفسي: رأيت ما لم يراه معي الناظرون ، وسمعت ما لم يسمعه مثلي
المصفون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في المنار
ولا الخوض في علله وأسبابه ، ما ذكرت هذه الإشارة إلا ليعلم السالكون لهذه الطريقة
بالفعل اني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئاً عاداه » وإنما اتكلم فيها
عن عرفان ، وأحكم فيها بسلطان ،

أقول إن التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز أن يعدا من العبادة
المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما ، وإنما أخشى أن
يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقلداً من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ،
أقرب إلى الوثنية منهم إلى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن
من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وإن كنت لا أجيز رمي شخص معين به ،
يمكن للمريد العارف بمقيدة الاسلام أن يجمع بين التوحيد وبين تحصيل شيخه

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرة يراقب أدبه وحنوره قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرة، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل العمل، وإنما يقصد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا لا يعد مشركاً لشيخه مع ربه، وهو لا يشغل تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة المتخيلة عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغل وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع. بل يكفي بأن يتنفع بما جره من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشيخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وأنهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقرّبونهم إليه زلفى إذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن المسألة أصلاً يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وأرادتهم إلى بعض شيوخهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أثراً حقيقياً لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية أنه مخاف لما فانه يشك في حقيقة الشرعية ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينهما. ومثل ذلك قالوا إن سالك الطريق عرضة للزيف والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من اتوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده وإذا رآه مرتقياً في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ، ولكنهم في توجههم ورايتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ، ويعرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء فان كانت يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها مما ينتفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كمثل البرهي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالأمور بالمقاصد والارادات ، كما ينادك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو العارفين من الصوفية تبين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بمجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل (٤١ : ٥٣) سيريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ٥٤ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط) ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ، بعد انقاس الخلأثق ،

وهنا ثلاث مسائل لابد من التصريح بها وايضاها ايضاها لالبس فيه . (احداها) ان كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلبية لا صورية فلا يقال ان علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وصنع الآلات مما يكون مع حسن النية من المبادات المشروعة في ذاتها التي تلمس لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تعتبرها الأحكام . ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا عموماً وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ

(المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والبرية والأعمال يشترط في جوازه ان لا يكون مخالفاً لما هو مقطوع به من أمور الدين . فإذا فرضنا ان التوجه والرابطة يتأنيان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل للمسلم العمل بهما . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل التقليد ومن هذه المسألة أتقل بكت الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المريد لشيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خير الا بواسطة ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة بحكم الفقهاء بردة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالخرب وتديريها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن رحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المريد الا حسن الفن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو المتكلمين ، أو من سائس الشيوخ : ولا يقولون ان عبادته لا تقبل ولا يصل اليه خير الا بواسطة شيخه . يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بواسطة شيخه . وقد صحح في الغاب

وهو ما يجب على المريد من « الامام » من « ان الجنيد والجيلاني وأضرابهما هم الذين ينبغي ان يتبعوا في كل شيء يعرف ما هو الاسلام اذ من اتبع غيرهم لم يزل يضل » . فلو كان الله تعالى يوجب على عباد الله أمراً دينياً الا رسل

الله يأذن الله وهذا القل في إجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين
وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الإسلام ، فهي من أعظم
المشكلات عند جهة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الإسلام شيئاً له
سلطان على نفوسهم إلا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لمؤلاء التعليم
ما هو الإسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الأدب عند ذكر
أهل العلم والتقوى وبيان أنهم غير معصومين من الخطأ وأن كثيراً مما ينقل عنهم
لا تصح نسبته إليهم ، وأن أفضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم إذا كان
مخالفاً للشرع ، لا مخالفة الشرع إذا ادعى بعض الناس أنهم خالفوه ، فإن ذلك تقديم
لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن بآبائهم وقصدهم فيما أخطأ اجتهدهم فيه وإن
الاجتهاد المخطئ منهم يؤجر على اجتهداه ولكن لا يتابع عليه ،

وانتي اذكر شاهداً واحداً من خطيئة أئمة الصوفية والعلماء في اجتهدهم المتعلق
بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي — الذي صرح غير مرة بأن كتابه الأحياء كان
استاذي الأول الذي حجب الي العلم والتصوف — ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غباراً
من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم أن كل اجتهد خالف الكتاب والسنة
فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته أيام تصوفه يزور المشاهد وقال إن قبور الأنبياء والصالحين
تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الإذن
بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني بهما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند
زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيده رغبة في الآخرة واعراضاً عن
الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالرابطه التي نحن
بصدده البحث فيها بحديث « من بورك له في شيء فليأزمه » كأنه يقول أنا وجدنا
لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجدنا أن الدين في قلوبنا وذلك هو
البركة لأن معناها الزيادة وقد امرنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن
عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فأننا لو جعلنا للأنبياء والصالحين صوراً وتماثيل تمثل لناظرها هيأتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين إليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والغزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان يحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لفرض صحيح وقصد حسن بل تتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الأمة ويجعل اجتهدنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فوض إلينا من الاستقلال بأمور دنيانا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدل به عليه من جعله في أمر الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الألسنة ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المستنيرة من عزوه الى ابن ماجه بعد إirاده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وإنما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليأزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأتيته عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لا تفعل مالك ولتجرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرج منه حتى تتركه وتقدم على ما تجنيه ؟ الزم ما رأيت الرج فيه . ومعلوم ان الأوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كذا الأمر لا يعد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وإنما يسميه علماء الأصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومته في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب مالا من شيء، كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولأن هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الأول. على أن في سنده فروة أبيونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الخزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه إلا حياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الأخطاء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وإن اهتدى إلى حقية مذهب السلف قبل الاقطاع إلى الحديث وإذا كنا معشر المسلمين نعتقد أن الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فهل يصح أن نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلا من أصول الدين وخلاصة القول أن التوجه والرابطة ليسا من عبادات الإسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله (وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وإن تقولوا على الله مالا تعلمون) وإن أئمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وإنما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الأرواح وفي كل منها لابد من الوساطة، وأن المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي إذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها أن الشيوخ الأولياء بل والأنبياء لا يملكون لأنفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عرفان وهو سر من أسرار التصوف أفشيناه للضرورة والإرشاد وإن يعتقد مع محبين الظن بهم أنهم ليسوا بحجة في الدين وأنهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد أن يزداد نوراني هذه المباحث فليتنظر جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الأمام فإن فيه بيانا لا يجده في كتاب

﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسمبر (روسيا)
 الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر
 دمت بالمر والكرامة. اما بعد فقد كثر المباحثة والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله
 عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض
 لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آثمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها
 احدى عينيها فحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذه القهستاني والزاهدي فإلّا ممول
 من سيادتكم ان يبين الحق من الاقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تنهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم
 فيه والاصل في المسألة قوله تعالى (٢٤ : ٣١) ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها)
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخدعان وفي رواية عنه :
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والخطم . وعن سعيد ابن
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :
 وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخطم والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى
 الاقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في
 صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا
 ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوماً بذلك ان
لها ان تبدي من بدننها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة ففسير
حرام إظهاره . واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه مما استشاه الله تعالى ذكره
بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن »
على جيوبهن « يقول تعالى ذكره وليقنين خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن
بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اهـ كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار
على رأسها وتسده الى الورا فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على
الجيب ليسترن العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلو لم يقل الا ما ظهر
منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الإباحة فكيف وقد
أمر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه ! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك
وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد ويغشين الاسواق
ويسفن الجرحى في مواقع القتال ويخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام .
فعلن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة
يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يسترنه منهن الا بعض نساء المدن
وهي عادة حكمت بها غيرة الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانغمسوا في
الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر الفقهاء علاناً وجوب ستر
المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتداء هذا البحث والخلاف في القرن الثاني
هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد
الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد ؟ اذا كابر أحد نفسه وقال يحتمل ان
الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهم يصلين وراءهم ولم يخش ان يقال
له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم بعدها عند الانصراف
كما هو مأثور مشهور — فبل يسفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه
النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسعي ووقوف بعرفة وجولان في
أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام ان كشف المرأة

وجها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكبر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحيثما حلت وهي مع الرجال في جميع الأعمال

ومن نظر إلى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر إلى الوجه والكفين يجد أنهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الأول وإنما علاوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر إلى وجه الأ مرد وعلاوه بتلك العلة ومن المجيب أن إمام الحرمين من الشافعية اعترى بمنع الحكماء النساء من الخروج في زمنه وظن أن عليه جميع المسلمين

قال الرهلي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر إلى وجه المرأة وكفيها حتى عند الأمن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الإمام للجمهور والشيخان لا كثيرين وقال في المهمات إنه الصواب . وقال البقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وناقضه الإمام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن معارض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وإنما ذلك سنة وعلى الرجال غرض البصر عنهن الآية وحكاية المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه أنه يحرم النظر إلى المرأة المتتمة التي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرهما وإلى المجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كتب الحنابلة « لا يجوز له النظر إلى الأجنبية قصداً وهو المذهب . وقال القاضي يحرم النظر إلى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر إليهما مع الكراهة إذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الاتصاف : وهذا الذي لا يسع الناس غيره خصوصاً للتجيران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريئاً للفاسق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أئمتهم أن الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة العارضة أو سد ذريعة لا يصح أن تجعل دليلاً لتغيير حكم من أحكام الدين التي كان عليها السلف يحظر أو إباحة تغييراً مطلقاً كأن

يقال مثلا ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ، ومثله كشف المرأة وجتها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه ما دامت المفسدة متوقعة

فخاصل الجواب ان كشف المرأة لوجتها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل أوجبه في الإحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جناية على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للخرج والعسر فيه وقد نقاهما الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحمله من نساء الأمصار من تعودنه أو من كفتن الثروة مزاولاة الأعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفن لوجهن لا تسلم على إطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السافرات من تقطع بأنهن أبعد عن الريية من نساء المدن المتقبات ، ولكن المرأة اتي تعلم ان في كشف وجهها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

حبذا لو تكرمتم بإبداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السؤالين الآتيين وما ذلك إلا حبا في الافادة والاستفادة .

١ - هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟
مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتعهم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجرد المغيرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يقووا بالاحترام اللازم لقميص أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابله في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يتشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

٢ --- هل يجوز للمسلم احترام شعائر غير الدينية أم لا ؟
مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجارة الشعب في عوائده الدينية هل له ان يفعل هذا أم يتمتع .
هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فترجو الإجابة اما عموميا في مجلكم الزاهرة او خصوصا باسمي والسلام

(ج) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشتمل على محرم في الاسلام كشرب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينية فلا يجوز للمسلم أن يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالتبى تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحظره الاسلام . فالمحظور في هذا المقام يرجع الى أمرين أحدهما الاتيان بما هو ممنوع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمل المسلم لعمده واثبه منهم هذا ما اتفق عليه التقباء فيما نعلم ولعلنا تفصل القول في ذلك بعد

﴿ حديث علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل ﴾

(س ١٥) من احمد افندي محمد عطيوه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادتي عن هذا الحديث « علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المقبرة هو — وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومنى عاطر التناء والشكر (ج) هو حديث موضوع تجدونه في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المتثرة وقل لا أصل له ، والشيخ عبد الرحمن الديع في تميز الطيب من الخبيث وقال « قل الدميري والزر كشي وابن حجر إنه لا أصل له »

باب المناظرة والمراسلة

٥

بحث العمل بالأحاديث القولية والأحاديث القطعية

يقول حضرة الدكتور اما السنة القولية (الأحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة القطعية ؟ ولم لا يكون النسخ في القطعية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ اليس من المقرر والمسلم ان اصل كل تشريع انما هو القول ؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه الى غير ذلك الا بالقول ؟ لم يكن من المعلوم ان الاعمال تتطرقها احتمالات كثيرة اذا لم يقارنها اليان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها الا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه ان نسخ السنة بالقرآن « قد قال الامام الشافعي انه لا يكون حتى حكى بعض الشافعية عنه انه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الامام في الرسالة « لا ينسخ كتاب الله الا كتابه — ثم قال — وهكذا سنة رسول الله (ص) لا ينسخها الا سنته » فان جاز الاستدلال بقول الامام هناك جاز هنا والا فلا في الموضعين

وقوله « وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى » يقال عليه فهذه الأخرى النسخة هل هي معلومة ام لا وهل هذه هي المدونة عند اهل الحديث ام هي احاديث غيرها ؟ واين هي ؟ ومن ادراك بها فانك قد قررت انك لا تقبل النسخ الا ان تجد الله او رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل اليك ذلك بالتواتر فلا انصفت مناظريك ؟ —

٥٢٢ العمل بالأحاديث . دعوى احتياج القرآن الى السنة (الماراج ٧ م ١١)

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم اليه
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب اضعاف ما في القرآن وهي
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستقي
عنها البشر ولولا خوف الاطالة لاتينا بجمل منها وينا ما لها وما عليها ومقدار الحاجة
اليها فليتبع ذلك حضرته

بل قول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة اكثر من احتياج السنة اليه .
يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مينة لمراد منه تارة وشارحة ومفسرة
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على ما فيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتعودوا طاعته واتباعه كما أمر
بنك في كتابه ولتلا تجرم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم . ولبسط ذلك
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي قان
الدليل ؟ اما قوله تعليل لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة
النهي عن الكتابة والتاريخ فيها هي مسألة لا تدل على نسخ السنن النبوية باحد
الدلالات مطلقاً والقاري يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار
على العمل بالظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسمه ثم يعود الى هدم
القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلقي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في
غير موضع من كتابه والاحاديث المتواترة لفظاً ومعنى في وجوب اتباعه واتباع
سننه . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الامة : ماله يرد ذلك كله بالخرص والتخمين
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر
حضرته بما قضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم ينقل اليه المتواتر بل قد اختلف في رفعه الى المصنوع (ص)
وفي نسخه وقد عارضه ماهر اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها أو أنها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا أنه نهى عنها لأجل أن تندر السن بطول الزمن . أن أحده هذه الأمور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح أن يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سنته معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيما إذا كان حديث النهي عن الكتابة مملا بعلّة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي أو الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف أن يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشتبه ذلك على الناظرين فظنوا أنه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بأن نهى عن كتابة العلم أو الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن أن يأخذ أقوالهم في أمر قد صرحوا بسببه أن يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما أرادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم قول الحق أن الأمور المطالة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت العلة زال الحكم وهو ما خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله إذا سلمنا أن حديث النهي مرفوع وأنه غير منسوخ . ومن اطلع على القواعد الأصولية من أنه إذا وقع التعارض بين دليلين أحدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف أن الاجماع على كتابة السنن غير معارض لصح — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اعني حديث النهي عن الكتابة وأحاديث الأمر والترخيص فيها تبقى البراءة الأصلية والاجماع أن لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ومن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وباق أم لا ؟ فإن قلت بالآخر فقد وافقتا . حينئذ لا يصح لك الإلزام به . وإن قلت بالأول لزمك أن تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل أولى من ذلك كله أن تمنع عن كتابة سائر العلوم

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة مؤقتة — فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابته واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) قبل يسوع ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن مؤقتة لا — لا — في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفارق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يحسن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الالتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكتاب الناس وانما كهم على كتب شعثت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لنزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها — فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الا له مما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الا التماس به وينهاهم عما لا يجب ان ينهوا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفما شرع الله من الدين على لسانه بإرادة هذا منه (رض) أو منهم هو أمحل

المحال وحضرة الدكتور نجده ان يعني ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس بواجب وحرم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويعتقدها وان اصحابه يعتقدون ذلك او انهم لم ياتمروا به الخ فخطؤه فوق كل خطأ واقترائه فوق كل اقتراء ومع ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته — هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة مرتبة ؟ قد قد منا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف في رفعه وسبب الذهبي منصوص كما قد مناه مع معارضته لما هو اصح منه فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات الكثيرة القرآنية المصروفة بوجوب وازوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينافي احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي واجبة على اول الامة

لكننا نرى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص) وهل طاعة الرسول (ص) الا الاتجار بامر والانتهاز لنهيهِ والا لم تكن له طاعة وقد عرفت ثبوتها وادل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سنته اقولية كما قال تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شيذا » من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فاما رسلناك عليهم حفيظا » اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والاقولية معا يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن ذلك باكثر وأوضح مما يعبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لا يوجد في العالم خبر يوثق به وبدلالاته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه بن قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر بالتبعية وتارة يأمر بالتحاكيم اليه ويجعل ذلك من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان الخرج — وتارة يأمر بالتأسي به وتارة يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وتارة

يعلمنا بأنه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحرير إليه (ص) ثم نراه
 ينه في محل آخر بأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره
 أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحبك الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طلبهم محبة الله وبابا
 لمحبة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص ب قوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى
 عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة
 ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرأه
 الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبطللة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن
 مخالفتهم أمره « فليحذروا الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجملوا لانفسهم
 الخيرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله
 وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك
 من اساليب التعبير والتفنن فيه لا يضاح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن
 ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص قائما انما سبقت للاعتبار وليطاع الله
 ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليؤمن الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما
 قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم
 يعتنوا بسنته اذا رأوا احدهم احتاط في الرواية او حكم بخلاف السنة بهذرانها لم
 تلبثه ولو بلغت لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل
 يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كائنا من كان ما لم يكن عن الله أو عن
 رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعملوا السنن النبوية
 بغير ما عاملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما قدمناه
 عن القرآن . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح
 به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه يجد ما موافقة لما

دل القرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « اني تارك ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجود اتباع سنته أيضاً تواتراً معنوياً . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين . وكل ما خالف الكتاب والسنة قائماً هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشتم الذي حذر الله عنه في كتابه فحمله حضرة الدكتور على الرواية والمروى بلاينة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دونوها هو بين أيدينا فلهما بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تزاغوا ففشلوا وتذهب ربكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقوه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولأخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بضمه

الحقير صالح بن علي الباقعي عفا الله عنه

(المنار) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة فالرجو منه ان يبين ما يراه متقدماً منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان يسلم بغيره المتقد عند تسليماً صريحاً

أشعار الأديب

هو إرشاد الأديب، إلى معرفة الأديب

المعروف بمعجم الأدباء - أو طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي المولد البغدادى الداى الرومى الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور. كان غلاماً تاجراً حموي عليه ليكون عوناً له في تجارتهم ثم أعقبه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فأعطى أولادهم زوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم وأتجر بالباقي وجعل بعض تجارتهم كتباً فكانت عوناً له على ما تصبو إليه نفسه من العلم لا سيما التاريخ والأدب. قأف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه (إرشاد الألباء، إلى معرفة الأدباء) ولكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعا متقناً على ورق جيد وإذا باسمه الذي كتب عليه (إرشاد الأديب، إلى معرفة الأديب) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذلك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك المصنوع قال المؤلف في قأفته (ص ٥) «وجمت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين والقويين والنسايين والقراء المشهورين والأخباريين، والمؤرخين والوراقين المعروفين، والكتاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة والمصنعة، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً، أو جمع في فيه تأليفاً، مع إشار الاختصار والإيجاز، في نهاية الإيجاز، ولم آل جهداً في إثبات الروايات، وتبين المواليد والأوقات، وذكر تصنيفهم ومستحسن أخبارهم، والأخبار بأنسابهم وشي من أشعارهم، الخ قال الكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان كنزاً غنياً فظهرت همة أوربية. ذلك أن رجلاً من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الياس جب كان مغربا يدرس العلوم والتواريخ العربية
والتركية والفارسية ثم مات في اثنا عشر سنة في سنة فوفقت أمه مالا عظيما
على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتغلا بها بصرف ريعه في ذلك وعهدت
بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بعد ما عني
الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه
فاذا فيه بعد القامحة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوها باب الهمة وهو يتتدي
باسم آدم بن احمد الهرمي وينتهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على
أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء الميري في ٤٣ صفحة فتشكر لجميع العاملين في احياء
هذا الكتاب وامثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان يعنى طابعو الكتب
في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاتقان

﴿ الرد على من أخذ الى الأرض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض ﴾

بنيت قواعد الاسلام وأقيمت أركانها على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند
علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بعذر في الدنيا ولا
في الآخرة فالقاضي الشرعي لا يترك عتوبته اذا ارتكب موجبا جاهلا كما
ان الله تعالى لا يضره في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا
بحرمها . قالوا الا اذا نشأ في شاطئ جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم
ما كان بالدليل فالعلم لا يكون الاجتهادا ولذلك اجمعوا على ان المقلد لا يسمى عالما كما
صرح به ابن القيم في اعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى القرون الوسطى يطلقون
لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد
في هذه القرون من المؤقتين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم
بالاسلام أي بالكتاب والسنة حارمتان وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ
بما كتب في المصنفات الفقهية التي ألفها المنسبون الى أحد المذاهب المشهورة فقام المدافعون
عن العلم يردون هذه الدعوى و يبينون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخذ الى الأرض » وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض « وقد اورد فيه النقول الكثيرة عن اكابر علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقع المقلدين المنكرين مالا يقتضيه الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة العالية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه قشكرها احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

﴿ ليالي سطیح ﴾

طبع الجزء الأول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والعادات، ووصف حال الاجتماع في مصر، وجعله حوارا مع سطیح الكاهن الجاهلي، ذلك الكتاب الصغير الكبير، الذي تبارى في تهريظه عالم الكتابة والتحرير، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسنة، ولهجت السنة الفصحاء بوصف ما في مبانيه من المثانة والاحكام، وما أودعه اسلوبه من الرقة والانسجام، وتغلغلت افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعظات، وما بينه من الامثال والمثالات، وتلطف الناقدون في الالقاء الى ما فيه مما لم يخل من مثله كلام الناس، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين اقياس، فلو جمع ما كتب في تهريض كتاب ليالي سطیح، من التناغم والمديح، لكان معه كليلي هجر الملل، مع ليالي الوصال، على ان ليالي التقرير هي من ليالي الوصال اليض، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم،

اخذ اولئك الكتاتيون مسالك قول على من يحاول بعدهم وصف الكتاب او قدده فما على النار الا ان يجعل الوفاء بذمة حافظ عرض شيء من حكم كتابه على قارئيه، لهم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه، فمن ذلك قول سطیح في الحث

على العناية باللغة العربية ونصر دولها وذكر إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،
والاستاذ الامام (ص ٦٢)

« فذا ضرركم لو تساندتم جميعا وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفعه من شأن
هذه الدولة ، وحركتم من الخاملين ، وهزتم من الجامدين ، فاني أراكم بين
متنصح على أخيه ، ومتنبل على قرينه ، وليس هذا صنع من يريد ما يريدون ، يحاولون
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من منها ، ولو لم يتداركها الله بذلك الا فتاني
لقضت نجبا ولقيت رجا ، قبل ان يمتعها بكم ويمتصكم بها ، أدركها الا فتاني ولم يبق
فيها الا الدماء ، فتفخ فيها فتحة حركت من نفسها ، وشدت من عزمها ، أدركها
وهي شطاء قننهض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قراها قبل ان تشيب
ناصية القرن الخامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سودا ليلي ، وتهدتها
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، وبداء صلاحها ، وقد كان الناس في ذلك
العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر ممن تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف
فرجت للرماح ضيق المسالك ، فانفسح للتأدين المجال وجمال كل جولته ، وتنبه الوجدان
وتيقظ الشعور ونحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في
النفوس العالية ، وأصبحت تتدبر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى
أجل التقليد ، وأن بعث الله على يديه ميت اللغة واحيا رفات الانشاء ، وغادر رحمة الله
عليه مصر ولم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفا نفتخر منه ، ولكنه ترك لنا رموسا
تؤلف ، وأفكارا تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو
يوجد بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى
تشتاذلك الأثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب قدورتم
عنا في صدور الرجال ، فاذا حشوتم التراب على رجل الا فتان فليكن برجل مصر
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاهما مؤلفا ، ولم يدع مصنفا ، فلولا
محمد عبده ما عرف رجل الا فتان ، ولولا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان
ولما سكنت أنفاس الا فتاني بعد أن تجددت بذكره الانفاس ، خلفه حكيم الشرق

في دولته، ووطن نفسه على المضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعوه، وخافوه في ذات الاله وخافوه، ولم ينزل بهم حتى غلب حقهم على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فصنعت الأذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خباياها، فخرجت مطارف آدابها، وأطل علم الأدب Litterature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، وفقدت أشعة الى السرائر، ففى تحت نظره الشعور كما ينمي النبات جاذبه الشمس بالنظر، أو كنه أشعة القمر، فطفت من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الأرواح، حتى شفت الأولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه، اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيح ومحاوره الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجي من الإصلاح فقال (من ١٤٤)

« قال (اي سطيح) واين مكانك من العلم، واين منك منزلة العلم، قال حسي اني من تلاميذ حكيم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله تراه، وجعل النعم شواه. قال اني لأرى رأيا حصيما، واسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا انهم فريقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بطب، وقد أثني عليها السعيد، وتبأ لها بالطالع السعيد، قال — لا علم لي بما تقول. ولقد كنت ألقى الناس بالامام أغشى دأره، وأرد أنباهه، وألقط ناره، فما سمعت ينحوض في ذكر السياسة قبحاً لله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمر بانفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكمة الخلق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم ينزل ذلك همه رحمه الله يلقي في الأزهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والمرفق، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران، على انه كان من أشد الناس تبهما بالسياسة واهلياً، حتى أعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ما قال

لكنه كان يحمك بها مادمت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاتها ومداها ، ويصد
فاراتها صدا ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تقف عثرة في طريق الفضيلة ،
ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يتنيه ، فكم تلطف
في ابتزاز قواها ، وتحملي جوده طريق أذاها ، حتى اذا ظفر بطلته ، وقار برغبته ،
واستند منها ما شاء ، تحت حاية الافاء ، عطف على العلم بذلك الامداد ، ورد عليه
ماسلات يد الاستبداد ، ولعله اوهم العبيد ، يثقلة حرب جديد ، ليرد عاديته ، ويضد
عليه سياسته ، في مصادرة العلم ومصارعة الحليم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ،
وما عبث به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام ما ذمهم جبل الوداد ، وجافهم
فضل التصح والارشاد ، لا صابه ما أصاب حكيم الاقنان ، وقضي على هذه الامة
بالحرمان ، فقلد كان يندو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شررة القوم ، ويصلح
ما فسد من اهل الدسائس ، فكم زحزح عنا حادثا ، ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار
الملك لنا بالتحروس في دنشواي ، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما
لوقع صوت العبيد ، بفك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التحرير ،
الذي جاء ابلغ ما تملي الضغينة على الموتور ، فكان فيه كثير جموح البراع ، ضعيف
ضعيف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وقفة
للمدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارتدت طائفة من جفاته العرب
وكادوا يقتلون الناس لولا حكمة الصديق وعزمة الفاروق فأنقذت الردة من شرف
النبي ، ولأنالت من عصية الرسالة ، ولبت الاسلام اسلاما — ومات الأستاذ الامام
قصباً بعض حزبه كما يدعون ، واستغفر الله لهم عما يقولون ، فما غرض ذلك من
كرامة حكيم الاسلام ، ولا من من سيرة ذلك الامام ،
أراد بعض مر يديه أن يقتي غناء وان يفعل شرواء في التوفيق بين صواخ
القوم وصواخ الحنا ، فرمى بنفسه في احضانهم ، وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا
منزله في قلوبهم ، فحصر ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراخ الذي تركه الامام
لا يشغل الالوف من اولئك الذين يرفعون العقيرة بالمصباح ، وينهون عليه مذهبه

في الإصلاح ، ولما ظهر ذلك المريد بمظهر الاتصال بالقوم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه اللسن وأخذته سهام الاقلام ، على انه وان اخطأه التوفيق في عمله فما اخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض المرائين السبيل الى تشويه سمعة الامام بعد موته ، وبالقوا في ذم حزبه ، وزادهم ضعفا ان قرأوا في تقرير العميد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي أودع فيه الامام من أسرار حكمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوفاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ما سمعه أكان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتعلقون باذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باللوم لانهم يعلمون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لا حياة لهذه الامة بغير الجامعة فما لهم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواظوة والون الصباح بطلب تأسيسها فتلقي اصواتهم بالنداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد جبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود أولئك الوعاظ عن الكلام واندفعوا في انشاء الكتائب حين ساقهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سبيله ما بذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أتياب النمر ليقع تحت برائن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتائب داء الجهل ولكن بداء الفرور فببيل الإصلاح ان تنشأ الكتاب وتبني الجامعة في وقت معا حتى اذا أخرج الأول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتبسط الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يقودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكم نهضت امة بفرد وامست دعائم دولة على عزائم أحد وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يقي
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناء الرجال لا تكون
الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا
زاجر من الخلق ، فاذا تزعزعت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينجع في الناس علاج
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة
الا أمرا يسيرا ، واني اذكرك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل
أمرى معك على المزاح ، ولا يصغرن في عينيك مآثي ما ألقي عليك ، فرب مؤثر من
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،
وتغفل عنها عقول الحامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جليلة ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت
تستغزر ، فاعلم انه اذا اقبلت أبواب المتدييات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل منتصف
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقاتها عابرا ، اذا
انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك (فينا) يجمع فيها الليل بين الجفون
والسرى ، ويحول الظلام بين الأرجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت
حركة البناء ، فما لكم لا تأخذون أنفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد أنتمروا بأوامر
الخالق وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة
الكونية ، فتجمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تعقوا أوامر الكتاب المبين ،
ياويلكم أحبيم ليالي العمر بالآثام ، وأتم أيامه بالنمام ، فمكتم الفطرة ولا
بدع اذا هكست آمالك ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ،
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لأبدانكم ، وسلامة لأديانكم

إذا شئت أن تعرف ما وراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعدها
منها الرجوع الى المعيشة المنزلية التي انحلت بزوالها روابط الأهل والأقارب، وليس
ما بين البيوتات، فتذكر الإخوان، وتندابر الجيران، واقهرت المنازل من انس السر
والف الناس الجلوس في المتدييات حتى أنهم ليوحشون في ديارهم، قللة زوارهم،
وأصبح المرء في داره حاضرا كأنه غائب، مقبلا كأنه زاح، يعلم من حال البعيد عنه، ما لا يعلم
من حال القريب منه.

ومنها اجتياز العقبات التي أقامتها المتدييات والحانات في سبيل الاجتماعات —
كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور
والقصور وكانت سرايتهم وذووا اليسار منهم يجلسون في يوتهم للسر فينشأها العالم
ويؤرخها الكتائب ويقصدها الناجر ويتجصها الأديب قصيري أيتهم الأحاديث
وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره، وتنزل النازلة
فيجهم الألم على العمل على أرائها، وتطل رؤوس المشروعات فلا يفتنون يفتنون
بعارفها، حتى يقتلوا شؤنها بجثا، ويقفوا على وقائها جدالا، وينزل بأحدهم المكروه
فلا يزالون يظفون بالسعي له حتى يأخذوا بيده، وينفضوا به من عنقه — عقدت
فيهم الزيارات، عرى المودات، قترامهم وهم كأنهم أهل بيت واحد: يألم الجار للجار،
ويأخذ الناهض يد ذي العثار، يربك هل نهضت أمة بغير ادمان المجتمعات،
وهل انصبت مودة إذا هي لم يبعد ما أهلها بالزيارات، لقد جار في حكمه من قضي
على المصريين باستحالة الاتفاق، وجعل تلك الكلمة التي روى بها حكيم الاقنان
أساسا لحكمه، فصرفه التقليد عن النظر اليها بعين عقلة، فمن أين المصريين أن يتفقوا
إذا هم لم يجتمعوا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى أن هذه السنة الافدنة (أي بقعة الأزبكية)
تكد تبلى ما تخرجه ارض وادي النيل من الخيرات ولا يترك ما ترى في عاصمة
الفرنسيس فإن أهلها من الأكياس الذين يصاون سهر الليل بالنهار لأصطياد الذهب
ولكن من جيب الغريب ونحن انما نقول ذلك لينهب الغريب بأموالنا ويسخر
من جهالتنا اهـ. وهو خاتمة الجزء الأول من الكتاب

رسائل البلاء

من مزايا مجلة المقتبس التي يطابق بها اسمها مساهماتها نشر رسائل بلاء الكتاب
المقدمين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجله ويطبعها
مجموعة على حثتها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد أحسن فيما فعل
صدرت المجموعة الأولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد
الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما ممن تضرب يلاغتھا الامثال وتشد الى كلامها
الرجال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان
ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وقصة الجيش . وقد غني الناشر تصحيح
هذه الرسائل معارضة على أصلها ولم يتبع سنة اكثر طائفي الكتب بمصر من اهل
التصحيح فما يوجد فيها من الغلط فالذب فيه ذنب النساخ المحرفين مع قعر بلادنا
من النسخ التي يعارض عليها الاصل . وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد
قروش واحد فنحث محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قراءتها

سر تقدم الانكليز السكسونيين

قد اصبحت هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم باسبر لغات الامم ، ولا
غرو فان تقدم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الامم العزيرة التي تساويهم
او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يحاري في احد الا من يجهل ان الشمس لا تغيب
عن سلطانهم ، وان منات من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جهل هذا التقدم لا يمتد
او تجاهله لغروره وغباوته ، فان الامم الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار
وتجاريها في تلك الجوارى المنشآت في البحار هي الجديدة بأن تعرف سر تقدمهم ،
وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بعيدا عنه ، كما يعرفه
من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز
به الانكليز على غيرهم من الامم في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب سر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد قنحي باشا زغالول في قومه وخدمته اللغة أمته ان ترجم هذا الكتاب بالمرية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفذت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أبهج من الأولى وأشد اتقاناً . وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته (مسامرات الشعب) . ولا ينسب القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب (الحرية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختار فيه ان تكون تربية الاخلاق واستقلال النفس تربية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتني ارى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محفوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيتها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفصا التأسي بآمة كما ينفصا التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وثبتاً في التثبيت بالجديد

﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد انتهت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للقصاص مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة تفيد المتفرجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تفيدهم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين المقامرين على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والريزية ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية ممزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة ومستقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خبر معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشاً في السنة لأهل مصر ونصف ليرة انكليزية لغيرهم فتسنى لها التوفيق والنجاح

﴿ شورا ﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المنار شيئاً من افكاره العالية وفعه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿ النصيحة ﴾ مجلة علمية أدبية تصورية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها « الصادق بن ابراهيم » صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لأهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتسنى لها التوفيق والثبات

باب الاخبار والآراء

﴿ الامة العثمانية والدستور ﴾

إذا كان المنار لا يسع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجه وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدق بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكائين في الصحف اليومية والأسبوعية بعض ما رجا يذهلون عنه ، وتنبه القارئ الى ما ينفع التنبيه له ، واتني أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب (١) أول شيء يجب على المنار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطئه في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام ، بأنه دين تمصب وعدوان ، وفي المسلمين بأنهم لا يلتصمون مع أحد من لا يدين بدينهم ، لاسيما الذين يزعمون ان العلماء المعصمين ، هم الذين يثبون الشقاق بين العالمين ،

أريد هذه الخطة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل للأعتماد والمساواة بينهم وبين غيرهم وإن شيخ الاسلام قد كان وما زال زكهم الذين يلجئون اليه ، وقطبهم الذي يدورون حوايه ،

إن أحرار المسلمين هم الذين بدعوا بدعوة الأحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعطوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصالحة الأرمن والروم وغيرهم من الشعوب المواقين لهم في العثمانية الخالفين في الاعتقاد وهم الذين رفضوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام بالقول المشهور فيه « لم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا التنازل عن بعض حقوقنا ، إرضاء لماطقة بعض شعوبنا ، كالكثيرين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا مجلسا للبحوث ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكرون هذا الجامع بذلك الفتح المبين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بها في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي أن يفعله الباقون فإن المسلمين هم المنصر الأكبر والأقوى فإذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير الهوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته بحجة ولا مقبولة

فأدعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى أن يكونوا هم البادئين برّ غيرهم والاتفاق معهم واشتراك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتضرب بها البلاد التي يتمتع بعمرائها الجميع ، بهذا تكون الامة العثمانية ، وتعتز الدولة العلية ، وبهذا يقطم المسلمون السنة القادحين فيهم من الأوروبيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المبين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، فلا ينفي الظاهر فيه إلى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرمهم بالدستور خاسرة ، أو أنهم يعمرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيجعلهم ذلك على الشآن ، أو يدفعهم إلى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكيما في نصحه ، مراعيلا لانتعداد الاكرمين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدريج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعمل عليه بطلب مآثر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتي التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فان المصلح في القوم ليدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه إلى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، وقيم على دعوته الحجة القيمة والآيات اليقينية ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدريج ، وأرى ان من الحكمة في تلافي الشذوذ والتقصير ، ان يادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين إلى انتقاد أهل دينهم ولو بالعرف والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايبتهم له ،

(٢) انتقل باقاري من المسألة الدينية ، إلى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان قد جثم الأمة فيجعله نصفين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويهيب شره الجميع ، فالمسلم التركي ، يعادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يعادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك نفس

لو بدأ بالدعوة إلى ترك المصيبة الجنسية العربي أو الكردي أو الألباني أو الأرمني أو الرومي أو البلغاري لما سمعت للبادي من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان لجهازة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال أحرارهم هلموا ايها ايها العثمانيون ترك التعصب للجنس ونشترك بلقب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر بلهم الجميع حامدين شاكرين ، فوجب ان ننقص الجنس التركي

بالثناء الحسن قبل ان تناسي او تنسى انا أجناس مختلفة . ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا منذ بضع سنين أرقى العثمانيين تربية وتسلما ، واعلاهم أدبا وتهذبا (٢) بعدد كرساتي الدين والجنس اذ كرسينا من عمل الجمعية التي تلافيت ضرورها وسعت مع غيرها لخير العثمانيين كافة . ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الحثيث اليه حتي اندمجت الجمعيات فيها او كادت ، وتداججت معها كما أرادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحددين في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفائتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع إعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلغاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر أو أكثر ولم يلقنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أو أدبا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتي قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجي ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف ،

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكريتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الاوربية ، لا سيما ذوات السبق الى الحرية كانكلا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين ما تعمله هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلات السر عسكر رضا باشا وناظر الداخلية مدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا ورئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهادي أحد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ملحه وسليم باشا ملحه الى اوربا . واخرجت من المايين اكثر الحجاب والكتاب والخادم

ومثلي الروايات وأجواق المويستيات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والتقدم في قال الأمر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثير الغزل والتقل في المسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثقة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من الخائنين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يهزلون بادروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الأبدال عسر جدا مع تجري الأكتفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان تقبل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كانت ممن جروا على مصانعة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدرج فان في العجلة مفسد كثيرة ، واما حقوية استبداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد قد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون بالجان العليا في الاستانة وسلاطيك وأوربا ، ويحمل الشعب على المظاهرات وتجريره على الخطب الحاسية في تسيح الحكومة السابقة حتى افرط بعض الناس في ذلك افراطا لا تصد عاقبته ثم اتنا نرى بين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المناهقين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه يتهاقون على الدخول في شعب الجمعية تنزوا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يرقى هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا أعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطعن في الدولة انه من الأحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الأعضاء الصادقون الي تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الى محققهم وتزكية الجمعية من نفاقهم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يبلغنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الأهالي الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق ويأوون الى بعض الوجاهة فيقتدونهم من الحكام بالرشوة حتى بلغ من استهانتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيبتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على رأي من شرطتها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين قبيهم الآن الى تعقب هؤلاء الاشقياء وترتيبهم بالشدة التي لا يطعمون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومه السابقة والا كانت فائدة الحرية للاشرار وغائتها على الابرار وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو مرادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة نذكر بها الا الاحتباس من جنوة المانيا والنمسا والله الموفق فسنأله حسن الختام

هو المجلس النيابي لمصر

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة أن انكارا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعلوه مناقضا لما يستتبع من سيرة المحتلين في مصر ونصر بحات اورد كرومر في تقاريره وناظر خارجيتهم في مجلس النواب بئسده . وكنا قلنا ان حركة القبط التي شرحناها في الجزء الخامس مما يحتل ان يحمل الانكليز على ارجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نيا جديد من أبناء أوربا السرية العالية بأن القوم لا يزالون على هزمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان يتخذ في السنة القابلة لا أقول ان كتابات القبط التي تنامت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطراب حكومة بريطانيا لاظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الا اخلاق شعبها وقائدها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أينما كانوا وحيثما وجدوا . فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يليق بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يحاربون الطبيعة ولا يقاومونها ويعملون في كل حال ما يرونه يليق بها ويوشك ان يكون للوفد المصري الذي سافر الى لندره برئاسة اسماعيل باشا أبانته تأثير حسن في المسألة فان انكارا يصعب عليها أن تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها نخط خطها وانكارا فضلا وإسناد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

كيف نستعمل الحرية (*)

أيها السادة الاحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقفي الأول أرسل القول إرسالا ، لأن المواضيع متوفرة ، والشعور بالحل اطلق اللسان من عقائه ، وفك الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدت نأيس من انتهائها ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سئلت ان اتكلم في موضوع لا اتداه ، ومرتبجل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الانتخابية حرة ، مثلكم ايها السادة فهي تأتي التقييد ، وقد جعلت موضوع خطبتي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا اخرج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع خاص الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضعون لها قيودا ، ويخرجونها عما وجدت له ، ولو كانت ذات شعور لعجبت كيف يطول تقييدها طاقاؤها وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ، فظنوا ان الحرية تبيع للناس امتنان حكامهم ، والتعي على صالحهم وطلبهم سادتي : ان من يدفع عن مركه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها ، فإذا كانت المظالم زحزحتا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فنحن لا نرتكز في نقطة الا نأدنا تلك المظالم في صدرها ، وأنحنينا باللائمة على القائمين بها

الشعب الذي يغلو الحكم في ظله ، يجب ان يتطرق في الحرية متى نالها الحاكم المسترسل بالنظم ، الملوث بالرشوة ، لا يفقه من سكرة الاستبداد الا التبرج الفظيع ، والتبذير الشديد ، فهو كالعضو المخدر ، لا يحس الا بالوخز المؤلم وربما لا يحس به

(*) خطبة من الخطب التي اقامها في احدى احتفالات الحرية ببيروت السيد

حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة (المار)

(المجلد الحادي عشر)

(٦٩)

(المار ج ٧)

كل هذا أيها الأخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذا نكون صرفنا الحرية عن معناها ، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم ، يا سلاة الفينيقيين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني أحبك واهش لك ، أحبك باسم الحرية ، واناذك بك بمل ماضني : انت أسى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل انما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضر به سواه ، وصيانة الافراد من عبث الظالمين ، ومسهولة سلوك السبيل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسط ابناءها في الحضارة والعمران ، وعدم استكاثهم للظلم والهلوان

ايح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لنا بهج المعين الذي ارتوى منه الافرنج قلنا ، فلا يحسن بنا ان نرتشف منه ارتشاقا بل يجب ان نبتله ابتلاعا اذا قدرنا

أتيح لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يلقى بنا ان نعمل ما من شأنه إضعاف قوانا وإنهالك جسمونا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجمعيات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان تؤسس جميات ، لا يسوغ ان تكون جمياتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية مهما كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب أن تكون عثمانية بحتة ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمياتكم عثمانية ، الجامعة التي تنضمون تحت لواؤها هي العثمانية ، فاجعلوها جمياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمها مشترك بين المسلمين والنصارى وانا الآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا اتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بشئانكم لا بذهبتكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بللى بللى
المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لشخص من كوتنا ، ونُقَالَ من
عرتنا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي
تضم الفرق والنحل ، وتنشئ طلابها تنشئة واحدة ، غايتها إعلاء شأن الوطن ،
ووقاية الحرية بالمهج والأرواح ، والمدارس هي بنت الجمعيات وبنها فتي انشئت
الجمعيات فقد أمنت المدارس ، فانشئوا الجمعيات انشئوا الجمعيات تحسنوا استعمال الحرية
الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهديبية ، وهي ميزان أعمال الأمة ، وعنوان
حالتها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تناول كل شيء ، وهي قائد
الأمة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن مواطن البوار والثقاء ، فيجب ان
ان تكثر الجرائد بيننا ويهم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير
الكبير ، ومن البواعث على العمل المفيد ما يرفع ويعلي ، وينتاش الأعم من الخفيض
الأسفل ، وينيف بها على فناع الجهد والسودد ، وإذا كانت الجرائد لتقرأ فقط فإن
الخطب يتناولها سمع القارئ والأبني ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والتشيط والظالم ،
والصانع ، والزارع ، بل هي لكل واحد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من
الدعائم التي يشاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح الجهد الحقيقي ، فالنابر
النابر !!! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا أعوادها ، ليرن صوت خطبتها ، ليهتفوا فلتندم
الحرية ، فبذلك نحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوانا ،
والمحافظة على حريتنا ، وبه نرد عادية المظالم ، وندفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل
مجموع أفراد الأمة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالنهر والحمى ، أو كالبنيان المخصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث
الشريف ، فيجب ان تتآلف ، فيجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، لتحسن استعمال
الحرية ، فليدمل التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

وثمة شؤون آخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خير
كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المبدى ، والأمل مقود على ان
يبنوها بالصل لا بالقول

بقيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك
الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون الى أن الحرية منحة أو
هبة من شخص معلوم ، أن هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب
وخيانة وفاق ، وليست هذه النخلة من الحرية في شيء ، أن الحرية هي حق
الشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فبيل الشعب له انما هو استرداد لحقه
المتعصب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان
فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر جيشنا الباسل سعيه الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خاف
به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأسست الجندي ، فان الجيوش في كل
الأدوار والأجيال ، كانت يد الظالم القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا
أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل ألفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ،
ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يتلون بطلاب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة
المستبدين ، وتفيداً لمقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

وأشكر أيضاً لرجال جمعية الاتحاد والترقي الثماني ، ولكل رجال الإصلاح
الذين وقفوا حياتهم ، وخاطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح
بأن جمعيتهم قامت بما لم تقوم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فلما كانت
سبياً في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو والميت شرع ، وهذا مع
اعترافي بما للجمعيات من الأثر الحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ويحفظ
علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

(المار) جاءنا من بيروت ان الجمع المختفل قد صفق له تخطيب صفيقاً شديداً ،

وحث بالدعاء له والتمنح هاتفاً كثيراً ،

الفصل الحادى عشر (*)

(الحب الشريف)

إن أشرف السير سير أهل القضية وما القضية إلا من خصائص
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقتصر نظرات بصيرته
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع المعجائب
النفس على الآيات الكبر ، ومربط القيوضات العلى ، والمرآة العظمى
التي ينكشف بها الازل والأبد والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء
وتكثر الصور ،

هي البسلك المدود بين مبدع الطبائع ، ومقيم الشرائع ، وبين
الجواهر المتألفة الصامتة ، والظواهر المستغرة المطيعة ، فهي خليفة طيباء
واقفة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها
بجاذبية الانس والمادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارتها
بجاذبية الحب والشوق ، فبأنجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر
حظها من الانكشاف ، وبأنجذاب النفس الى مانع الظهور تأخذ النفس
حظها من الشهود والاشراف ، فيحقق لها في الحالتين أن تتعبد بما ميزها
به فاطرها تباركت عظمت ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل أنت هاتين الطبيعتين
المتضادتين أعظم زاميس الا واكران لوجودات كلها ، لكن اختلقت

الحيات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب من هاتين الطيبتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه ، ولا تعالها بعالم الحس وعالم القيب ، وترددها بالأنجذاب بينهما فهي ان وقتت يوماً مع الطواهر أنت بها فشتتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان ارتقت الى المبدع دهشت فتولدت فتدلت لما هنالك من الجمالي الازلية التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرغبة ، الاقدام والاحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبتدعات الحب والبغض وآثارهما . وكل درجة من هذه الاشياء فانما هي على مقاييسهما ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء ، فمن هدي الى تصرفهما والجري بهما على سنة مثلي فقد أهديت اليه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبغض الشريف حظاً من الخير عظيم



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فهاذا أحب سيدتنا هذه وكان قلبها تواقاً الى مهالي الامور ، عظيم الشرف بحسن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها امداداً عظيماً فقوت معرفتها بالكمال ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان سواه وقتت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تندرج في زمرة عشاق الجمالي الازلية

عرفت هذه السيدة صفة النفس الانسانية بمن منه انشقت أسرارها

واهتمت أنوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية
الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة
الطبية قوة فراسة والقراءة نور فكانت تهدي بها فيما هي حائثة الروح
عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن
هبة الله ووجدت فيه ما يشق من المزايا العلية، انتشرت حبة من تلك المحبة
الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتثبت
شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألقت المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها
هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من
لدى العناية المرجوة .

الآن وجدت محبة الفضائل والمحامد أعظم من تجلي الفضائل والمحامد
فيه فكيف ينفر منه قلبها؟ بل كيف لا يميل اليه فؤادها؟ فالأمانة هو ذلك
الشهير فيها وقد سبرته في متعبرها فربحت بواسطته أضافاً، والشجاعة هو
المنشأ فيها على يد عظيم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسطم في حياه
طوالها، والحكمة هو الذي تقرأ في سباه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة
هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأى الفضل
تنشد بمد هذا محبة الفضل، وأي المحامد تريد بمد هذه سريرة المحامد؟
كأن خلق وكمال خلق، جمال شخص وجمال نفس، حنكة لم يظفر بمثلا
أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمة لا تقف أمامها الصواب،
وعزيمة لا تني أمام الثقال، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو
طالب وهو به جدير:

فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قامه الحكم عند التفاضل؟

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها عنه ليس بمقاول
 لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأباطل
 فأصبح فينا أحمد في أرومة قصر عنه سورة المطاول
 فما أكثر غبطة السيدة « خديجة » إذ عرفت هذا السيد الجليل، وما
 كان أجدرها بأن يتلق قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها إذ علمت
 أنه لا نظير له، وأن سعادتها لا تتم إلا به، وما أحسن أن تنتم القرعة وتسبق
 إلى زوج هذا الشريف الذي جمع إلى شرف النسب شرف الخلال

الفصل الثاني عشر

مقاول هنا وقته

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الأزمنة
 إلى زماننا هذا وكان علماء التوراة ينبئون دائماً بظهور نبي مستطير وبعضهم
 كان يقول أنه سيظهر من العرب . والراهب مجيراً قرص ابن أخي أبي
 طالب إذ كان معه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن: ولم
 يكن بعيداً عن المؤلف أن يخبر بعض الناس بالمخبرات ولكن لم يكونوا
 يصدقون كل شيء من هذا القبيل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن
 في أهل زماننا أيضاً

وقد كثرت النكبات فييل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم
 يكونوا يبالون بتلك الأخبار لأنهم تعودوا أن يروا شيئاً من كذب
 الكهانة مع مصادقة صدقها أحياناً فلم تكن الثقة بها في الحقيقة آمنة
 ولا سيما في الأمور العظيمة

وبينما نساء من قريش مجتمعات في عيد لمن في الجاهلية اذ تمثل لمن رجل ظمأ قرب نادى باعلا صوته: يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجا له فلتفضل . فكذبت ورميته بالحصى وكانت فيهن « خديجة » فلم ترمه كما رمية

لم يكن هذا النبي . كما هنا معروفنا فلذلك أحقره النساء لأنهن لا يمان في الغالب إلا بأهل الشهرة . ولكن كان قوم من يعتقدون بالخائف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو تمثل بصورة بشرية فيقول قولا من هذا القبيل ثم يغيب فكان السيدة « خديجة » اعتقدت ان هذا المنادي خاطف فلم ترمه كما رماه ترائيها ولطمها صدقت اذ ذاك وتماطلت خيرا ورجت أن تكون صاحبة هذا الحظ

وان صح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم تطلعا الى بركات الجنب القدسي فان الرغبة في زوج المنعم عليهم بالنبوة لا تعظم الا من العارفة بذلك الجنب الاعلى الذي يفضل بمخلقة النبوة على من يشاء كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار انبياء جيرانهم بني اسرائيل ومعروف ان النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفعه درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلعه على ما لم يطلع عليه أحدا من أسرار عالم الغيب ، وليست النبوة ملكا أو حظوظا زائدة من نعيم الدنيا بل جبل الانبياء الذين سلفوا كانوا متقين ولم يكن حظهم الا مقاومة الناس أيام وتعذيبهم . والنساء انما يرغبن بالنعيم والرفاهية ورفق العيش وكثرة الخلل والحلي وكل هذا لا يربحى لذي الانبياء الذين تنصرف

أنظارهم عن متاع النور و ينتقون الى ما فيه غبطة الروح فلا تتصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنعم الله عليهن بسلامة القطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عندها « ميسرة » من الشام في تلك السفرة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رآها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فابث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمته بأذنها ، صوت ذلك المنادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت معهن في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تألف منه هذه الكلمات :

« تقاؤل هذا وقته »

الفصل الثالث عشر

الخواطرها في قلب « خديجة »

كانت « خديجة » تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تميز على خواطرها ما حكاها لها عندها « ميسرة » ويرى على أثر ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا صرّ بقلبها خاطر آخر يقطع عليها هذه الآمال وينهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينزع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما تملى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتتمثل في فكرها تلك الطامة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين العجاوبين، وتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المثلّق، ويقوى ايمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفليس حسبي أن أكون ربة النصيب من فتى قریش الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة المظمن الصالح الذي أناب به الهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الحيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي، وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي، أليست تمنع الماديات بأن أكون أنا الخاطبة: أف للماديات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد عتمة مسالكها، وما أسوأ عواقب الجود عليها، وما أبحس صفة الذين لا يترحزون عنها، نعم نعم أف للماديات فكى أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحجبت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر، فانطاعت عليهم سبل الارتفاع في معارج الاستحسان والتحسين، ونمت عليهم مطالب السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للماديات فهي قاطعة الطريق على نتائج العقول ترجع بها في مهادي السدم، أو تذرهما في سجن أقفر ممنوعاً عنها كل ما يريها، وما عجايبها

ليني آدم الذين يصفون المادة في هذا المكان من الحكيم على قوسهم والقضاء على عقولهم وتلوهم ليس لهم ما يدكرهم بأن المادة من منة أيديهم وتصوير أحلامهم ليس لهم ما يصرم بأن المادة يجب أن تكون تابعة لامتزوجة، ومنقادة لا فائدة، حتى إذا فقت أمام بصائرهم أبواب أخر لا هو خير ودعوا مانتهم تلك محودة على قدر ما فقت، ومنمومة على مبلغ ما فقت، واستقبلوا أخرى معاصيها على مقدار ما يدوم من أسبابها، ونفع من أبوابها

تبرمت «خديجة» بالمادة كثيراً وتأنقت من قلبها طويلاً، وسردت كل سيئات الجود طيها في قسها التي هي أعلى من قوس الناقلين عن المقدمات والنتائج، لا خصها الله من سلامة الفطرة، وفضل الطبيعة وقوة آلة المعرفة، ومنزلة حرارة الهمة،

ثم عادت تعثر الضغاء الذين لا يستطيعون التظ على الثابت الراسخ وهم الا كثرون وقد كرت أسباب رسوخ بعض العادات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت، وأحوال مضت، ورأت أن الناس يرون من السالفين كل شيء، ولا يميلون إلى التغيير حتى يميل بهم الدهر ميله شديدة على يعاصف من الحوادث، أو هبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص، وكم دكت الارادات القوية أطوداً من العادات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التظ على العادة فلا تجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لانها كانت قوية الارادة. ولكن من لها بأنه لا يرد خطبتها وهي أرملة في الأربعين من العمر، وهو في الخامسة والعشرين يشف عياه عن ماء القوة، وينشر عنى الشباب، والمرأة مها فقت ارادتها تذكر

الخفية فيطلب احكامها اقدامها وهذا بعض أسباب المأثرة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجد ضالتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تحصيلها هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لأنها ضعف على كل حال . بيد أن ضعفها الذي زينها الله به في عين الرجل بهتت نفسها وعلت كرامتها لديه . فقرة الخضر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حلية طيبة تزدان بها ومن عطل من هذه الحلية منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلى وأجل وأزین هذا الضعف الذي بدونه تمقت المرأة . والجن من ضعفها ولولا ملاحصل الاعتدال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فإذا تصنع قوة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خفرتها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعتها أمام خشيتها من الخفية ، وماذا تجدي قوة عزيمتها وصبرها عند المزعجات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعد أن كان حبة صغيرة ألقيت فيه

الهم رحماك قليست القلوب من حديد، ولم تقد من صخر، ان نسيم الخواطر فيها يصدع ان جاءها رائحة الياس، ويرأب ان أتاه رائحة الرجاء، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورائية، بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها النطاء عما يحف بها من السعادة المغيية عنها إذ ذاك لاقلب رجاءها يقينا . ولكن تستكمل الفرائز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقرب عنه آتية من السعادة والشقاء فترى منهوسا بضحك ويلمب والشقاء يساوره عما قريب يأخذه يائسا أو يصيحه وحده

صباحاً . وتري مسعودا يتماهل ويمسي ويصبح علي مضاجع الحيرة والاروق
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب علي
رأسه وتشمله ويتبارك بها يته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الي
هاتف يشرها يقرب اتصال السعادة التامة بها ، ما أشد حاجتها الي من يقبها
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعتدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الليل الي رب الفضائل والمكارم
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وجبست عنها البشري حتي أخذت
الخواطر حفظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف
لذلك الذي أجمعت فيما بعد قلوب الملايين التي لا تحصى علي حبه

الفصل الرابع عشر

الزواج

لا بدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد
اللاعب فان قوام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الي بعض وكان جديراً
أن يتجلى هذا المعنى بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض نبي الانسان .
كيلا يكون بنو آدم وحواء أنقص من الجمادات حظا في هذا الناموس
الكبير القائدة .

فبعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت
بهديرة ان تناول هدية سمادتها ، وتكشف لها الحبيب عن الرحمة التي

ترعاها ، فبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة
خطر لها ان تبث الى النبي سكنت مكارمه ومعاليه فؤادها رسولا
تسير به رغبته وتستني به سعدا مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجائها بالله سبحانه وحسن ظنّها بأن هذا
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من العالي يقل اجتماعها
في سواها

كانت لها صديقة اسمها «نقيسة» (وهي أخت يعلى بن أمية) قصصت
عليها حديثها واثنمتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب أن تؤدي الصديقة
هذه الامانة لانها ستكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت
مجالا كانت وكيلة بإبداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجيات ولم يكن ممنوعات من مكالة الرجال
فلم تكن رسول «خديجة» محتاجة الا لشي من قوة الجنان أمام ذلك المريب
المظيم وقد أمدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد قتل ماشئت في تيسير ما يرجوه
جاءت «نقيسة» هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس
بعضهم بعضا فقالت له ما يملكك أن تزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة قال
لها «ومن؟» قالت له «خديجة»

قالت هذه الكلمة وصمت تنتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام
حركة في فؤاده وبأي شيء يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حينئذ الا بقوله :
خديجة الشريفة المروفة بالطاهرة ، هي المناسبة ، هي المواقفة ، هي الصالحة

أذهبي يا نقيسة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة النقيسة في هذه الرسالة
فأله يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كراستها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى
خاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبدالمزي « هو النعل
لا يقدر أنفه » وهو مثل عربي يقال للكفو الذي لا يرد أن خطب
ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً إذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقرى الضيفان وأغاة الهفان في
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب
وأبواب المراجع بما أوتوا من الحمم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار
المدممين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقداراً كبيراً . فمع قلة ماله
في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لأن إعطاء الرجل للمرأة صداقاً سنة
عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجاً إلى رؤساء ديانات، ولا تلاوة الرؤساء
صلوات، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوافق برضا المرأة وأوليائها
ورضا الرجل، فيخطبة من الرجل وتقديمه الصداق واجابة من المرأة
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت
« خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الأمين بكلمة أعطاها عمها عمرو بن
أسد فأعطاها من كلمة جمعت بين القميرين ا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة
١٣١٥

بشر الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر : الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٦ — ٢٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٨

فَتَاوَى الْمُنَاجَاتِ

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً من امتاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورما أجنبنا غير مشترك لثقل هذا . ولان ينفى عنى سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكروا مرة واحدة فان لم يذكروا كان لنا عذر صحيح لا نقضه

﴿ أسئلة من روسيا ﴾

(س ١٢ - ١٦) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم ما يأتي بيانه لمحض الاستفسار والاستنباء وان كان في صورة الانتقاد وهو : اني قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الفراء في قسم التفسير عند قوله تعالى « ويطعمون الطعام » الآية حديثاً طويلاً مروياً عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد رأيت في (نواذر الاصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي رحمه الله انه عد هذا الحديث من المنكرات حيث قال في الاصل الرابع والاربعين فيما يعدونه صدق الحديث بعد ما ساق الحديث الى آخره : هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل بعض على شقيقه تلها الا يكون بهذه الصفة ولا يدرجه ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تعذيبه الكريم « ويسألونك

ماذا ينقون قل الحق» وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قال صلى الله عليه وسلم «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الأزواج النقة لا هاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء إثماً ان يضيع بما يقوت» أفحسب عاقل أن علياً رضي الله عنه جهل هذا الأمر حتى اجهد صبياناً صفاراً من أبناء خمس او ست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما به من الجهد؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل على اطفاله جوع ثلاثة أيام بلياليهن؟ هذا ما ذكره الحكيم الهرمزي في وجه التنكير الا ان المتدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم يتين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ايضاح ذلك حتى ترتفع الشبهة.

٢ الفونوغراف—وقد رأيت أيضاً في هذا الجزء في قسم الفتاوي سواء لا يتعلق بالفونوغراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على من سمع آية السجدة منه؟ وان شخصاً لو شهد بواسطة الفونوغراف أو أودع الوصية فيه هل قبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا؟ واني أظن ان السجدة تجب على السامع اذ هو كالاستماع عن انسان وانما الفونوغراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مهما ميز صوتها فان الاصوات متمايزة في التليفون والفونوغراف حتى اننا لو سمعنا صوتاً معروفاً لنا من قبل نقول انه صوت فلان ولا نشبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم.

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبهم يتجرون بالجلود وفيها جلود ميتة غير مدبوغة وجلود غير مذكاة وانهم يسألون عنها ويستفتون ما حكمها الشرعي وريما تكون المعاملة بين المسلمين بالطائفة القرغزية فما حكم ذلك شرعاً؟ هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل كمسئلة الر بامثلاً؟ هذه المعاملة مما نتم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ حل هذه المسئلة بحيث يخرجها عن الشبهة ولا يوقع حرجاً ان شاء الله تعالى

٤ الامامة — ان رجلاً قطعت احدى رجله من فوق الكعبونه قدم صناعة

وكان اماما في بلدة منذ سنين والآآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فمن قائل انها لا تجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القسم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في امامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يندفع الاختلاف بيننا

هـ النسخ — هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الخلاف فيه ام هو مسألة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة النسخ والمنسوخ وهو يقول ان ابي بن كعب رضي الله عنه قال بعلمه اي بعدم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر نقلا آخر سوى ما ذكره عن أبي ما يؤيد هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة ثم ان أبا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يعتبر قوله بحيث نعه خلافا في المذهب فبعضنا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد الخلاف بين النبي والمعتزلي فيما اعلم والله اعلم وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ معا وما قيل لم ينكر وقوعه وانما سماه تخصيصا فعلى هذا يصير اتزان لفظيا والله اعلم والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسألة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما تفضل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الطاج المرصع التوتاري

الجواب عن أثر علي وآله عليهم السلام

إننا قد ذكرنا ذلك الأثر في الإيثار لأجل العبرة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « ويروى » ولم نثبت في تفسير الآية بل وعدنا بذلك في تفسير

سورة الانسان ان أنسا الله لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الرواية والمسألة . وما قاله الحكم الترمذي بعضه وجيه مقبول ، وبعضه متقد مردود ، والإيثار مرتبة وراه مرتبة تهديم الانسان نفسه على من يجب نقتبهم عليه من أهل وولد ، وتقديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصحابة آثروا على أنفسهم وأولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله (٥٩ : ٩) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقد حررنا هذا المبحث في المجلد الثاني من المنارج (راجع ص ١١ و ١٧ منه) ولا يبعد ان يقصد على وقاطمة تربية ولدها على الإيثار ان صح الامر من طريق الرواية بنصها او مبالغة فيها ولا حاجة الى التطويل في ذلك فالخطب فيه سهل

الجواب عن مسائل الفونعراف

انما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الآمرة بالسجود او الرغبة فيه لإظهار الخضوع والامتثال ومن سمع القرآن من الفونعراف صدق عليه انه سمع القرآن فالظاهر انه بشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه . وإنما عبرنا بشرع دون يجب لا تنازى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الأحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

وأما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالعبرة في ثبوتها أن تكون بحيث يوثق بصدورها عن صدور عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فإذا وثق القاضي بشهادة الفونعراف مثلاً كانت يئنة شرعية صحيحة لان اليئنة كل ما تين به الحق كما حققه ابن القيم وذكرناه في المنارج من قبل

الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا اتفتم بجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلا استمتعتم بأهابها » والأهاب كتاب الجلد او ما لم يدنغ منه كما في القاموس . ولفظ أحمد وسلم وغيرهما « هلا أخذتم أهابها فدنستموه فاتفتم

به « فقالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ بيان لطريق الانتفاع وليس فيه حصر وفي لفظ لاحد : ان داجنا لميمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا انتفعتم باهابها ألا دبتتموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة . ولا ينافي هذا جواز الانتفاع بالاهاب غير المديوخ كما تدل عليه الرواية المطلقة . وروى مالك وابو داود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يحزون شاة لهم مثل الخمار فقال « لو أخذتم اهابها » فقالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرظ » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اكنوا بأمره اياهم بأخذ اهاب الميتة والانتفاع به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة الحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الانتفاع بها . وحديث « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » قد أعل بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها . ولا يعارضها ما ورد في النهي عن شحوم الميتة فاتها مما يؤكل فسدت الذريرة اليه . وامثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انها مدعاة القسوة والكبر هذا وان المراد بالتنزه عن النجاسة هو ان يكون المؤمن طاهرا نظيفا بعيدا عن الاقذار وما فيها من المهانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل العفونة والرطوبة التي يتن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشتركون بجلود الميتة لا يتركونها بغير دباغ ولا معالجة حتي تفسد عليهم بل يعالجونها حتي يتنصوا بها قالذي أراه وأعتقد ان التجارة بهذه الجلود جائز شرعا لا إثم فيه ولا حرج . واذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان الخائفين لا يكلفون العمل بفروع الشريعة وعليه الخفية . ووراء هذا كله ما أشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في المعاملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعمدة في المسألة ما ذكرناه أولا والله أعلم بالصواب

الجواب عن مسألة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المشول عن امامته يأتي بأعمال الصلاة كلها تامة

وحينئذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدي رجليه من الخشب وهذا لا يصلح مانعا من صحة الإمامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام بصلي جالسا للعرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا وقال بعضهم يصلون قاعدين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلاته صحت امامته . ومن استثنى من هذه القاعدة بعض من تصح صلاته للضرورة ولا تصح امامته كالذي لا يحسن الفاتحة لم يستثنى من ذهب احد اعضائه فأتخذ له بدلا من معدن او خشب لهذا الأرى وجهها للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذكر اني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى (٢ : ١٠٠) ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها) والآية في اللغة العلامة والمبرة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق ، والنسخ في اصل اللفظ نقل كتاب عن كتاب وجعل الزمخشري في الأساس قولهم : نسخت الشمس الظل من المجاز والمعنى في كل منهما التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء والثاني تحويل لغيره . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الريح آثار الديار وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وائمة الفقه واصطلاح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع اختلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتاج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وانما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص والمروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح اليافعي فعند ما تنتهي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كنا بدأنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صدقي فأمسكنا عن اتمام ما شرعنا فيه

﴿ التمييز عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥ فبحث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليحيب عنه في النار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل : قد كان ضاع بين الاوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتناو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لا تقبل لهذا المقام أقدم لابلغكم أوفر التحيات وأزكى السلامات والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق العلمية وتقوية السلطة الدينية الاسلامية أدامكم الله ركناً منيعاً للورثة المحمدية . وبعد فيا حضرة الاستاذ لما بيني وبينكم من المودة الايمانية أحب مطالعة أقوالكم لأستعين بها على نزع ما اعترائني من البدع والخرافات الباطلة والله الحمد فقد رأيت الفائدة فله الشكر ولكم والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي فيما كنت انظر في نفيس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلم « من الجنة والناس يان الذي يوسوس او يان للوسواس الخناس فالوسوسون قسبان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر » الخ

فبينم حضرتكم بان الجن خلق مستترون لا نعرفهم فهل المراد لانعرف كافة احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من مارج من نار في آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان يسري الدم كما كان يسري في الآلهة لعبودهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بمحقق غير

٥٨٦ الاعتراض على تسمية الجن بالقوى وخفاء أمرهم (المارج ٨ م ١١)

حقائقنا وانهم يقدرون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلم « وانما نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم » فهل ينسب اليهم حقيقة او مجازا مع كونكم جعتم هذا الاثر للشيطان الذي قلم عنه بأنه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكان هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فكبرت فلعنها الله وقالت « انظروني الى يوم يعيشون » فلا غوينهم اجمعين « وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاوالاد وعدهم وما يعدهم الشيطان — اي القوة — الا غرورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يبلغها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله (واذا صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الخ قل (أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قدس . وبكل احترام لقامكم وعدم الاعتراض لاقوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكري منشئة الآن مع بيان كيف حقيقة الجن وكيف كان خطاب المصطفى لهم لتأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجن مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للمقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه ولدكم

محمود فهمي

باشمهندس ري مديرية الدقهلية

(ج) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من الخلق المغيب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك أخباره عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجن خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقته بل ولا ظواهر صفاته ومميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقته ولا مميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن (١: ٧٦) قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن) الخ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم

يرهم حين سمعوا منه القرآن فآمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فحسبك من أمر تكليفهم ان حبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه للقرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وانما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦: ٤٩) واذا صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) واذا صح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكالتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة وانما صرنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسوله على بعض غيبه وذلك خصوصية لم كما قال في سورة الجن (٧٢: ٧٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ٢٧ الا من ارتضى من رسول) الخ

وكذلك حديث صفية عند الشيخين وغيرها « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروقة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر « جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي » وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧: ٢٧) انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجن لا أدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجن

واما نعيبره عنهم بالهوى فقد كنا قلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل لم حاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بليغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واتا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاده عليه رحمه الله واحسن مشرواه ومفيد ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ﴿ وهناك ما هناك

تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي تقف عنده ولا تزيد عليه وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف

لكل صنف وظيفة وعمل ونقول الآن ان الهام الخیر والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندنا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخیر التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشیاطین اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان نمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا (١) لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا فتما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخیر من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الأبدان قطعاً (٢) والواجب على المسلم في مثل الآیة الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشیاطین معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخیر الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشیخین في المحدثین وكون عمر منهم . والمحدثون المهتمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « للشیطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشیاطین فأیجاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فأیجاد بالخیر وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الأخرى فليتهود بالله من الشیطان ثم قرأ (الشیطان یعدکم الفقر ویأمرکم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غریب لا نعلمه مرفوعاً الا من حديث أبي الاحوص . والرواية ایجاد في الموضعین كما ان الآیة من الثلاثي في الموضعین فما قالوه في الفرقة بین الوعد والإیجاد اغلبي فيما يظهر والأفوه غیر صحيح واللمة بالفتح الإلهام والأصابة

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرین مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنباء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه إنباء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفحه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ایجاده فتما قوامه

بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني اتوى الطبيعة ﴿ إذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ماهو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعقل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبعياً لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ﴿ وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره ، وان كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴾

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو الخير ، ووجه للباطل أو الشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكراً وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكاً ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حرج فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان نافذ والعلم الواسع ؟ !

وأقول ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكاً فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومما اختلفت

المواد دل ذلك على اختلاف الاسباب • هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه بالدخان عانت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة • وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللفظ الذي يتبها به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتبها به لقبول الشر يسمى اغواءا وخذلانا فإن المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة • اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء ثم قال الاستاذ الامام مامعناه: فاذا صبح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يعمدها في ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذي خص به في خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحداه والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لأنه أكل الموجودات في هذه الأرض واستقى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بابلوس وهي القوة التي ﴿لزها الله بهذا العالم لزها وهي التي تميل بالاستعداد للكمال أو الكمال الى النقص وتعارض مدد الوجود تردده الى العدم أو تقطع سبيل البقاء • وتهود بالموجود الى الفناء • أو التي • تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافة فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها في تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فزعموا ان في العالم إلها يسمى إله الشر وما هي بآله ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكمته الا هو •

(قل الاستاذ الامام) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق في وليست أحيط بما فعلت المادة والبالد في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشددین فی الدین اذ یتفرون من هذه المعانی كما ینفر المرضی أو الخدجون من جید الاطعمة التي لا تضرهم وقد یتوقف علیها قوام یدبهم ویتشبثون بأوهام مألوفة لهم تثبت أولئك المرضی أو الخدجون بأضر طعام یفسد الأجسام ویزید السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي یتخیلونه من مفهوم لفظ قوة ! أليس الروح فی الآدمی مثلاً هو الذي تظهر آثاره فی أفراد هذا الذرع بالعقل والحس والوجدان والأرادة والعمل وإذا سلبوه سلبوا ما یسمى بالحیاء ؟ أو لیست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فیمن وهبت له : فإذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سمیت القوة خلفاء حقیقتها روحاً فیل یضر ذلك الدین ؟ أو ینقص معتقده شیئاً من الیقین ؟

فألا لا یسمى الايمان ایمانا ، حتی یكون اذعاناً ، ولا یكون كذلك حتی یستسلم الوجدان ، وتخشع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا یكون كذلك حتی یلقي الوهم سلاحه ، ویبلغ العقل فلاحه ، وهل یستكمل ذلك لمن لا يفهم ما یتكن فهمه ، ولا یعلم ما یتیسر علمه ؟ كلا انما یعرف الحق أهله ، ولا یضل سبله ، ولا یعرف أهل الغفلة . لو ان مسکینا من عبدة الألقاظ من أشدهم ذكاء واذرهم لساناً أخذ بما قیل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشکل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الأجسام وهل النور وحده له قوام یكون به شخصاً ممتازاً بدون ان یقوم بحرم آخر کشف ثم ینعکس عنه کذباً المصباح أو سلك الکهرباء ومعنی قالية التشکل وهل یمكن للشیء الواحد ان یتقلب فی اشکال من الصور مختلفة حسب یریدون کیف یكون ذلك ألا یقع فی حيرة ؟ ولو سئل عما یعتقد من ذلك ألا یحدث فی لسانه من العقد ما لا یتطیع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة یعدشکاً ؟ نعم لیست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغیب یطرف لما یتطیع النظر الیه لکیها حيرة من أخذ ینزل لا يفهمه ، وکلف نفسه علم ما لا یعلمه ، فلا یعد مثله ممن آمن بالملائكة ایماناً صحیحاً واطمأنت بإیمانه نفسه ، وأذعن اهقله ، ولم یبق لوهمه سلاح ینازع به عنده كما هو شأن صاحب الايمان الصحیح . فلیرجع هؤلاء الى انفسهم لیماموا ان الذي وفرقیها تقالید حفت بالخاوف ، لا علوم حفت بالسکينة والطمأنينة . هؤلاء لم یشرق فی نفوسهم ذلك

السر الذي يعبر عنه بالنور الألهي والضياء المكوني والألأء القدسي أو ما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تكن حل أعين بصائرهم بنظرة الى مطلع الوجود على الخلق " ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجهه الكريم " وان ما كشف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه إلا ما أعلى بذكره منزلته ، ولا الخسيس إلا ما يمين لنا بالنظر الى الاول نسبه ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه " ليس شيء أعلى ولا أحط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لانفسهم ان تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطائفة حيث لا يناع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا نجد طائفا من الخوف ، ثم لا يخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

في هذه القوى التي نرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا الى آثار تجل اذا كشفت ، وتقل بل تضحل اذا حجبت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ النامي ، وبها ينتهي الى غاية الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجمل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كنهه لاحتجابه بما تصوره من معيائنا واختيارنا ، ألا ترى ما توافي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، ويوفيقا حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافعها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا نقول أيها الغافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سئلت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وسميته حياة لم تستطع له تعريفا ، ولا لفظه تعريفا ، الا نقول كما قال الله وبه قول

(١٧ : ٤٤ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

﴿ أفلا نزع من الله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام، أو تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام؟ فلوركنت الى انها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وتركك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك، وأدعى الى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب، ووقفت على سر من أسرار الكتاب، فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغييب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلم ترمي طلاب العرفان بالريب ماداموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته، وهم في ايمانهم أعلى منك كها، وارضى منك بربهم نفسا، ألا ان مؤمنا لو مالت نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل ربه في سعة، ﴾

ثم نقول في الآية ان ترتيب النظم يلتزم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المعاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الارض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الا قوة الإغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شرطياع الحيوان ويعوقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغلب هذه القوة ويخضعها مهما ارتقى وكل وقصارى

ما يصل اليه الكاملون هو الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل يجعله مسخرها وتستعمله بالشروع كما قال تعالى (١٥ : ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال عز وجل (٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ﴿ اما سلطان تلك القوة في القضاء وقطع حركة الوجود الى الصعود فلا يستطيع اخضاعه لقدرته من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكما في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴿ فنسأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يبيدنا من الشيطان الرجيم . اهـ ما كنبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

باب المناظرة والمراسلة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالحا اليافعي في جميع ما كتبه رداً عليّ فإن ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل الفارثين وسآمتهم وضياع أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في العرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة المفكرين . وعبرة الناقدین (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الادب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات - :

(الكلمة الاولى) - في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

النسخ في القرآن — قالوا إن محمداً قد بلغ من الدهاء مبلغاً بحيث صار يلعب بعقول أصحابه ويجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فكان يأتيهم بالآية من قرآنه فإذا اتضح له فيها عيب أو سلسع عليها انتقاداً في مغزاها أو معناها أمر أصحابه بإسقاطها من القرآن بدعوى أنها نسخت . وبلغ به الأمر أنه إذا كان ما في الآية من الأحكام متققاً مع هوى الأمة أو مصلحتها ولكن كان في انشائها شيء لم يرق له بعد إذا عتبرها أسرع بنسخ لفظها دون معناها خوفاً من أن يوجد في العرب من يمكنه أن يعارضها في بلاغتها . وإذا أقام بحكم واتضح له بعد تجربته أنه لم يرض الناس أو أنه لا ينفعهم أو قد يضر بمصلحتهم التمسوا إلى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الأحكام وبذلك كثرت بين المسلمين الآيات المنسوخة لفظاً وحكماً أو لفظاً فقط أو حكماً فقط .

(قالوا) ولا يدري أحد ما الحكمة في كل هذا التقلب والتلون سوى التخلص مما كان يقع فيه من الورطات والغلطات ولولا ذلك لما أمكنه التخلص منها . وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وهي وإن كان أكثرها مما فقد بسبب إهماله في المحافظة على قرآنه إلا أن المسلمين اعتذروا عن ذلك بدعوى النسخ وقالوا بحكما إنها جميعاً مما نسخ لفظه وإن كان لا يمكنهم التعليل عن ذلك بعبارة مقبولة ، ولا يمكنهم الإتيان بحكمة لذلك مقبولة ، على أن أكثر الروايات التي ذكرت فيها هذه الآيات صريحة في أنها ضاعت من القرآن ولم يرد فيها ذكر للنسخ لا تصريحاً ولا تلميحاً . وما بقي من القرآن الآن بعد كل هذا التصحيح والتقيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلاً عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات والمسائل الخاصة بمحمد وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواء كالأيات الكثيرة من سورة الأحزاب والتحريم وبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صح عند المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضى زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضى زمنها ؟ وما حكمة نسخ ألفاظ آية الرجم مثلاً مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟

هذا شيء من شبهات القوم على مسألة النسخ في القرآن ، وقد قررناه هنا كما
 يقررونه في كتبهم الطاعنة في الاسلام ، ومنه ترى أن اعتمادهم فيها إنما هو على
 روايات الآحاد التي يمسك بها المسلمون وعلى ما اتفق عليه جمهورهم من تسليم
 مسألة النسخ والقول بها ، وكان الأولى بعلماهم الذين يقولون بالنسخ أن ينظروا في
 أمثال هذه الشبهات نظرة تحقيق وتدقيق ، ويردوها بالبرهان إن كانوا قادرين ،
 بدل أن يقوموا في وجهها ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في
 أصول الدين ، وبثابة تسليم سكاكين للخصم ليقطع بها منهم الوتين ، فحسبنا
 الله ونعم الوكيل

أنا لا أقول ذلك ليأخذ المسلمون برأيي بلا برهان بل قد قدمت من البراهين
 ما ينفع المنصفين ، ويهدي المستهدين ، وسأزيد الأمر قوة في الكلمات الآتية ، ما
 سيكون إن شاء الله نافعا للمؤمنين ، هادما لجميع شبهات أعدائهم المخالفين

(الكلمة الثانية) — في بيان أسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور
 المسلمين وتواتره في جميع الأزمنة — اعلم أن من أسباب ذكره في عصر الصحابة أمور
 منها (١) كلامهم في نسخ الأحاديث والسنة فقد كانت الأحاديث والسنة تنسخ بأحاديث
 وسنة مثلبا وتنسخ أيضا بالقرآن الشريف فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين
 ونشأ منذ نشوء الشريعة الإسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا
 يستعملون لفظ النسخ في القرآن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون
 به تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين الجمل لأن من معاني النسخ الرفع وفي كل
 ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والجمل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ
 القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والأحاديث. أما رفع حكم الآية مطلقا
 فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة
 ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وإن سلم أن
 بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولنا ما زمين بتقليد
 أي صحابي فيما فهمه ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير
 في كثير مما ذهب إليه فيه على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير

موضوعة كما قال الامام احمد بن حنبل وقوله عنه السيوطي في الاتقان فلا يمكننا أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عندهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقاً أو أن تلفى فلا تتلى ولا يعمل بها كأبي بن كعب فإنه رضي الله عنه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية ما بدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وإن أنكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا ننكره ببعض معانيه كما عند السلف ولا نرى عيباً في تسميتهم التخصيص والتقييد والتبيين نسخاً . فان كان هناك اختلاف ما بين مثل أبي مسلم الأصماني أحد منكري النسخ وبين الصحابة فهو خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فمسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وأنكره غيرهم في جميعها بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالسنة وأنكره الامام الشافعي رضي الله عنه . فأنا بما قلته في هذه المسألة لم أكن بدعاً من المسلمين في شيء فان المسألة فيها خلاف من عدة وجوه من العصر الاول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظي وإن كان لتقريرها على الوجه الذي ذهبنا اليه فيما كتبناه سابقاً تلك دعائم شبهات المخالفين لنا في الدين وتسقط حججهم أما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أذكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً وأظهر بعضهم أن أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين . وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) وهي لا تتفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابتهم حفظاً وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي ان لم تكن موضوعة من أعداء الاسلام المناققين لعرض المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييد مذهب لها في مسألة

ما أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سنداً من الكتاب المتواتر فيختفون الروايات ويدعون أنها كانت قرآناً ونسخ وقد انطلت حيلهم هذه على بسطاء المحدثين كما انطلت عليهم في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الأحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم . وقد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل فيظن أن كل ما أوحى إلى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآناً ونسخ كحديث (بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) فوقع بسبب ذلك في الغلط رواية ودراية ولو علم أن من الوحي ما ليس بقرآن مطلقاً لاسماه قرآناً واني لأعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) مع أن مثل هذا الاستثناء قد ورد — كما قرره الأستاذ الامام — في القرآن لتأييد النفي وليان أن لا شيء في هذا الوجود يستعصي على مشيئة الله فكأنه يقول انك لا تنسى أبداً إلا أن قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات كثيرة في القرآن الشريف كقوله تعالى (خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) مع قوله (خالدين فيها أبداً) (وما هم منها بمخرجين) وغيره كثير (لها بقية)

كلمات للمنار

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب التوقيع ، وهو أحد الاشراف المخلصين في جاوى ، وقد سألنا نشرها ، فأجبنا سوءاً مع الشكر له ، لأنها بمثابة رد على الصادقين عن الحق بلا برهان ولا دليل ، بل بمحض التحمل والتأويل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المنار حياك الله وبياك ، لقد أوضحت السبيل ، وبينت الدليل ، وشفيت الغليل ، ونحن اليك بالأشواق ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، من قوم نظروا اليك بعين الانصاف ، فشاهدوا بها ما حزت من محامد الأوصاف ، فأبصارهم إلى

طلعتك مشتاقة، وبصائرهم لما عودتها من لذات الحكمة مفتاقه (كذا) ، ثبت الله دعائمك
أيها المنهج القويم ، والقسطاس المستقيم ، لقد كشفت قناع الحقائق ، وبيّنت
تباين الطرائق ، وشددت أزر الحق ، وشيدت مباني السنة ، وخربت مصانع
البدع ، وجددت هذه الأمة دينها ، ودعوتها لتدرك يقينها ، فثنا من ابتغى ،
ومنها من ضلّك وبدّعك ، هكذا سنة الله في المصلحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .
أيها المنار أنت والله الحق الثابت في الكتاب وروده ، والواضحة في سني السنة
حدوده ، والمرفوعة عليها قواعده ، والموطنة على طوذيها شواهد ، فلا يحزنك
(وحاشاك) ما هذى به بعض حاسديك ، وما فاه به الأغبياء من راديك ، فقد
وردت إلينا ودودهم التي هي أوهن من بيت المنكوب ، واطلع عليها المستبصرون
عندنا من طلاب الحق فأنشدوا بلسان واحد

ان المرانين تلقاها بحسنة ولا ترى للثام الناس حسادا

واقبلوا يتضحكون من تلك الردود التي هي ليست بشيء ولا بعض شيء ،
فلا تهتم حقا ، ولا تبني باطلا ، فما عليك ولا على الحق بأس من تلك الكلمات
المزورة ، وهاتيك السطور المصورة ، فهي غاية ما قصر رأيهم عليه ، ومتى ما بلغوا
من العلم اليه ، وإننا لأنكره اطلاع الناس عليها إذ ليست هي بمقول ولا منقول ،
والحمد لله الذي لم يجعل بيان الحق بزخارف اللسان ، ولكن بالدليل والبرهان ،
والأخذ بما في القرآن ، وأحاديث سيد واد عندنا ،

أيها المنار لا تروعنك (وحاشاك) تراثر الجهلة والحسدة ، ولا تهمنك وانت
الليث هماهم السفالة والقرودة ، فبأن الله ما أوضح منار الحق لرائديه ، وما أرفع اعلامه
لواردية ، وما أحلى الرجوع إليه لدى طالبيه ، وما أدحضه الحجّة محاربيه ، هو الحق
والله أجل من أن تخفض اعلامه ، أو تخفي أحكامه ، أو تحاولك أياديه ، ما فتئت
والله مناهجه مسلوكة ، وما انفكت تواقضه متروكة ، لدى حماة دمار الشريعة ،
وحراس حصونها المنيع ، مماذا الله أنت يستر شمس الحق حجاب الهديان ، أو
يخفي سنا مناره عنا حجاب البهتان ، بنفسك أفديك أيها المنار من أن يدنس ظاهر
ساحتك المندسور ، أو يداس في واضح أحكامك المندسور ،

أيها المنار لك أسوة بالأنبياء والمرسلين ، وفي جميع المصلحين ، فادأب فلحق
 طلاب ، ولا تمأ بفرقتين احدهما عشت بصائرهما عن رؤية الحق ، مذعمت
 عليها انباء العلم ، فصارت اذا حدثتها بما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
 شغبت ، واذا حدثتك هي بما لا سنده عن بعض من تعظمهم طلبت منك
 الايمان بالمحالات ، فهذه جاهلة ملبس عليها ، ثبت التقليد في قلبها
 والثانية ثقلت عليها وطأة الحق اذ جاءها ، وطلقت تضلل من رام اهداءها ،
 وتذمرت من ورود حق المقال ، خروفا من اثلام اعتقاد أولئك الاندال ، وهذه
 غير ملومة لأنك جذدت عليها أصول الكدية ، وسددت دونها سبل الفرية ،
 وكسدت بضاعتها الرائجة التي طالما استترفت بها الأموال ، وأضلت بها عقول الجاهل ،
 وأنت بالرغم منها حولت الهزل جدا ، ومددت لها من الضيم بظهور الحق مدا ،
 أيها المنار اني أعتقد كما يعتقد كل منصف ، وأدين الله تعالى بأنك أنت الحق
 الصراح الذي لا يتردد فيه عاقل ، ولا يردده الا مشهور جاهل ، أو أحمق متجاهل ،
 فويلك آمن أيها الحائدت عن السنن القويم ، والناظر الى المنار بعين السخط الذميم ،
 ولا تبار قوماً لا يشق لهم في المعارف غبار ، ولا يدرك لعباب علومهم قرار ، طالما
 ازاحو دياجير الجهل بشموس المعارف ، وازالو بقواطع الادلة هام المجادل المجازف ،
 فارجع البصر ، وانهم النظر ، في أجزاء المنار الماضية والقادمة ، تدرك هناك وصفك
 ووصفهم ، وجراءتك وخوفهم ، وانا ابتهل الى الله ان يميّني على ماضيه وشمله منار
 الحق ويبيّني عليه انه بالاجابة جدير والسلام

السيد محمد بن هاشم بن طاهر

بجاوا — الملاغ

ابو حامد الغزالي (*)

٥

رأيه في حكمة التكليف ورد شبهات الباطنية عليه (١)

(جواب المسائل الاربع التي سأها الباطنية بهمدان)

(من الشيخ الاجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
سئل ما قول سيدنا الشيخ الامام الاجل ، حجة الاسلام ، شرف الشريعة ، مقتدى
الفرق ، امام الائمة ، في هذه المسائل الاربع التي لبس (بها) هؤلاء القوم الذين طغوا
في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وموهوا بها استجلاباً لقلوب الخلق ، وهي هذه
(المسئلة الاولى) أليس أهل الاسلام متفقين على ان الباري جل ذكره
غني عن كل شيء غير محتاج الى شيء ، ما . ثم مع ذلك كلهم معترفون بانه كلف
العباد العبادة وأقربها فكيف تراك نيت بحجة العقل ان غنياً عن كل شيء يكلف من
لا يحتاج اليه ان يعمل عملاً هو غني عنه ؟ بين لي كيف ذلك لعلني ان اكون من العالمين
(المسئلة الثانية) ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليشيب
من أطاع ويعاقب من عصى وهذا مستحيل جداً في العقول فأني حاجة به الى
مماقبة خلقه حتى يدعوه ذلك الى ان يكلفهم أمراً اذا لم يأتوه عاقبهم عليه وان

(*) تابع لما في الجزء ١٢ م ١٠ (١) عثر على هذه الرسالة في بعض المجموعات
القديمية ببغداد عالم العراق السيد محمود شكري افندي الاكومي فأرسلها الينا لنشرها
في المنار فحمدنا سعيه ، وشكرنا فضله ، ونشرناها بنصها ، الا كلمات قليلة علمنا
باليقين انها محرفة فرددناها الى أصلها ، وبقيت فيها وقفات تركناها على حالها
(المنار ج ٨) (٧٦) (المجلد الحادي عشر)

كان لا حاجة به الى ذلك فاقول مستحيل جدا لا توجيه حكمة وان كان تعالى به الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو قادر على ان يثيب من يريد ويعاقب من يريد ؟ فالتكليف أيضا حشو لا توجيه حكمة والحاجة نقص وانه سبحانه وتعالى لا ينسب الى نقص وهو غني غير محتاج .

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة لينفعهم بها أترأه جل ذكره عجز عن ان ينفعهم بغير التكليف حتى احتاج ان يكلفهم ثم ينفعهم ؟ ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو حشو وان كان يعجز عن ذلك الا بالتكليف فالقدرة ساقطة والعجز ثابت وهو محال

﴿ المسئلة الرابعة ﴾ ان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، وهذا باب تحير فيه العقول ، هل يجوز ان يأمر حكيم بأمر يخرج عن الحكمة وينبذ عنه العقل ثم يحظر على العاقل البحث عنه ؟ أليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحاجة على هذا الخلق العقل وأمر أهله ونهاهم وخص غيرهم من البهائم على ما خلقوا عليه بالآلات التي خلقت لها وألهم العقل استعمالها بمثل اللجام الذي تروض الدابة به وغير ذلك من حبال الصيد والحيل المعروفة التي يطول شرحها ؟ واذا كانت حجة العقل على المكلفين والمأمورين والمنهيين بأمره ثم يكلفون أمرا ويمنعون من الفحص عنه والتماس سبب يتصور به ما يكلفونه عندهم ويصح في معقولهم ومعاوهم الذي هو حجة عليهم أليس يكون ذلك ظلما صريحا ؟ ووجدنا المتحليين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله جل جلاله لا يقبل عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل من البحث والنظر أين يكون بصيرا وهل يرجى ان يوحى اليه ؟ هذا منكر من القول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشيء . ووجدنا هذا الكتاب الناطق بين الخلق من الحق ينجر في موضع بآية « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » وينجر في موضع آخر بانه يسئل ويقتضي الجواب في قوله تعالى « ونحشره يوم القيمة أعمى » قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فأني سؤال أتم من هذا السؤال الذي اقتضي هذا الجواب ؛ وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يبر عنه

بيان يقبله العقل . فلهذا اعزك الله المسائل الأربع قد شرحت لك بعضها فلا بد من قول خامس تصح به التكليفات لأن سقوطها أيضا لا يصح . أبني ذلك فاني أراك من المحسنين . الى هنا كلامهم فان رأى سيدنا ان يجب عن هذا ويوضح هذه الاشكالات ويكشف عن هذه التليسات حاز به الاجر الجزيل والثواب الكثير ان شاء الله تعالى

أجاب وقال أما السؤال الأول وهو استبعاد التكليف مع الاستثناء وتوهم التناقض بينهما فصدره الجهل بحقيقة التكليف فكان السائل لم يسمع قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » وقوله « فلا أنفسهم يمهدون » وقوله « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » كأنه ظن ان تكليف الله تعالى عباده بضاهي تكليف الانسان عبده فان السيد يكلف عبده الأعمال التي يربط بها غرضه وما لاحظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به فكان هذا السائل ثبت في وهمه قياس فاسد وهو تشبيه تكليف الله تعالى بتكليف عباده فجعل نفسه مثالا لله تعالى الله وتقدس عن خياله ومثاله والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن اقتبس حقائق العلوم عن رأيه السخيف وعقله الضعيف ، وقياسه الفاسد ، كثر تعثره بالضلالات ، بل ينبغي أن يطلب حقائق العلوم من أهله وهم العلماء الاقوياء القائمون بحقيقة المعقولات المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الأدلة والبراهين المستبصرون بمداخل الغرور والتليس فيها . واذا كان شرح ذلك مما لا يسمح به عداوة ؛ على مثل هذه الاسئلة الضعيفة الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للافهام الضعيفة انفع من ضرب الأمثلة فلنقتصر على ضرب مثلين .

(المثال الاول) تكليف الله عباده بمجري مجرى (معالجة) الطبيب المريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة مرة يشرب المبردات والطبيب غني عن شره لا يستعصر بمخالفته ولا ينتفع بموافقته ولكن الضرر والنفع يرجع الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب بيان فانه مستغن عن بقائه فكذلك خلق للعبادة الاخروية اسبابا تنفي عنها إفضاء الدواء الى الشفاء وهي الطاعات ونهي

النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن رذائل الأخلاق مشقيات في الآخرة ومهلكات كما أن رذائل الأخلاق ممرضات في الدنيا ومهلكات . والمعاصي بالإضافة إلى حياة الآخرة كالسموم بالإضافة إلى حياة الدنيا والنفس طب كما أن للأجساد طباً فالأنبياء أطباء النفوس يرشدون الخلق إلى طريق الفلاح لتمييز طرق التزكية للقلوب كما قال تعالى « قد افلح من زكاه » وقد خاب من دساها » ثم كما يقال إن الطبيب أمر المريض بكذا ونهاه عن كذا وأنه زاد مرضه لأنه خالف الطبيب وأنه صح لأنه راعى قانون الطبيب ولم يقصر في الاحتيا و بالحقيقة لم يتبادر مرض المريض بمخالفة الطبيب لعين المخالفة بل لأنه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطبيب بها فكذلك (مداواة) النفوس هي الاحتيا الذي ينفي عن القلوب أمراضها . وأمراض القلوب تفوت حياة الآخرة كما تفوت أمراض الأجساد حياة الدنيا

(المثل الثاني) أن الملك من الآدميين قد يخص بعض خدامه وعبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه إلى مجلسه تارة لحظ الملك في استخدامه والاستعانة على نظام مملكته ومصالحها وهذا القسم ونظيره في حق الله تعالى محال وتارة ليتوجه العبد إلى مجلسه وينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميمه العزم على أن لا يستخدمه أصلاً ولكن ليقر به من نفسه مجرد حظ العبد والزيادة في قر به . ثم العبد إن ضيع المركوب وانفق المال لا في الطريق إلى السيد عد كافراً بالنعمة وإن ركب المركوب وانفق المال في الطريق متزوداً به عد شاكراً للنعمة لا بمعنى أنه نال الملك حظاً لنفسه ولكن أراد سعادة العبد فإذا وافق مراد السيد فيه كان شاكراً وإن خالف عدت مخالفته كفراناً والله يستوي عنده كفر العباد وإيمانهم بالإضافة إلى جلاله واستغنائه ولكن لا يرضى لعباده الكفر فإنه لا يصح لعباده فإنه يشقيهم كما لا يرضى الملك المستقني لعبده الغائب الشقاوة بالذل والفقر ويريد له السعادة بالقرب منه وهو غني عنه قرب منه أو بعد . فكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فإن الطاعات أدوية والمعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة إلا من أتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض قد عرفت ما يضر لك وما ينفعك فإن وافقتني فلنفسك

وإن خالفت فعليها فكذلك قول الله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها»
(وأما السؤال الثاني) فهو فرع من هذا السؤال فإن قوله ان الله مستغن
في إثابة عبده عن الطاعة وهو لم يتضرر بها يضاهي قول القائل ان الله مستغن في
في انشاء الانسان عن الأمر بالوقاع وفي انماء الطفل عن الرضاع وفي اشباعه عن
الطعام وفي اروائه عن الشراب وفي تصحيحه عن الادوية فما يانه عاقب بعقوبة الجوع
من ترك الأكل وعاقب بالمرض من ترك الادوية وعاقب بموت الطفل من ترك
رضاع والده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يفعل ذلك غضبا وانتقاما وليس يدري ان
لفظ الغضب والانتقام مستعار ومأول وانما غضب الله عبارة عن إرادته الايلاء
فكما ان الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب
الاسباب فبعضها يفضي الى الايلاء وبعضها الى الذات ولا يعرف عواقبها الا الاطباء
فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى آلام الآخرة وذاتها من غير فرق

وكذلك (السؤال الثالث) ينحل به فان الله تعالى لا يوصف بالمعجز عن الاشباع
من غير أكل والإرواء من غير شرب والانشاء من غير وقاع والإيناء من غير
رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات كذلك لسر وحكمة لا يعلمها الا الله عز
وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بمعجب انما المعجب في التعجب من هذا
التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب
منه لقصور هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل دارا فتعثر بالأواني
الموضوعة في صحن الدار فقال لأهل الدار ما ارك عقولكم لماذا لا تردون هذه الأواني
الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق؟ فقيل انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل
في فقد البصيرة (١) وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين التعجب وبين البرهان كثر
خطئه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض وان الله تعالى لم رتب الاسباب؟ ولو
رتبها على وجه آخر لتصور أن تعجب منه جاهل ويقول لم لم يفعل ضده وهذه التعجبات

(١) كذا في الأصل ويظهر ان ههنا سقطا وتصحيحه بحسب المعنى ان يقال
وانما الخلل في فقد البصر وكذلك الخلل فيما ضرب به المثل في فقد البصيرة والمثل
مذكور في الاحياء ولا أحد سمة في الوقت الذي

٦٠٦ الحكمة في منع ضعف العقل بالبحث عن استمرار الشرع (المنازع ٨٨م)

منعها أو هام العوام ولا يلتفت المحصل إليها بل إلى مقتضى البراهين
﴿ وأما السؤال الرابع ﴾ ففي إرادته خبط وكان السائل لم يقدر على أن يفصح
عما في ضميره والذي يتحصل منه تعجبات أربع

(التعجب الأول) قوله كيف أمر بالشيء ومنع عن البحث عنه والبصيرة
لا تحصل إلا بالبحث ؟ وهذا تعجب فاسد فإن العمل يستدعي اعتقاداً جازماً أو معرفة
حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل بالتقليد المجرد عن سبيل التصديق والإيمان والمعرفة
تُحصل بالبرهان والوصول إليها بالبحث ولم يمنع عن البحث كل انشاق بل الضعفاء
القاصرون عن الاطلاع على عويصات البراهين ومعاصات البحث وإنما مثال ذلك
امر الطبيب المريض (بالدواء) وامتناعه عن ذكر العلة في كون الدواء نافعا ومنعه المريض
عن الاشتغال بالبحث عنه لعله بانه يقصر عنه فهمه ولو اشتغل بالبحث عن علل الطب
لشق عليه وعجز عنه وزاد المرض واستضر به فإن وجد على التدبرة مريضاً ذكياً
آناً بمنهاج الطب وعلل الأمراض لم يمنعه من البحث ولم يمنعه عن ذكر
المناسبة بين الدواء وبين علته بل إذا علم انه ليس يكتفي بمجرد قوله وليس يصدق
بمحض التقليد وتفرس فيه من الذكاء ما يفهم به العلة وعلم انه إذا فهم العلة والمناسبة
اشتغل بالعلاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ان
كان يريد صلاحه ولم يمنعه عن البحث إذا علم اشتغاله به الا ان ذلك نادر في المرضى
جداً والا كثرون بضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلة والاستمرار والبحث
عنها في الشرعيات من هذا القبيل ،

﴿ التعجب الثاني ﴾ وهو تسخير البهائم الانسان يضاهي تعجب الانسان من
يمشي خطوات لينظر الى منزهات ووجوه حسان فيقال كيف أتعب رجله وسخرها
لأجل عينه والعين آتة كما أن الرجل آتة فما بال إحداها جعلها خادمة وأتعبها
وجعل الأخرى مخدومة وطالب راحتها وهذا جهل بالأقدار والمراتب بل البصير يعلم
ان الكمال يفدى بالناقص وان الناقص يتسخر لأجل الكامل وهو عين الحكمة
وأما قوله ان ذلك ظلم فهو جهل بحمد الظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله
تعالى لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظالماً فلا يتصور منه الظلم بل له

ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا (١)
 ﴿ التعجب الثالث ﴾ أن الشرع كيف يرد بما ينبو عنه العقل ؟ وهو قاسد لان قوله « ينبو عنه العقل » لفظ مشترك فان اراد به أن برهان العقل يدل على استحالة كخلق الله مثل نفسه والجمع بين المتضادين فهذا مما لا يرد به الشرع ولم يرد . وان اراد به ما يقصر العقل عن دركه ولا يستقل بالأحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال بل مقصود بثة الأنبياء ارشادا لخلق الى ما يقصر عقولهم عنه فليس بمحال أن يكون في علم الأطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد والمرأة الحامل او مشيت فوق حبة مخصوصة ألفت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحالة وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد النار قط واحرقاها فاخبرنا مخبر وقال اني احك حبة بحبة واستخرج من بينها سناً احمر بمقدار عدسة تأكل هذه البلد وغيرها حتى لا يبقى فيها شيء من غير أن يستقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد في حجمها بل تأكل كل البلد ثم تأكل نفسها فلا تبقى لاهي ولا البلد لكننا نقول هذا شيء ينبو عنه العقل ولا يقبله ، وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك ، فكذلك يستعمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو الذي ليس بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه ،

واما ﴿ التعجب الرابع ﴾ وهو انه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ثم سئل وقيل « لم حشرتني أعشى وقد كنت بصيراً » قال كذلك أتتك آياتنا فكفيتها وكذا لك اليوم تنسى » فمصدر هذا السؤال الجهل بكون « لفظ » السؤال مشتركاً فان السؤال قد يطلق ويراد به الإلزام كما يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله (٢) وقد يطلق

(١) النار : فسر الظلم هنا بما جرى عليه الاشعية وفيه نظر ظاهر وقد بينا حقيقة الظلم وكونه محالا على الله تعالى في مواضع من التفسير والنار (٢) هذا ما يعبر عنه الآن بالمسؤولية وهي بمعنى التبعة والمواخذة فمعي كونه تعالى لا يسأل عما يفعل انه ليس لاحد سلطة فوق سلطته فيسأله عن فعله سؤال من يلقي عليه التبعة ويؤاخذ به على ما عمل

ويراد به الاستخبار كما يقال سئل التلميذ والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام وهو المعنى بقوله « لا يستل عما يفعل » إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام فأما أنه لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله « لم حشرتني أعمى » وهذا القدر كاف في جواب هذه الأسئلة اه والذي أوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه ويتقي ربه ويطلب علما مليا بعلم العقل والشرع ليهديه الى الطريق فأن من ترقى عن مجرد التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستعلاء كان من الهالكين فنعوذ بالله من فطانة نزالة وكياسة ضعيفة فان البلاء منه أولى إلى النجاة منها آمين

استحالة المادة

١

﴿ للدكتور خليل سعادة ﴾

كتبها عند إذاعة خبر هذا الاكتشاف

سبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
او مضى من كعبة العلم نبا خطير ، دوت له أرجاء العالم المتحدن اي دوي ، وعندى
أنه اعظم اكتشافات البشر ، وأسمى ما بلغت اليه مداركهم ، فلا يحسب بجانبه
كشف العالم الجديد شيئا مذكورا ، وما بلوغ القطب الشمالي اليه سوى العوبة من
الأعيب الصبيان ، كيف لا وهو الامنية الكبرى التي طمحت اليها أبصار فلاسفة
العصور ، والغاية القصوى التي اشرأبت اليها أعناق الحكماء في جميع الدهور ، : حلم
رآه أسلافنا في ليل مدلم بظلمات الاوهام ، فتجلى لنا نورا باهرا يبدد دياجي
الجهل وينير بصائر الافهام ، بل قل هو الحق انزل على عيون مبصرة ، وآذان
مصغية ، وقلوب واعية ، فزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

نريد بهذه التوطئة الاكتشاف الحديث الخطير وهو استحالة المادة الواحدة
البيسة من عضو الى آخر كما تبين الآت في استحالة بخار الراديوم الى عنصر

الطيبوم : اجل أماطت الطبيعة اخيرا نقاب الخفاء عن وجهها الواضح ، ورفعت الحجاب بعد دلال ونفار ، طال اجله الوقا من السنين ، عادة وضاعة لا كالفادات تشقها العالم فهام لاجلها في اليد والقفار ، وجرى ورائها الى قن الجبال ولجج الابحار ، تقفى أثرها في الرمضاء اللاذعة تحرقه أشعة شمسها ، وفي الثلوج المتراكمة يلذعه قارس بردها ، سهدته قرونا طولا وهو يرقبها طول ليله في السيارات والدراري وليل العاشقين طويل ، وتطلبها في قطرات الماء ورشاشه يحدق فيها بمجهره وهي غزال نفور كالزئبق القوار ، اذا دنت نأت ، وان قربت بعدت ، هي شبه برهرهات الأكل وسراب الظان ، لم تكشف اقناع عن ثغرها البسام لحظة من الزمن ، تطلبها في الحرارة والنور ، وامتطي في أثرها الكبر باثية والبخار ، وكالمها بين الزهور والرياحين ، وشرح لها وجدده بين الرياض والبساتين ، فكانت اذا أدته منها ابتسامة ، اوقفته عن الدنو منها مهابة ، جمال تكلل بالجلال ، وانفة الا أنها دلال ، منها نحل العاشق سقا ، وضاق ذرعا ، فلما أيقنت منه التفاني في سبيل غرامها ، والاستقلال في هيامها ، أماطت الآن اللثام ، بعد آلاف سنين في التحجب والدلال ، والتلاعب والمطال ،

طمعت أبحاث اسلافنا منذ الأعصر المتراصة في القدم الى اكتشاف امرين خطيرين اولهما اكبر الحياة الذي يتذرع به المرء الى درء كأس الحمام ونيل الخلود على وجه البسيطة ، وثانيهما حجر الفلاسفة الذي يباح له به تحويل المعادن الى ذهب ، فيصبح المرء بهذين الاكتشافين خالدا مثرى ، ولبت القصداء بخطون في دياجير الأوهام ، ويتلمسون الحقيقة في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى نبغ نحو أواخر القرن الثامن رجل هو لغز من ألغاز التاريخ غريب الأطوار كثير المطامح بعيد المرامي يسمى جابرا تفرغ الى البحث في المعادن واتقطع الى إجراء الامتحانات المتعددة بشأنها تنوعا لتحويلها ذهبا وكان مذهبه ان المعادن خليط من عناصر متعددة يمكن ترقية الدنيا منها الى الاشكال العليا وما قفى يكتر من التجارب ويميد في الامتحانات وهو في كل ذلك يتراوح بين الحقيقة والضلال حتى أصبح له في عصره شأن خطير ومنزلة راقية في عيون اهله وهو احق رجل بان يسمى شيخ الكيميين ولكنه منطق

الحقيقة بالجهالة واكتف الحق بالبطل ولم يدر خطورة قوله ولم يعلم حينئذ ان سيقوم في فجر القرن العشرين رجل من اشهر الكيماويين ويكتشف أعظم اكتشاف قدر للمرء حتى الآن ويحيى به مصداقا لاقواله

يد ان العلوم الراقية لبثت قرونا طويلا خليط فن واحد فكان الباحث متكنا في الطب وعالما في التنجيم وطوال السعد وصهارا للمعادن وطال أمره دهورا يتلصص الحق على غير صراط الهدى حتى بزغت عليه بعض اشعة العرفان فانبتت الطب من الكهانة والفلك من التنجيم وكيمياء الحق من كيمياء الباطل ولما انتظمت الكيمياء فنا قائما بنفسه نبذ طلابها آراء الاقدمين بسذ النواة فبين لهم ان العناصر الأربعة التي قال بها السلف وهي النار والهواء والماء والتراب ليست بعناصر بل هي مواد مركبة تنحل الى مواد أخرى بسيطة اطلقوا عليها لفظ العناصر الصحيحة وكان من أوائل اكتشافاتهم بهذا الصدد الاكسوجين . ولما تم لهم هذا الفتح المين نشطت الهمم من عقاها واستولى على المقطعين الى هذه الابحاث هوس شديد . تضرب لك مثلا واحدا لتفقه الى أي حد بلغ بهم ذلك الهوس وهو السكاوي الطائر الصيت « لافوازيه » فانه كان في صدر جلة الكيماويين الذين تمروا بالبحث والامتحان بشأن الاكسوجين فبعث الى الاكاديمي في أواخر القرن الثامن عشر رسالة ضافية الذبول بخصوص تأكسد المعادن (١) وكانت له أثرا خالدا وما زال يوالي التجارب حتى انفجر بركان الثورة الفرنسية واندلع لهيبها في باريس وسائر ارجاء فرنسا وكان « لافوازيه » لتكد الطالع رجلا عريقا في نسبه « كبيرا في حربه » وافرا في ثروته « فأصبح هدفا للتأثرين ، وغرضا لسهام الحاسدين ، فصورب اعداؤه نحوه شكايات باطلة أصابت منه مقتلا فحكم عليه بالاعدام وكان اذ ذاك منهمكا في تجارب كيماوية خطيرة فطلب من لجنة الثورة ان تمهله بضعة أيام ريثما يتم ابحاثه واكتشافاته فعاملته بفضلة يندى منها جبين التمدن واجابته بفضالة يحمر لها وجه الحرية قائلة انت لا حاجة بالجمهورية للعلماء !

(١) المئذ : التأكسد عندهم عبارة عن اتحاد المعدن بالاكسجين بحيث

يتولد عنها جسم ثالث غيرهما كالصدا في الحديد وهو أكسيد الحديد

فقيده من كعبة العلم الى باحة « الفليوتين » (١) وهو الذي قال بشأنه ساعدت
« لا غرانج » أحد مشاهير مواطنيه: بعد دقيقة يسقط رأسكم بكم أجيال وقرون قبل
الحصول على مثله

فانقسمت اذ ذاك غياهب الجهل عن بصائر أولي النهى ففقهوا ان جل المواد
المعروفة انما هو مركبات وخليط مواد بسيطة متعددة فحسروا عن ساعد الجدوقدفروا
بالأوهام القديمة من حلق وتواردت عندئذ اكتشافات العناصر تترى على نوادي
العلم ومجامع العرفان فبنيت صروح المعارف على اطلال الخرافات ووطد بنيان
الكيمياء على عمد راسخة الأركان واكتشف الباحثون في العناصر نواميس كيمائية
عجيبة لم تكن لتخطر في بال اسلافنا ولا في الأحلام

العروة الوثقى التي وقفت عندها الالباب حيرى هي الذريبات الاصلية لهذه
العناصر فقالوا انها جواهر مادية تتألف من جواهر فردة اذا تجزأت بطل العنصر
أن يكون عنصرا بالخصائص والمقومات التي يتميز بها عن سواء غير انه لما كان
الجوهر الفرد لا يقبل التجزؤ فعلا اذ لم يكشف البشر ذريعة أو وسيلة تؤدي الى
ذلك لبث العنصر ثابتا على ممر الأدهار

بيد ان القول بوجود هذه العناصر المتعددة الاشكال المتباينة الخواص ثابتة
على هذا المنوال منذ الازل مناف لمطمح الفلسفة السامية القائلة بوحدة المادة وخصوصا
اذا اعتبرت أرضنا نفسها ذريعة من مجاميع ونظامات هذا الكون المعجب الذي
يملا القلب مهابة ورهبا متى تجلى لك خلال استار الدجى كواكب ودراري ساجدة
أو معلقة في فضاء يتناول الطرف الى الاحاطة بعظمته وفقه رموز اسراره فيرتد
عنه وهو كليل

ذلك ما حدا جاة المتضلعين من العلوم الطبيعية الى القول بان سائر العناصر
المعروفة مشتقة من عنصر واحد متناه في بساطة التركيب ولطافة القوام وخفة المادة
غازي الشكل ولما لم يكن معروفا عندهم حينئذ من العناصر التي يمكن الحصول
عليها ما يصح ان يكون أصلا لجميع المواد سوى الهيدروجين حسبوه ذلك الاصل

(١) النار: هي الآلة التي اخترعوها لقط الرقاب بسرعة

حتى اننا بعضهم من هذه الاستدلالات بوجود عناصر أخرى كانت لم تزل مجهولة لكي تملأ فراغاً في حلقات العناصر المعروفة فجاءت الاكتشافات التالية مصداقاً لنبوتهم ثم انه تبين من الابحاث الحديثة ان الجواهر الفردة للهيدروجين على ما فيه من التناهي في الصغر هو كبير جداً في حجمه بالنسبة الى ما كشف مؤخرًا من الذرات الكهر بائية التي اطلقوا عليها اسم الألكترون بحيث ان جرم الجواهر الفرد الواحد من الهيدروجين يوازي ألف جرم من الألكترون وثبت لهم ان هذه الذرات الكهر بائية تستقل عن الجواهر الفردة وتقوم بنفسها ويكون لها جميع الخواص المقومة للجواهر الفرد حتى ترجح عند كبار الطبيعيين الآن ان الجواهر الفردة لجميع العناصر تتألف من هذه الذرات الكهر بائية فقط التي بعضها ايجابي و بعضها سلبي بمقادير متساوية وان اختلاف العناصر متوقف على اختلاف مقادير هذه الذرات في تأليف جواهرها الفردة فما العناصر اذا سوى مجاميع هذه الذرات التي تثبت قوامها بقوتي الجذب والدفع

فتمت فثبت ذلك علمت كيف تأتي استحالة المادة من عنصر الى عنصر على ما صدرنا به هذه المقالة بيد انه لم تتح لبشر مشاهدة هذه الاستحالة عياناً الا منذ نحو أسبوعين من الزمن وتفصيل ذلك انه قدم الى مدينة باريس منذ بضع سنوات في أواخر القرن المنصرم فتاة بولونية المحتد في غضاضة الشباب وريعان الصبا المتابعة بمض دروس فلسفية ولو علم أهل تلك المدينة ما سيكون لهذه الفتاة في العالم من خطورة الشأن والصيت الذائع لا احتفوا بها احتفاءهم بالاميرات والملكات من زوَّارهم فينقضي ذكر الملوك والملكات الذين زاروا باريس اما اسم مدام كري فيبقى خالداً وهي الفتاة التي نضينا فانها ما لبثت حيناً من الدهر حتى تزوجت الاستاذ كري فأقاما في بيت بعيد عن ضوضاء المدينة وجلبة القوم يواليان الامتحانات الكيميائية حتى ظفروا أخيراً بأمنية ما وراءها أمنية الا وهي اكتشاف الراديوم

اما وجه أهمية هذا الاكتشاف فهو ان العلماء وجدوا ان معدن الراديوم يختلف عن جميع المواد والعناصر المعروفة على وجه البسيطة في أمر هو إشعاع الحرارة والنور على الدوام دون ان ينحسر شيئاً منها فسواء وضعته في الماء والثلج أو

الهواء بقيت حرارته مرتفعة عما يحيط به وهو أمر توسعه العلماء في حلم لما صدقوه. ولما وجد الباحثون عنصرا يختلف في خصائصه عن سائر العناصر دعروا منه يبدأهم توسموا به أخيرا خيرا اذ علموا انه سيلقي بين أيديهم مقاليد الكون وينشر امام أبصارهم رموز الطبيعة واسرارها فتهاقوا عليه تهاقت العطاش على الماء حتى بلغت اثنائه في الأشهر الأخيرة مبلغا فاحشا لم يسمع بمثله من قبل فان المقدار الذي لا يتعدى جزءا من خمسة عشر جزءا من القمحة منه يساوي خمسين ألف جنيه وكان في عداد الذين اشتغلوا بالبحث في الراديوم واسراره الكيمائي الشهير السير وليم رمزي فوجد نظير غيره من المشتغلين به ان في جملة ما ينبعث من هذا المعدن مادة غازية كثيفة بقيت لديهم حينما من الدهر لغزا من الالغاز لانها كانت تلبث ودحا من الزمان ثم تخفى دون ان يتمكن أحد من الوصول الى كنهها فوضع السير رمزي أخيرا هذا الغاز في زجاجة دقيقة جدا سدها سدا محكما وما فتئ يراقبها حتى تبدت له معجزة من المعجزات وهو ان تبدى من هذا الغاز بعد يومين من الزمن بواسطة السبكتروسكوب خط ضارب الى الاصفرار وهو الخط الذي يشير الى وجود عنصر الهليوم وهو مادة توجد في الشمس ولم يعثر عليها في أرضنا الا حديثا ثم بعد نحو اسبوع من الزمن زاد الخط اشراقا دلالة على ان مادة الراديوم الغازية استحالت الى عنصر الهليوم ولم يبق لها من أثر

وهذا الاكتشاف الذي نحن بصددده هو باكورة الاكتشافات العظيمة في فجر القرن العشرين وسيكون له من الخطورة ما هو اهل له وسيقيض لنا على يده كشف كثير مما غمض على أفهامنا من أسرار الطبيعة وغرائب الكون فان الباحثين جارين الى هذه الغاية سباقا يبدلون النفس والنفيس ويجودون بالمال والارواح لغرض ترقية شأن العقل البشري والنهوض به من حضيض الجهل الى قن العلم ولعله لا تغيب شمس هذا القرن حتى تبرخ شمس من سماء الحقيقة والعرفان تتجلي نورا باهرا على الأفهام وتميط الطبيعة عن محياها الصبوح حجاب الابهام ومن يعثر

﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ • مُبِينٌ إِلَيْهِمْ وَأَنْقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
المُشْرِكِينَ • مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ • (سورة الروم ٣٠ : ٣٠ - ٣٢)

إن الله جلت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الإنسان ، بفطرة أعلى
من فطرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بآلات وآلام غير جسدية ،
فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، أنشأه مستعداً لإدراك معلومات غير
محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدار حياته على التعاون والاجتماع ،
ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ أفراداً
متفاوتين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر لمجموع النوع القيام بجميع العلوم
والاعمال ، فأدناهم الخدم والبنائون والزارعون ، وأعلام الساسة والحكام فلا نبياء
والمرسلون ، فهؤلاء كالعقول والقلوب والأرواح ، وأولئك كالأرجل والأيدي
والمعد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى
أعلى ما يتشوف استعداداً إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه
الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للإنسان ، الناهض بها الى طلب
الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكامل الفطرة البشرية على منهاج التدرج في الارتقاء ، كما هي
السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء خاتم النبيين والمرسلين بالاسلام ،
الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من
جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل
زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالمرابي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كلما
ساروا في العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلي في ميدان السبق ، ٤١: ٥٣ سندريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،

لكن المسلمين قد خذلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ،
اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات ،
وان يفرقوا فيه مذاهب وشيعا ، وينقصوا منه سنا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يجعلوا
كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد
مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي
اشتراطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث
والتفكير ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ
محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان
حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لا اذ كر في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع
الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجموها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكده
الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطلعوا عليها قد كتبوا لمؤلفها من
مشور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجمها اضعافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء
النصارى قالوا عند ما قرءوها: لو كان ما في هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول
من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نؤمن بفضله ، وعلو كعبه ،
لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا
من كان عالما بمتى ما وصل اليه علم الكلام من الارتقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كتبه فلاسفة أوربا في الانتقاد على الأديان، مع ما كتبه في بيان مزاياها وفي علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الا وكشفتها، ولا عقدة من عقد المشكلات الا وحلتها، ولكن الشبه تذكريها غالبا بطريق الإيماء والتلويح، دون الأمانة والتصریح، وذلك أدنى ان لا يشك الضعيف، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف، وقد أشار الى ذلك المصنف في قوله «راميا الى الخلاف من مكان بعيد حتى ربما لا يدركه الا الرجل الرشيد»

كتب الأستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة وبادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الأزهر على الألوف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومائل تحتاج الى إيضاح وكلم جدير بالحذف فكان يكتب ما يراه من التنقيح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها، وقد انتقد عليه الشيخ محمد محمود الشنيطي (رحمها الله) ذكره لمسألة خلق القرآن لانها مخالفة لشرطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها (راجع ص ٣٧ منها) وانتقد عليه حروفا أخرى فأقنعه في بعضها واقتنع منه في بعض. وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعا أو أكثر. وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه مثلها، فأبقىها على أصلها (*) الا كلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي الا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولما كتب الي صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصحت هذه الطبعة معارضة عليه وعلى نسخة المؤلف. وعلقت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس، ولولا انه نهى عن شرحها ووضع الحواشي لها، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش، ولكن مارآه رحمه الله هو الصواب، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها المعول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الأستاذ الامام، ونفع برسالته الأنام، آمين

محمد رشيد رضا الحسيني

منشئ المنار

(*) مثل تعدية التكليف بالباء واتباعها الاصوليين وغيرهم ومثل لفظ الصدقة

أثر علم السياسة

مبادئ الاقتصاد السياسي

قد اشتهر بيننا ان الفنى والفقير إنما يكونان بالحظوظ والاقدار ، لا مدخل فيها لعلم المرء وعقله ، ولا اذكائه وسميه ، بل اشتهر بين الأدباء ان العلم والحجى ، ضدان للثروة والفنى ، وقد نظم أدبائنا في القديم والحديث كثيرا من الشعر في هذا المعنى تداوله الناس وحفظوه فصارت به المسألة عندهم من القضايا المسلمات ، التي يتوهمون انها من البديهيات ، وكيف لا تكون كذلك عند الجمهور وهي مدعمة بظواهر ما جاء في الدين من اسناد كل شيء الى مشيئة الله عز وجل ، وللعلماء والصوفية فيها من الكلام ما هو أشد تأثيرا في النفوس من كلام الشعراء والأدباء . وما يؤثر فيها عن الامام الشافعي رضي الله عنه من أبيات

لكن من رزق الحجى حرم الفنى ضدان مفترقات أي تفرق

ثم انهم يرون ظواهر الحوادث الجزئية تؤيد هذا الرأي وتثبت اذ يرون مثل فلان باشا و فلان بك يعبثون بالالوف من الدنانير وهم على ما يعرفون منهم من الجمل والغبابة فإذا قيل لمن يعتقدون هذا الاعتقاد ان تدبير الثروة علما يبحث فيه عن ينابيعها ومواردها ومصادرها فيعلم الواقف عليه طرق تحصيل الثروة وحفظها وتوزيعها ولماذا كانت تلك الامة غنية وهذه الامة فقيرة ولماذا يتراحم في البلد الواحد شعبان أو شعوب متعددة فيسبق قوم ويتخلف آخرون — إذا قيل لهم هذا قالوا إن العلم لا شأن له في هذا وإنما هي الحظوظ والاقدار ، ويسردون ما يحفظون من الآثار والأشعار ،

الاقدار هي المقادير والموازن التي أقام الباري بها نظام الكون فهي تقتضي

الاسباب لا تنافيا ، وان اشتهر استعمالها يتنا فيما جهل سببه غالبا ، والخط في الاصل هو النصب الذي تناله من الشيء بسعي أو بغير سعي وان غلب استعماله فيما يناله المرء بغير سعي منه اليه ، ولا ننكر ان بعض الافراد ينالون الثنى والثروة بأسباب لا يعرفونها ، ولا يسمعون اليها سعيها ، ولا تنازع في تسمية ذلك حظا جاد به القدر ، على ما يتناوين أولئك الناس من الخلاف في فهم معنى القدر . وانما نقول في إقناع المنكرين لفائدة علم تدبير الثروة الذي وضع له اسم « الاقتصاد السياسي » : إن الواضحين لهذا العلم والمصنفين فيه والدارسين له والعاملين به يعرفون من أحوال أهل المخطوط ما تعرفون ، ومنهم من يؤمن بالقدر كما تؤمنون ، ولكنهم مع ذلك يعلمون من أحوال العالم ما لا تعلمون ، فاضموا علمهم إلى علمكم ، ثم لكم بعد ذلك حكمكم ، إذا كنتم تعذرون فيما تحكمون به على ثروة الافراد في كل أمة فلا عذر لكم إذا قسم عليها ثروة الشعوب والامم ، فسيروا في الارض فانظروا كيف صارت الامم التي عنت بهذا العلم اغنى الامم وأعزها ، وكيف يدخل أفراد منها في بلاد أمة أخرى فلا يلبثون ان يكونوا هم المستقر والمستودع لثروتها ، بل القابضين على روح الحياة المالية والاجتماعية فيها ،

ألا إن أمتنا أخرج الى هذا العلم منها الى جميع العلوم الدنيوية لانه روح جميع العلوم والاعمال ولكنا لانزال مقصرين فيه ، بقدر حاجتنا اليه ، حتى انني لم أرفي لفتنا غير كتابين وجيزين فيه طال العهد على وضعهما ، وارتقى العلم بعدهما ، فصرنا محتاجين الى خير منهما ، وقد أحس بهذه الحاجة محمد فهمي افندي حسين الحامي (المتخرج من عهد قريب في مدرسة الحقوق الخديوية) فحملته الغيرة على أمة وبلاده على وضع كتاب جديد في هذا العلم يستمد مسائله من الكتب الافرنيجية الحديثة وقد فعل وسماه (مبادئ علم الاقتصاد السياسي) وقد طبع الجزء الأول من عهد قريب فبلغت صفحاته ١٨٤ صفحة وجعل ثمنه عشرة قروش ضئيلة فسي ان يرى من الإقبال عليه ما ينهض بهمة إلى إتمام الكتاب تأليفا وطبعاً . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب المشهورة . وسنقل شيئا منه تنوينا به وإفادة لقراء المثار

الاسلام روح المدنية

(رد على لورد كرومر)

لم يكذب ينشر كتاب لورد كرومر الذي سماه « مصر الحديثة » حتى كانت أول ما ترجمته الجرائد المصرية منه كلامه في الاسلام والمسلمين . ووعد بعض الافراد وبعض الاحزاب بتأليف كتب في الرد عليه ولكن قد سبق الجميع الى ذلك صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي فبادر الى وضع كتاب في ذلك وطبعه في بيروت في أيام الاستبداد الشديد إذ كان يخشى المرء ان يحاسب ويعاقب على مثل هذا التأليف وعلى طبعه بدون رخصة من نظارة المعارف في الاستانة ولو طلبت الرخصة فيه لما أجيب الطالب الا الى العقاب . وقد بلغ من شجاعة مؤلف هذا الكتاب ان ذكر فيه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) وتقل بعض كلامه وشيئا مما يؤثر عنه وتقل عن المنار ايضا وكان يومئذ الى ذلك بقوله : قال السيد في المجلة . وقد كان ذكر الاستاذ الامام أو المنار قبل إعلان الدستور في المملكة العثمانية جريمة من أكبر الجرائم وخطرا على من يذكر هذا اللقب « الاستاذ الامام » أو اسم صاحبه « الشيخ محمد عبده » أو المنار أو صاحبه ولو تلويحاً من أشد الاخطار فشكراً للشيخ مصطفى على شجاعته وعمله . هذا ولم تنس لنا مطالعة الكتاب ولكتنا رجوا ان يكون خيراً مما كتب أكثر أصحاب الجرائد في الرد على لورد كرومر وناهيك بمن يستمد من كلام الاستاذ الامام ، في الدفاع عن الاسلام ، ومن يصدف عن ذلك ظاهراً ، وان لم يستغن عن الاقتباس منه باطلاً ، وعن الكتاب في مصر خمسة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار فنحث القراء على مطالعته

تاريخ العرب قبل الاسلام

كتاب جديد يؤلفه جرجي افندي زيدان المؤرخ العربي الشهير وقد انجز الجزء الاول منه فاذا هو قد استمد مسائله من الكتب العربية والكتب الافرنجية في اللغات المختلفة . وبعض الكتب الافرنجية مزية على العربية في هذا الموضوع

بما اكتشفوه من الآثار القديمة في بلاد العرب . وقد اقتبس المؤلف شيئاً منها لا يستقي عن الاطلاع عليه قراء العربية وهو على قلته يصح ان يمثل فيه بقول الشاعر

قليل ما أمرت به ولكن قليلك لا يقال له قليل

وقد نظرنا في الكتاب نظرة إجمالية فالفينا حسن الترتيب جامعا لكثير من المباحث النافعة ولكن لم يتح لنا مطالعته لنحكم فيه على علم بما نرجو ان يكون قد جاء به من التحقيق فحسب ان ينتدب بعض من قراء من أهل العلم والرأي الى موافقاتنا بمقال حافل في ترميزه ومقدمه إظهاراً لقيمته ، وشكراً لفضل مؤلفه ، أما نحن هذا الجزء الذي صدر من الكتاب فمشرورون قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ عروس فرغانة ﴾

هي إحدى القصص التي جعلها جرجي افندي زيدان منشئ الهلال ملحقاً لسني مجلته « تضمن وصف الدولة العباسية في عهد المتصم بالله (سنة ٢١٨ - ٢٢٧ هـ) وقيام الفرس لإرجاع دولتهم بالسيف ونهوض الروم لاكناساح الملكة الاسلامية ويتخلل ذلك وصف آداب الأتراك وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سامراً عاصمة المتصم وواقعة البذل في حرب بابك وواقعة عمورية في حرب الروم وغير ذلك » وهي تقع في ٢٠٤ صفحات حسنة الطبع وانت شهرة هذه القصص في إبداع الفكاهة القصصية المسلية شيئاً من الفوائد التاريخية ورغبة القراء فيها مما يجعلها غنية عن الترميز والثناء وثمن النسخة منها عشرة قروش وأجرة البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال

﴿ مجلة صراط مستقيم ﴾

صدرت في الاستانة مجلة إسلامية محررها باللغة التركية طائفة من العلماء وقد كتب إلينا مديرها ما يأتي

إلى إدارة المنار

« تعاونوا على البر والتقوى »

شرعنا في نشر مجلة باسم الصراط المستقيم والله الموفق

غرضنا خدمة الدين المين ولكن حال بلادنا من حيث الكتب والجرائد

حال محزنة . ولم نكن نرى من قبل تلك الآثار المصرية الثمينة وهل كانت رؤيتها من الممكنات ؟ والآثار التي كنا نملكها جعلتها الحكومة السابقة طعاما لمراقدة الحمامات . وقد دخلنا منذ الآن في حياة جديدة . أما مجلتكم العلمية فهي مشهورة في جميع الكون فترغب ان يكون لإخواننا مساكين الترك نصيب من مائدتكم العلمية ونحن مفتقرون في هذا الموضوع لمعاونتكم العلمية فترجوكم ان ترسلوا لنا مجموعة من مجلتكم وان ترسلوا كل ما يصدر منها بعد في وقته . وان أنبأتمونا عن الآثار الجديدة المطبوعة بمصر نكن لكم من الشاكرين . واقبلو فائق احتراما

(المنار) قد سررنا سرورا عظيما بهذه المجلة ونشكر مديرها الفاضل حسن ظنه بنا وسندي رأينا في منهجها ومقالاتها بعد ان يتيسر لنا ترجمة بعض مقالاتها ثم نكتب لمديرها ان شاء الله تعالى

القسطاس المستقيم

جريدة عربية جديدة أنشئت في دار السلطنة العثمانية (الاستانة) بعد إعلان الدستور . أنشأها الحاج محي الدين أفندي كريمة والحاج حسن أفندي المجدوب من خيار أبناء بلدتنا (طرابلس الشام) المقيمين في الاستانة وقيمة الاشتراك فيها نصف ليرة عثمانية في بلاد الدولة العلية و ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ فرنكا في البلاد الأجنبية

فتتمنى لها من الرواج والانتشار في هذه الديار وغيرها ما يبعث أصحابها الى تكبير حجمها وتكثير قوائدها

السبع والخمسين

قَالَ لَبَقَا لِيَنَّكَ قَوْلُ الْجَنَابَا

﴿ كتاب أبي مشر ﴾

كتب الينا من سنافورده وجاوه ان هذا الكتاب منتشر في تلك البلاد يجلبونه اليها من مصر وان بضاعة المتحطين للتنجيم والعرافة رائجة به وسألنا الكتّابون عن رأينا فيه وأرسلوا الينا نسخة منه لتنظر فيها ان لم يكن سبق لنا الاطلاع عليه فنقول بعد الاطلاع على عدة ابراج منه

اننا لم نر في لغتنا كتابا أجمع للمفاسد والمضار منه، فهو مفسد للعقل والدين والآداب، معرض على الفسق والفجور، مقطوع للروابط بين الازواج والاهل والجيران، وهو على ذلك كله خال من الفائدة والذمة

أما كونه مفسدا للعقل فنحن به انه يمد الضعيف في غيه فيزيده فسادا بقبوله لا وضع له من يان ما يعرض للمرء في مستقبل حياته الدنيا .

لو فكر من له مسكة من العقل أقل التفكير في الطريقة التي يبين بها هذا الكتاب حوادث المستقبل لجميع البشر في ٢٤ فصلا منها ١٢ برجا للرجال و ١٢ برجا للنساء — لرأى ان ذلك باطل بالبداهة فان من مقتضى ذلك ان كل من اتفقت اسمائهم وأسماء أمهاتهم وكل من اتفق العدد الحاصل من جمع اسمائهم وأمهاتهم بعد طرح عدد الاثني عشر منها حتى تبقى اثني عشر أو أقل يكونون متقنين فيما يعرض لهم من الامور والاحوال في اجسامهم من مرض وصحة وحياة وموت وفي ازواجهم وأولادهم وكسبهم وغناهم وفقيرهم واخلاقتهم وآدابهم ومكانتهم في الناس وفي غير ذلك لا فرق بين أحد منهم الا من ثلاثة وجوه فان لكل برج عنده ثلاثة وجوه يعبر عنها بقوله الوجه الاول من نظر اليه كوكب كذا يكون كيت وكيت

فلما قل أن يجمع أسماء كثير من الملوك والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء والصناع والزراع والعمال والخدام - أسماءهم وأسماء أمهاتهم بحساب الجمل على طريقة أبي معشر ويعرضها بعد الأسقاط على إبراجه وينظر بعد ذلك فيما يشرحه من شؤونهم فبهذه الطريقة يظهر له بطلان ما في ذلك الكتاب أن كان ممن يشبه في بطلانه . ولا حاجة إلى شرح ذلك وتفصيله فإنه يكاد يكون من البدييات الأولية وإنما يروج ما فيه على ضعفاء العقول من العوام والنساء لأنهم لا ينظرون في طريقته نظرة عامة للبحث فيها هل هي معقولة أم لا وإنما يفكرون فيما يلقي إليهم من كلامه المجمل العام الذي ينطبق على بعض أحوالهم مع الإيمان والأذعان التقليدي بأن في أمثال هذه الكتب أنباء عن الغيب يتوارثها الخلف عن السلف ويسلمون بها تسليماً

أمثال هؤلاء الأغرار تسهل مخادعتهم فلو قرأت لأحدهم البرج الذي يؤخذ من اسمه واسم أمه بطريقة أبي معشر أو غيره من البروج لأخذ من كل ما يقرأه شيئاً ينطبق على بعض أحواله ووجد فيه شيئاً لا ينطبق عليها ولكنه لا تنظاره ما يمكن أن يصدق عليه يتثبت ويفطن له ويفي عن غيره ويظن أنه غير مقصود به

وأما إفساده للدين فهو مشترك بين إفساده للعقل باعتقاد الباطل الذي ورد النهي عنه في الأحاديث الصحيحة التي تسمى تصديق المنجمين والعرافين كفرا وبين إفساد الآداب التي يأمر الشرع بالمحافظة عليها والتحريض على الفسق وتقطع الروابط بين الأزواج وغيرهم

المعروف من أمر النساء أنهم أحرص على البحث عن مستقبل حياتهم من الدجالين والعرافين والمنجمين وإنك لتجد في بروجهم من هذه المفسدات أكثر مما تجده في بروج الرجال

مثال ذلك أنه يقول للمرأة أنها تتصل بكثير من الرجال بالحرام وإنما تزوج عدة أزواج وإنما تكون سعيدة مع الأخير منهم وإنما تكون شديدة الخطوة والقبول عند الكتاب أو الحكام . . . فقل لي بعيشك كيف تكون حال المرأة التي تعتقد صدق هذا الكتاب إذا سمعت من قارئه عليها أمثال هذه الأنباء ؟ ألا يكون ذلك مجرثاً لها على العشق وعلى بغض زوجها . . . ؟

يظهر لي ان واضع هذا الكتاب كان حريصا على هذه المفاصل متعمدا لها وانه كان من كتاب الدواوين أو صديقا لهم لأنه يرغب النساء فيهن . ومن خبثه الدال على تعمده انه يقول عن بعض النساء اللواتي يحرضهن على الفسق انهن يتبن بعد ذلك ويوفقن للحج الى بيت الله الحرام فانه بذلك ينال من افساد العقيدة المتدنية ما كان يعز عليه أن يناله لو لم يخبرها بأنها ستوفق بعد ذلك الى ما يكون كفارة لذنوبها وقس على هذه المفسدة ما يصفه الكتاب من أحوال أعداء المرأة ومن يكيد لها ويتر بص بها الدوائر فان ذلك يذهب بخيالها مذاهب في التطبيق على من تعرف من أهلها وجيرانها ومتى اعتقد الانسان ان احد الناس عدوه فانه يحمل اكثر ما يراه منه على ما يقوي اعتقاده فيه حتى انه اذا سمعه يثني عليه اعتقد انه يتهكم او يعرض بذمه وجملة القول أن هذا الكتاب من أقبح الكتب وأشدّها ضررا ولا شك في حرمة طبعه وبيعه فما قولك بالاكتمال به ألا يكون من كباثر الآثم والفواحش ؟ بلى وان من قدر على منع طبع هذا الكتاب أو بيعه أو انتحال التنجيم به ولم يفعل فهو آثم ويغلب على ظني ان اهل سنا فوره واهل جاوه لو بينوا لحكومتهم ما في هذا الكتاب من الدجل والإفساد والآداب العامة ومخالفة الدين وطلبوا منع الدجالين من التنجيم به لأجابتهم الحكومة الى ذلك

ولو نهت الحكومة المصرية مثل هذا التنبيه لرجي أن تحاكم الذين يطبعون هذا الكتاب وتمنعهم من بيعه فمسي أن يتدب لذلك بعض أهل الخبرة وأن تحمل الجرائد اليومية على التحجّرين بهذا الكتاب وأمثاله وتطالب الحكومة بمجازاتهم على ما يمنعهم منه القانون المانع لكل ما يخالف الآداب العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الأهل والأقربين ، والأصدقاء والمحبين ، الذين حال بيننا وبينهم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكتبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو إليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والامة الى الإصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء وأنا نكتب هذا في القطارين القاهرة وبورسعيد . وسنقيم في تلك الديار الى ما بعد عيد الفطر ثم نعود منها وندخل مصر إن شاء الله آمين وقد جعلنا أخانا وكيلنا عنا في إدارة المجلة ومطبعتها وعهدنا الى إدارة البريد المصري أن تصدده وكيلنا عنا وتدفع له كل ما يرد باسمنا من الرسائل والدراهم . فسي ان تكون غيرة قراء المنار الاخيار على إدارة المجلة في غيبتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا اليها ما وجب عليهم من قيمة الاشتراك فان العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا نعد من يرسل قيمة الاشتراك الى المجلة في غيبتنا من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا ، بل نعدله ذلك جيلا يذكركم ، فضلا يشكره ،

﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض المنجمين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث

(المنار ج ٨) (٧٩) (المجلد الحادي عشر)

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزيرجه كآبي الهدي وعنايته بالشيخ ظافر - حديثا غريبا يروي عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمور المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطانا فقال انه يكون سلطانا في سنة ١٢٩٣ قال هذا للشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انبا الشيخ ظافر عبد الحميد (افندي) بذلك كبر عليه ان يصدقه لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الأستانة يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال يملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين الهجرية ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الامة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فيشرح له صدره إذ كن ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالى بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلات الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

﴿ الاحتفالات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الأرض ومغاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة للثرية والتعليم تعلم فيها الوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكنها كانت مدرسة لا كالمدارس :

كان تعليمها يشبه الوحي وتربيتها تشبه الآيات والمعجزات فانها قد علمت الخلق الكثير في يوم واحد ورتبت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصافح المسلمين النصارى في سلانيك والاستانة ومصر فقط لكان لقائل أن يقول ان ذلك أمر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان احرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسمون له من قبل . ولو واقفهم مثل أهل بيروت والشام قال ذلك القائل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود احرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسميا الى ذلك فلم يلبثوا ان جاؤروهم او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القائل في مواقة عمل أهل جدة (نهر الحجاز) وأهل البرازيل وأهل الأرجنتين لعل أهل الاستانة وسلايك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يعلمون من أمرهم في ذلك شيئا ؟

كتب اليّ وجيه من مسلمي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملاح في الحرم الذي كان يومئذ فيها كاتما لنبا الدستور ثم مشط اللهم عن الاحتفال به بعد ان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاورا واتفقا في ذلك الاحتفال وطلق كل فريق بهني الآخر . وذكر أموراً أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاسد الوالي واتفقه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بعض محرري الأهرام والمقطم فلخصوه في الجريدتين

وكتب اليّنا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : إن الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يعاشرهم فلما جاء نبا الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والبروز والنصارى من الأرمن السوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذاك بتواطؤ أو تقليد ؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار حماسهم وتضاعف سرورهم وجذلهم ثم انبرى للخطابة فريق منهم وخطب هو أيضاً بالأصالة عن نفسه وبالنابة عن إخوانه الأحرار مؤسسي جمعية الثوري العثمانية في مصر قال : « ثم سار الموكب تقدمه الموسيقى وهو رافع راية عثمانية كبيرة جدا صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومذ ابصرهم القنصل رفع الراية العثمانية وجعل يحييهم بها وقد صعد اعضاء لجنة الاحتفال الى مكان القنصل وهناك بعضهم وقدم اليه عريضة طويلا ٨٠ ستمترا وعرضها ٥٠ فخوها الشكر للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الأساسي ونيل شعبه للحرية وينا كانت القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجماهير منه ان يشرف عليهم من إحدى النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ ومن تأصلت في نفوسهم الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهراً الرضى والسرور فكيف تأبى ذلك وانت من صفار مستخدمي دولتنا العلية ؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب المؤلف من هذه الفرق التي كانت تحتم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الواحدة منهن للآخرى كان من أجمل المناظر التي تسربها النفوس وتغبط لها القلوب »

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال مانصه : « اهتمت الصحافة البرازيلية والطليلية بالمظاهرة وذكرتها بالثناء والتكريم وجرائدنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يجعل الحرية طويلة المسك في ديارنا ! والدستور ثابت القرار في وطننا ! ؟ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة وهكذا محرر المنارة الذي اهتم بالمظاهرة الخارجية أكثر من المظاهرة الداخلية اعتقاداً منه ان الأخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الاديب الياس افندي مسرة بالامر وطير الخبر تفرافيا الى

جريدته في باريس فاستحق الشكر . وتكرم جناب الشيخ سابا الخوري نزيل الريو
فأفاد اللجنة ان شركة هافاس نقلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة
وقد شارك إخواننا الأرمين نزلاء سان بولوب هذا الاحتفال الذي كان فريدا
في عظمته وبتيا في محاسنه

وفي الختام نشي بلسان الحرية على اللجنة التي رتبت هذه المظاهرة ونشكر
الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحماس ونهئ الشعب السوري في هذا العيد
الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملأى بذكر الاحتفال
بالدستور في معظم الولايات والأرجاء الأمريكية واشتراك جميع الطوائف والملل
في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في صدر هذا المقال

وكتب إلينا من المفازة في بلاد السودان محمد أفندي كمال الدين عدده سر تيجار
البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال ببعثة
الدستور من قبره فلبى دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين
الموظفين في الحكومة فتلا عليهم خطابا ألقى فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجى لها
من النجاح والصلاح في المستقبل وشكر لرجال الأحرار الذين كانوا مبشرين في
البلاد الحرة ومشتتين في اصقاع المعمور يسعون فيما اختطوه لأنفسهم وجعلوه نصب
أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والويرة النصر لتحقيق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم
ثم قام بعده طاهر أفندي الخانجي باشكاتب المركز وشكر الحاضرين تليتهم
الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان
يكتب لرئيس الأحرار مهنا بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال
الأحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغبوا فتهفوا جميعهم للمنا و بعد ذلك
انفرط عقدهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيستها بالقاهرة باحياء ذكر شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتى اكتظت بهم الكنيسة على سعتها وبقي جمهور عظيم في رحبتها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة (المذبح) دكة كبيرة على جانبيها رايتان سوداوان بينهما راية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد للقسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يلقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الحفلة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمنية بخطبة أحسنت إلقاءها فحسن وقعها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا وصدق لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الاحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وآدابا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من العودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المعروفة حتى كان مما قاله ان المسلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملأه الى جاره الارمني يتعهدا في غيته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفارقة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الاصلاح الذي نشده الاحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لاضرحة الذين قضوا نحبهم للظالمين .

وبعد أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين لعائتهم واحدا بعد واحد فصققت الجماهير لهذا المنظر أضعاف تصفيقهم الكثير للخطيب ثم خطب الدكتور برتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس افندي نمر بالعربية فأحسنا واجادا وكان كل اولئك الخطباء قد عهد اليهم بالخطابة وكتبت اسماؤهم في البرنامج المطبوع في بيان ترتيب الاحتفال كادوا يجتمعون الاحتفال بعد خطاب فارس افندي نمر لولا ان اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصعود الى الدكة والقاء شي مما يفتح عليه به . وقد تمنعت معتذرا بان الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد الالقاء لا يحسن ان يتطفل عليها فظن لذلك بعض العثمانيين من الارمن وغيرهم فاختطفوني من مجلسي وأصعدوني الى دكة الخطابة فلقائي الاسقف والقسوس بالحفاوة وبعد العناق التفت الى الجمهور إجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهنئة يكاد يبلغ عنان السماء مخلصته :

قد رأيتم أيها السادة اني اختطفت من مكاني الى هذا الموقف الذي أتر في وجداني تأثيرا لم يدع لتصوير الكلام وتديره مجالا فهما سمعتم مني فأنا معذور بالتقصير فيه قد رأيتم اني عاتقت هؤلاء الاحبار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الاسلامي ولا بدع في ذلك فان شيخنا الاكبر شيخ الاسلام قد سبقني الى ذلك فعانق البطرك في دار السلطنة وان القانون الاساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نحتفل بها لم نلها الا بمساعدة شيخ الاسلام الحال فقد روي لنا ان السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية الطلابية للدستور بالقوة فاستقى شيخ الاسلام في ذلك فلم يفته بل قال ان قتالهم غير جائز شرعا لانهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الاسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا واخوانه فهذا القانون قد وضع بشئى من أحد شيوخ الاسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الاسلام فهو موافق للاسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فاني أقول ما أقول في الاسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الارمن الحاضرين اني من مؤسسي إحدى جمعيات الاحرار التي سبقت غيرها الى التأليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل ان هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء ادارتها أحد خطباء الارمن النجباء في هذا الاحتفال وانما احتججت بشيخ الاسلام السابق وشيخ الاسلام الحال تنويها بفضلها

وإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية والمساواة — وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب الذميمة يخدمون الدين وإنما هم يحجون عليه بذلك
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي ابتهج بها العثمانيون كافة وبينت انها بما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد ولكن العثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ، جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأى غرابة في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على حكومتهم وما عليهم لها بل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات كلها ؟ لا غرابة ولا عجب

اما نحن العثمانيين فانا قد جمعنا من اشقات الاجناس المتفرقين في كل شيء مالم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفرون في الاجناس والانساب ، متفرون في اللغات ، متفرون في الدين ، متفرون في المذاهب ، متفرون في طرق التربية والتعليم — أو تقول في الجملة انا متفرون في كل شيء يتفرق فيه الناس . فان كنا على هذا كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمعابد الدينية فلا شك ان في هذا مجالا للفخر وموضعا للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخائف لقوانين الاجتماع الانساني لاسيما بعد أن برّح الاستبداد بنا تبريحا زاد في مسافات الخلف بين الطوائف والمملات اتساعا وملا القلوب إحنة وبغضاء .

ولكن التأمل في ذلك يرى له سببا طبعيا ظاهرا وهو ذلك الاستبداد الذي زاد في التفريق والتمزيق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي مزقنا أولا ثم جمعنا ثانيا ، كيف كان هذا ؟ إنما كن بالمساواة في الظلم وتعميم الاستبداد قلولا ان الاستبداد كان عاما واقما على جميع العثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب المساواة بالدستور عاما

كان ظلم الاستبداد واقعا على رأس المسلم والنصراني وغيرها ، كان عاما شاملا
للتركي والعربي ، والارمني والكردي ، والالباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي
جملت كلمة الاحرار العقلاء من جميع هذه الطوائف على تمني المساواة في العدل
الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب
ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور
بعد الظفر به بسعي جمياتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فإذا كانت المساواة في الشر
قد أدت الى هذا الخير فما أعظم فائدة المساواة وما أعم بركتها : فحيا الله المساواة
فنحن العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الأهواء والموانع الناشئة
من اختلافنا حتى ننأه ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ،
جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتبويه بالاحرار الذين نجحوا في نيته ، وبالدهاء
والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألمّ بالحاضرين من الجوع
والسآمة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه .
دل على ذلك ما ظهر على وجوه الحاضرين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ،
ثم التهاني التي سمعناها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده
بأيام ، وكان اكثر المهنيين تطلعا في التهنة واطراء في الثناء أولئك الخطباء البلقاء الذين
سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكاترة شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي
نمر حتى قال هذا الاخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشر سنين أي
فيما يتعلق بمشرب المنار في التسهيل والدعوة الى الوفاق والوداد بين المسلمين
وغيرهم . ومن كرر لنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلاء
الترك القيميين بمصر والعارفين بالمرية وجمهور احرار الارمن بل كان ابتهاج هؤلاء
عاما فنسأل الله تعالى أن يديم علينا معشر العثمانيين نعمة الوفاق والتوفيق لحفظ
الدستور والاستفادة التامة منه .

الصحف في البلاد العثمانية

لم تكد الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها، حتى طفق أهل العلم والفضل بمدون الجرائد بآرائهم وأفكارهم، وانبرى الأدبيات في الاستانة خاصة للكتابة، بعد ان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة، فأكد لنا الخبير الخبير وهو ما كنا نسمعه عن الارتقاء الأدبي العظيم في الاستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مرأ في ان هذا الانقلاب الأخير، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير

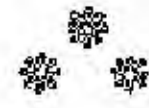
نسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الاستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما بين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثمانى جرائد هزلية مصورة رأيناها مقتضبة بحبوة النزاهة والأدب بعيدة عن المجنون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لا خلاقه ينطبع فيها ما يحمد وما يذم وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في مسلك الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتائم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الأدباء يصدفون عن قراءة الجرائد العربية رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثر في تأثيراً لم أعرفه منذ وجدت، أحدث في فؤادي اضطراباً، وفي جسمي رعدة عظيمة، وقشعريرة قوية الشكينة، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكماش وسكون، وفقر وذهول

ذلك الرسم يمثل هيكلًا متصّباً من العظام يحكي رسوم علماء التشريح (Physiologie) التي توضع للدلالة على أعضاء الانسان، لا لما وضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة المنوع على هذا الهيكل من السلطان !!! يرى الرائي ذلك الهيكل والأقدام والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المنضوب عليهم من نيرون الماتي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نأ المفوض عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : اعزب عني فقد جئت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة يا يجعل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسماً آخر يمثل سجينا اخنت عليه السنون ، واذاقه الظلام عذاب الهون ،
 فتبدلت خلقته ، وتغيرت سحته ، وانسدل شعره على كتفيه ، وملاّت لحيته صدره ، وطالت
 اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنزة في الأسد : « له لبد اظفاره لم تقلّم » وما
 كانت حياة أبي الارار مدحت باشا في منفاه (قبر الاحياء) الا كحياة هذا السجين
 ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فرأينا فيها المباحث المستفيضة في السياسة
 والعمران والاجتماع وكما تدل على اختبار منشئها ، وسعة علم كاتبها ، وبعد غورهم في
 السياسة ، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول ، ولا سيما صديقي دولتنا القديمتين انكلترا
 وفرنسا ، حتى مالّا الينا وقرظنا احرارنا أحسن تقرّظ ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا
 من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا »
 وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان
 الفرنسي عملاً ما ضفيه فخراً برجال الثورة ، ويعترف بأنهم فوق كل البشر ، بل أصبح
 ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلي تلغراف
 الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها
 رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حية عمل أية دولة تحاول بذر
 بذور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم »
 واذا لم نجن من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبيرتين فائدة الا صدها لباقي الدول
 عن عرقلة مساعيها وإيقاف سير أعمالنا لكانت خيراً فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها ، وأريد بذلك
 انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحكّمين ، وتقديس البغاة الظالمين ،
 لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد ، على ان كثيراً
 من أصحاب الجرائد كانوا مغبوطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء
 والعظماء — عظماء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة
 والجاسوسية والوساطة بين الحكّامين والمحكومين لهم بالرشى وأكل أهوال الناس بالباطل
 ولكن جرائد الاستانة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في
 شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تقديس السلطة الجائرة ، والفئة الباغية الخاسرة ، ثم لا تزال بعد التمتع بالحرية متخلفة عنها بمراحل ، فحسى ان تغد في سيرها ، وتجتهد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالم من الضليع ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طيارة الذي أصدر جريدته (الاتحاد العثماني) وصديقنا عبد الفتى افندي العريسي فانه عزم هو وحسن افندي يهيم الشهير على إصدار جريدة يومية سميها (المفيد) واذاع صديقنا جرجي افندي بني وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرنا فيها انها سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكاتين ضليعان بما انتدبا له



استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا لا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحثهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدى فضليات بنات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة « ثروت فنون » بعنوان « اليس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها « الجريدة » بالمرية وانا نقلنا عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« تقرأ الجرائد فلا تراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فنستغرب من كتابنا تركهم للمباحث الجليلة في رقي المرأة على أنهم يكثرون من كتابة المقالات الضافية الذبول الكبيرة الحواشي في اصلاح الحيوانات الاهلية ونراهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكروا قط في اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لا تعد من الانسان ، أو هي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لا تزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت

نرى حضرة المحرر الشهير والكاتب البارع مشتاق بك بلاء أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية ما لشركة السفن

ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثا واكتب واحدة ! حبا وكرامة فاني أقرأ خمسا واكتب واحدة واذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئا واقرأ عشرا ولكن هل لهم ان يتفضلوا هم ويكتبوا فيفتوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطلب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب العثمانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (العوبة مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ما عليه فيجب أن لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يهين المرأة ويجرح عواطفها . ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا لا يكون الا بالتربية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات

اقترحت حضرة فاطمة هانم افندي في مقالاتها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت . وقد استحسنت الكتابة أن يتضمن بردي جرام المدرسة تعليم التطريز والامور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيي انه متى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن بآية لغة كانت . واذا وفقت فاطمة هانم افندي الى انشاء هذه المدرسة فلتعطني خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلمات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، واؤكد أن بيتنا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلو عرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنية عظيمة واطمن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لا تمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يستغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانا وامثالي من الفتيات نادي بانشاء المدارس ونحن لا نزال في دور التحصيل ؟ اه

فسي ان نرى في فتياتنا من ينهجن نهج الكاتبة القويم ويذهبن مذهبها في وجوب التربية والتعليم

وقد ورد في الانباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بأنها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي، ودحض التأويلات و بيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها، هديا للناس، ودفعاً للخرافات والاهام، فسرنا هذا النبأ كثيرا لان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثير من المشويين والممخرقين، وتقتضي على التقليد والمقلدين، فتكون عوناً للنار على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين حسين وصفي رضا

البرنامج السياسي

﴿ لجمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحبنا نقله عنها لقراء المنار وهذه ترجمته بالحرف :

- ١ — جعل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك بعد الوزارة مستقلة اذا لم تحز اكثر الاصوات في المجلس
- ٢ — لا يكون مجلس الاعيان (الشيوخ) مقيدا بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب لامة ثلثه لمدة معينة

- ٣ — سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب درجة الاولى سواء أ كان من اصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا دولة ماعدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ — سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي تبيح الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي
٥ — سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لا يخل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ — يتوقف تعديل وتبديل التقسيمات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القرى والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها مما يسهل ادارة الامور

٧ — ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع مناجرات الحكومة بهذه اللغة

٨ — أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الاقل

٩ — كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولهم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب قدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجندية

١٠ — الاديان حرة وستبقى الامتيازات الدينية المعطاة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ — سيطلب تنظيم القوى الحرية والبحرية حسب ما يقتضيه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط ان لا تضرب بتمرين الجيش واستكمالها لاسباب القوة

١٢ — إلغاء الفقرة الأخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي المنافية للحرية الشخصية

١٣ — اقتراح وضع قوانين تعين حقوق العمال وأصحاب الاعمال المتقابلة

١٤ — سيطلب التدرع بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المعترف بها قانونا وان تسهل السبيل لاقتراض الفلاحين القود بأرباح قليلة

١٥ - سيطلب قبول أصول (التخميس) في أمور الاعشار بصفة مؤقتة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدريج

١٦ - التعليم حر البتة فكل عثماني له ان ينشئ المدارس حسب القانون الخاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ - كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صيرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فتنشأ مدارس مختلطة حرة عمومية تفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حرا وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجباريا والتعليم الابتدائي مجانا في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية المار ذكرها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويتسرع بالوسائل الجديدة لوضع بروغرامات تتكفل بالمصلحة وايجاد معلمات ومعلمين اكفاء . وتنشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية احوال الدولة الاقتصادية. أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ - توجه العناية الى ترقية احوال الامة والمملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوسل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ - سيقترح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقا لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة تعرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ - سيقترح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في

ترشيح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ - يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان وبقرار اجتماع عمومي ويمكن أيضا إلغاء بعض المواد أو إضافة مواد أخرى عليه

بوقتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المكتبة
١٣١٥

فمن هدى الله فهو على الهدى ولن يغفل الله
عن قومه أولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٨)

الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الإسلامية في الديار السورية ﴾

ألقيناها على منبر جامع المجيدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري
وعبدالرحمن افندي الكواكي السوري وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان
وقد تلخص هذه الخطبة بعض من حصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح :

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فان الاسلام دين سهل
سائع موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خبير قيام ، وليس لهم كتاب
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الامر مصحفاً مجموعاً كما هو الآن ، وانما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما (المتارج ١١م٩)

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما بينه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكريات للناس ما نزل اليهم)

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الأرض ، وقيل البشر من طور إلى طور ، ؟ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذها الأيون لغيرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غير سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤثفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفا ، والمسلمين إلا خسفا .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من التفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربى ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الأرض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أئمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الأصنام ، ويتدون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الإصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الأمة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمم المدينة كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ؟ ! السبب في ذلك

(المار ج ٩ م ١١) تحليل فلسفي لظهور الاسلام في العرب . حقيقة الاسلام ٦٤٣

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الأديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الاسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبعهم على التقليد والخضوع والانحسار لرؤسائهم ، والجمود على تقاليدهم وعاداتهم ، فإذا دعي أحدهم إلى إصلاح جديد قال من فوره : ان هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فان لم يمنعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين ، منعه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين ، واما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد ، ولم يكن لهم من الحكم المستبدين من يفسد عليهم بأسهم ، ويذهب بعزيمتهم ، بل أعدم لذلك بطبيعة البدوة وسذاجة الفطرة ، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة ، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر ، فكان فيهم كثير من إذا دعوا إلى الحق والخير ففهموا الدعوة ، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة ، لذلك أنزل الله عليهم كتابه ، وبعث فيهم رسوله ، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نمنعك (أي نحملك) مما نمنع منه أنفسنا وأهلنا ، وقام الاسلام بهم خير قيام ، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان ،

هذه مقدمة يمكنني أن أبين بعدها ماهي حقيقة الاسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم ان يعرفوا دينهم ويهتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الاسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية ، وماهي الفطرة البشرية ؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الإذعان للسلطة الغيبية واختيار ما تعتقد انه الخير والمصلحة قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إلا ان الفطرة معرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها آيات الله فاهتدى بها رجعت إلى أصلها (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فحصل مقصد الاسلام وحينئذ يجد الماسمون سعة في الوقت لتحصيل

ما مآأناون إله من العلوم والفنون وما يترتب عليها من لأعمال والصناعات التي تقوى بها أممهم وتعتز دولهم

قلنا ان الاهتداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والأعمال التي تستغرق الأوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الأول) إصلاح العقل بالعقيدة المطهرة للآنان ، المبني على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل (الثالث) إصلاح الأعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الأفراد وترتقي الهيئة الاجتماعية

الأساس الأول يبنى عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الأسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه إلا ما يتعامل به الناس بالأسباب التي سخرها الله لهم بمحكته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وأنه منزه عما لا يليق به من صفات الآوادث وما يلم بالبشر وغيرهم من النقص ، وأنه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير ويتلو ذلك تصديق الأنبياء فيما جاءوا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجزاء على الأعمال التي تزكي النفس وترفعها إلى عليين ، أو تدسها فتلقيها في أسفل سافلين ، فهذه العقيدة تصلح العقل بإطلاقه من العبودية لبعض البشر أو المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الأولين ، والخضوع الأعشى للرؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن أكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الأساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الأخلاق الذميمة ، وتحليتها بالأخلاق الحسنة ، وإذا تهذبت أخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج إليه من ذلك تفصيلا

الأساس الثالث تبنى عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالأجمال ووكل بيانه بالتفصيل إلى النبي (ص) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل أحد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دوّنوا عبادتهم

في الكتب واكثروا فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة
صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثرين درسها وتعلمها، وقد كمل السواد الاعظم
وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والفتيا والتدريس .
على انهم على طول مزاولتها لا يستغنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار
العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولما أراد ان يخرج لم يستغن عن المطوفين الذين
يعلمون العوام مناسكهم بالعمل وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا وما لا بد فيه من القول
يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس
واحد ، فاذا عاهد على العمل به رضي منه وقال « افلح الاعرابي ان صدق »
التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولة ، وآية
سهولة على المرء اسهل عليه من مجازاة فطرته وتقويم ما يعرض له من العوج . فالاسلام
يدعوك الى ما في فطرتك من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا
الى التذكير في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (لعلكم تذكرون) — لقوم
يتذكرون — وما يتذكرون الا من ينسب) وانما يتذكر الانسان ما كان يعلم ثم نسيه او
غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعونا اليه من الخير هو مما أودع في فطرتنا
ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية — فدين الاسلام اسهل الاديان لاجل ما فيه
ولا مشقة (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)
فاذا كان على سهولة ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأبي عذر لنا اذا أهملناه
وتركنا هدايته ؟! (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) يرضى بأن يكون
كالدواب لا يهتمها الا علفها أو كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضها
ربما يعترض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم
والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعز بها الامة وتقوى الدولة حتى
تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم
يوجد فيا أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والانحطاط
في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا تمنحني على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وانما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا اذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجابا كثيفا فأعرضنا عنه وعن العلوم التي نمنظ بها

بيضتنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مدرسة ليس لها سوق نافذة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند ما ظهر الاسلام ونفذت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترقون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من ضلالتنا هم خيرة علمائنا !

الانقلاب العثماني *

﴿ وتركيا الفتاة ﴾

الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تغير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الأمة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فانه مها آلم الأمة ورضرضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصعد بها درجة في سلم

(* رسالة حفيلة جليلة ألفها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر وإصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقریظ لها نشرها في المار لانها أصدق تاريخ لأعظم انقلاب

النجاح ، وأكثر كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الاقـتـلاب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلاً ، بدل الاقـتـلاب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ما روي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباسـتيل (la Bastille) واطلاق المسجونين فيها فقال : إذا هذه ثورة (Révolte) فأجابه المخبر : عفوا يا مولاي بل هذا اقـتـلاب (Révolution)

فمراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المخبر ينافيه ، وبين ان الاقـتـلاب غير الثورة والاضـحـيان ، فنحن اليوم اخرج الى تعيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ على قدر المعاني ، لان الاقـتـلاب السياسي من شأنه ان يحدث اقـتـلاباً في اللغة والادب ، فضلاً عن اقـتـلاب الاخلاق والعادات والافكار ، الا ترى الجرائد الثمانية على اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمينية ويهودية (أسبانية وعبرانية) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الاقـتـلاب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والتعابير السقيمة ، التي نفطى المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ ، وتقيد فكره بسلاسل التذليل والاستعباد

الاستبداد يولد الاقـتـلاب

نالذي يولد الاقـتـلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه القـلب والقهر اللذان هما من آثار لفضـب والحيوانية ، لا من قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بحجة بمن تحت يدهم من الخلق ، لملهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد والمستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في الخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي : ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

الاستبدادي الفردي أو الأفراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن كاسرة الفرس وقيصرة الرومان ، عن غاردة بابل وفراعنة مصر ، عن جنكيز خان وتيمور لك . والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وساوت بين أفراد الأمة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الأجانب المعاهدين فضلا عن أفراد الأمة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الأمة ، ولم تكتف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من أفرادها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الأمة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفهم والا أولي الأمر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانهما من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما يتمكنه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين » ولذا حكمت القضاة على أكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه ، وانزاعهم عن المنصة ، وأقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان السطال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، وانقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسؤول) كلوك الافرنج ليومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرون ذلك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لويس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » و « أموال الرعية انما هي ملك لملكها فاذا

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية: وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن، فالحسن هو ما استحسسه السلطان والقبيح ما استقبحه السلطان، ولا دخل في ذلك العقل والدوق، ولا للحكمة والشرع، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي، وعلى جانب من الاستبداد الأفريقي، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمورة بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما قال الله لنبيه: (١٥٣:٣) ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين) وقوله تعالى (٢٦:٤٢) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قریش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقده قديماً قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل، فاجتمعت وجوه قریش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، فحالفوا وتعاقدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وكان ذلك قبل الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت مع عمومي حلفائي دار عبد الله بن جدعان، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان؟ لا بل من جمعية الاتحاد والترقي؟ ولقد احسن جدا العلامة المقري في جوابه المذكور في نفح الطيب حيث قال:

«سألني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم، إذ لم يل أمراً من يسلك بهم الجادة، ويحملهم على الواضحة، بل من يغتر في مصلحة دنياه، غافلاً عن عاقبة أخراه، فلا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يراعي عهداً ولا حرمة: فأجبت: بأن ذلك لأن الملك ليس في شريعتنا، وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعاً»

قال الله تعالى ممتنا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال تعالى (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر عر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فخرج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آثر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حوّل الخلافة ملكا ، والخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولثلا يتقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل ملوك الافرنج مقدسين وغير مسؤولين

منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشد حرصهم على الجاه وطمعهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشنون به ، وينصبون له اشرار المكيدة ، ويتهمون به بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يعدوه عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادره وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد . فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية . وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر ، ونتيجة القضايتين واحدة وهي الاستبداد ، وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة ببصرها لانظم على خفايا السياسة وتدير الملك ، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفائهم جميع ذلك عنها ، واستبدادهم بالامر عليها . ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحرار في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم ، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ما حرر في هذا الصدد ، وقد ذكرها المقرئ في الجزء الثالث من نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية ، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها ، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة ، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال ، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وتربية ولي العهد والكامر بلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول ، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي . وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال الخان المعظم على الرحب والسعة ، واسكان من معه من الحريم والاسرة والاقارب والحاشية ، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم ، واستحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤساء (العرضي) . فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « المصدر الأعظم » القائم مقام الخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية ، وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم موارد الجند والحفاظة على حقوق السلطنة ، وشيخ الاسلام انما هو « قاضي عسكر » وظيفته أحدث عهدا . فقضاء العسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المستقلة ، ثم « الدفتردار » الذي يقيد الاموال ويحرر الحساب ، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء
أعمدة ثانوية حوالي العمود الأعظم الذي في وسط الخيمة ، وأما حبال الخيمة
فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من ممالك البيضان وطواشيه
السودان المحافظين على الحرم ، وكبيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البنات
« قيزلر آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزرع البساتين
والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة
« اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الأبريقدار » و « السجاده جي
باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات (العرضي) مثل آغة
الانكشارية « يكيجري آغاسي » وآغة الصباهية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو
« الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج
كلهم في درجة واحدة بمثابة حبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشريفات الرسمية
والمعاشات والتعينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ،
والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابر
الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تميز بين « القهوه جي باشي » الذي
لا يحتاج صناعته الا لمعرفة طبخ القهوة وقديحها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة
صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر
المفلق الأمير شكيب على ان يقول أياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكرا
وانذا امتزجت الحياة البيتية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي
وسط يقال له الماين لانه بين « الاندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم « الماينجية »
ويعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

فامتلات السراي السلطانية بالأسرى من السراي الجركيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيع هذه العادة المستكرهة ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لئلا يسول له الشيطان أمرا أو دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السذاجة والفرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربي في حجر والدته الجركية على دلال السراي والاغوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهن حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاغوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادي العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنو اليه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل العلمية والسياسية .

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفلت من أيديهم ، وقدشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانقاذ كلمتهم وجبر المنافع اليهم وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الأمور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اتقضوا عليه وساقوه بالاستتيم واقنروا عليه بإفكهم ، ونسبوه للمعجز والتقصير ، وسموا في تنزيل قدره وترذيله ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

والاثوابجي باشي والابر يقدر والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى الباطه جي باشي وهو الخطاب — نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجبر المنافع وتوظيف المنتسبين اليهم ، ولم تزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والحدادي المعظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وابناء ملوكا العظام ، ولم يزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

مشروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوربا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الاقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كانت لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوربا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدنية العجيبة التي بهرت العالم ، وغيّرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوستريا (النمسا) وروسيا والبندقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط والتقهقر ، وبدأت في الاصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معمل أسكب المدافع ، وأقبل السلطان سليم الثالث بمهمة عالية واقدام على القيام بالاصلاح ، ورتب إدارة الطوبجية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوربا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغتنته أيدي المنون بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرما على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ، ومناخر كثيرة مسطورة في تاريخ أوربا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وأزال غائلة الانكشارية ، وأظم المساكر الجديدة ، وأجرى من الاصلاحات ما هو مفصل في تاريخ العثماني . وأصاب الدولة العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بونابارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا ، وتبه دلالى علي باشا ، وحرب المودة ، واستقلال اليونان ، وحوادث جبل لبنان . وتدخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي المحاماة عن المسيحيين : فروسيا محامي عن الأم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الأرثوذكسي ، وفرنسا على الكاثوليك ، وانجلترا عن مبشري البروتستانت ، وجميعهم يحرصن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد ، ويطالبن الباب العالي بإجراء الإصلاحات ، ووضع القوانين والنظامات لمنع التعدي على النصارى ، ولتساوتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من المداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبد المصاريف الحربية لتسكين الفتن وإخماد الثوار . وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفظائع التي تقشع الجلود من سماع وصفها ، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذايح الروم في حرب المودة ، ومذايح لبنان في حادثه الشام ، ومذايح البلقان في حرب روسيا الأخيرة ، وهي التي قام لها غلادستون وقعد ، وارغى وازبد ، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي ، وآخرها الفظائع الأرمنية المعروفة ، وهي نقطة سوداء في صحيفه التاريخ .

مداوة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس ساءت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الأوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسته أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية ، وكان لا كثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالإصلاحات على عهد محمد علي باشا . ونبغ من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي متولي رفق السلطان بايزيد ، وكان مولده في الأستانة (١٢١٤هـ) فقرأ القرآن ومبادئ العلوم الإسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئاً من مبادئ اللغة الفرنسية ، ودخل في معية نسيبه الصدر الأسبق إسبارطه لي علي باشا ، وذهب الى مصر مراراً وخلاط وجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره ، فأكل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها ، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات أوربا بسبب اجتهد روسيا في جمع كلمة الأم السلافية وطبعمها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا أكبر الدول الأوربية وأكثرها

نفوسا وأشدّها خطرا على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوروبية وفي مقدمتهن
انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية
الى القيام بالأصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية
الدول سدا منيعا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبد المجيد خان (تموز « يوليو » سنة ١٨٣٩) كان مصطفى
رشيد باشا سفيرا في لوندنيه فتعين ناظرا للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل
كثير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال
الدولة وأعيانها والسفراء الاجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت
قراءته في كلخانة (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قو)
التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانة واشتمل على تأمين
الرعية على ارواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال
الاميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح
التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء
المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك
بما هو مدرج في هذا فرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات إرضاء لأوربا ولا سيما انكلترا .
والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح
والاموال والأعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز
والتعدي على الارواح والاموال والأعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلا ، لم يكن
سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد
المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحتها التنظيمات لم تكن شيئا
مذكورا بجانب الحرية التي منحها القرآن لو زال عنه الاستبداد والجهل المستوليان
على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نواമيس المدنية الحاضرة كما
فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الأيالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كعصيان الارناؤوط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه . ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الإصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفته اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . فسمى في ا فراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه الغامضة والالفاظ والراكيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده وتحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العام العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فونتين وأدخل في الأدب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية . كما فصلنا ذلك في كتابنا « تاريخ علم الأدب »

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعللا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخبات (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

عالي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ، ونبع منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين عالي باشا وفؤاد باشا ، ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشيلي علي رضا افندي اي المنسوب

لسوق مصر وهو سوق العطارین . والثانی ابن الشاعر الشہر کجہ جی زادہ عزت ملا الذی نفی للاناطول فی زمن السلطان محمود خان ومات فی منقہ . قلم امین مبادی . العلم واجادۃ الخط وقرأ الفرساویۃ علی معلم مخصوص ودخل قلم الدیوان الہایونی فی الخامسة عشرۃ من عمرہ

ومن عادۃ رؤساء القلم تسمیہ کل داخل باسم یتمیز بہ عن سببہ ، ولم یصطلحوا کالحرب والافرنج بتسمیہ الولد باسم ایه أو أسرته . وكان امین قصیر القامۃ فسمی (عالی) تسمیہ بالضد تفاؤلاً بعلوہتہ . فذهب الی اوربا فی کتابۃ السفارات واتقن الفرساویۃ وانتسب لرشید باشا وامتاز فی فنون السیاسۃ والمعارف العصریۃ وعین عضواً فی (انجمن دانش) ای مجلس المعارف المؤسس علی نسق اکادمیات اوربا . وكان عالی باشا یحسن الفرساویۃ والترکیۃ کتابۃ وإنشاء ، وتقلب فی وظائف کثیرۃ مہمۃ مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمی . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبی العسکری وخرج جراحاً فی المسکریۃ ، ثم دخل قلم الترجمة فی الباب عالی وتقلب فی الوظائف السیاسیۃ والخارجیۃ ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحکام العدلیۃ وحضر الی سوریا أيام الحادثۃ وكان اذ ذلک ناظر الخارجیۃ ، ثم ذهب بجمیعہ السلطان عبد العزیز الی معرض باریس سنۃ ۱۸۶۷ ومرض فیہا وتوفی فی نیس من فرساولہ من العمر ۵۵ سنۃ فقط ، وكان فی اللغۃ الترکیۃ أدیباً شاعراً وضع مع جودت باشا والقواعد العثمانیۃ الی لم یؤلف للآن احسن منها ، وخلف الفریق کجہ جی زادہ عزت فؤاد باشا الكاتب الشہیر

فرشید باشا و عالی باشا و فؤاد باشا هم نوابغ السیاسۃ العثمانیۃ وواضعوا الاصلاحات الجدیدۃ بدلالۃ السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولاسیما انکلتربہ ، ومما شاة لها لحرصہا علی تقویۃ الممالک العثمانیۃ لتتی بہا شرروسیا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمۃ القوانين والنظامات والتعلیمات والاوامر المدرجۃ فی الدستور ترجمۃ حرفیۃ ، ولم یجدوا لهم وقتاً للدرس احتیاجات البلاد الداخلیۃ والمدنیۃ الاسلامیۃ حق درسہا ، ولا لنشر الافکار الجدیدۃ بین المسلمین المفاخرین بسابق مجدهم ومتانۃ شرعہم ، ولذا لاموا هؤلاء المصلحین ولم یرضوا عن اعمالہم زاعمین انہا تؤل الی قلب البلاد وجعلہا

افرنجیة محضة . ولذا كانت الاكثريّة لحزب تركيا القديمة ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الا فئة قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مرة او مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور باليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكساره وفرنسا وساردينيا اي ايطاليا ، فحارب بن روسيا واتصرت عليها في حرب القرم وعقدت معاهدة باريس (۳۰ مارس سنة ۱۸۵۶) واعترفت اور با بمقتضاها بتام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في امورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ أيضا مؤيد لخط كلكانه ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ۱۸۶۱ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الفرمانات والخطوط الشريفة السلطانية لم تنفع تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد على ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصباهية وقلبوها الى النظام الجديد

حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا المصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ۱۸۳۰ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا المالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقتراض قد تفشى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم القديمة ، حتى بلغت الديون ما بلغت فأثقلت كاهل الامة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، ومترجم تلياك للتركية الترجمة الاولى العريضة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العلية ، ثم في نظارة الحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالد لمر باشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث أبيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والإصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأخذه الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين أسباب الضعف والأخطا وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المايين ولا سمعوا بمثلا قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقته به فئة من الشبان فأكرم مشواهم وأنفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لا يهتم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والمنام ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فنظموا الشعر وألفوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ هـ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل الممتنع ، واشتهر على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتدير المملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلايك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم بو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وسكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديعة عجيبة لم تلبها الى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوربا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الأستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا بباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأ كبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الأميرة الشهيرة نازلي خاتم التي اقتفت أثر والدها وزوجها الأول في تعضيد حزب تركيا الفتاة ، وساعدته بالمال والجاه هي وشقيقها الأمير محمد علي باشا

لائحة فاضل باشا للسلطان عبد العزيز

نخلص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال لأنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تهجير لهم وتحامي عنهم ، فرعايا جلالكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لآحد له ، والمظلومين بلاشفقة ولامرحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلالكم والتي اغتصبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقاتهم الضارة مع سادتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكاياتهم الصحيحة إلى أعتاب سدتكم الملوكية ، لان ظلما لهم يرون هذه الاستغاثة مع الاحترام بحكومة جلالكم من أكبر المفساد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويهدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف (١٨٦٢ م) ، وهاجر إلى باريس (١٨٦٥ - ١٨٦٧ م) وانصار هذا الحزب هم جميع المطلبين على

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي أطلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا (جون تركي) كما يقولون (جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي) فترجم تركيا الفتاة وقيل بالتركية (كنج تركر) ، ولذا قال هانوتو : إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جرائته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بواسطة بعض الأجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطان بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد أن كان ينتقل إلى الأكبر فالأكبر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الإسلامية ، لما علمت من أن الإسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة أشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواها الصدر الأعظم عالي باشا صاحب الأعمال الكثيرة في تنظيم إدارة الحكومة ، ووضع ميزانية للمالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والأوقاف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم أصول المحاكمات واستعمال الأصول العشارية ، وغير ذلك من الإصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظم عن الفرنسية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و (الدوتة) واشترك الزوجين بالأموال وعدمه ، كما هو مختص بالأوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة عالي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا و مال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر أموال الخزينة وأصبح آلة في يد الجنرال اغنايف سفير روسيا في الاستانة

صدارة نديم باشا الأولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، فتربى في داره على الاستبداد والارتكاب ، وتعين واليا كأييه ثم ناظرا للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للإصلاحات الجديدة والحرية . تقرب إلى السلطان عبد العزيز خان بالتملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي المظنة ، فدرس له بأنه تحت وصاية

(المتأرجح ١١) الاختلال في صدارة نديم . صدارة مدحت باشا الأولى ١٦٦٣

فؤاد باشا وعالي باشا مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالاته III ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد II ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا وحدد فيها مصارف المايين ، فاقبلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودرجهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين ، فاستبدل بهم المرتكبون وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية ، حتى كان الضابط يرتقي إلى المراتب العلى في أقرب وقت ، ويصبح مشيراً ، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير ببناء السرايات التي لا لزوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار ثرا بعد عين كما زاد الانهالك في المالدات والشبهات ، وكانت أوروبا وصيارفة الأستانة تهرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم فقراء الرعية من أصحاب الأعشار والاغنام يؤدونها من كدّ اليمين وعرق الجبين .

ومن الفلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين اكسارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبقدان والجليل الاسود والهرسك روما تابعين لبطريركية القسطنطينية لا شترأكم جميعا في الدين الارثوذكسي . ومن الفلطات المالية أيضاً إعطاء المئري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكّة حديد الروم ايلي المروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضراراً لخزينة والآله من وراء ذلك ضرراً كبيراً ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

صدارة مدحت باشا الأولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونة (بلغارستان) على ضفة نهر الطونة (الدانوب)

البنى، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط
المعدود في ذاك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،
وأدخله على حدائه سنة قلم الصدارة فخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة
والتجربة والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث ستين في دمشق الشام، وترقى الى
أن صار باشا كاتب في مجلس (والا) وهو شوري الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب
للتحقيق عن القبر صلي محمد باشا، والفقت باستعداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعالي باشا
وفؤاد باشا ورفعت باشا فافتر الخارجية اليه، فاجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي دارت
بينه وبين البرنس منجيكوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨ م تولى الصدارة عالي
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا مدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره
وبروكسل وفينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية، وما زال
يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بفارستان الحالية) فأجرى فيها
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الایالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشييرا لساكرها فسكن عصيان نجد، واهداه
السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمه، واذ كان الصدر الاعظم محمود
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية
ادرنه، فمكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدي سراي
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائما في أحد الاقضية
فأجابه مدحت « سلم على الخاتم وقل لها ان تلتبس هي بنفسها من أفندينا ذلك »
واشتد غضبه من مداخله السراي وتنازع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان المود غير احمد،

فزاد الارتكاب ، ويصت الرتب والياشين ، كما بيعت الوظائف بالمراددة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واحتلت الموازنة المالية ، حتى قصت باعلان الافلاس في ٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٥ ، وطمع العدو في البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان للجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، واتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفقاوات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفقاوات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة أو ستة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ٢٢ ميس (مايو) سنة ١٨٧٦ ، وذهب آلاف منهم إلى سراي طوليه باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقيصري أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك وروؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبد العزيز في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ و ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ بفتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغنايف سفير روسيا أكثرهم نفعا ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة العوجاء ، ونقل السلطان عبد العزيز من سراي طوليه باغجه إلى سراي طوب قيو المقابلة لها على ساحل البحر . ثم نقل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطوليه باغجه على ساحل المضيق (البوغاز) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المعدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثروا بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه

حادثة الجر كس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجر كس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا قبلا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلاء القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكمال بك

كاتبين خاصين للماين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحريصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتميجه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للماين ، وانكليز سعيد باشا رئيسا للباورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للماين

مؤتمر الاستانة واعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجبل الاسود والبلغار وتأففهم من الظلم والاستعباد، ومطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأدب لغته، بعد ان كان الدين المسيحي الارثوذكسي يجمعهم تحت سلطة بطريرك القسطنطينية . وكانت أوربا تطالب الدولة العلية باجراء اصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف، فقرر عقد مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكلترة وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا (النمسا)، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغنايف، وواحد من ايطاليا، وواحد من المانيا، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا، ففقدوا جلستهم الاولى في ٢٣ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٧٦ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع، فوقف صفوت باشا قائلا: أيها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء، وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل المبيئات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلن القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه مئة مدفع ومدفع في جميع المدن والملك العثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهو القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن (صدر اعظم) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخنا مسنا متقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشيخوخته ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغنايف بهذه الاصلاحات بل أصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية أيام ، فكانت من قبيل (الأوتوماتوم)

عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلساً عالياً مؤلفاً من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردّها يؤدي إلى الحرب ، فتشاوروا بكمال الحرية وابدئ كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق إذ ذاك : الحرب كداء الحى يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرئوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نمختار الموت على إهانة شرفنا ، وألقى وكيل بطريرك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والضيقة على منافعه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع المساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رئاسة بطريرك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك أجاب الباب العالي في ٢٠ كانون الثاني (يناير) برفض مطالب الدول المذكورة في لائحتهم ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي

كان الحزب المخالف للقانون الاساسى يسمى فى التخلص من هذا القانون ،
فبعد تعيين مدحت باشا فى الصدارة انمقد مجلس الوكلاء برياسته فى دار الداماد
محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا فى القانون الاساسى ، فارتأى أحمد جودت
باشا ناظر العدلية (الحفانية) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (؟) بسبب جلوس
السلطان الحالي!! ، وكان أحمد جودت باشا من المنسبين الى الداماد محمود جلال
الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاء مشهور فى الأستانة والولايات ،
واعلان القانون الاساسى يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فإصرار
مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكمال بك وغيرهم من الأحرار الذين مر ذكركم
وبجريدتي (وقت) و (استقبال) والمقالات الشائعة المحررة فيها — صدر الخط
الشريف السلطاني الى مدحت باشا باعلان القانون الاساسى ، وحمله الباشكاتب
سميد بك الى الباب العالي ، وتلى فى الميدات الواسع الذى امام الباب بحضور
جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا فى الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي
افندي مفتي أورفة وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح فى طلب اجتماع
المبعوثان ، ويجتهد فى تأليفه من الأحرار ، والمالين يؤخر ذلك ويفرق جميع الأحرار ،
حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسى سفيرا فى برلين لئلا ينتخب
مبعوثا عن أهل الأستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب
الى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسى
الاعو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من
الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسؤوليتهم ، وتأمين جميع الناس
على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد فى معارج الارتقاء — الى أن قال —
واني لكثير الاحترام لشخص جلالتكم ، ولكن الشرع الشريف
يوجب على أن لا أطيع امورك (أو امركم) اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة »

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى قاضل باشا كما تقدم . وبالْحَقِيقَةُ ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السطاز بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في اموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا ونفیه وصدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونفی علی الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديري دار العاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وفق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقعا ، لان انتخاب الرئيس مبین في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء ومندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر القيصرو وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغتاتيف الى اوربا يقول : بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعاودة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيا لاغيا ، فترددت دول اوربا ولا سيما انكلترة في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدولة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم ايلي فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلم يفتقه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدرها حق قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي يتقدمونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نعرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون : ألم يكفنا ما لدينا من المجلس والدوائر المشجونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتنظم ادارتنا بجميع ما نراه امام أعيننا من النظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين آتراه يصلح بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ؛ فما بالك في مرا كز الولايات والالوية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثيهم الا بطلب الرتب والالوية والالاقاب والمناصب والمخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذويهم !! ولما لا ذبهم وحام حول حاهم ، أو باعفائهم من التكليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب والمكوس عنهم ونحو ذلك ؛ مما يعود على الوطن بالخراب لا بال عمران ، كأن خزينة الدولة كنز لا يفنى ، تمطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ و ١٩ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طوليه باعجبه بمحلة بشكطاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« انني أبدي الامتان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقدار الدول والملل انما هو قائم بالعدل ، حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعاية . وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أحد اجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد سلكوا على هذا الاثر ، فلم يقع في هذا المطلب خلل في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان المحافظة على السنة صنوف رعيتنا ومليتهم ومذاهبهم منذ ست مئة عام كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادة . والحاصل بينا كانت روة الدولة والملة (الامة) وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة ووقاية القوانين — أخذنا بالانحطاط تدريجا بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف

والقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف الخ
ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه انتح باب إدخال
مدينة أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتفاء السلطان عبد المجيد خان أثره ،
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف
قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين
بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفيق افندي الذي
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لا بالانتخاب! ولذا كان رقبيا على
مدحت باشا ، وقدا تمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الانغام واثلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما بينها

مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في العريضة التي ينبغي تقديمها من
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فخررت مسودة الجواب واستقط
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذ ست مئة عام على
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاستانة
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان نقبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز نلناه ، لأن
لساننا — نحن معشر الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة
سلطاننا الاعظم ان نحو كلمة أثبتتها جلالته بنفسها وكررت منعنا ذلك من جديد »
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! » أي حسن
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! أوت أفندم ! » أي
نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي ! (لها بقية)

العمل *

لئن كان للطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحراشها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المعادن، أو في مراعيها الغزيرة السكّاء، أو في أنهارها المتدفقة بالخيرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على الممثل ولو قليلا . فلا بد من فتح الأرض وبئر الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعمائها، وتبذل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيق طعمها . فالعمل ضروري للعمران، ولازم لكل موجود، وهو المورد الطبيعية التي هي ينابيع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولاه ما قدر أحد على الاعتراف منها .

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التمسك به، فقال عز وجل في سورة مريم (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) فكلي واشربي وقري عينا) وهو أمر به، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت الحاض بهز جذع النخلة قبل أن يتساقط عليها الثمر، مع انه قادر على أن يكفيها مؤونة ذلك الثعب، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسمي في تحصيل رزقه، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم . وقال تعالى في آية أخرى (وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا) أي وقتا يلزم فيه السمي لتحصيل العيش وترقب الرزق بالعمل، وقال (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جلت عظمته من الخيرات، وقال (فابتغوا عند الله الرزق) أي

(*) وعدنا قراء المناج في الجزء الماضي بأننا ننقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد

السياسي المفيد، وهذا ما اخترنا نشره وفاء بالوعد، وبحريا للنفع

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضروراتكم ، وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) وقال (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسمى على نفسه ليكنفها المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احثر لدياك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيخطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وهكذا فضل النبي الصل في اية حرفة على الاستئانة الى الكسل ، وارقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الانجيل ما مضاه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأتيك الموت فيه أحب إلي من موطن اتسوق فيه لاهلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للامام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تغدو خماصا وتروح بطانا ، فذكر انها تغدو في طلب الرزق »

هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافضة على النوع الانساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتعيش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضلوا مد أيديهم للسؤال على مدها للمعل ، واستسهلوا أن يكونوا كالكلاب تأكل كل ما يلقي اليها ، أولئك هم الذين يحل الشقاء بالبلد الذي يحلون

فيه، فهم يستنفدون ثروته، ويستنزفون خيراته، بدون أن يسموا في أحداثها.
العمل هو أساس الثروة فكيف ينتظر النجاح بدونها، وهو دعامه كل ما نراه في العالم من
التقدم في المدنية. ما رأينا بلدا تمسك أهله بأهداب العمل إلا ونحوت فيه الصحارى
القفر إلى حدائق غناء، وجادت الأرض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب
أهلها. لولاه لم يصير التراب تبرا، وتبدل المفاز بمعاهد للعلوم، ومعايد للنسك، ومعامل
للصناعة. لولاه ما ضحكت الأرض من بكاء السماء، ولا ابتست الأزهار في الإكام،
ولا حلت الأشجار لذيق الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها
قبل أن تصبح دانية ظلها، مذلة قطوفها، ولا غنى عن تعهدا قبل أن ترعرع
أغصانها، وتصير دوحة تناطح السحاب. لولاه ما استبط الإنسان الوسائل التي
يسخر بها القوى الطبيعية، ويتغلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخار والكهرباء،
ويجعل كليهما رهين إشارته. لولاه ما أخذت الأرض زخرفها، وبلغت من المدنية
غايتها، وبدأت آثار العمران في أنحائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام،
وتتضاعف ثروتها آناً فآناً.

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجع يبصره الكرة إلى
« استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الانحطاط، لخول سكانها
الأصليين، وكثرة اتكالم على الموارد الطبيعية، ويشاهدها الآن وقد نالت
من العمران حظاً وافراً، وجرت في المدنية شوطاً بعيداً. ذلك لأن قوما عرفوا
مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واحتفروا
المناجم واستخرجوا كنوزاً دفنتها الأرض في بطنها أجيالاً، وحافظت عليها لمن يقدر
العمل حق قدره. فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وإنما تغير سكانها. بل مالنا وللتأمل
باستراليا، وأمامنا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدنية، ومهبط العلوم
والعرفان، ومصدر العمران، ما لها قد عفت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها،
واندرست معالم علومها، واندثرت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي،
أشبه بحلم حالم، أليس السبب هو أن ذلك السلف الصالح خلف من بعدهم خلف

٦٧٦ رأي الفلاسفة في أصل الثروة . ادوار العمل . عصر الصيد (المئارج ١١م)

أضاعوا الجدا الموروث، وأهملوا العمل، وتمسكوا بأذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد (وتحسبهم أبقاها وهم رقود)
كان « كسائي » وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لإحداث الثروة، ويبخسون العمل حقه في الأحداث، وذلك زعم صحيح من جهة أن الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن « كسائي » بخس العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، إلى شكل يصير بواسطته آلة بخارية تنهات الناس على ابتاعها . أنكر على العالم الكيماوي تركيبه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تفيد كثيرا، وهذا مالا ترضاه العدالة، على أنه بعد « كسائي » كما قدمنا أتبحر للعمل أن يأخذ « آدم سميث » بنصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصعود، ونجحه في السعور، حتى لقد قال فيه العلامة « جيد » أنه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في إحداث الثروة حقيقة، إذ الإنسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع إرادته، يحركها كيف شاءت تلك الإرادة

١ - أدوار العمل

عصر الصيد

في ذلك العصر كان الإنسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالانعام السائمة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه إلى المروج الغزيرة السكلا، ويلقي عصا الترحال إذا قل الصيد، كما تفعل هي إذا غيض الماء، أو جفت المراعي . وقد كان في ذلك الدور مهددا بمخاطر ين : الوحوش السكاسرة، والمجاعات المهلكة، لقلة ادخاره، لما يفتات به في اعساره، فالويل له إذا أصابه مرض أقعده عن الصيد، أو اتآبه حر أو برد منعه عن مطاردة فرسته، والويل له إذا كان ضعيف النكاية أعداءه (كذ في الأصل) الذين يداهمونه لسلب ما اقتنصه . وكان عدم ادخاره راجعا إلى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكان حقه مزعزا لا يقدر هو على حمايته، وليس هنالك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن له أو ذرية في

أغلب الأحيان، وهذا لم يوجد عنده ما يدعوه الى الاحتفاظ بالقوت تحريزا للمستقبل .

عصر الرعي

ولما رأى نذره معرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت الى آخر ، ورأى أنه ملزم بالنفقة على زوجته وأولاده ، توجهت همته الى تدجين الحيوانات النافرة كالابل والحيل والغنم وغيرها ، مما كان لا ينتفع به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساعده على رعي تلك الابل والغنم في الوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والانتقال بها من مكان الى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، ما كانوا عليه ، وتألفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهم تقدر بعدد رؤوس الابل أو الغنم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . وبمكنا ان نغزو كثرة عدد الناس الى سبين (الاول) كثرة نتاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بألبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت المجاعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، وحبب الى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرستها يد الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس الى معالجة الزراعة من اثاره الارض ، وبذر الحبوب فيها وتمهدها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمؤوتهم ولا نعامهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلى ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، يأوي حيث نبت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعول على معواه ، فيحول به الارض المجربة الى مزارع كثيرة الخيرات ، وانبث على رغد عيشه تقدم عظيم في أحواله الادبية ، فظلم معيشته وظهرت الحكومات لاول مرة بالمعنى الذي نراها به الآن ، ولا حاجة بنا الى القول ان معظم الامم المتمدنية في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة وعدم

احتياجها الى كثير تفكير أو كبير عناء ، على ان تلك الامم نفسها وجهت همتها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

عصر الصناعة

الصناعة أثر من آثار المدنية تتوجه الهمم اليها عند بزوغ شمسها ، وتستجاد اذا زخر بحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الاول) ان الانسان لا تتوق نفسه الى الكماليات كالصناعات المختلفة الا بعد بحصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الامم المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة النجارة والحدادة والبناء والخياطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملابس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنها ما لا يوجد في الامة الا اذا تفتنت وتنوعت أساليب مدنيته ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجليد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستنبطت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كالتعليم والتأليف .

عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدبر الآلة البخارية فتكفيه مؤونة التصب .

ب - الاعمال العقلية

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا ، بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفلاح الأرض أو يئذ الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من العلم ، ويتعلم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تعهد الأرض ما لم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تعدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم يتفجع بالآلات البخارية في

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المخترعون « كيمس وات » وغيره قرائهم حتى وصلوا الى استخدام البخار . فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة ، وهي مقدمة عليها حتى في أحقر الصنائع .

﴿ ج - الاعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الامم ، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش امانة وتجارة وفلاحة وصناعة ، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة ، أو تجارة أو زراعة ، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » . ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت معتبرة محدثة للثروة ، بمعنى ان عمل الحاكم الذي يقي البلاد شر العدو ، ويرد المظالم ، وينظم الري ، هو عمل يزيد في الثروة ، وكذلك عمل الصانع الذي يوجد منافع للمواد الأولية ، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها لطلبائها ، والراعي الذي يقوم باثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تنبت ما يسد الحاجة ، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة ، وأما الطبيعيون وهم (كسائي) ومن كان على مذهبه فقد تقدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها ، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات : طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة ، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث ، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة ، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاولين . ولكن « آدم سميث » لم ينسح نحو أولئك الاقتصاديين ، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة ، وتبعه من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن نقسم الاعمال (أولا) الى ماهي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان ، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف ، مثال ذلك العمل الذي يتكبد به كل من حارث الارض و باذر القمح وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخابزه ، لان كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وان تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا (ثانيا) الى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الأولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة (ا) الاعمال التي يتكدها الناس في استخراج المواد الأولية اللازمة للصناعة كاحتقار المناجم وتشذيب الاشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتجة مادامت نتيجتها تستخدم في الصناعة (ب) الاعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ، مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل (ج) الاعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات المدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لانه لولا تلك المحال لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب (د) ما يوجه من الاعمال الى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصناع مادامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما اذا كانت الصانع لا يشتغل بيده (هـ) الاعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف الى حيث يطلبه الناس ، يدخل فيها عمل الجمالين في السبر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الأحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والمتسبين والسياسة والاعمال التي تحسنت بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتقني في ابتداعها وترويضها ، ولا شك في ان هذه منتجة ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تعمله الحكومة أو الاهالي لترقية الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا اذا نحن عددنا ضمن تلك الاعمال ما يبذله الفلاسفة والحكماء من الافكار لتعزيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذله الحكومة من بث العدل في الربوع ، والمحافظة على الأمن ، سواء بسن القوانين أو الاعمال الحربية برية كانت أو بحرية

(المنار) : ان بعض ما أورده المؤلف من الاحاديث لاصحة لاصله أو سند

وان كان صحيحا في معناه ووضعه

باب المناظرة والمراسلة

مكتبة المامة

بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام*

(لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان)

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما
فصحافيا ففيلسوفاً لغوياً فنسابة فروائياً مبتدعاً فمؤرخاً خيالاً قصاصاً . ثم هم
يستقبلون منه الآن مؤرخاً اسلامياً محققاً . ولا ندري ما يعرف منه اهل سورية
قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جليلة قلما يخلص بعضها
لاقتاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بخلاصها لحضرة أفادت من لا يحصى عددهم
من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشرقيات من الاوربيين وغيرهم
من لا يحبون مطالعة الكتب العربية أو لا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال
التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل
والمستلح والمستنكر فكنا لا نتعرض لها بمسح أو نسخ لعلمنا ان الذي قاده الى
هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفتني بصاحبه في النثر الى مثل ما يفتني
به في الشعر فيكون أعذبه أكذب ، ولا اعتقادنا ان نفعا اكبر من اثمها ، وان الكتب
العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الغث من
السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى
النفس والسخائم الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ما شذ

(*) بقلم الشيخ احمد الاسكندري

وندر ، فلما قرأت تقریظ حضرة الفاضل (المغربي) أحد محرري المؤید لكتاب (تاریخ العرب قبل الاسلام) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولانا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤید بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاعراب مما لو قبله القارىء لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاریخ جاهليتها الأولى المقبور في بطون القدم قد نبش المؤلف من ناووسه ، فرا بني قوله - والمذبة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كمادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - والصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للمعشور على الضالة المذشودة والحلقة المفقودة من تاریخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزیز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب بالهاف أخذ تناقص بتناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة هاجت في نفسي ميلا الى هذه ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب (تاریخ العرب قبل الاسلام) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كهادته في كبه غموض تاریخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تعذره الا على من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات الحية والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم تهيدا في مصادر تاریخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والنقوش الاثرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والأثرية وغيرها (كما يقول) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة ائتماسه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزوا بسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب بامعان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوردية يستفيد من الكتاب
أولا — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية
غثة كانت أو سميثة

ثانيا — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثا — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا
رابعا — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبطي والتدمري عن العربي
الفصيح وهي فوائد تشكر المؤلف اذا عتمها في كتاب مستقل

الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب أواسط الجزيرة وشمالها
الى قحطانيين (يمانين) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فعنده ان مثل طي
وكندة ونخلم وجذام ومذحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و ١٨٣) قال :

« وكل هذه البطون أو القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يمتلئ
ذكره من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والمدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذا تدبرت أحوال هذه الدول من غسان وخم وكندة رأيتها تنطبق على المدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة المدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الامي الى المتدينين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أثرا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سبل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السبل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحيريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغنى الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو المدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نخبوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو الممينية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

ونحوهم ومنها الحارث وثعلبة وجبلة والنعمان وغيرها . ولا يفترض بما ذكره العرب بين أسماء أولئك حمير من أمثال هذه فإن أكثرها مبدل بأسماء شالية وإنما عمدتنا في ما ذكرناه على الأسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

« فلا دليل على قحطانية هذه الأمم إلا أقوال النسابين وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال أن تكون تلك الأمم قد انتحلت الانتساب إلى عرب اليمن التماسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سببا بعد أن تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عمالهم » اهـ

وتقول في دحض هذه الأقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فإن الاختلاف فيها إما أن يكون في الأصول وإما في الفروع أما الأصول فلا يمكن بينها خلاف جوهري لأن لغات العرب كلها من أصل واحد كما اعترفت به حضرة وأما الفروع فلم ينكر أحد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الأعراب والتصرف والقلب والأعلال والأبدال مملوء به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والأدب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها إلى ازهاق الأرواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكلنا يعرف ماهي المعجزة والشنشة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من أصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن تقول أن قبائل حمير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لانحدارها مع العدنانيين في الأصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الإسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثيرا من مقالات وفود الحميريين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية إلا في معاني بعض المفردات . وإنما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والمجامع والأسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه أن اليمانيين كانوا هم الأقوياء الغالبين فذلك على فرض تسليمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من التقارب في جميع الاحوال حتى قبائل حمير نفسها بعد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للعرف المسند من جيات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيراً عن ان أم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كالقلم الصفوي والثمودي واللحجاني وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجربة بلا سبب عظيم وان سيل العرم لا يكفي لتفرقهم بأيدي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الامم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الأرض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه التقارب بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الحيرة بالانبار وفي سورية وفلسطين فلقد احتلوا في الأولى جميع الأراضي التي بين دجلة والفرات حتى سميت العراق العربي وبالأشانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحلب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية النمانين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بعد مناقشات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى (وضاوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فان الظاهر من الآية ان التمزيق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا دخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) واما ادوى اتحادهم في المعبروات فلان سلم انها كلها كانت عدنانية بل كانت خليطاً من كل الأديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما نهود وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والبيئة وتمازجهم في كل شيء. كما يسمي الأقباط الآن أنفسهم باسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب وانترك وكما يسمي الترك أنفسهم باسماء عربية مع انهم هم الغالبون للعرب وكما يسمي السوريون أنفسهم باسماء انجليزية وفرنسية على ان هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود اسماء عدنانية بين اسماء الحميريين نقض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الألماني احد الاثريين الذين وجدوها في اطلال السد وهذا كذب ابرهة قبل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقباط الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وثمامة وحنش ومروند وكل هذه اسماء عدنانية كما ان مديكرب الزبيدي اسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميريها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نأتي بها جميعها في هذه المقالة وهي بانفة بسراحتها الى أفق البدييات

فمنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضرين بعد الاسلام وتعصب المضرية واليمانية في الفتن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب

ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحماسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضعا

(لما بقية)

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الأستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (هـ)

(الكلمة الثالثة) — في بيان ما استشكله الأستاذ الشيخ اليافعي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن — ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قد فنده الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والمنسوخ ونقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأيد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحوا الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (ما ننسخ) فالجرد للنسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان بعضهما لبعض

يقول الأستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان انتقديها : ما ننسخ من مثل آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمثلها الاولون وقوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحجة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأى عيب يراه الأستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها ؟ ؟

فكل آية من آيات الأنبياء السابقين التي نسبها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلها في الاقتناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان ويقدرها العقلاء قدرها فإنها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقها وأعم فائدة وأتم دليلاً وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآن أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوروبا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوني أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطيت معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الأخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الأحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عالم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) فقد سأل بنو إسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما أراهم عناداً وكفراً (فقالوا أرنا الله جهرة) . فإذا كان تفسيرهم صحيحاً فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ وإذا كان المراد آيات الأحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحاً فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنن على قول بعضهم ؟ مثلاً قالوا إن آية الوصية للوالدين والأقربين قد نسخت بحديث « ألا لا وصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رخصات معلومة يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رخصات معلومة) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وغير ذلك كثير !!

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالاتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لها أن قوله تعالى فيها (فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) إلخ معناه إن لم تفعلوا ما ندمتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا ندبكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرفقة والرحمة فأقيموا الصلاة إلخ فقوله (وتاب الله عليكم) قد ورد هنا بمعنى الرجوع إلى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والعدول عن معاملتها كما بقية لا بمعنى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى (علم أن لن يحصوه فتاب عليكم) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الأستاذ الفاضل الشيخ الياضي متقدا على تفسيرنا لآية (وإذا بدلنا آية مكان آية) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . ونقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والمواقفة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فأنهم وافقوا أهل الكتاب منهم في دعائهم الباطلة وتعارفوا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن (أضغاث أحلام بل اقترأه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) فأنهم لا يؤمنون برسول الأولين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن خالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظه له ولذلك ترى في القرآن آيات

كثيرة أمثال هذه التكذيبات اليهودية أو الصرانية واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب فانهم جميعا كانوا متضامين ومتحدين بعضهم مع بعض على بغض النبي وتكذيبه وعرقلة مساعيه فهم - وان اختلفت أديانهم - أمة واحدة ويد واحدة على رسول الله . فمن أمثلة هذا التضامن والاتحاد في التكذيب قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) ولما كان اليهود هم الموعزين الى المشركن بذلك عنادا لرسول الله وحقدا عليه ومكابرة له قال تعالى له (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس) الآية وهي واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب السبب الذي ذكرناه وهو أنهم أمة واحدة ومتحدون على بغض الرسول وتكذيبه وتلقين بعضهم بعضا صنوفا من الشبهات والتشكيكات غير مبالين بمخالفتها لمعتقداتهم فلذا صح أن ينسب ما يقوله بعضهم لم جميعا لا تبعهم له وتعويلهم عليه في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في جميع اللغات المعروفة ينسب عمل بعض أفراد الأمة إلى الأمة جميعا خصوصا إذا رضيت به وأقرته وان اختلفوا عقيدة فما بالك إذا كانوا جميعا يأتون الشيء ويعملونه ومن أمثلة ذلك أيضا قول المشركن (لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) مع أنهم لا يؤمنون بموسى ولا بما جاء به وهو يدل على أنهم كانوا يقلدون اليهود تقليدا أعمى ويطيعونهم في جميع ما يوعزون به إليهم وإن نافي معتقداتهم كما قلنا إرضاء لهم واستجلابا لودهم ومعاونتهم لهم على الرسول . فكثير من مثل هذه الأقوال كان صادرا عن اليهود ثم تبعهم فيه المشركون وصادوا يرددونه عنهم فلذا اتبعوا اليهود في تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن القرآن نسخ بعض شرائع التوراة كالسبت ومحريم بعض اللحوم . ولذلك جاءت آية (وإذا بدلنا آية مكان آية) في سياق الكلام مع المشركن مع أن القول صدر أولا من أهل الكتاب وقلدهم فيه المشركون تقليدا أعمى كما قلدهم في غيره مما سبق بيانه وجاءت به الآيات في سياق الكلام معهم

هذا وإن الأستاذ الفاضل قد استذكر جعل قوله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولم يعذابهم الله) وصفا لليهود وفاته أن الله تعالى قد وصفهم

يمثله في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة — إلى قوله — وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين (الكلمة الرابعة) — بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تفيد اليقين

أولاً — قد يكون الراوي كذوباً لكنه منافق ومتظاهر بالصالح والتقوى لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيفتري به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئاً يجرحه لشدة احتراسه ونستره . وقد يكون بعض المحدثين مؤمناً صادقاً مخلصاً صالحاً لكنه ينخدع لظاهر هؤلاء المنافقين فيأخذ الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المنافقين وظواهرهم وتجنب إساءة الظن والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسذاجته في بعض الأحوال . وكثرة الكذابين وكثرة ما يضعونه من الأحاديث يشوش على الناقد الباشين عملهم ويوقعهم في الارتباك والخطأ كثيراً فيقبلون أحياناً ما ليس صحيحاً ويرفضون ما هو صحيح . ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله كذب وقد يكون منفرداً بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقاً فيه . وقد يكون المرء صالحاً صادقاً ولكنه يضطر في بعض الأحيان إلى أن يكذب ولو واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من أن يكون فيه بعض الكذب أو المبالغة

ثانياً — قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقداً أنه صحيح . والتحديث بالمعنى كان عندهم جائزاً . وقد ينسى شيئاً مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متابعين ولكن بطائي عن ذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا — إثبات عدالة رجال الأسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فإن ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا — أكثر الأحاديث والروايات مقتضبة فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجا كلياً أو جزئياً

خامسا — من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا نقصا عسير جدا على الناس إلا من شذ وقليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مغتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الافتراءات والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة سادسا — قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل روايتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذاكرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الأستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأعز . ومن اعتمد على ذاكرته فقط لا نبرته من الخطأ والنسيان في جميع الأحوال مهما كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطور مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وإن أراد أن ينكر ذلك الأستاذ الياقيني زاعما أنها تفيد اليقين وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الأمة الإسلامية من العناية والتفحص في الروايات والنقد والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الإسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على روايات الآحاد فان حجة ناهضة بالتواتر فيه والمجمع عليه فليهدأ المسلمون بالإلا

(الكلمة الخامسة) -- في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لأجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمانا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرضون) . في هذه الآية

-- وأمثالها في القرآن كثير -- يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

نطلع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخرصون -- الى قوله -- وان كثيرا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا إذا

اضطررنا إليه كما في بعض الأحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فانه محرم على الانسان أن يحمل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الاستاذ الفضل الشيخ الياقبي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لا شك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الأمثلة على ذلك : --

(١) خالفوا قوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرموا أكل الحجر الأهلبي التي كانت تأكلها العرب كثيرا لما رويوه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرمها مع أن القرآن الشريف يقول (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) الآية . ويقول (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجمرة استعمال الذهب والفضة والحرير للأحاديث التي رويوها والقرآن يقول (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٤) حرموا أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من ينهن المرأة على عمتها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الإسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطعي بالظني وهو مما نكرهه ونذمه وقد ذمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الأستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل يعقل أن الله يبيح للمسلمين ما كان يذم لأجله غيرهم في كتابه ؟ !!

أنا لا أقول إن جميع هذه الأحاديث يجب أن تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يوجب الظن أن له أصلا صحيحا وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الإسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأملها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم نأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتنزل من بينهم بزوال علل وأسبابها كما سنبينه إن شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة لطولها . فالسالمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الأحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لأجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيلت فيها مع أن معرفة أسباب الأحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الأحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الأشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الأحاديث التي يسلمونها ما يوجب الظن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرفنا إليه في الكلمة الأولى . فلولا تغلبهم في اعتبار الأحاديث لما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لقرا

وإني لأعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يخبرهم أم عليهم العمل به بمجرد نسبته إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الأمر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فسادهم وأما الأمر الأول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يقضي حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا أن التقليد في الإسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدمهم ويمحص كل ما وصله في الأحاديث وما يصله بنفسه والا بقي دين ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد على رجال الاسانيدو بعد مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (لها بقية)

مناظرة عالمين (١)

(١) في مجلس المأمون

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قدما لأنه يكون إذ ذاك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وإن أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كن حادثا

هذه المسئلة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويقتل ويقتل . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بأن القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث - ويسمى (المعتزلة) - فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثمة كانت صولته أشد ، وعامل جبروته انفذ ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وعقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، فكان الناس لهده يستترون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجمعة ، ويتسللون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من التعمود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشرأ المريسي ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جبرا أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفا على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه المحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

(١) لصديقنا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي تزيل مصر

(المناظر ٩) (٨٨) (المجلد الحادي عشر)

ويتعودون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكفاني (الذي نلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) اتصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استطال عليهم بشر المرسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه، فأطال همي هذا الخبر، وأطار نومي، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامتي حتى قدمت بغداد فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي. ثم إن عبد العزيز جمل بعد وصوله إلى بغداد يتهل إلى الله أن يسدده، ويثبت عزيمته، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديته، فبداه أن يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل أن يسمع كلامه، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتسفيه آرائهم وطلب محاجتهم، فإن إشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته، واستماع قوله، ولم يكذب ينهي الامام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حياال القبلة والمنبر صوت رجل مكّي الزبي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي أقامه قبائه عند الاسطوانة الأخرى :

الاب — ما تقول في القرآن ياني ؟

الابن — كلام الله منزل غير مخلوق ياأبي

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهر بوا على وجوههم خارجين من المسجد، وأمرعت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذاك عمرو بن مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس — أجهنون أنت ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — موسوس ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — معتوه ؟

عبد العزيز — لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فمظالم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لأصحابه - مروا بهما سحبا إلى منزلي .

فاختلما الشرطة ، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا ، وأيديهما في أيديهم يمينه ويسرة ، حتى صاروا بهما إلى منزل الرئيس على هذه الحالة الفايضة ، فادخلا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (١)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القربة إلى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا اظهار المخالفة لأمير المؤمنين !

ولكن أردت الشهرة والرياء والسؤدد لتأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لأغير ذلك .

الرئيس - أو تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسى ما ترى ، وتفريري بنفسى

وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في

كتابه ، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (٢)

الرئيس - إن كنت انما جمعت هذا سببا لغيره من المطالب اذا وصلت إلى

أمير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شيء غير هذا ، وجعلت هذا ذريعة إليه ، فدمي حلال

فوثب الرئيس وقال لأعوانه أخرجوه بين يدي ، فأخرجوني أنا وابنى بين يديه

وهورا كب على فرسه ، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا ، وأيدينا في أيديهم ، حتى وصلنا

(١) الشوار : اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (٢) فليعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على المأمون ، و بقيت
أنا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمر بي :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألتك من الجمع
بينك وبين مخالفتك للماطرة بين يديه ، وقد أمر أطل الله بقاءه وأعلى أمره بإجابتك
الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم
الاثنين الادنى ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم
عبد العزيز — أطل الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا

حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عرك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد
أحدا ، ولا يعرفني من أهلها أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع اظهاري
مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .
الرئيس — توكل بك من يكون معك حتى يحضر لك في ذلك اليوم ، وتنصرف
فتصلح من شأنك ، وتفكر في أمرك ، فاعلك ترجع عن غييك ، وتوب من فعلك ،
فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فافعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم
الاثنين حمل عبد العزيز مكرما الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، ليس الشرطة
فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلا على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامه عاقبة مخالفة
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروده ، وأنه ليس حينئذ إلا السيف ، وأنه إن ندم
ورجع عن مقالته سأل أمير المؤمنين الصفح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من
حاجة ، فأجابه عبد العزيز بأنه ما خرج من بلده الا رجاء إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجليه — قد حرصت على خلاصك جهدي وانت

حرصت على نفسك دماك جهودك

عبد العزيز — معرفة الله أعظم وأطيب من أن ينساني ، وعدل أمير المؤمنين

وسم من أن ينسيه

وكان قد صدر الأمر إلى بني هاشم أن يركبوا ، وإلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والقواد والاولياء (١) فركب القوم بالسلاح لإحداث الهيبة في نفس عبد العزيز وسائر الناس الذين يوشك أن يفسدهم ، قال عبد العزيز ثم أذن لي فلم أزل أقبل من دهليز إلى دهليز حتى صرت

إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن (٢)

الحاجب - إن كنت محتاج إلى تجديد الوضوء ؟

عبد العزيز - مالي إلى ذلك حاجة

الحاجب - إركع ركعتين

عبد العزيز - ركع أربع ركعات ودعا الله

الحاجب - استخر الله وقم فادخل

فأزاح الستر وأخذ الرجال (التشرىفاتية) بيدي وعضدي وجعل اقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبي وطلقوا يعدون بي . ونظرني المأمون وأنا أسمع صوتا ه خلو عنه ، وكثر الضجيج من الحاجب والقواد بمثل ذلك ، فخلوا عني ، وقد كاد يتغير عتلي من شدة الجزع ، وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح ، وهو مل الصحن وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين ، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها

قال عبد العزيز : فلما أوصلني الحاجب إلى باب الديوان وقفت فسمعت المأمون يقول ادخلوه قربه ، فلما دخلت من باب الديوان وقعت عيني عليه ، وقبل ذلك لم أنتبه إليه لما كان على باب الديوان من الحاجب والقواد ، فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركته ، فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركته ، ثم قال أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن ، وأنا أدنو خطوة خطوة ، حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ويسمع كلامهم ، والحاجب همي يقدمني ، فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون اجلس فجلست

(١) يريد بهم النوبين المخلافة لأهل الباطن كما هو اصطلاح أهل العصور

المتخرة (٢) أي صحن دار الخلافة وهذا الحاجب بمثابة سر تشرىفاتي اليوم

وسمعت رجلا من جلسائه يقول - وقد دخلت الديوان - يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فوالله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهامنه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا على ما كنت فيه من الجزع والرعدة .

قال عبد العزيز : وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع ، وما قد نزل بي من الخوف ، فجعل ينظرني وأنا ارتعد خوفا وانتفض ، وأحب أن يؤنسني ، ويسكن روغي فطفق بكثير كلام جلسائه ، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها ، يريد بذلك كله ليناسي ، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدبر نظره فيه ، ففرقت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد انتفخ وسيقع فبادر في قلعه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون - ما الاسم ؟

عبد العزيز - عبد العزيز

المأمون - ابن من ؟

عبد العزيز - ابن يحيى بن مسلم

المأمون - ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز - ابن ميمون الكناني

المأمون - أو أنت من كنانة ؟

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيئة لا يتكلم

المأمون - من أين الرجل ؟

عبد العزيز - من الحجاز

المأمون - ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز - من مكة

المأمون - ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يا أمير المؤمنين قل من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل
ضوى (لجأ) ، اليها أو من جاور بها ، فاني لأعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا (وجعل يعدد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم

المأمون - وأولادهم وانسابهم . (وذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين اني اسي ، و بسطي للكلام وتسكين
روعتي وجزعتي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقتني من الجزع ، وجاءت المعونة من
الله عز وجل ، فقوي هاتري ، واشتد قلبي ، واجتمع فهمي ، ثم اقبل المأمون عليّ وقل
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامت في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن
كلام الله الخ ، بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستثك بذلك من الجمع
بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
المخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبتك ، وان استقلت اقلناك .
ثم اقبل عليّ بشر المربي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه .
فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فانمط عليّ فوضع ركبته
وفخذ الايسر عليّ فخذي الايمن فكاد أن يطمه ، ونمز عليّ بقوته كلها ، فقلت مهلاً
فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلمي ، وانما أملك بمناظرتي وانصافي ، فصاح به
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم اقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز ناظره علي ما تريد ، واحتج عليه ، واحتج
عليك ، ونسأله ويسألك ، وتناصفاني كلامكما ، تحفظا الفاضل ، فاني مستمع عنكما
فحفظ الفاضل . فقلت السمع والطاعة لأمر المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان
يشرع في مناظرة خصمه مالم ينتقم من ذلك البقيض الذي غابه لأمر المؤمنين
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف صواب الله عليه
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه و بالأعليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تغيير الرؤيا ، صيره على خزائن الارض ، واءتزل الامور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال احدثني علي خزائن الارض اني حفيظ علمي ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتنزيله . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا القول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ فقلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأني عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، ونكر افتتاح الجص ، وسمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقلت الحق . فهذا (يعني جليس السوء) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقصى مسائل المناظرة اولها خصوصا لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك انك بشرنا سأل عبد العزيز سؤالا ، وكلنه جوابه ، ووافق المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فعند ذلك جمل ابن الجهم وغيره من شيعة بشر بضجرون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وطعموا في قتل عبد العزيز ، وجثا بشر على ركبته ، وجمل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأنتي بشر وهو المناظر لي ، فضجيج هؤلاء ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، وليست أتكلم ما ليسكتوا ، فصاح المأمون لحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، واقبل علي وقل تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فتكلم وأخذنا في المناظرة

قال عبد العزيز : وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم
لجاء بألف شيء قتل يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه
بالضجيج والبروج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزقه، فصاح المأمون ببشر أقبل على صاحبك ودع
هذا الضجيج وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم .

قال عبد العزيز : وكثر تبسم المأمون من قولي حتى غطي يده على فيه واطرق
يكتب في الأرض يده على السرير

ومما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء والقرآن شيء من
تلك الأشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته : قال تعالى « ويحذركم الله نفسه » فله نفس وقال
تعالى « كل نفس ذائقة الموت » فقول يا بشر ان نفس الله داخلة في هذه النفوس ؟
فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جمهوري الصوت معاذ الله معاذ الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز
يلحظ حجاج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بمشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من
مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفا من الغم والحزن وجعل الناس يبعثون اليه
أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ،
قالوا لا بد أن تملي علينا ما جرى لغيره وتعلمه فببت ذلك وتخوفت سوء عاقبه ،
فما ألحوا علي قلت أنا أذكركم بعض ما جرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حرج
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أوقافا مختصرة لا تقطعهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي

بازار الحبوب والآلات

سياحة صاحب المجلة

﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صعد الجمهور من نشوة الفرح بالدستور، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويند كرون به أنهم قد انتقلوا من خمول الاستبداد الى نشوة السرور بالحرية ومن هذه النشوة الى السكون والروية، ولم يكن منهم غلو مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «رد الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضغائن والاحقاد بين المسلمين والنصارى منهم الى المسامحة والوداد وكان المسلمون هم البادئين بهذا الخير، كما كانوا في الغالب يبدئون وكما يقال بالشر،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشتركا بين جميع العثمانيين وهو ما تفكر فيه جمعية «الجامعة العثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتزويجهم على الوحدة الوطنية او نحو ذلك من الاعمال، ولا بد ان يكون فضلاء النصارى متفهمين معهم على ذلك وانما اسندت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لا التي لم اجتمع بأحد من علماء هؤلاء وفضلائهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

مشواي في البر وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردة الزيارة لجميع الزائر ين منهم ، ولو طالت لتصدت للقاء أهل الرأي من غيرهم ،

والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همة « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي استسها من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدير نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستبداد فجعل هذه المدارس أثراً بعد عين . ولا أذكر ما سمعته من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لها بعد النظر فيما بين الأيدي منها وجلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفعا

رأيت مسلمي يروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الفيرة المالية والميل للاعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحبت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسعي في جمع صفة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الاصلاح وقد سرني من حديث من اجتمعت به منهم أني رأيت التفاوت بينهم غير بعيد ، والخلاف بين طبقاتهم غير شديد ، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد ، ومقاومة الجامدين للاصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة ،

والسبب في ذلك على ما ظهر لي أن أذكاء النابتة الذين يحبون الاصلاح لم يربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مدنية سلفهم في أعينهم وتحجب اليهم الانسلاخ من كل قديم ، وتزين لهم الاقتان بكل جديد ، كما قن كثير من المتفرجين في الاستانة ومصر وتونس ، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجعلوها مع فنون العر بية كل المطلوب لارتقاء المسلمين ، ولم يحرموا منها حرمان من يعادي الشيء لجوله به ، — وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون العر بية لا يوجد كثير من المتقنين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف العصبية لمقاومة الاصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين

ونتيجة هذا ان قلة اشتغال مسلمي يروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم افتنائهم بالتفرنج قد جعل نفوسهم مستعدة للاصلاح الذي لا يرتقي المسلمون بدونه وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة وبين العلوم والمعارف العصرية بغير معارضة قوية

٧٠٨ حكومة بيروت . طرابلس . استعداد أهلها للإصلاح (المار ج ٩ م ١١)

رأيت من الثابتة المصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمعدل عن الشيوخ الجامدين ولا نبالي بهم رضوا أم سخطوا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم واقتضاء على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول بوجوب مسالمتهم ومداراتهم والاستعانة بهم لان جانبه منهم ، والمرجح عندي ان العاملين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتد بها ، وأحوج ما يحتاجون اليه المال والزعيم الذي تجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب الهمم من الرجال ، سهل عليهم إيجاد المال ، والزعيم انما يشترط لإيقان العمل وكاله فلا يتعذر على أهل الغيرة الابتداء بالعمل مع فقهه . ومتى تكونت الاعضاء تكونا طبيعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها ناظم باشا وحرمة ودرأته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالحجى الى الولاية قلنا ان حسن حال الاهالي هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه لقرب عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة داره فلا مجال للومه

طرابلس الشام

وافيت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من شعبان) الى الغروب والناس يرقبون غروبها ورؤية هلال رمضان بعده فأقبلوا يستهانون فبدا الهلال لعين واحد منهم فحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من ليثهم صائمين

مكثت في دار صديقي الصديق الشيخ محمد كامل الرافعي أسبوعا كاملا استقبل وفود الزائرين المهتمين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي وجمعية الجامعة العثمانية والجمعية العلمية . وقد ظهر لي مما دار بيني وبين صفوة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلي طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلي بيروت ذلك بأن مسلي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدرس كتب

(المناج ٩ م ١١) أسباب ضعف استعداد الطرابلسيين . حكومة طرابلس ٧٠٩

الفنون العربية والعلوم الإسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين ؛ ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لأنه يشغل الفكرة ولا يكملها فيكون عاقبها عما سواه كما أشرنا إليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نوضحه في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطهد بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس وسيعده أكثرهم غريبا أو باطلا بالبداهة محتجين بأن من كان أوسع علما في فن أو علم ما كان أقوى استعدادا لغيره ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجة أو إبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرقى منهم في العلوم والأعمال من الأجانب والعثمانيين فإن طرابلس أصبحت كأنها بمنزل من العالم المدني ، لا يهاجر إليها المرتقون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرتقون في الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجاء لأحد في الكسب منها ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد إليها من بيروت لأنها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئا يعتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذلك كانت حكومة طرابلس شرا من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تنل نصيبا من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضر علة لكثرة الأشقياء فيها المستعنين بها على السلب والنهب والنيل من أعراض الناس ودمائهم ، فإن هؤلاء الأشقياء زعماء يشترون ذمة كبراء الحكام ويشاركونهم بما يمتنعون به من أموال الناس وأعراضهم ويرضخون لأفراد الشرطة والزبانية بدريهمات يستعبدونهم بها فإذا رفعت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال المحاكم فإذا جاء البلد حاكم جديد وحاول أن يقرر فيها الأمن ويقيم ميزان العدل وانفذ الشرطة إلى بعض هؤلاء الأشقياء المتهمين بالقتل والضرب أو

٧١٠ الاحتفال بصاحب المنار وسبب الاعتداء عليه (المنار ج ٩ م ١١)

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هاربين فلا يعلم مكانهم وانما يكونون هم الذين لقنوها ما تقول

حادثة الاعتداء علي وسببها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها أهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب قصير المقصرين ،

حقيقة الحادثة اني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد استقبلني عند الباخرة في البحر جمهور من أهل السلم والوجاهة ووفود من الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة العثمانية ، وكان في الانتظار على رصيف الجمر في الميناء جمهير من جميع الطبقات وجوقة المويسقي أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم العثماني (أعزه الله تعالى) صدحت المويسقي وبعد السلام على كثير من المستقبليين ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركة كبيرة من مركبات الترام معدة لنا من قبل جمعية الاتحاد فقبولناها مع خواص اعضاء الجمعيات وجوقة المويسقي في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفت في نافذة من نوافذ المركبة وشكرت للقوم أريحياتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الاشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ فعرفني بالقرينة فضر بني بعصا في يده وقعت على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فلتقاها الشيخ محمد كامل الرافعي وكان عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مدسسا وأطلق منه رصاصة واحدة اعتقدت انه يريد به قتي واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحذقوا بي وأرادوا إدخالني لأحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وتقدم اليه أكثر من واحد منهم فشاركوه ثم استأمننا الدبر إلى دار الرافعي وكانت قرية منا وهناك اخبرني القدم بالمعتدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلي وأنا طالب علم أشد

(المارج ٩ م ١١) سبب الاعتداء على صاحب النار . اهتيام الناس به ٧١١

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلي ويشيعني
عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بايهاز عصبة من تلك المصعب
التي أشرنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصبة ثقل عليها ان يعتز
من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا ينقطع . وقد رأيت جميع
الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لظهروا استياءهم ولقامت
قيامتهم على هذا الشيخ البالي من حكومتهم على عدم تقبهم بها بل لاستنفضوا همة
حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جريمته إهانة لهم كلهم أي إهانة
لاهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالتعدي على الضيف الذي يحدقون به
تعظيما له وتكريما ، وقد سمعت من الناس وعنهم ماجزمت به وأيقنت بأن الاستياء
العام كان شديدا وأن بعض أهل الجراة جهروا لزعماء عصبة ذلك الشقي وله بسوء
هذا العمل وبمقت الناس لهم لاجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء
أقسموا جهد أيمانهم بأن هذا الامر لم يكن بايهاز منهم وانهم وبخوا الشقي الفاعل
وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعاهم الحكومة
للسهادة ليكتبوها او يحرفوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة
قبل القبض عليه !!!

هذا هو السبب في سكوت جمهور اهل طرابلس وإغضائهم على القذافي ولو
رثقوا بحكومتهم وأمنوا بقوتها شر تلك العصبة لظهروا سخطهم لها وللناس قولا
وكتابة فهم ممدورون في سكوتهم . على ان فيهم من تحمس ليذهب بوفد الى
الولاية ليخاطبوا الوالي في الامر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تمنى لو كان
حاضرا لينتقم من المعتدي عند الاعتداء .

أقول هذا جوابا لأولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا الينا من بيروت ولبنان
والشام ومصر يقولون اترك « فيحاء الاشقياء » تنعي من بني اول حجر فيها وارحل
اينا حيث تلقى من الكرامة كيت وكيت ، ويقولون لو كنا معك لعلمنا أهل طرابلس
كيف يوجد من عارفي قدرك من يفديك بدمه ،

وكتب الي صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل النجدة من بيروت واشتروا بينهم ليرسلوا وفدا منهم يحضرنني من طرابلس وعصبة من الشجعان لينتقموا لي من المعتدين بالقوة اذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو متهاونة فيه وكتب الي أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلا من فدائية بيروت (الابضيات) بذلك فكتبت الي بعضهم إنه لا حاجة الي ذلك واني في طرابلس عزيز كريم

أراد ذلك الشتي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخواني ، فكان عدوانه مزيدا في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والامصار والاقطار ، بل إهانة لأهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثة منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فعلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فطفقوا يذمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد نقل ذلك اليها كثير ممن كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل يهين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني برسائل البرق والبريد وتحدثوا بخدمتي الصغيرة للاسلام والدولة والملة فكبروها تكبرا يمثل البرقية التي وردت الي من شيخين من أشهر أهل العلم والادب في مصر ونصبا «نبي العلم والدين بنجاة ركنهما الركن » ومثل البرقية التي وردت من فاضلين من أشهر أهل بيروت علما وأدبا ونصبا «الهنا لكم ولنا والمسلمين بسلامتكم التي تهنا جميعا » وهنالك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بامضاء بضعة عشر رجلا وهم خيرة أهل بيروت ولا تسئل عن رسائل البريد ، وما فيها من الأطراء والتعديد

وليست الرسائل الواردة بما ذكر كلها من المسلمين بل منها ما جاء من فضلاء النصارى فكانت الحماسة فيها أشد ، ولسان الأطراء والقدح أحد ، كرسالة صديقنا قولا أفندي شهادته من رحله التي يمثل فيها بقول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا رثيف أفندي شهودي من جنونه الذي تمى فيها كما تمنى كثير من أهل بيروت لو كان معي وقت الحادثة فيري أهل طرابلس

كيف يفديني بدمه (حماء الله) فأشكر لجميع أولئك المهنيين أرحمهم وفضلهم
وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المنار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت إلى
الكثير من المهنيين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في الحفاوة بي بل بالغوا وأغرقوا
حتى كنت أخجل مما أسمع من شيوخ العلم وكبار الوجاه ، من جمل الثناء والاطراء ،
مثل : ييضة وجوهنا ييضة الله وجهك ، شرفت بملك سوريا والعرب ، أحييت
بخدمتك العلم والدين ، عملت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا المجد
الذي نلته لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء النصارى ان
الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفاتحين ، لا كما يستقبلون الأعداء
الغائبين . واتي أشهد قراء المنار على نفسي بأنني لا أستحق هذا الثناء والاطراء
ولا بعضه ، واتي ذكرت منه ما ذكرت وأنا في خجل شديد ولولا قصد تبرئة أهل
وطي الذي ريت فيه مما جناه عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت
من الإشارة إليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحادث
وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دعوة الكثيرين من أهل
الرأي والمكانة منهم لإياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين وتصريحهم في الملأ بأنه
أجدرهم بذلك . وليكتفي لم أترك ما عندي من اليقين بعجزني لحسن ظنهم بي ولذلك
كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرنني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فئة من طلاب العلوم
الدينية يرغبون عن التقليد ويندمونه ، ويميلون إلى الاستقلال في العلم ويتحلونه ،
ويعترفون بأن حياة الدين إنما تكون بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ،
وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وذا كرتهم بعد أن كتبت
ما تقدم من المقابلة بين أهل طرابلس وأهل يروت ولم أر مثلم من الطلاب في

بيروت ولستني أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر ،

وقد رغبت من لقيت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة العصرية ، فألفت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهانا مستعدة ، ولكن وسائل العلم غير متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن . ولهذا لم أرجع بعد لقي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلمي بيروت للعمل على استعداد مسلمي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

الجمعيات في طرابلس

الف أهل طرابلس ثلاث جمعيات غير فرع جمعية الاتحاد والترقي كما فصل أهن بيروت . الأولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يكون لهم منه ريع يمكنهم من الخدمة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن ففائدتها محصورة في اجتماع أعضائها في ناديا فقترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تغذي العقول وترقي الأفكار والآداب ككتب التريية والأخلاق والمجلات العلمية ، وإن يمتحنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع والعمران ، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية ، فبذلك تكون جمعيتهم نافعة مذي اليوم ، فإن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وانفاقه على عمل من الأعمال ، كانوا به أبصر ، وعليه أقدر ،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بمجمل تعليم الفنون العربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كبيرة يتخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والمحاماة . ويقول آخرون منهم إن إنشاء هذه المدرسة لا يكون إلا بمال كثير ، وهو عسير علينا غير يسير ، على أنهم لو وجهوا همهم إلى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يعلمون فيها ، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجرا ، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لأنفسهم ، وليس

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يتوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتحتاج إلى المال الكثير ، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الأمر وهو غير عظيم ، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصغر له الكبير ، فبرميه الآخرون بالغرور والتفكير ، وأعلمهم يشرعون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد إلى أن يتيسر لهم ولغيرهم من المسلمين تحويل معظم الأوقاف الخيرية للتربية والتعليم ، وعسى أن لا يكون ذلك بعيدا

وأما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية ، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم أنها جمعية تجمع الأموال لإعانة الفقراء والمعجزة ، ولكن الذي وصل إلينا من خبرها أنها شركة مالية أسسها بعض الأغنياء لأجل استغلال أموالهم بالأعمال الكبيرة التي يرجى ربحها ، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الأخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ « حزب التقهر » ويقولون أن أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخيااتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لعلمهم بأنهم لا بد أن يعزلوا أن لم يبادروا بالاستقالة . ويقولون أنهم أعداء الدستور ويطعنون دائما بجمعية الاتحاد والترقي ويكابرون أنفسهم فيدعون أنها لم تعمل عملا وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئا مما يحكونه عنهم ، ولكنني سمعت من شابين من حملة الأقلام كلاما صريحا وتهكما شديدا في ذلك ، وقيل لي أن هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتب

وفي هذا المقام اشكو مما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم ببعض حتى في المحافل والأندية العامة ، وأرجوا أن يفتح الله لهم في أيام الدستور من الأعمال ، ما يشغلهم عما يضر ولا ينفع من الأقوال ،

العمران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء ، حتى خيل لي أن ما رأيته في الدكاكين ومخازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه ، ولما رأيت أحدا من أعرفيهم اتقل من مكانه سواء كان

مالكا أم مستأجرا . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الأعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدرا لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترتقي بها تجارتها فأكثر الذين أثروا فيها هم من عمال الحكومة أكلة أموال الناس بالباطل

شمائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شمائر الدين من صلاة وصيام، وأبعدهم عن الجهر بالمعاصي، وحسبك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الايام بعض النساء الراقصات ليروج بها قهوته فقامت قيامة أهل العلم من المسلمين عليه، وتمصب لهم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنعه من ذلك

تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة (ريج) الروسية أن مخبرها الخصوصي في الاستانة العلية قابل سماحتو شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالبا الجواب عن كل منها وهي :

- ١ - ما رأي شيخ الاسلام في تعليم المرأة المسلمة
- ٢ - ما رأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ - بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ - ماذا يفهم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سماحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعا (بالعلم) فيلزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب تقابل - بانشر اح صدر - انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء زيادة

على تحصيلهن العلوم الابتدائية لاني أرى من الأوفق والأصوب أن تتولى الطيبة أمر معالجة المريضة المسلمة، لذلك يجب أن تؤخذ الفتيات الى المدارس الطبية، وأما مسألة قيام النساء بوظيفة المحاماة والقضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الأخرى ولا أدري بأي نظر ينظر الأهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيباً عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقاً، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذلك كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حيز الوجود دينا عظيماً علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيراً من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت لحلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن تعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم الملم تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأيدينا بل هو راجع الى الحكومة والأهالي لذلك نحن لا نتدخل في أمره وعلى الحكومة أن تنتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الأهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطالب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا »

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماماً الى الحكومة »

وقال مجيباً عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا نتدخل في أمور ديانة الامم وخصائصها ووجدانها في أي حال وإذا تدخلنا فإما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الحنيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع لزيارة أقرانها ولم يأمر نبينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أت

٧١٨ المرتدون عن الاسلام . الزواج بين المسلمين والنصارى (المارج ٩ م ١١)

تركيا لم تضغط ولا في الازمة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليأمن كل على معتقده ودياته »

شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع المحبر كلام سماحته سائلا رآيه في المتقلين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة نذوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنية على أساس أن كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالقوانين والتضييق كما لا نحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية وإذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمنعا مانع عن اظهار كراهتنا له ونفورنا منه

زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل المحبر سماحته أيضا قائلا « إن الاسلام يصرح لمستحليه بزواج الفتاة المسيحية

(١) النار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام الاستاذ الامام بشأن زواج المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابة ليعلم البشر التآلف والتماطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتاني أن يتزوج بالمسامة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره بيفضاها وبيغض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خالفه في الاسلوب

(المنار ج ١١) مسلمو روسيا - علماء الدين والحرية الدينية - جريدة النظام ٧١٩

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ؟ فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نعد كلامنا من اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسالتهم ولهذا السبب الصراح نقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تعد على عقيدتها ولا تعرض لامورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضا لذلك حرم على المسلمين أن يضعوا قياتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم مما يحرمه ديننا الحنيف »

مسلمو روسيا

ثم عرج سماحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنهم بيد أنه يجب عليهم أن يضعوا بالنواجز على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضا بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عند الله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المخبر تعليقا على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكموا على بقية رؤساء الأديان الأخرى » اهـ

(المنار) : إن قراء المنار يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا اليها في جزء قادم

جريدة النظام

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عولت بعون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

الدفاع عن مصالح مصر بالأخلاص والصدق اللذين اعتادها القراء منا في الخمسة عشر عاما التي مضت من خدمتنا الصحافية . فاذا تفضلتم بالإشارة لذلك في صحيفتكم القراء بشكل يجذب الانظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . واذا اردتم تلك الإشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تتعدى طلباتهم منتصف شهر نوفمبر فانكم تجعلون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام » محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و (المار) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحا وفلاحا ، وتوفيقا لسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاولة الكتابة بضع عشرة سنة ، وتقنه الصحافي ، وذوقه الادبي ، ما يرجي معه رواج النظام ، ورغبة محيه فيه

(الجزائر) - وجاءنا من عمر افندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة علمية أدبية تهذيبية « سماها الجزائر ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فندعوه بالتوفيق والنجاح

﴿ تصحيح ﴾

سقط السطر الأخير من (ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١) وهو : « ثلاثون رجلا . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلهم وكثرة المشركين واستمر هذا » فيكتب بالقلم

﴿ بيان ﴾

أصدرنا هذا الجزء من المار غير مصدر بالتفسير والفتاوى لان صاحب المجلة لا يزال في مباحته

بؤنى الحكمة من يشاء ومن بؤى الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا وما يذكركم إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ ﴾

اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة
وزهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي
وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي
جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس
المنشئين سلك سبيلا أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يتعرض
الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم
والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقعا واليك كلامه :

بث الله محمداً عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة، فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة، نصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليهم واعمالهم وبنى اعمالهم، وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباح مساء الى معارضته — ان كان كاذباً بسورة واحدة أو آيات بسيرة، فكلموا أراد تحدّياً لهم بها وقرّ بها لهم بمعجزهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا .

قال فها تروا ولو مقتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته، لأن سورة واحدة وآية بسيرة كانت انقض لقوله، وابلغ في تكذيبه، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قریش والعرب في الرأي والنبل بطبقات، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الاسجاع واللفظ المشور، ثم يتحدى به اقصاهم، بعد ان ظهر به عجز أدناهم، فمحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء كلهم في الأمر الظاهر، والخطاب المكشوف البين، مع التقرير بالتقصير والتوقيف — على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد أعمالهم، وقد احتاجوا اليه والحاجة تيمت على الحيلة في الأمر الفاض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة، كما انه محال ان يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الفلظ في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه، ويجدون السبيل وهم يبدلون أكثر منه .

تتمت الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لما نشر في (ص ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالة بمحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للمتهمين به وهو عندها أشد الجرائم !!!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يقتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المنافقين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاغنياء ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتدون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه بل يعتمدون ويتكلمون على ما لا يتكل عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات ! ولم يجعل الله ذلك سبيلا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذ كر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أندروا هجمة روسيا عليهم فلم يمدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حاية شاه نقشبند ! (هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة النقشبندية) فلما

زحف عليهم جيش الروس لم يملكوا من نجدة هذا الولي لهم شيئاً ، بل انقلبوا على أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين

فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الأمة أن تعدّ لأعدائها ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، وانكالت في حياتها السياسية والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي حالنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من المجددين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :

ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فأروا ان جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترقى وتزدهر ، ودول الاسلام تتدلى وتذل ، وبحشوا في سبب ذلك فأروا ان المسلمين مؤلفون من كل جنس ، ومتبوتون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سببا مشتركا بينهم لا يشاركون فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه والاخذ بما عليه أوربا ، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود والمصريين والتونسيين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي يحقت العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصنفان يتجادبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليقوا على ما هم عليه وما هم بياقين

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصا على دينهم وقالت لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم وبين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم

(المنارج ١٠م ١١) السيد جمال الدين . الدعوة الى الاصلاح . الحاكم المستبد ٧٣٩

قادرين على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبحثوا معنا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجماعاتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين فنفرتم المسلمين عما به قوام أمنهم ودولتهم

وانتفتت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبنون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفعمكم فيما تبنون لعدم الثقة بكم ، ويعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يحجم لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طرق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هزا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئا من أنبائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيرا مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحبيهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يجعل

أمر المسلمين شوري بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمرا من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبار أصحابه كما فعل يوم أحد ؟!! (وذ كرنا ماخص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبددين يحاولون ان تكون رتبتهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدما له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد ، يستخفون الامة ويستبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاسمة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال «أنا ربكم الأعلى»
لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى
الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة
الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو
النيابي، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ، وقد
عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الأمر اليه — مجلساً نيابياً ويحول الحكومة
بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشورى المقيد، ولكنه لم يك
يستقر على كرسى الأمر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر جبا في الاستبداد،
وتنذراً بالاستعداد. ولكن السيد لم يمل ولم يأس، بل صبر ينتهز الفرص، فحذبه الأيام
الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لإنشاء حكومة الشورى فنفاه الشاه من البلاد،
ولقي من البلاء في ذلك ما لم يلقه الا قليل من العباد، ثم قذفت به المقادير الى
الاستانة فأحسن السلطان اليه حتى طمع فيه، ولكنه ما عثم ان يثس منه، حتى مات
هناك غير راض ولا مرضي عنه، هكذا قضى حياته في التطويف في البلاد ولم يتخذ
له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه، ولكن لم يصدر أحد منهم
رياًن من مشربه، ويثبت على مذهبه، الا الشيخ محمد عبده، فقد كان هذا الامام
الجليل تربي تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمناً طويلاً
لا يكلم أحداً، وزمناً أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير
إصلاح نفسه، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الأزهر، ثم رجع
الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب، ولقد دخلت عليه مرة يته فرأيت
بطاع في السيرة النبوية ودموعه تجري على خديه، خشوعاً واعتباراً بما لقيه (ص) من
الأذى في سبيل ربه، وكان في كل سنة أو أكثر يعتريه تنبه عصبي من إطالة الفكر
في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطيع هذا الوجدان فينزل
الى جوار الأربكية حيث مجامع اللهو وينادي: أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من
العيب حتى تركتموه؟ اخبروني اعلي أين لكم خطأكم. وأرسل الي مرة يخبرني بأن

(المار ج ١٠ م ١١) اشتغال الشيخ محمد عبده بالأصلاح . مدح الأفرنج طريقته ٧٤١

مرضا ألم به فنهه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فحجته فاذا هو في حجرة النوم واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت له ماهذه الكتب وما هذا المرض ؟ فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المعقدة عن القرآن فقد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبهتي أتألم

اشتغل الأستاذ الامام بالسياسة زمنا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في مصر فترك السياسة واشتغل بالأصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد بأن طريقة الأستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباوة ، أو تقليد للمرجفين عن بغي وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات (الاولى الجامدة) وهي التي تحرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتنفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية وأهلها هم الاكثرون (الثانية المارقة) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند حدوده في شيء وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم خير لأمتهم (الثالثة المعتدلة) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد كتب اكثر من واحد من الأفرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الأصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الأفرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين انفسهم ان يجهلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

أمتنا وتميزها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا اذا أقننا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الأمرين ، فنحن اذا لم نجتمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا تقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا اليها حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو اليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستعد بمونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشتبه عليه شيء في ذلك فليكتب اليه به يفصله له تفصيلا

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعا عنهم وقلم يصل الى الاستانة جزء منه ، فدعوا جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعو اليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمة في دينها ودنياها ، فمنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعد بحاله ، ومنهم من يساعد بحاله ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى ، اهـ ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاته

(استدراك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازما عليه من التنويه بصديقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الإصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القرى) والإصلاح السياسي بكتابه (طبائع الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

الانقلاب العثماني *

تركيا الفتاة

٢

بروتوكل لندره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم - والحق يقال - فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لندره وليس للدولة العلية مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقد الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافيا ودينهم مسيحيا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعد بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل)

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون تتيحته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزينتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

(* تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روجي افندي

الخالدي المصوفي مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لأئحة مؤتمر الاستانة ، وكانت أكبر الصعوبات من
 المسرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين
 على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحاسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ،
 وكان مبعوثو الارناؤط المجاورة بلادهم للجبل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام
 مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه : نزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا
 تصديق ذلك وأتم في هذه البهرجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن
 الاثاث والرياش والعربات والخليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا
 بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادي لم يكن علي إلا
 البسة مرقعة بالية كبقية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم ترتدون أحسن
 الالبسة وتأتق على صدوركم النياشين المجوهرة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب
 الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من الخازن الكبيرة وأنا
 موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي ببيعها فأنا أبيعها وأنا
 مغبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل
 لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية
 عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ايلى ومن الارمن . فظم الباب العالي نشرة
 مؤرخة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم
 بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على
 ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة
 باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنوها وأقرها وشكر الباب
 العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رغبها الى
 الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح
 الموعد به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى إيفاء واجباتها نحو
 الاهالي المسيحيين !!!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لحقها وإزراء بشرفها وعبثا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس . وصارت الفشرات (سيركولير) والمحذرات السياسية تتطاير من عواصم أوربا والاندازات (ميمورانديوم) والمذاكرات تتساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانقضاؤه

بحث المجلس بعد ذلك في لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم (عثمانيين) بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثرية في مجالس الادارة تكون من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقتردار (رئيس المحاسبة) والمكتوب مجي ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المفتين من بين الاعضاء الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين .

فقال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار هذا الزعم الفاسد فالمفتي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة ، وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم (Jurisconsulte) واعترضوا أيضا على تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد والاذلال والاستعباد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين عن احوال معسكر الاناضول ونقصان التجيزات العسكرية ، وعلى تعيين احد الخدمة قائمقام وقد كان (شوبقجي) اي حامل قصبة التدخين عند بعض الكبراء ، الى غير ذلك .

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدبر بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقررروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا لنا مبعوثين او فر عقلا و أكثر وقوفا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدايتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياستها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم بنظر الوصي إلى الصبي !!!

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة مادل على حياة الأمة وقتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الإدارة كانا سببا في انتصار الروس في أوربا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة (الدانوب) وجبال البلقان ، وأخذ القرض ومحاصرة اوضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلنسا في الروم ايلي . ولقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم
وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » ١٠ كانون الأول (ديسمبر)
سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة
من الاموال ، لكثرة الإنفاق وانقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ،
فتقرر إعادة التأم مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض
لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمور (أوامر) مؤقتة لا كما
يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة
١٢٩٤ و ١٣ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء
الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية
الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة
العلية السلطانية أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس
العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة
وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان
عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا
ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق
من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من
ناحية اليمين على صفين ، واعضاء مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة
صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم
الرقم المشتعل على نظمه لسعيد باشا باشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

« يا أيها الاعيان والمبعوثان

« اني اكتسبت المنونية بفتح المجلس العمومي وبشاهدة مبعوثي المسلة (الامة) — ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي القومية واللغات وحق المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين — وختمه بقوله :

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمان منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة ارباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (دسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة — لابين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان — وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على ابطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذاهب التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد الساكر ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية : « إن اعتزال أدهم باشا مدة للأعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرأته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ٥٠٠ الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب (صدر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظر كما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر (الباش وكيل) الأقم إلى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة إبطا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي احكام القانون الاساسي ، ولذا استبدلت رئاسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسؤولية لا ترغب الا في سلامة الدولة وترقيتها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عن اعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم !!! » فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لأننا نحن الذين نمثل القانون الاساسي ونحافظ على احكامه ، وأنتم الذين تحاولون نقضه وإبطاله . . . » فأحيات المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعساكر روسيا استولت على أدرنة وتجاوزتها ، وطلبت أوستريا (النمسا) أن تجتمع في فيينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتتقبح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، والتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبشت

انكسرا بأسطوطها الى بحر مرمرة في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تدخلت دول أوربا في المسألة الشرقية بعد أن تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمفاوضات — على عاداتهن — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما يظن من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الأستانة وهو الحاج أحمد أفندي كسندا الاستراتيجية (الكش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج أحمد أفندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتنصل من كل تبعة تلقى عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعة في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى أجل غير مسمى

صمم السلطان الأعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الإصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في أعمال القهر والاستبداد ، مفضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الأستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان نخلو بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي أفندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!

استخدام المبعوثين والامة لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعثرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطة المتطرفين منهم بالجورين على الكلام وإيقاظ افكار الامة بوجوب المهاجرة من الأستانة !

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية - ولم
تقلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان ، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات
كانها جل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجري
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل
كمبعوث القدس الذي كان - بجرأته - يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فيزيت)
انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لم في الاستانة ، والى
سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا - ولما اجتمع بصديقه خليل
غاثم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرئاسية في جريدة
الديا وغيرها من جرائد باريس وذلك قيل وفاتها - آخذه لكتابته في بطاقة
الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فها كلمة « سابق » لانت
صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا
بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلغاء وانما عطل الى اجل غير محدود ،
فكان اجتماعه في كل سنة من قيل الممكنات الجائزة عقلا ونظاما . ولكن اكثر المبعوثين
تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على
ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذكر ولا وعظهم واعظ !! ولا حثرت
في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة منها ان الحرية امر تستحوذ عليه
الامة بالقلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، وقد كانت الامة
حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لا دار الا وفيها مأم ، ولا اسرة
الا وقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البحران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات
(النقود) فكانت الاسرة تبعث خادما الى السوق لشترى القوت الضروري فيعمر
اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فقطوي على الجوع وتفتت اكباد الوالد

ليكأطفالهم . ثم ان الأمة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات واقوى ، والعساكر المنظمة ، المدربة على الحرب ، المسلحة بالأسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الأستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عاشقون في ظل الموظفين ، والعساكر المسلحون واقفون لهم ولأهل الولايات بالبرصاد وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن العساكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لان قيام كل ملة على افراد يقضي بتقسيم الممالك وتفرقة وضعها وإثارة اضعاف العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المنظمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والأديار بإيثار الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفتاوى ومداخلة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخايل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا الافة قليلة من صغار الموظفين وضباط العساكر والمعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الأوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن المكي دوشاتونيف الفرنسي ، وكثير غيرها ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوريات وربوا أولادهم تربية أجنبية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدنية الاوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المصنوية الفكرية ، لانهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطربهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

(المنار ج ١٠ م ١١) حادثة جرانغان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الأوروبية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الإسلامية ، وشتان ما بين المدنية الأوروبية والدين المسيحي

سماوي أفندي وحادثة جرانغان

على أن بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا برعاية علي سماوي أفندي ، وكان من طالب العلم المعروفين بالصوقاوات ، مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الأفكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفر إلى باريس ولوندره ونشر ثمة الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيها مما ينفحه به بعض رجال الأستانة ، ثم عاد إليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الأساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الارناؤوط أحد الضباط وجمعا فئة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جرانغان لاخراج السلطان مراد منها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الأساسي ، ففاجأهم العساكر بالسلاح فشنت عليهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رئاسة صادق باشا لمجلس الوكلاء

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث أحمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فاكسب فيها ثقة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لها خير الدين باشا الجركي الأصل والتونسي النشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، وتجهل في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الأفغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ هـ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

جلس يته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الأستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بائسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين، وهو يخالف حقيقة الاسلام، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالأمر، ويحول بينهم وبين مآربهم، وهو أشد وطأة عليهم من القانون الأساسي وحزب تركيا الفتاة.

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تمييزاً له عن سبيه فأظر الداخلية الكردي الأصل والمتوفى قبل بضع سنين. وكان سعيد باشا الصغير محرراً في جريدة «حوادث» فاتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته المايين وصار باشكاتب له، وهو المتسبب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الأساسي وإعلان الحرب، وعزل القائد (السرदार) عبد الكريم باشا وإخلاله موقف (بيله) أمام بلغنا، ومداخلة المايين في إدارة جميع الشؤون العسكرية، وإصدار الأمور من السراي السلطانية أثناء الحرب، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستفانو التي تقعتها معاهدة برلين ١٨٧٨ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب المايين وتوقيعه، ولهذا كان مفوضاً من حزب تركيا الفتاة لانه كان آله وعوناً على الاستبداد، وعلى إدارة المصالح بدون رأي الباب العالي. مع أن باشكاتب المايين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضايقات والمقررات والانهاآت واستصدار الارادات السنية بها، ولم يكن للباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في إدارة المملكة، ولا سيما في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا، فلما توفي عالي باشا وتولاهما محمود نديم تدنت أهميتها بسبب فاقة وتعلقه المايين وتهدده اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب. ولما ولي سعيد باشا الباشكاتب زالت أهمية الصدارة بته، وانحصرت

الاعمال والادارة في الماين ، وصار للبشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا
الصدر الاعظم الى الماين ويبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين !!
تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالتزاهة والاستقامة ، فلم يسمع
عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور
ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ،
ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست
المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادات من واردات الخصة التي
أضيفت الى الأعشار ، ونظمت نظارة المدلية وأصول المالية وأسست إدارة الديون
العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمعارف من دون
ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور
الخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت
باشا وتوقيف احكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب الماين ،
لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا . لأنه نشأ وتربى في الماين .
ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكاتبها ، وتمشية المصالح بالعدل
على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك
أعمال سعيد باشا موضعاً للريبة ، وكثرت الوشائيات به فصار مبغوضاً منفوراً منه ،
ووضعت عليه الميون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم
لترجمة في الماين وانجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف
لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (١) على زعمهم وبحسب
اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ما عدا
دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثه التي مركزها في الماين تحت
نظارة السرخفية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في
الحقيقة والواقع فذهب بإصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب
احتلال البلغار للروم الي الشقية ، واصراره على ارسال العساكر كما تصرح بذلك
معاهدة برلين ،

صدارة كامل باشا الصدر الحالى

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الحالى بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الاجنبية وإدارة الدولة ، لانه قلب في جميع وظائفها ، فن قائمقام الى متصرف الى وال الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آلة في يدا المايين ، مطيع لما يلقي عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريبة في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا و ضعف الدولة

تولى الصدارة جواد باشا قبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر تعينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابذة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كانت الغرض من تعيينه هو الإيهام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه ، كما كان رئيس الوزارة الألمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسئول امام الريشتاغ ، فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرشي من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بائزاع الممتلكات من أيدي أصحابها بالتمن البخس ، وإقامة الموظفين فيها يعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومة صغيرة قوية !! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة تقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

الجاهلية في الدولة العلية

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تندهور بسرعة إلى دركات التأخر والانحطاط، بعد أن خطت خطوات محدودة في سبيل التقدم أيام حدارة سعيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤمنون بخلص الدولة والمملكة من المرض الذي منيتا به قديما . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد العذاب الرجائي والأدبي، وصاروا باب الدناءة والفساد يتقربون إلى المايين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فقيا من الأستانة ، فكانوا — بمقتريتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه ونزع تاجه ، ويزينون في عينه الاستبداد ، ويفقدون عنه الخبيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين انهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التسلل والانحطاط ، رغم الأبهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سيما في مركب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحديدي امام باب السراي صفوا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتسابق مركبات الكبراء والسفراء الأجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وقد المشيرون وكبار رجال المايين حاقون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإيمانية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبارا وجبروتا ، وكاهن في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجواهر تخطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والميدانية (الحاقانية) والبالية والشيخية الإسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويتقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما !!

الميل عن انكلترا الى ألمانيا . الحوادث الارمنية

انحرفت سياسة المايين عن انكلترا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر
الاستبدادي ، فجنى بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم
السرية التي في لوندرة ، وأشار عليهم بعض رجال السياسة كفلادستون بالقيام والهيجان
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب البغار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البغار والجبيل
الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين
فقد جاء فيها ما معناه « يعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبمحمايتهم من الجراكسة
والاكراة ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في
هذا السبيل للدول المشرقة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين
لادولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الانقلابية والسياسية ،
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الأمة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .
فأحسن احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاؤروا ، وخابر بعضهم
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمنيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة
الحاضرة ولكن الظلم والاستبداد ليسا وجهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تأسست جمعية هنجاق الارمنية وهنفي اسمها الجرس

والأتراك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يشنون تحت اثقال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقعدهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد ، وان اتفاق الارمن والأتراك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والغيرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضرا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى تجنسهم بالجنسية العثمانية لا يزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الفنى والثروة والرفاه ، ويبدىهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتتلاف تام مع الأتراك حتى اذا أطلقت كلمة « ملت (١) صادقة » لا تنصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوربا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا المصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل الماطلة والإرجاء ، واوربا — ولا سيما انكلترا — واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية

(١) المار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الأمة ، والملية هي القومية فكل

ما يرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكر ، على اننا وضعنا عند

معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

٧٦٠ جمعية الاتحاد والترقي . مبادئها . أحمد رضا بك (المخرج ١٠ م ١١)

الى الشبكة الكريدية الى المسألة المقدونية وهلم جرا . . . ورجال الماين اكثرهم جهلاء
أغبياء ، لا خبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم
شياطين ابالسة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركي الفتاة ومن
القيام بالاصلاحات . ويشيرون باتخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من
المناج والفظائع التي نسبت الى الاسلام ، والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا يبي الحق ان وجبا
والمرء يصيه قود النفس مصحبة للخير وهو يقرود السكر اللعبا

تأسيس جمعية الاتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والعسف بالامة أن تأسست
في الاستانة جمعية الاتحاد والترقي لاتحاد نارا القطن المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بشت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطبية — الى
باريس ليؤسسوا فرعا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة
الحكومة العثمانية او نفقة الخاصة ، وبعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادئ جمعية الاتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاستانة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكاز علي
بك وأمه مجرية ، وسمي انكاز لعله الانكليزية ووقوفه على المدنية الاوربية كما
سر يانه ، والا فهو من الاراك المسلمين وكان من مقبيري الموظفين الذين نشأوا
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج أحمد رضا بك في مدارس الاستانة

وعين مديرا للدراسة الاعدادية في مدينة بروميه فأحسن من نفسه بلزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شققي بك الذي كان يصدر جريدة « استبال » في ايطاليا ثم في فرنسا وهو من رجال السلطان مراد . وكانت رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لائحة مفصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لائحة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرهما من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعمله الفلسفية .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوغوست كونت وخليفته بير لافيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم الثغاني في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينفرون من الانغماس في الشهوات وتبذير الأغنياء لأن المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يتزنون الأموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعشون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب الملوث بالرشوة يعدونه ساقطا مما بلغ عليه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبادئه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزى بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الأذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من أولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » ود فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللامحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في كل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الأهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع مونج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة قصد اليه الوفود وذاكروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمتم على شيء فاتي لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أمم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة اليزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو إدارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

مائة الماين للأحرار في أوربا

أمّ باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العائم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا مادب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال الماين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب دُعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة ليلة . وكان المطاء حاتماً

بل أكثر، كان سلطانيا شاهانيا!! وصار طلاب الوظائف أو المعزولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم. ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة، والتونسيون حتى الاجانب من العيلين واليونان، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأنها أعظم دائرة من دوائر الباب العالي!! - واقدم الجرائد التي اطلقت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شوري الدولة، ففسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة قتله وذ كنه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه. وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها، منهم أصحاب صدق وقناعة، ومنهم ذوو طمع وشعوذة. ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بمجلب أهل الظنة من الشيخ وأصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السهود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان، والشيخ السن من صيدا والشيخ العمري من طرابلس الشام، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر، وولف الرسالة الحميدية. فلو اطلعت على تراجم هؤلاء الشيخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتفاع الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود، ولرايت للاقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ابصال الشككية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية، واطمأن الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة «مشورت» يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون يمرانجه القاضي بالسماح عنه. وبينما كان المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالمشكلة الكردية ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان - مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للمساكر النمائية فأخذته العزة بدهام على سياسته الاستبدادية وقعدت همه الا كثر من

من حزب تركيا الفتاة فخصوا لاحكام الاستبداد جبدا وقهرا، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذابا شديدا بسبب غلاء أوربا وكثرة الاتفاق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدوهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم أمدوا بعضهم بالاموال وكانوا عوننا لهم . اما الجمعيات الارمنية والمقدونية الانتقالية فانت أصحابهم وأغنياء أمتهم أعانوهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جملة الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان العثمانيين لجمعياتهم هو موت الثورة الوطنية في نفوسهم وقد الحاسة القومية وكونهم لم يفتقروا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المايين واستفعال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية الشمانية قوة الامة العثمانية وحيثها وسلامتها من عوارض المرض أو الهرم كما يصنها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد المساكر وكفهم عن النهب والعبث بالآداب وغير ذلك من الافعال المحمجة ما يتخذ لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوربا

وإذ غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوره ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي بلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لأعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان اللغات والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينتقل من الباشكاتب الى السكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحمة) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار العالي ... أولئك الذين ألقوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب متذبذب حيران ، حتى لم يجد لأحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بلهجاتها من لغات أوربا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الإدارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(هاجية)

البلاد العربية والسكة الحجازية *

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثر عشرة ملايين ، وهي من أنخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الأمن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا ، ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحارى رملية منخفضة شديدة الجفاف ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين الى ستين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال الثراء وبلاد شمر وحضرموت وجبل صعدة وصنماء

(١) المئارج : الشفرة في اللغة التركية هي المخاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا المخاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

(هـ) بقلم رفيق بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة الخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات الناييم
الغزيرة والأشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع
لهم المجال وتساعدهم الطال ومع هذا فالت بلادهم مفتقرة الى إصلاح كثير
وعناية من الحكومة كبيرة، لتقدم الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنبات أنواع
الزراع وفقد الراحة والأمن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام
ونزاع بين الحاكم والمحكوم له كادت تنفني الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران
الطبيعية ثمة المكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببضعة عشر مليوناً من
الليرات ، وأهم أصول الإصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة
والأهلين هي :

(أولاً) إن مياه الامطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكوّن مجاري وسيولا
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض
على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فإذا تبعت مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار
نم استكثر من عمل الحياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا
طاسة في أكثر اطراف اليمن ونحوها تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة
عاقلة بالزراع والضرع ، ويساعدها على ذلك ما منحها إياه الطبيعة من قوة الانبات
والخشب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن
والقطن والنبيلة وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات
ويؤخذ منها ثلاث مخلات ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنبات جميع أنواع النبات
التي ينبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كالبن اذا بلغ نظام الري
في هذه البلاد في الهند ومصر فإنه يكون بلا ريب من اشقى البلاد العناية
بمصر بمرورها لثروة الحكومة والأهلين اذا أضيف الى ذلك قيمة

التي تنبت

(ثانياً) ان تقسم ولاية اليمن الى ثلاث ولايات احداها صنعاء والثانية حيدر

والثالثة نعر، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرفا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتناثية وينشر راية العدل والراحة والأمن على كل البلاد، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الاتراك، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عازمت عزما أكيدا على اصلاح البلاد اليمنية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

(ثالثا) إصلاح مرفأ الحديدية وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدية الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدرج بقدر ما يمكن ماله الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الأرجاء يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الأرضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعا منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجها فعاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

ومما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليمني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة والدولة خاصة ، فانها متى بلغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل مدها الى الحديدية عن طريق القنفذة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدية الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وافصاها في الشمال والغرب . يتصل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ولا سيما بعد

ان صار البحر الاحمر مزدحما لمدة دول اجنية وكان من قبل بحيرة عثمانية ويجدر بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح شؤون بلاد العرب والتوفر على عمراتها . وقد يرون ان الدول الاجنية تبذل مزيد الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها وضمن الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من ثمراتها كاستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فاما أخرى الدولة العثمانية بأن تنافس الدول بقطر عظيم فسيح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل العمران اذا أعطي كل العناية والالفات ونال حظا من الاصلاح عظيما ، ولاسيما في عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة العثمانية جماء ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي تتقنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه جزيرة العرب في مستقبل الايام اذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم عظيم وبلغت المدينة المنورة على ما كنا الصلابة والسلام . وقد افتتح هذا الخط باختقال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لانمام الخط الى مكة البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم ، وطول الخط من دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة وكيومترات يضاف اليه الخط من حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ماتم من الخط الى الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٠ كيلومترا

والخط يمر من الشام الى معان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مشرقة فيها القري الآهلة بالسكان ، الا ان خوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت أراضي معان أخصب من أراضي خوران

(المراجع ١٠م ١١) السكة الحجازية . الاراضي التي تجتازها . محطاتها ٧٦٩

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شي . كثير ومنها الملعب (Amphithéâtre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ما روئي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى المهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاء . ولقد هم كثير من الناس بابتاع الاراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الاراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأجرها أفراد من المقربين ولم يكن شي من ذلك الى الآن . فترجو ان توفق الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين وإذا مضت المدة ولم تصلح الأرض وتستثمر ساع للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الاراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همه الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل (ورشة) لإصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويلبها في العظم محطة تبوك والاراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلا فانها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفاكهة والنخيل وتوجد في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لآل أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة - ثم يعودون الى بلدتهم لاجل الاعمال في الارض - ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنهم من التوسع في إنشاء الحدائق والا كثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والأشجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزرع النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لا تفجوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبهما في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدّ ناشط من هذه السكة الحديدية من موان الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلو مترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذاك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كبير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمّة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لانجاز هذا الخط خير الجزاء

باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واخبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (*)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يطمح به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الأحاد للتعليم والحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية . فهو لاء الأحاد الذين كان يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها أن يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات يثقوا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاحتساب منهم . وقيل أن يثقوا ذلك لا يجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد يقينهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنما هم مطيعون لله ولرسوله ولأولي الأمر . فإذا قالوا لهم إن الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول . ووجب عليهم العمل به لا لأنهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لأنهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا إذا علموا بكذبهم . حينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم بينهم عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو لاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر يسمعون منه من أولياء أمورهم

(*) تابع لما نشر في (ص ٨٦٦ ج ١٩م ١١) من مقالة الدكتور محمد توفيق افندي صدقي

بآدابهم فيأخذون به ويعملون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أو لم
يقاله فالمعدة فيه على روايته

فإن قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن وإلا فكيف
يرفق بأن هؤلاء القوم لا يبلغون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت إن الرسول إن لم يعلم ذلك
بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن أصحابه البعيدين عنه
كما هو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والأمان
وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم أخلاقهم وأعمالهم
وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم وأخلاصهم كما يجزم أحدا — وإن كان
نظره أضعف من نظر الرسول — بصدق صاحبه وأخلاصه بعد مباشرة له زمنا طويلا
في أحوال مختلفة . وإن بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز للخطأ أو النسيان عليهم
فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون إلى جهات متقطعة عن المسلمين بل كان بينهم
و بين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون إلى المسلمين
مرات عديدة في السنة للزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب إليهم
المسلمون لمثل هذه الأغراض فإذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول
الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك إلى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ
أو يعزهم أو يعاقبهم . فبالوحي وبقوته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا
طويلا وبأخبار الداهيين إليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ
عنه في تلك الجهات ومهيئا عليه فإن حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به
مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا
قليلًا فيتمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية
في مبدأ الدعوة حتى يعم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستقيضا
متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع
معلمي المدارس وتلقيهم العلم عنهم وعلمهم به فإن الأمة رقية عليهم فإن أخطأوا في
شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل إلى علم الأمة وأولياء أمورها فيتلافونه
في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافًا كبيرًا لأن رواتها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى تجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الأمر ولم يقيم رقيبًا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحالتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلفات نظرهم إليه وتنبيههم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان لأجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين إليهم متواترًا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والخلاصة أن القرآن الشريف يذم العمل بالظن كثيرًا فلا يمكن أن الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرا لهم بما يذم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الأخذ به في الدين فدللنا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنه صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتمًا على كل من آمن به وصدقه صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحديث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعًا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلا نزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وانفردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعًا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت إليهم لآحوال خاصة وظروف مخصوصة أو أنها كانت للارشاد والندب لا للوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الأحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخطب . وقد أدرك الإمام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل أهل المدينة على الأحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدُها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما نسية الأحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالنا إلى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فإن السنة لا تكون إلا عملية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأً يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتمسك طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعاً لسنة الأستاذ الإمام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعاً سنته فإن سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصاحبة في زماننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعاً سنته صلى الله عليه وسلم فإن سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الأخبار المتعددة المصادر المختلفة المبنى المتحددة المفرد وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحى به إليه أو ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وإيمت سنته في الجود والتواضع

(المذارج ١٠م ١١) السنة النبوية - تحقيقها . آراء الأئمة في أخبار الآحاد W٥

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لا رأيهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنة فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد ونهري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد مماته بعض أقوائه وبعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطاعة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وفقنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور تعلم من نصوص الكتاب العزيز ومما تواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المحددة . سنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والاقداء به والجرى على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا اقتطاع بين المسلمين فهي موضع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) - آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما معناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها . كما قلله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي : إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز ،

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين : إنها ظنية ،

(٥) وقال جمهور المسلمين : إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد ،

(٦) وقال كثير من الأئمة كالقاضي عياض « إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة ولو كانت موثوقة بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتغييره عسير وفي بعض الأحوال استحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس « إن الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا بيضة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قوما

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والتقصان

(١٣) لم يجسها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يلبثوها إلى الأمام بالتواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الإسلام

إلا لضرورة

(١٥) اتهم نهبوا عن كتابتها وأمروا بإحراق ما كتبوه منها كافي الروايات التي

صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبا لما كان

هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملأوا منه ونبهوه وزجروه كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوا له جنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أحد إلا خالف في

مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعتن المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فإذا كان هذا حال الأحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأي فائدة منها ترجون ؟ وأي ثقة بها تثقون ؟ وأي شيء خالفت فيه الإجماع أو ابتدعته حتى أرمى بالكفر أو المروق ؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن نهدر أخبار الآحاد قدرها ولا نعيينا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ الياضي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فإن القرآن الشريف من عهد رسول الله إلى اليوم قد حفظ حفظاً جيداً في الصدور لم يسبق له مثل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وبإملائه على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام إلا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وإنما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها إلى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فإن الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتباً ما كان معروفاً لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو رقي في الصناعة التابع لرقبهم في المدينة بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا أعلموه من قبل لعلوا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقاً في المنار) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئاً من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم أن يصلوا إليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوح إليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقاً وكتباً كما أنه لم يوح إليه بتعليمهم أي

صناعة أخرى بل تركوا شأنهم حتى يصلوا إلى ذلك بمرور الزمان
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول
وبأمرة لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت
إلى ما وصلت إليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الأحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلومه الواسع
استاذ المنار فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) — أسباب استشادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي —
إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقتناعي) وذلك أن محتج على الخصم بما هو مسلم
عنده كأن تحتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي وإن كنت غير معتقده .
فأنا أورد الأحاديث غالباً لا لأثبت معتقدي لنفسي بل لأقنع من لا يقنع إلا بها
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما إذا ذكره من الأحاديث إما
لإقناع المسلمين وإلزامهم بها أو لكثير من الأدلة بضم ضعيفها إلى قواها ليقوى بها مع
استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدم فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المعاصرين
فإنهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعتبرون عليه من الروايات ولو كانت
من الأساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجاهل من الحقائق بعد أن يستيروا في
دياجير ظلماتها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين
حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من
وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالاقبسة المنطقية والقضايا العقلية فإذا
أراد بعضهم أن يعرف مثلاً أصل الحجر الأسود عندنا عمد إلى رواياتنا فيه وحكماء بمحك
النقد والعقل فإذا سمع رواية : أن الله استودع الحجر أبا قيس حين أغرق الله
الأرض زمن نوح عليه السلام وقل له إذا رأيت خليلي يني يني فأخرج له قل انتهي
إبراهيم لحمل الحجر فآبى أبو قيس إبراهيم فجاء فخر عنه فجعله في البيت . استنتج
بها بعد أن يزيل قشورها وأوحاشها حمية هذا الحجر وهو أصله قطعة من الحجر إبراهيم
عليه السلام من أحجار جبال أبي قيس السريانية من ذاك كعبة عرشها في أحد

أركان الكعبة علامة على الركن الذي يتبدأ منه بالطواف لعرف الطائف كم مرة طاف بالبيت وليتدنى الناس بالطواف من قطعة واحدة حفظاً للنظام وتسهيلاً للطائفين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيراً من حقائق تاريخ اليونان مثلاً مما يجدونه عندهم من الأشعار والحكايات القديمة كالأدب (هو مير) فإذا كان هذا ما يفعله العلماء في الأساطير فهل يستنكر مني أن استشهد لهم بأحاديثهم الصحيحة المسماة عندهم وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أريد مقالتي بشي من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشي من القول ولو كان صحيحاً ما خلت أحاديثنا منه فأنها تكاد لا تقادر شيئاً (إني والله لفي حيرة من أمرهم !!) على أن كثيراً مما أذكره في مقالتي مروي عن كثير من الصحابة بالأسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعاً موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لأرواء غلهم وإشباع نهمهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتنقيب . ولو رفض المسلمون الآن ما ألزمهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفما

(١) حاشية للكاتب — تقبيل الحجر الأسود هو كتفيل آثار رجال التاريخ العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وجبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أو دواة شكسبير وقطعه أن وجدت ولكل أمة آثار موروثة عن رجالهم العظام ويقبلونها وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناء الكعبة وحفظ بالتواتر في الأمة العربية فلما قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئاً من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون تقبيلنا لهذا الحجر عبادة — مع أن التقبيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجودهم لصورهم وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه الأشياء مع أنه شتان ما بين السجود والتقبيل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟
فألهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيلك
إمامنا وقدوتنا ولا تخزننا يوم يعيشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المائة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾^(*)

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو
« نودده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهة في موضع . وتشبهه بتحقيق
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذهنه
قط » . ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفة القراء . والآن نمثل
لثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة الأنبط في بطرا نقل عن التوراة وعن
كاتبها الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا
عرباً وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوا ثم رفض
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر
الأول من اسفار المكابين وفي تاريخ يوسفوس من غير ان يذكر برهانا واحداً
على تقضا واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليان : الأول ان اليونان
حينما ذكرهم سموهم عرباً (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بترية
في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليان

(*) تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الاسكندري

يتضاءلان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين
ينعكسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لاله . ونحن نفي أولا هذين
الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية
اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البتريه هي تسمية جغرافية
كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي
الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبيجة
لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اثينفونوس وابنه
ديميريوس أنه وجد حولهم قبائل يظاهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك
ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر ضومط عن يوسفوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣
مقتطف) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافا لهم
حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان
الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاة
وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد
من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجليزا لان امبراطور الهند
انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على
ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا
عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف
واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يقم عليه دليل وما كان
أحوج المؤلف الى ذكره لو وجد

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن
الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير
العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لفهم لغة خاصة بهم تخالف العربية وتنازع حفا من الآرامية وحفا من العبرية وحفا من العربية - بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الآله انتقم من الادوميين وضمهم بهم بغارة يختصر فدمر عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احلافا لليهودا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظاهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارستو بولوس بن يوحنا هر كاتوس بن سمعان أنخي يوناتان ويهودا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أمم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحقيقا لوعد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاء ويجعل جبال عيصو خرابا ومسيرات اذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يفتيهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما برى في لغاتهم من الالفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المضربة من الالفاظ العبرية

على ان المؤلف لما أحسن تضعف دليله على تبريره تلك الحلة التي هاجها في

(المنار ج ١٠ م ١١) نبط الشرق. الزعم بأن معينا أمة قديمة لم تعرفها العرب ٧٨٣

أكثر من خمس صفحات من كتابه مع يثقه أن المكتوب من آثارهم ليس عربيا
زعم بلا دليل أن لغة مخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على أننا لا نظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة
العربية التي عرفناها في صدر الإسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارتقاء»
هذا مع علمنا أن النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا
تمام الاظهار أن هذه اللغة العربية الفصحى بأعرابها واشتقاقها وكثرة أساليبها التي
لا تنهاى قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل
قبل هذا الوقت ولأسي إذا علمنا أن اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه
(٦) أن النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب إلى ما بعد الإسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون
نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم
يدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنوا لنبطي تشهد بذلك
فإن كان نبط الشام خالطوا قضاء فنبط العراق خالطوا الحماة واماو بكر أو تغلب وعبادا
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ أنه عندما تكلم على دول
اليمين ذكر من بينها دولة زعم أن العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقضى على أثر
ذلك بأن استظهر أنها أمة قديمة جدا بتبدي أخبارها منذ أربعين قرنا قبل الميلاد
لشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسماري «ان زام سين حمل
على مغان وقهر ملكها معنيوم» واستنتج أن مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم
في «معنيوم» للتوين وبالطبع يعتقد أن اللفظ حرف واختزل حتى صار (معينا)
وكذلك نقل عن سفر الأخبار «أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين
بجوار بعل وعلى المعونيين» أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث
حدثت في برية الشام والأمة يمانية

أيها المنكح الثريا سيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أميين لقدحق لنا ان نقول
على التاريخ المقام

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا انهم من جالية الآراميين أتوا من العراق
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الأمر بأن المعينين لو كانوا
من العراق لكتبوا بالخط المسباري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من
الفينيقي فلم يرحلوا لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المسباري الخط
الفينيقي لسهولة هذا الأخير في نظره ١١١ ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من
وصفهم في موضع آخر انهم كانوا معاصرين للسبثيين الذين لم يبتدي دولتهم على
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم يتثبت في موضع آخر بأن
القبطانيين السبثيين كانوا بعد المعينين أو انهم ورثتهم أو انهم حبشان أو انهم
عمالة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة
وارتباك يهون عليه معهما نبذ كل هذه التخرصات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت
قبائل متجاورة في مخالفات متقاربة أعظمها مأرب

الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

عدة مواضع

منها ادعائه ان اسماء ملوك حمير لم يكن بينها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة
(١٦٦) لم نجد ذلك اثرافي الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثرا عظيما لا برهة
الحبشي وفيه يسمي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكبشة ومرة وثمامة وحنشا ومرشد
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدثهم ثم ذكر
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال «جبا مدينة الفاخر
وهي لآل الكرندي من بين ثمامة آل حمير الأصغر» مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) أن الميعنيين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكمته وقسموا اليمن إلى محافد وقصور وطمعوا في جيرانهم واخضعوهم وأنشؤا الدولة الميعنية والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في أن الميعنيين لم تعرفهم العرب مع أنه نقل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل أن «محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقبلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى أن مالك بن حريم الدلاني يقول فيها

ومحمى الجوف ما دامت معين بأسفلها مقابلة عرادا

وفيه وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أهل يحابر جدي عطيفا معين الملك من بين البينا

وملكنا براقش دون أعلى وانعم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث أنهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحجرة الاصفهاني معرفتهما لنبط الشام وإن بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا إلى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه المجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسامته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته أدوار تاريخ العرب وتسميته الامة التي سماها استرابون اليوتاني جرهين بالقريين نسبة إلى قرية وهي اسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الأرض ويكثر من آنية الذهب والفضة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فمى كان أهل اليمامة أغنى أهل الأرض ومى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟ أليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي يكت حضرة جرجي افندي زيدان جملة مؤرخينا على ذكرهم

٧٨٦ ذهاب مواف تاريخ العرب وراء الظنون (المنار ج ١٠ م ١١)

لها! ولكنه لا يكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) باللفظ (قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسومها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف اوتباب القارئ في تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر برعش وأسد ذي كرب في آسيا وأفريقيا في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهيريدوت مع انها لم يدخل بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« و ذكر استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريبي بابيه فبعد ان أورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمتاع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجلا سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لأحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتات على منهم بعصي اصطفتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطفتها على مثالها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيئ أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الأولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها سوء فشكاها إلى أبيها ولما اطع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم تذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اهـ

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عند ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدججه ويجميل فيه ويحيل القارئ على الكتب الاخرى !!

الامر الخامس سوء التصير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الأمور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الأمور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في أكثر الحوادث حتي انه لا يرى المطلاع على كتابه خبرا مبرها على صحته بدليل متنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الأمور التي تؤخذ على المؤلف تخريجه الأعلام تخريجا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكامل لله وحده

أناجيل البرية

ترجمة الخنساء *

هي السيدة ثمار الصحاية الشيرة الجليلة بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من سرة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواهر العرب المشهود لها بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالظبية لان الخنس من صفات الطباء وهو تأخر

(* خلاصة درس لقاها على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي

الأستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الأنف عن الوجه مع ارتفاع في الأرنبة ، ويقال لها خناس على سبيل التلميح ، وقد كانت من أجل نساء العرب وأفصحهن ، نشأت عزيزة حرة لا تفتات عشرينها عليها بأمر مربها دريد بن الصيمه فارس هوأزن وسيد بني جشم وهي تنها بعيرا لها فأنخلع له على بكر سنه وأنصرف إلى رحله وهو يقول :

حيوا نفاضرا واربعوا صحتي وقفوا فانت وقوفكم حسي
أخناس قد هام الفؤاد بك وأصابه تبل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به كالיום طالي أيتق جرب
متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب (١)
متحسرا نضخ الهناء به نضخ العير بريلة العصب (٢)
فليسهم عني خناس إذا غص الجميع هناك ما خطبي
ثم غدا إلى أيها فخطبها إليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية أن
يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أترك أولاد عمي كعمالي الرماح
وأزواج شيخنا من بني جشم هامة (٣) اليوم أو الغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها
أتكرهني هبت على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر
معاذ الله يرضعني حبركي قصير الشبر من جشم بن بكر (٤)
فهبها دريد قبيل لها ألا تجيبينه ؟ فقالت والله لا أجمع عليه أن أردده وأهجره
ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحرمتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتيم والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الأولى سنة ٦١٢م وقتل أخوها لا يها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثر من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلهما واكثر المراثي ، وأجود مراثيها ما خلط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام المخلوقين ، كقولها في معاوية :

- (١) الهناء : القطران ، والنقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير
(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاة
أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف
القبور (٤) الحبركي : القصير الرحابن الطويل الظير . والشبر : الخبر والعطاء

سأهل نفسي على حالة
تهين النفوس وهون النفوس
فانت تك مرة أودت به
فيوما تراه على هيكل
ويوما تراه على لذة
فخر الشوامخ من فقهه
وكقولها في صخر

الا يا صخر ان أبكى عيني
دفعت بك الخطوب وأنت حي
إذا قبح البكاء على قتيل
وقولها فيه

أعني جودا ولا نحمدا
ألا تبكيان الجري الجميل
طويل النجاد رفيع العما
إذا القوم مدوا بأيديهم
فقال الذي فوق أيديهم
يحملة القوم ما عاظمهم
وان ذكر المجد الفيتة
وقولها :

يا أم عمرو ألا تبكين معمولة
فأبكي ولا تسأمي نوحا (١) مسلبة
فقد فجعت بميموث تقيته
فمن لنا ان رزئناه وفارقنا
قد كان سيدنا الداعي عشيرته
على أخيك وقد أعلى به الناعي
على أخيك رفيع الهم والباع
جم الخارج ضرار ونفعا
بسيد من وراء القوم دفاع
لا تبعدن فنع السيد الداعي

وزائيتها المشهورة التي تقول فيها

كان لم يكونوا حمى يتقى
هم منعوا جارهم والنسا
بييض الصفاح وسمر الرماح
وخيل تكدس بالدارعين
جززنا نواصي فرسانها
فمن ظن ممن يلاقي الحروب
نعف ونعرف حق القرى
ونلبس في الحرب نسج الحديد

اذ الناس اذ ذاك من عز برا
يحفر أحشاءها الموت حفرا
فبالبيض ضربا وبالسمرو خزا
ونحت المجاجة يجمزن جزا
وكانوا يظنون ان لن يجزا
بان ان يصاب فقد ظن عجزا
وتتخذ الحمد مجدا وكثرا
ونلبس في الامن خزا وقزا

ورائيتها السائرة مسير الامثال

اغر البلج تأتم الهداة به
جلد جميل الحيا كامل ورع
حال الوية هباط أودية
لا يمنع القوم ان سالوه خلعتهم

كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروح مسمار
شهاد اندية للجيش جرار
ولا يجاوزه بالليل مرار

وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ فقخرتها

في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها
ولقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بكماظ على
كرسي فينشدون "فيفضل من يرى تفضياه" فأنشدته الخنساء فأعجب بشعرها وقال
لولا أن أبا بصير انشدني آنفا لفضلتك على شعراء الموسم . فأعطاء حسان بن ثابت
(رض) من تفضيل الأعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا أشعر منك ومن
أيك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسم

ثم قال للخنساء الشديده فأنشدته فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا ففلا

فقال حسان أنا والله أشعر منك ومن أيك حيث أقول
لنا الجنات الفر يلعبن بالضحى وأسافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني الصفاء وابني محرق فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنا
فقلت الخنساء ضمت اقتخارك وانزوت في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت
لنا الجنات والجنات مادن العشر فقلت العدد، ولو قلت الجنان لكان أكثر،
وقلت الفر والفرقة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر، وقلت يلعبن
واللعن شي يأتي بعد الشي، ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الاشرار أكثر
من اللعان، وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المدح، لأن الضيف
بالليل أكثر طروقا، وقلت أسافنا والأساف دون المشرة، ولو قلت سيوفنا لكان
أكثر، وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولو قلت يسرن لكان أكثر لأن نصاب
الدم، وقلت دما والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تنخر بمن ولدك!!
فسكت حسان ولم يحرج جوابا وقام منكسرا مقطعا، وقد سئل جرير من أشعر
الناس؟ فقال أنا ولا الخنساء، قيل بم فضلك؟ قال بقولها

إن الزمان وما يقى له عجب أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه فقيل له أو كذلك
الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على أن السيدة تهاجر الخنساء رضي الله عنها كانت صحابية
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، بيد
أنها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسليها (١) على أيها وأخويها، وقد بلغ من
وجدتها على صخر أنها عمت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه أقبل
بها بنو عمها عليه وقالوا يا أمير المؤمنين لو نهيتهما، فدخل عليها فوجدتها على ما وصفت
من قريح ما قيها، فقال لها ما أفرح ما في عينيك يا خنساء؟ فقالت بكائي على السادات
(١) تسليت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والتسليب هو الإحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى متى ؟ اتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ،
وانه لو خلد احد خلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكبن ملكوا
في الجاهلية وهم اعضاء الارب وحشو جهنم ، فقالت ذلك أطول بعويلي عليهم ، ثم
استشدتها فأنشدته ارنجالا :

سقى جدنا اكناف غمرة (١) دونه من الفيت ديمات الريم ووابله
وكنت اعير الدمع قبلك من بكى فأتت على من مات بعدك شاعله
فرق لها عمر وقال خلوا سبيل عجزكم فكل امرئ يبكي شجوه
وقد رآها مرة تطوف بالبيت مخلوقة تبكي وتلعن خدما وقد عقلت فعل صخر
في خمارها فوعظها وقال انه لا يحمل لك لطم وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفت
عن ذلك وقالت

هريق من دموعك واستغيني وصبرا ان اطلقت ولن تطيقي
بواقبة قات الصبر خير من النطين والرأس الخلق
ولا لامنها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد
هدم كل الذي تصنعين انشأت قول :

الا يا صخر لا انساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمي
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذا كره بكل منيب شمس
فلولا كثرة الباكن حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي
قد ودعت يوم فراق صخر ابي حسات لذاتي وأنسي
فقلت عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جميلة ، فقالت نعم ان لشعاري
صيا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح ، فاتفق فيها ماله
حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا ، فأتته
وشكوت اليه حالنا وقلة ذات اليد بنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي فقامر به فقمر
حتى لم يبق لنا شيء ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فصادني بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكناف النواحي

فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فعدلته ، ثم قالت ان زوجها
مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتها فأعطاها أخس مالك قائما
هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتي عارها

ولو هلكت قد دت خمارها واتخذت من شعر صدرها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله
لا أخلف ظنه ولا أ كذب قوله ما حيت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة
وهي أحزن نساء العرب على فقيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى
رضوان الله وابتغاء ثوابه ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بنيتها الأربعة يوم
القادمة سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت
مع بنيتها الأربعة وحضرت الواقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل
واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت
حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل
في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) الآية فإذا أصبحتم غدا ان شاء
الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ،
فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى سباقها ، وجعلت نارا على
أرواقها ، فقيموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمقنم
والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين
فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم
في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدر ثوب بلاكين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصح

أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري وأنشاميون انصدريه

(المنارج ١٠) (١٠٠) (المجلد الحادي عشر)

أولادها الأربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

باب الحوادث والأخبار

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

(أقوال الصحف فيها)

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الأسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر أنحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبدي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتنتهي صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعدت نجاته عناية من الله بالعلم والاسلام وانا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الثناء عليهم وعلى الآخرين

وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبته بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغران بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بعضا فجرحه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فاخطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبين يربو على الخمسة أشخاص ، أرسلت شعبة جمعية الاتحاد والترقي العثماني عربية

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البندة بكل احتفاء تحفه الأهل والأحباب إلى أن اقترب الجميع من سوق المطار بن قصدي كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا سابقاً ووقف امام الأستاذ وايتدره بضربة على رأسه بعصا فلم تصبه تماماً فأراد أن يضربه ثانية فثاقها الشيخ محمد الرافي يدهموتسك بالمصاحف أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر مسدسين وأخطر كل من يقترب منه بالموت العاجل فاقرب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق عليه عياراً نارياً فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الأستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك لدار الشيخ محمد الرافي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، الكدر عموي من جراء ذلك، الأستاذ لم يند عليه أثر كدر بل تحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما برام وقد استغنى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوطة »

فنهى صديقنا الأستاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التعري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تنكيلا له وأرها با لغيره (الاتحاد العثماني)

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار وفي الفيحاء مساء الجمعة الماضي على أنه قبل وصوله إلى الدار المعدة لتزوله هجم عليه أحد الأهالي وضربه بعصا على رأسه رغما عن شدة ازدحام الناس الملاقين حوله . ثم أطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق وكأنه لم يأت شيئا مذكورا

نقول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغري مدفوعا بيد أعلى فغسى أولياء الأمور ان يبحثوا ليقفوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدوها على الأقل (لسان الحال)

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه ما أصابهم من اضطهاد المعتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقتها في وجه الظالمين وقفة طويلا . ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد إلى طرابلس فمروا ببيروت حيث قبول مقابلة شائقة جديرة به وبعد الإقامة في بيروت أياها سافر إلى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي . فنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس وأعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلون . وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير منهم الموسيقي فاستقبلوه بكل اجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص الحبين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى وإطلاق البازود إلى منزل فضيلة مضيته الأستاذ الشيخ محمد الرافعي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه . وحدث في أثناء الطريق أن شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعضا وضر به بها فأصابته شظير رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ بإطلاق النار على الجمهور وفر هاربا وكان هذا العمل مدعاة للمغامرة بالسيد رشيد ووردت عليه تلفرافات التهنئة من والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي والوجهاء والأعيان والعلماء . وزاره القومندان وأعرب عن أسفه وظهر أن الشقي مدفوع بأيدي أناس من الحساد ثم زار القومندان والضباط وأعضاء نادي جمعية الاتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه أن يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له أحسن وقع وقد أهتم والي بيروت بالاعتناء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكلا لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن إذا شكرنا أعيان طرابلس لأحفاوة بهمائم منهم هو خير بلدهم بلا نزاع ولا جدال فانا نأسف لوجود انذال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا أن يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم (الأهرام)

اعتداء ذميم — ورد كتاب من طرابلس ينفي بأن أحد الأتقياء المدعو كامل

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار بينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدومه وضربه بعصا على رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تلقى المصا قبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الاتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلايك تستشيرها في إعلان الأحكام العرفية في طرابلس بعد حادثة السجن وهذا الحادث الموجب للأسف . أما الجاني فاهمة مبدولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الأمن (الجريدة)

اتانا من غير مكاتبنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربة خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعا من يد ذلك الشقي . فشر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصيب أحد بسوء والحمد لله . وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من انحاء سورية تهنتته واستنكار فعلة ذلك الشقي . وقد طير البرق خبر ما جرى الى دولة والي يبرت وجمعية الاتحاد والترقي فيها فأرسل دولة الوالي وكيلاً لتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بعد ما ظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجاني الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمنون منزل الشيخ الرافعي لتهنته ضيفه الكريم بالقدوم والسلامة (المقطم)

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت
الاحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد
العثماني والاحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء
الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى
له كامل المقدم (وفي رواية الاحوال انه عبد القادر مؤذن) وابتدره بضربة على
رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فما كان من
الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد
كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي
ولم ينزل هناك وقد اتفقت الاحوال والاتحاد العثماني على تواني من بيدهم أمر الضبط
في هذه الحادثة . والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن
يكون ناشئا عن شهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناك
وسرور في زيارته لوطنه
(المؤيد)

الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أكرر العبر في أعمال البشر وما أقل الاعتبارين ! إن الخطيئة التي يأتيناها الفرد
في بيته عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في الغراء لا يحس
به سوى خليطه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأثيره حكومة بعد تقريره في
دار ندوتها ! ! وإن ما يمر على الذاكرة من اشباه هذا ونظائره كثير جدا وإمكن قل
من يتدبر ويعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع
وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره مما لا سبيل إلى كتمانها واخفائها ،
بل هو مما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن
هذا القول لا يصح على إطلاقه إلا إذا كنا النهب والاحتلاس في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا ، والحق الذي لا مرء فيه أن الإنسان مهما استكنه أحوال البشر فإنه لا يحيط علمًا إلا بجزء يسير من كل كبير ، وعليه فلا تريب على من قال وهو يظن نفسه مصيبا ، بل على من فعل وهو يوقن أنه مخطل .

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي أنها ألحقت مقاطعتي بوسنة وهرسك بملكيتها وأنها صارتا بهذا الإلحاق جزءا منها . قلب هذا الحادث كيان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى ما يراد بها فصرفها عن اقيام بالأصلاح الداخلي ، وكانت بلغاريا سبقتها فأعلنت استقلالها قبيل ذلك يومين ، فكان هذا وما سبقه صادقا بالدولة العلية عن الاهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الداخلية ببله انطارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجئ في عالم السياسة حربا ضروسا تشتعل جذوتها في (ترنوفو) ثم تمتد الى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان ، وتنبأ فريق بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوربا الكبرى على خوض غمراتها ، فيكنّ اذ ذاك من جناتها وكلماتها ، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على ان هذا الفكر والذهاب اليه ليس من باب الخدس والتخمين ، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة الامارة النزقة لحلم الامر وجف القلزم ، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات اخبار الفلج والخلدان

عظم على الصمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستقرب صدوره آخرون ، على أنه لا محل للغرابة فان بلغاريا تتحفظ لهذا الامر منذ أمديد ، وإنما دعاها الى التسرع ما توقعه من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضى عايتها نصف عقد من الأعوام وهي دستورية حرة ، فانها اذ ذاك تخشى أن تعبت بحقوقها ونسبتها بسيادتها فأسرعت الى اعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك الا احتجاجا يتلوه سكوت ورضى ، لانها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب اقل ما يخشى فيها من الخسار ان تقلب الحال الى ما كانت عليه . لا قدر الله . وفي ذلك البلاء الجرم والمصائب العم

إن استقلال بلغاريا يتألم له الصماني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

فان بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولا من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما ننال شيئا من حقوقنا التي اقتصبتها من قبل بسبب هذا الاستقلال الا أن صنع النمسا لمرش منم يقع أو يتصور ، وشر منه أقوالها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكى من العمل !

لم تكده هذه الدولة النهمة تعان الخلق هاتين المقاطعتين بملكتهما حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبأونها يعطون استيائهم واستهجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذيتهم بالفعل وأنت يؤذوها هم بالقول فصمموا على الاعراض عن مشرى سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تحارب به أمة عدوا لها ولا سيما إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الأمة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تغادر الاسطانة كما تغادر بيروت وياقا واللاذقية وغيرها من دون أن تأخذ شيئا أو تعطي شيئا حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك فطفقوا يمزقون مالدتهم من الملابس النمسية على كونها — حال تمزيقها — ملكا لهم !! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا العمل ، فكان لمجموع هذا الاعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في معامل النمسا ومصانعها جدا بالاكثرين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الالحاق ، الذي يخشى ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (١) إلا أن أوعزت الى مستندها في الاسطانة بأن يحتاج على حكومتها !! طالبا منها حمل رعايتها على نذ المقاطعة !! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم أنه انكى من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الخلق بوسه وهرسك بملكتهما وسلبا من الدولة العلية بجهارا وتحظر على الأمة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعايتها على مشرى سلمة دون أخرى قسرا فكيف يكون ذلك ميسورا لحكومة دستورية ؟!! ان في هذا المواطن للعبر ومواضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!

حسين وصفي رضا

هو في الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الابواب

المعراج
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون اقوال فيقيمون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

مصر الخميس ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦ — ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨

الاسلام والملك نيت الحديث (*)

هل يتفقان ؟

اني اخترت موضوع البحث في الاسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية
لسببين : الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية
الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية
الآخري اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطئ البحر الابيض المتوسط
نضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب : والثاني لأننا نحن الفرنسيين نعيش مع
المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لأرباطنا معهم
بمخالج دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليونا من المسلمين ولكن الانكليز
لا يختلطون بهم اختلاطا دائما وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لا يختلط
الانكليز كذلك بأهلها اختلاطا يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوربيون لا يقطنون
سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا
مع العنصر الوطني في مستعمراتنا الأفريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تقدم
على غيرها من المسائل الآخري التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم
لا يكون الاستعمار موطن الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة
تجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس
والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلانطي وخليج قابس

(*) خطبة لموسيو رينيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس
من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد
المصرية بالعربية فآثرنا تلخيصها لقراء المنار لما فيها من الحقائق والانصاف

(المارج ١٩م ١٩) الافرنج ظنونهم بالشرقين والاسلام - الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنًا وأهم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالامم الاخرى قد بدأت تتغير تمامًا وأذكري اني كنت أسمع وأنا يافع ان الامم الآسيوية لا تقوم لما قائمة وانها ستبقى راضحة تحت اعباء الانحطاط والجمود ، وفي الغالب كانوا يلصقون التهمتين معا بها على ما فيها من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لا بد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لانزاع فيها ان الصين أمة جامدة وان اليابان أمة ليس لها الا مدينة سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شئونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم نفسها وان الذين هم في سن موافقة يذكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والقضاء والقدر ولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسها كبرياء الغربيين قديتين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكلن دوت في أقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكمنا عليها بالموت والجمود مظلة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستوراً وهاهي الاستانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعها وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطراً تغير على برنامج دراستهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجديداً من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شئها بئمة الجمود التي الصقوها باليابان وما لبثت أن اضمحلت وظهر بطلانها !!

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي ينتشر ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حد محدود لا تتجاوزها البتة وقد أصبحت هذه المسألة لانزاع فيها ولكن ماذا يقولون اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها ومن ذلك انه أنشأ بقرته الذاتية وبالمهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم الممتدين دمشق

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومتر!! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم ؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه ؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم
فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا اذ ذاك أن نعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدة خلافا لما جبلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم (؟) ومن الأمور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناساً مازالوا محافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين

وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فمن الواجب أن نمد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية وتقودها معنا في طريق المدنية وهذه النقطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم

ان امامنا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فمنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكتب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يهشون للعلوم ويقبلون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة ضالة المؤمن يقدسها انى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

منه الطريقة تصلح لاقتناع قومنا بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها (الاولى) اني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام لسنا بحجة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

منها (والثانية) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يحددون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشرح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلا عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ما قرره الامبراطور بيزانطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

واقده كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان ديناً يتلع الديانات الأخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الآلام والهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطورة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعضع ملكهم وانقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » !!

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقانيم التي نعتقدها الآن بكل سكونة واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الاولى فاحترمت الصوامع ورفعت عن أهام الخدمة العسكرية وعاقبتهم من دفع الضرائب

فلم يكف يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف وملئت
جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف مكل ذلك فقد اعتاض
عن تعدد درجات الادارة بساطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور
ولم يقرر شيئا من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى
على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى
أيضا على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة معا
وبالجملة فقد أتى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات
الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حالة الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد
المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الاسلام
من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الأوروبية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى
في حالة استياء من تسلط الدولة البيزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يعلنون أنهم
أهل التسامح مع مخالفيهم في الدين لا يطلبون منهم الا ضريبة يستعينون بها على
اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تخطيط
دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرهم عليه لأن اسلامهم
يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجز يمكنكم ان تتصوروا كيف تفضت ينابيع
الحياة في الدولة البيزنطية وانتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتشف مع انها
لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الاسيوية اعتبرت
ظهور الاسلام ايندانا بنجاتهم وسعادتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الاساتذة يقررون سرعة
انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

(المنار ج ١١ م ١١) الاسلام ارشاده الى البحث: نبوغ العلماء من اهل ٨٢٣

حرية وان خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها! مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البغال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الاقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

واذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة .

أتى العرب بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إلي انه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منهم من إدراك الاشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟ كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون، نعم كان كل اهتمامهم بكتاب الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — وفطرط تقديرهم للحياة الدنيا نبع فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا شعرا اذا وصفناه بانه أرضي فذلك لانه قريب من العقول يفتديها وينعمها وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تحيط الغرب المسيحي في تماثله وأوهامه وانزوائه!!

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانما يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يبادر الى ذهن الباحث التزيه وهو ان الاسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدينة الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في اسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان اقتراق هاتين الروحين كان وبالاً عليهما معا

كان الباحثون في الاسلام يعتقدون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيكفي ان يدرس مستقلاً عن كل عامل أجنبي عنه للوقوف على قيمته واماكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة أهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفاً عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم وورقيهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبد الرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يا بني ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه من يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساو في حكمك وقضائك بين الفقراء والاعنياء ولا تولّ أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جنودك بالشدة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لا عوناً للظلمة من الحكم . وواجب عليك أن تظل الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بمهوتك ، لانهم مورد حياتنا وحرص على محبة الرعية لك وتعلقهم بك . . . الخ

اني أود أيها السادة أن أسمع مثلاً هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تهملوني بعمل مقارنة تشوه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبنيت هذه المدينة التي أتت بالمدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الاندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم إلا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب " وإذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمراً يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن (موضوع التوفيق بين المسلمين) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الأبيض وفي الاندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتآلفهما

ابتداءً هذا التعارف في الاندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتكم أن مايرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملة لانهم يمثلون « السيد » في قصة الفبا (كورنيل) بطلا مقداماً أعده قومه لمجاهدة الكفار (يريد المسلمين) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لأطوار العلاقات بين النصارى وأمراء الاسلام في الاندلس يعلم ان الأمراء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبناءهم مرض وكثيراً ما كانوا يقدون الى قصور الخلفاء و يقيمون بها حتى يتم شفاؤهم فترون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

لقد لزم مسلمو الاندلس التسامح مع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذي

٨٢٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا (المار ج ١١ م ١١)

اضطحت فيه دولتهم وأخذ أمراء المسيحيين يقصونها من أطرافها فإذا اتيج لاحدكم أن يتجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيدوه في دور اضطحلالهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور لضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستنشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الأمراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هناك يعاقب الأمراء من بأسروهم في ساحة الحرب بالقاتلهم الى كلاب مفترسة تمزق أجسامهم إزباً إزباً

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتها مع الشرق وتعلمون ما استفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لنا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفى كم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى قلقت الكنيسة الكاثوليكية على أبنائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آفتهم وعدوهم اللدود ! !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن نبينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ما تشتريه ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع أمراء أوروبا في

(التاريخ ١١م ١١) الاسلام . أخذ أوربا علمها عن أهل . تعصب أسبانيا عليه ٨٢٧

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الاكثر الى قهر أوربا واعوازاها من
الحاصلات التي تتبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فان أوربا لبثت ثلاث

مئة سنة تقتبسها من الاسلام وكانت المدنية الغربية تنحني ثمارها اليانعة

ولكن حادثين عظيمين أوقفنا سير ذلك التيار الكهر باني الذي كان يحيط

بالبحر الابيض المتوسط وهما : استيلاء الاتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣

واستيلاء الاسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الاتحاد الدينية حتى انك ترى آثار التعصب

الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالنقطة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة

ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الامير يوسف جماعة القسيسين . وفي

رأبي ان تعصب الاسبانيين كان أفظع وأقل عذراً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد

لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يفخر به الاسبانيون والذي يحسبونه بجمل

عصر فرديناند وايزابلا لم يكن في الحقيقة الا عملاً وحشياً برياً لم أعهد في التاريخ

أقبح منه ، خصوصاً وان اماره غرناطة لم تكن تهدد أسبانيا في شيء لاستيلائها على

ما حوالها من الاراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها - ولا

بد ان يكون الا كليروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يمحى هذا الجمال ويزيل

المدنية البديعة خدعة للمسيحية والمسيحية بريته منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم

أخلفوها وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها قتلذوا بمنظرها وظنوا أنهم بعملهم هذا

قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية

كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعوهم زمرا زمرا وحبسوهم في غرف واسعة ورشوهم

بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ! - ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتنصرين

لا يزالون يفتنون طمعوا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آت لا آخر . ومن ذلك

ما وصل اليانا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال

اللفة العربية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الأمر الأخير ان الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرماً لا يغفر !!!
ولقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحكمة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بتهديمها حقداً منه على المسلمين ومطوعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين !!! في هذه الحمامات كان العرب ينتظفون وبها يتطيبون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون المحجرون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدين بربريا نعم لما انفرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوربا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجزء ولكنها تثمر ثماراً غير جيدة هذا ولا تظنوا ان أوربا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوربا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الأجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن أذكركم بفظائع دخول الاسبانين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الأمم الأجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الأخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرأيتم ان اتساع سلطة أوربا وانتشار نفوذها إنما كان باسترقاق السود وتمذيبهم ولرأيتم ان غرضها إنما كان جمع المال لا تخرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفادرة الاسلام لها واقترافه عنها — ولقد بلغ من غاورها في الظلم والاعتساف أنها رأت في بعض الاحياء أنه لا يستقيم لها بلداً الا اذا استأصلت أهلها وأهلكتهم وهكذا فعلت انكليترا في أمريكا

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين ايديهم . ثم انهم تحمّلوا المشاق وقاموا بالأعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يفتحوا مدينة أجنبية عن مدنيّتهم وأن يفتحوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالهم في خطتهم الاولى وشرعوا بتلمسوت خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلين الاصليين ومعرفة صديقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لا يقاومكم على أسباب ارتقاء الاسلام تارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لاننا اذا قصرنا ابحاثنا على ذلك انسدادا أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الاشياء فنجبر بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لتعرف طبيعته واستعداداته للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الامة بالسقوط الابدي وباستحالة يقظتها وارتقاءها لان الامة التي أمكنها أن تنهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين ويهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير أن يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا تقول عنه في المسيحية ؟

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكني أجيب عن هذا السؤال متبعا الطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان ينتحله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء بعيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاس تحسوا بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المسلمون الاولون الاستسلام للحوادث بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثاروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرّون على التخلص منها مكتفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالمبادئ الدينية تفسرها الامم بحسب ماتوحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها أقل نجم المدنية الاسلامية بعد ما أثمرت واينعت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدنية تكفيها نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة : اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السذاجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في العصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها انقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحللها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثلا الى نظام

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة وتشعبت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنشأته في فروعها كافة

واذا أردتم ان تفقوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكش لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا بقيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة تعيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البتة

إني أذكر ان سلطان مراكش السابق قضى حياته في الحروب الداخلية قضاهما على ظهر جواده منتقلا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلا هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تتبعها لأنتج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يكفينا ان تتبع الوسائل النظامية التي تكفل القوة العامة بحمايتها وتحقيق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك — ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة اللينة التي اتصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحيب ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من النظامات التي أنشأتها مدنيتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها أما في دائرة الفكر فينقص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في

٨٣٢ الاسلام . حاجته الى توزيع العلوم . الجمعية الخلدونية (المارچ ١١م ١١)

العصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان يتبع فيما اقتدب له وانه يحضرنى الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الاكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من المدينتين فقلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاهية زاهرة في العصور الوسطى وانها امدت أهل أوربا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كليا في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟ »

ان السبب الذي اراه هو انكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا تتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم معتقدا ان في امكانه تحصيل العلوم كلها ، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكننا ان نخرج من حالنا السابقة فيمكنكم انتم أيضا ان تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

لقد شاهدت بنفسى أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآتست فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هذا المضمار . وكان محادثتي مع علماء تونس وترغبي لإياهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثرت وأتت بالنتيجة المتفاعة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين النبرين دعوها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الأعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استمداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم ثمار هذه العلوم

ولقد سبقني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأكبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفق يسرد الأدلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقيها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فانه وان كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل التمدن الغربي سهلاً فان هناك فريقاً كبيراً يطعن على هذه الحركة ويحاربها . فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لان كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثروا أعضاء هذه الجمعية وصار طلبة مسجد الزيتونة بعد أن يتلقوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يفتدون إلى دار هذه الجمعية فيستشيرون بما يلقي فيها من العلوم الحديثة وان هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدنية .

بقيت مسألة جديدة بان نبحث فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني معبر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بحثي اليوم

ان هناك أمراً يجب أن نقف على حقيقته وهو هل تقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكلت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تقلب علينا وتوجه ضدنا وتم على مالا نرضاه ولا يتفق مع صالحنا البتة

٨٣٤ الاسلام نهضة . ظنون أوربا بها . ما وراء المادة (المناهج ١١م ١١)

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثتكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في نهضتها وهناك كثير من البلاد الأخرى التي حي فيها الاسلام حياة جديدة على ان هناك اعتبارا أشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعوننا الى أن لا ننظر بعين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهوان هذه الحياة الجديدة التي ابتداء يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها أن تقرب بين العالمين المسيحي والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض أن المسلمين يسرون في طريق المدينة الغربية سيرا حثيثا فلماذا نعتبر أن ستكون هناك مدينتان ولماذا لا تقنى المدينة الاسلامية في جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولأن العلوم هي أساس كل مدنية ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لأن العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في أحوال الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون أن العلم يعترف بوجود دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتداء الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك الحقيقة الثابتة وهي أن العلم مهما اتسعت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من دائرة المعلوم .

انه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الأديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة مكتنفا بالمدحشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للظن الذي سعد حظه بان امتد ظله على ضفاف البحر الأبيض تحت سماء صافية الأديم لم تتلبد بالقيوم كما تلبدت سماء بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلاثا في تلك البلاد المتناثية الاطراف ولم تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

(المارچ ۱۱ م ۱۱) الاسلام . اقبال اهلہ علی العلم . مبادئ حكوماتہ ۸۳۵

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة قد تبينه المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن أتخذ من التونسيين برهانا على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انما يتبعون الخطة التي نوحىها اليهم والتي تقصد منها إفراغهم في قالب غربي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الآثار وكيف وفقوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الاسلامية قابلة لمبدأ الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطبغ بمبادئ حكوماتنا الحديثة

ان الحكومات الاسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل بأشكال مختلفة وهذا الشكل هو الكفيل بارتقاها . اتذكرون أيها السادة ما قاله الأقدمون في المسيحية ؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الأديان فلو ان الاسلام اتخذ شكلا من اشكال الحكومات وظل باقيا عليه لا يعدل فيه ولا يغيره لانت موته أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها مسيو جوناك حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدربة وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسمى غرضا من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

الخطبة الثانية (١)

﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أيها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئاً في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالاً ، ولم يغادروا لمن تأخر عنهم متردماً ، فرب فكر فيه أريد ان ألقيه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد علي مسامعكم ، ووجال في مجامعكم ، فقف الفكر ، ويتلثم اللسان ، ولكنتي لم أحضر تلك المجامع ، ولم أسمع شيئاً من تلك الأقوال ، فإذا قلت شيئاً مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكر يحوو ، ورب إعادة ، فيها افادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا بيد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وإرادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط أتدرون ما هي القاعدة النظرية التي يبنى عليها المستبدون هياكل سلطتهم الجائرة؟ هي ان الامة كالجنون أو السفينة أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدير أموره !!!

(*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الالاي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطاباً في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطاباً نثبت هنا ما نذكر من مسائله ولعله معظم كلياتها ولا نزيد شيئاً الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحقونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفيهة كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمرها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، ويكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والعقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ؟

كلا إن ذلك أمر غير معقول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة تقضه ، والتاريخ يفنده ، فقد قرأنا في سير الغابرين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان أكثر الملوك والأمراء المستبدين . هم أعرق أفراد أممهم في الجهل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشدهم فسادا في الأرض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بمجنون الامة أو سفها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ، أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولمن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواه ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويعطي الآخر ما لا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والأمراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعاء في وصايتههم ، المعتدين في ولايتهم ، ليسئون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، وبالقوة القاهرة يمنعونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ممالكها ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يمتت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيت ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفنونها في حنادس الليل تحت الأرض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قراها ، فتزل العقاب الشديد عن اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، فقد كان كل ذنب مباحا أو متساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الا ذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهربون فيها بالاوراق المضرة ،

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذا يحرمون من التمتع بذلك السلطان المطلق ، والتصرف بتلك القناطر المقنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المفصولة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاة الله ظلا ممدودا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطا مستقيما أمامهم ، ألا ترون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بصيد عنكم وانتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرايتم لو أن أحدا همس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وأنتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلا : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافون بينهم في تدبير الحيل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الأساسي ، فها هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول أكثرهم منهم مجانين (مجانين مجانين) بلى ولكن قد علمتم الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الخالصة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الأخير على الدولة العلية ، فما الذي أقدر ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وألوف كثيرة من الأعوان والأنصار ، القابضين على زمام الأحكام ، كانت ترتعد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدادهم القلوب ؟ ليس هو الاجتماع للمطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الأنصار الأخيار من البائسين ، كما كان أكثر العثمانيين ، لما نالت الأمة العثمانية هذا النصر المبين ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوربا وكتابتها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لأن المصير في التاريخ أن هذه الغاية لا تنال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيوف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئاً ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الأمة وظهيرها ، فما عدا مما بدا ؟ أليس قد اتحد بعض ضباطه أهل العرفان والحمية ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحرية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
نلنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بإعلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، وإثبات رشد الأمة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الأمة حقيقة وصارت أهلاً للتصرف النافع ، الذي يحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الأمة العثمانية عسير جداً ، فإنها على اختلاف شعوبها في الأجناس واللغات والأديان والمذاهب متفاوتة تفاوتاً عظيماً

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الامم للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب ، والأرمن أرقى من الأكراد ، والأستانة والولايات الاوربية ، أرقى من الولايات الآسيوية ، وولايات سورية وسط بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن ، وأتينا نرى الاستعداد في سورية ضعيفا فماذا نقول فيما دونها ، فكربنا كثيرا ونحن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الأحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعثر في أكثر المدن على من نثق بقبوله لدعوتنا ، ودخوله في جمعيتنا ، دخل في الجمعية رجالان من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف أحدهما الآخر بذلك إلا بعد إعلان الدستور ، وناهيككم بجماعة أهل بيروت

إن العاقل الراشد إذا منع التصرف في ماله بالقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيع له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه أن يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء (المرحوم محمد باشا المحمد) قسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضياع لتلا تفاجئهم الثروة فيموزهم حسن إدارتها وحفظها ، وغفل عن ذلك كثير من الأغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في إدارة ثروتهم ولا بالتمتع بما تستشرف له نفوسهم منها ، فلم يلبث أولئك الأولاد بعد موت والديهم إلا قليلا ، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا ، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا ، وإذا كانت إدارة الثروة الشخصية لا تصلح إلا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون إدارة الممالك وسياسة الأمم ؟

لا يعجلن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي أراحنا الله من شرها ، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاء في خيرها ، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الأحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لوقعت الأمة

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبته ، وإنما قلت ما قلت لأننا لآنبه الأفكار إلى حقيقة
حالنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الأمة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فإن فيها من الأحرار
المرتقن في المعارف والأخلاق من جميع الشعوب من يرجي أن يقوم بهم هذا الحكم
خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الأمة في
كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل ، وإصلاح حال الملك ، ومقاومة
كيد المتقهقرين ، أعوان المستبدن الظالمين ،

لا تظنوا أن الأحرار الكرام الذين نلنا الدستور بسعيرهم كانوا غافلين عن
هذا ، كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها أن
تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضعه إلى أن يبلغ أشده ويستوي ،
فانشأت لها شعبا ولجانا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والأقضية في
المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان ؛

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لأجل أن تنفذ الشريعة والقوانين
في دائرة الدستور ، ويحفظ الأمن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد
الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الأمة وتحبيب الحرية إليها والآراء والأفكار
النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على التربية المالية والتعليم العصري الذي
يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأتي الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الأسقام والأدواء .
فيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وانه يجب على الأمة كلها أن تساعدنا في سعيها فانه
لا حياة لنا إلا بالتربية المالية وتعلم الفنون العصرية . . .



الانقلاب العثماني *

﴿ وتركيا الفتاة ﴾

٣

تفتن المايين في أكل الرشى ومنع الرتب والاياسة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطة كير ماش اورمانه كوندريورم » أي اني أرسلتك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت الحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتقدمة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعد ان كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار تعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ، تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقروناً بلقب بك صدرت الأرادة السنية بموجبه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار يأثموا الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجبه الأرادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

* (تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

المضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القارىء ان لقبك توجيه جديد ككتب كونت أو مركز عند الأفرنج، وامتلات دوائر
الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم بالعمل الذي هم فيه،
ولم يكن الغرض من تعيينهم التحري على موظف قادر على ايقاد الوظيفة حقها من العمل،
بل ايجاد وظيفة وعمل للمقرين والمتمس لهم أو للذين يخشى بأنهم ١١. فزاد عدد
الاعضاء في شوري الدولة عن اثنين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضوا، وكذلك
مجلس المعارف ومجلس التفيش والمعاينة الضاعط على حرية نشر الكتب وادخالها
وهو الذي محام كتب اللغة كلمات كثيرة مثل: حرية، وطن، اختلال، انقلاب،
جمعية، رشاد، ... كما غيرت أسماء الموظفين من عبد الحيدوسلطاني ونحو ذلك الى أسماء
اخر وبعضها حرفت وكتبت سلتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتي قال
ناظرها الأخير لما عرضوا عليه الميزانية: أولا وجود معاشات المعلمين لا مكتني وضع
الموازنة ١١. فكانت معاشات المعلمين تضايقتهم وهم يريدون حصر المعاشات
بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية
الرسمية عن ثمانين عضوا، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والعسكرية والبحرية
وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والجمعية الشاهانية، حتى ضاقت
المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسي للجلوس عليه ١١. وكانوا
يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

اختلال المالية وأرهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالا عظيما ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب
الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في جباية الاموال
الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتساق الموظفون الى المزاودة
بأعشار الاقضية والاوية، وعدوا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للمكافأة والبرقي،
والمكلفون من الزارع والفلاحين يشون تحت اقبال هذه التكاليف والظالم ولا ناصر
لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقيل كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها المعشرون
وجباة الاموال الاميرية ونصيب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة ، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع أراضيهم وتزوج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويمطوا للحياة ما يطالبونهم به من الاموال الاميرية !! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : ان الاراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها الا بالنسبة لخصبها ، فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبه مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لا ترى الامروجا نضرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المايين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (Budget) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الإدارتين

اختلال الادارة العسكرية بإدارة الجواسيس لها

اختلفت ادارة الصاكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدوث الانقلاب !!
مم ان دول أوربا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة
بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع اولاده وأسرته وجميع ضباط
السفارات الأجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني
الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لطول
مكثه ، فصداآت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال
كبيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر
والمدرعات ، وصار الترقى في المراتب لا يبنى على القدم والاضطلاع والاستحقاق ،
بل على الالتماس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة
في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ،
وكان الضباط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسرة بأثمان بخسة ،
حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حُلَّة (بدلة) العسكري التي تشتريها
الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلّة كان
يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلّة
من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسمسار فيعطيه
هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السمسار مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون
الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصرف) كأنها جرت على القاعدة
والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية
البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في
شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدّة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوربا وخدموا
الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعركة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة
وأشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون
الاساسي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين
شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

باشا الشهير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا وأصبحت قيادة العساكر وإدارة المدارس العسكرية بأيدي أناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل إلا التجسس على أصحاب الأفكار النيرة وإبعادهم عن مركز الإدارة، وكانوا يعدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الإسلامية !!! فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانهامات !! فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويبحثون المسائل ويقترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة ينبذها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم، وما ذلك إلا لإظهار خدمتهم وإثبات تقطعهم ومغالبتهم لنيل المكافأة، والمالين لا يكمل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا، فإذا قالوا: «فلان له قصد سيئ بالخليفة» أو «له مخامرة مع حزب تركيا الفتاة» أو «عنده أوراق ضارة» كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله وإبعاده، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات المملوكية والمسلم يحقّق الخلافة الإسلامية، على أنهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة إسلامية وهي المبرر عنها عند الأفرنج بقولهم «بان اسلاميزم Panislamisme» كما توجد سياسة سلافية «بان سلافيزم Panslavisme» وسياسة جرمانية «بان جرمانيزم Pangermanisme» ولا تجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص بالمصالح الإسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الإسلامية دراسة تاريخية علمية للوقوف على أفكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية، وعلى أحوال العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومقاربها، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية، فقصدتهم من السياسة الإسلامية قناعاتهم بأكل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه بنبى العباس لم تباشر الحكومة أمرا جديا لعمارة البلاد واستخراج ثروتها الطبيعية والسير بها في معارج التقدم والرفاه، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد، بل شاكست جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعليم الأولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلاد الأجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حية أرباب العلم تذرعا بأنها تؤدي إلى الثورة والاعقاب ، فكم نظر الولاة والمتصرفون شذرا إلى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو إلى مدرسة سلطانية أسسها الجماعة أو إلى شركة صناعية أو مالية عقدها الأهالي ، وسرعان ما كانت تستغل ويحصى أثرها ، وكم منعوا الآباء من إرسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية أو إلى مدارس أوربا ، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك ١١

ليس ما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح المرافئ التجارية وتطوير المستعمرات إلا اجابة لطلب الشركات الأوربية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية ، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به فرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز ، ويبقى النصف الآخر بحصافيه في مقابل اتعابه بالذهاب من المايين إلى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة ، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم إلى كبير القلم أو الدائرة ، وكل زيارة تحتاج إلى اكرام و (شوقه خاطر) ١١ . روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مدسكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية ، وانه لم يقبل أخذ حواله على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتعاب ، واشترط ان يكون ذهباً عينا ، قال الراوي فجاءوا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرصعة عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة مصفوفة متوازية مازوزة ، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب ، فلما تم العدد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقيا على فراش الموت (تأمي ؟) يريد هل العدد تمام قليل له نعم ياسيدي تام ، فأخرج الختم من كبسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا ١١ . ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المقنطرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً ، ويويل لعالم الخزانة ان لم يدفعوها ، وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المراكمة دينا عند

٨٤٨ سقوط هيئة الحكومة في بلادها وفي خارجها (المار ج ١١ م ١١)

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يمول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية ، وكان ضباط العساكر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتعييناتهم على قلبها لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقباً عميقاً »

سقوط هيئة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الادارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا اصولاً مرعية لا في سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وانما اصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الامس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية فتجرأ على تهديدها حتى في المسائل الحقة كسأله تونسي دلوران دو التي اوجبت خروج الاسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متلين) ، فصرخ اذذاك « ما رسل سامبا زعيم الاشرار كين في مجلس النواب الفرنسي قائلاً : ماهذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحرروا اساكنا في المذابح الارمنية ولم تتدخلوا فيها لتوجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية » ، والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الامة وارسال الاسطول لحماية نفرين من المراهبين اقرضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأنفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابعية الاجنبية بالتابعية العثمانية .

كان أرباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعين الاسف والاستياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الامة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمحدث باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاعطاً على جميع افراد

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفائها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقر بين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لعدالتكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الاقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مريضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص واردة سنية لحركاتهم الشخصية وفعالهم اليتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العام) فقال : اية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتيت أكلة بفتك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . أبهنا عيش الانسان بغير الحرية ! ولهذا فرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الأمير صباح الدين بك والأمير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

اتحاد الارمن والاتراك في طلب الحرية

شكلت جمعية الاقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثارين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليقتلوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحيات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قاقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التت المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفضائنها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

الذين سببوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، فقتل بلف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديز فانه كفهم خسائر جسيمة ، فعدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفتاة فمقدت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلومان افندي الارمني الشهير وقد تم اتفاقهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاكمة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع وعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلاقية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفات المدارس وجبست المعلمين وقتت التلاميذ ، وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أقفست التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثيل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التعريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذالة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة والعمران ، بل على الجواسيس والجرائد المريدة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولا سيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لايهام الناس ومخادعة أوربا عن احوال الممالك العثمانية .

فمنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز (Passes-port) أوجبا تعطيل التجارة ، كما انت استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقعدان الامن في البلاد وثراكم المحصولات وكثرة المراكبة وقعدان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزروعة الدنيا في عهد المدينيات السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهجرة والنقص أكلا العمل الذي بدى بالمذابح وانتج الخراب البلاد وخلوها من السكان . فجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية وتوقيف انحطاطها - تلك خلاصة المذاكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمعية الاتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وقارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيرها من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الأصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم يعتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخريف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تدخلت الدول الأوروبية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصود ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم . وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته (Comité) فسموا الداخل فيها (كوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم وادعائهم ، وكانوا ييذلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف . وكانت الحكومة المحلية تنهابهم وتلاطمهم وتستبيح رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالاً كاملاً أه حزننا كعنانا ، العبد المخلص الأسعد بالله فاذ . والله اعلم

٨٥٢ جمعية الاتحاد والترقي . نموها . الأمير صباح الدين . سياسته (المجلد ١١ م ١١)

والبوسنة والهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقى في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضم يراد به إلا الإذلال غير الحلي والودد

مالنا لا نفعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه ؟ ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابهم بأن الاسلام يساعد ويحض على ذلك ، ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الاتحاد والترقي قدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ، عارفين بما ينتجه فملهم من الفوائد المادية والمعنوية ، فتشكل لهذه الجمعية مركز في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة يعتقدون بأنه سيصيب بلادهم ما أصاب كريد وولاية الرومي الشرقية والبوسنة والهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على التظاهر بذلك .

الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الأمير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده فاستنار فكره ، وجنح للحرية والاختذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا يعرف بحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التثبيت الشخصي) ولسان حال الحزب جريدة (ترقى) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك كاتب الجمعية . فعدم المركزية (Décentralisation) يقسم إلى قسمين عدم مركزية سياسية مثل مستعمرة كندا الأمريكية مع انكسار . وعدم مركزية إدارية وهو عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية فيها كما أشير إليه في المادة (١٠٨) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الإدارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتثبت الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا منتظرين سيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائما الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الام الانكلاوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللائقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتعرض تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الازدهان كدر من الالمس وخوف من القدر ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ، ونفرة زائدة وبغض وحقد كامنان في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الاقتراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهرا الكوا على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور باو أمر يكاء وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فنالوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالأقرب فالأقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشيتها واثارها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعلماء ومنحو الراحة من الخدمة العسكرية هم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا نصب الانعام على فرد أو أسرة انهم كالفيت المتواصل وانصب

كله في ذرع ذلك الفرد أو الأسرة دون أن يفيض منه شيء على المزارع المجاورة ، وهذا
قال أحد الفضلاء :

أمير المؤمنين قد كنت نفسي ونفسي (أبي الضلال) لها فداء
أحبيه وقتلتنا جميعاً لعمرك إن ذا ملو البلاء
فلا والله ما هذا بعدل ولكن انت تفصل ما تشاء
واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل غبطوها ضبطاً بلا حكر ، و باعوا
امتيازات الأمور النافعة للأجانب فاضروا الدولة بذلك أضراراً جمة ، وشرهت نفوسهم
العجب وتلعت أعناقهم عظمة وكبرياء ، وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع
المزايا الإنسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه
وابعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من أفعال فهم باشا وهو منفي إلى
بروسه الذي أهلكه الأهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كما أشرنا إلى هذه الحالات المتكررة المذكورة ، وإلى قرب حدوث الانقلاب في مقالة
عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في
١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد أن يدل المراقب فيها وحرف كما أراد ، ظناً منها أنها
تخفى وراءها خفيت على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الأستاذة واطلع عليها
المدونون صدر الأمر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تفجر منه فوهات
في عدة جهات ، لأن بقاء الحال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً
وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوربا والشرق الأوسط والاقصى . وتمادى اختلاطها
بالعالم المتمدين بجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الأجنبية على
شواطئها ، ومشاهدتنا صور السينماتوغراف وسماعتنا أصوات الفونوغراف ، وركوبنا
الترام والكهربائي والجواري والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الأمم
وامتزاجها ، وأصبحت المسافة بين الأستاذة وباريس أقل من ستين ساعة بعد أن
كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية
أو في المدارس الأجنبية التي افتتحها الأوربيون والاممي يكون في الشرق رغم من الحكومة

المسلمين من دخولها والتضييق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ، أو في المدارس الخصوصية التي أسستها طوائف الروم والارمن واليهود والبخاريات ، فقامت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية ، وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ، وأدركوا محل الخلل ، وصار يخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم من مشبعون بفكر الحرية ومتخلفون بالاخلاق الاوربية والحاسة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجوال المستبدين بالامر ، فضيقوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهاداات كثيرة شتى كالغني والحيس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الاوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلما حدث الانقلاب في ۲۴ تموز (يوليو) وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستأون حتى المستبدين انفسهم والمستبدين من الحال الباضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لان كل منهم كان يتطلب اكثر مما ناله ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكن اذ ذاك مدهشا دمويا

انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ۲۴ تموز

تسمى لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلانيك اخفاء أمر هامة ولكن رأتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاخفاء ، فاحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المايين ، فأرسلت الجواسيس من الاستانة فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم لوطن ، وعينت فدائيين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائم ناظم بك قومندان مركز سلانيك يقبل بمحموده في كشتة لسرار الجمعية فذهب اذ ذاك الى الاستانة ليرضى معلوماته ، ورجع منها ناظلا في قريش ضما على رايته فزاد اجتهاده وتحريره ، وطلب تانية الى الاستانة وبقيا كان على

أهبة السفر اذ فوجئ بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة بجروحا وحضر بعد ذلك الى سلا نيك صادق باشا وماهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا وبعض الياور ية وعدة من موظفي الملكية ، ونظموا دفنرا باسماء كثيرين من المتهمين بعصوية الجمعية ، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم ، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام اركان حرب والبيكباشي نياز ي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من المساكر الوطنية وذهبوا لناعية (رسنه) وهي في الغرب الشمالي من مدينة مناسر على مسافة ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البيكباشي صهر ناظم بك قومندان سلا نيك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعة الذاتية

ثم قتل في سلا نيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلقا عظيما وطلبت مني الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال ، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش !! وبينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير ، وهرب الجارج من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته ، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (مترو يجه) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وقابورا من المساكر وحضر على القطار الى سلا نيك ومنها الى مناسر وذهب تو الى إدارة التلغراف لخبرة المايين ، فخرج عليه أحد الضباط وقتله ، وامتنع من معه من الضباط والمساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من مساكر الاناضول . ولما وصل منهم إلى سلا نيك الثلاثة توأير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا ، فأحس المايين بأن سوق عسكر الاناضول الى الرومي إثناء لقوة الجمعية فأوقف ارسال بقية مساكر الاناضول الى سلا نيك ، ثم اجتمع في (فيرزو بك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلا نيك

(المآرج ١١ م ١١) اعلان الحرية بسلانيك . خلاصة اسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات مختومة بختم الجمعية أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبيوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلانيك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طنّف (بلكون) فتلق (أولمبيوس بلاس) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك بحبيب محرر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المختصة (فوق العادة) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فليحي الامة » ، فليحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسلية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé
وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قاللك أي أهل وطن شان كوناري كلدي »
وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلمي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدر الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا ، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

(١) المآر : هذا البيت من أبيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالمرية
ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد وافي

(المآرج ١١) (١٠٨) (المجلد الحادي عشر)

الملكة كما حصل عند باقي الأمم من الإنكليز والفرنسيين والأمريكان والمجر والروس وغيرهم، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تبت الحرية ما لم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسمونها الاخرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويمنع عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالانقلاب لم يضع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع انقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الملكية حتى اتصروا سافريق من الناس وقتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التقدم والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات اصنف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الانقلاب الفرنسي وحرروهم من حقوقهم المشروعة على زعمهم واعتقادهم ، أما الانقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقا فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكار « ») المعروفين عند الاخرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة التي تبعد التكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضمانا ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيرا قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من احسن قوانين الدولة وضما وترتبا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضيع وغير المسلمين « لهم مالنا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(*) المنار : يراد بكلمة (دره بكار) في التركية اصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

الفتح للروم وأقرهم عليها والامتيازات الأجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الأجانب تفضلاً منهم واحساناً لا يجرب وغلبة فسيجري الاتفاق عليها بصورة حبية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الأفراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الأمة والدولة بالباطل ، كما يعترف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وفائدته ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعد على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الأمة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الأمة ان تلقي على قارعة الطريق جماغيروا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا ينقدونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لثم سعادة الأمة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلق في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة (Réaction) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تجعلهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اهـ

افتتاح مجلس المبعوثان

❖ ثلاث خطب ارنجالية في الاحتفال به ❖

بطرا بلس الشام ❖

خلاصة الخطبة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهتكت بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين وانني
لاهنك بأمر عظيم ، أهتكت بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول
في في ، وأحبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار يصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة .
فلا اجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المولفة من جماعات بعضها أكبر
من بعض أدناها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي
متهى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

(*) احتفل بطرا بلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيتي
الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام
الهيئين ثم في نادي جمعية الاتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الاب يهرب من ابنه والابن يفر من أبيه والاخ يفر من أخيه خوفا من تجسس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والمآتم مخوفا ومهددا في دار السلطنة !! منع الاستبداد النازي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة « المحاضر » وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواثر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالأفراد الذين يمنعون من أضمر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرقى أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد يحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فهذا الاجتماع يحقق تكوين الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فانت ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الأديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثما كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين متمزجا بعضهم ببعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة متمزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر اصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم انني أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنقيدها فيقروا ما يشاؤون ويغيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من المتصرف الخ

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم ، وانما كان هذا من الامة فهي التي انابهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الاعلى وجميع الحكام من اعلامهم الى أدناهم مستأجرون لها بما لها لاجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح العمومية ملزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الامة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الامة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كعلاقة الدولة مع الدول الأجنبية وليس منه ما رأيناه من تجبر بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة للإلزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا إلى ما فيه خير الملة والامة .



خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة الشامية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الامة ودوام الدستور ، سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئي من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيره وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراة حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسوئي بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من الألسنة متدقا عن القلوب ،

(المار ج ١١م ١١) مجلس المبعوثان الأول . الفرق بينه وبين المجلس اليوم ٨٦٣

انني أدعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خيرا من البداية فاننا لا نستقني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولكتي أدعو وأنا ممثلي القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلا بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الأمة الأول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملاما ، بل كان بردا وسلاما ،

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جدا ، ان ذلك المجلس لم يكن بسمي الأمة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا أبي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم ألزموا السلطات بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منعقدا ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من ابطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الأمة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه ويعضده ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقى اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا متصرفين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؛ انها هددت المبعوثين ذوي الجرأة وأنذرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تأليا للناس ويحملوهم على المطالبة ببقاء مجلس الأمة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الأمة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما

أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواما بأقوام ، فقد نلنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسمي احرار الأمة النابضين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

(١) كلمة تركية معناها : نعم ياسيدي

لا يسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ما أصاب مدحت باشا وأخوانه من نفي واغتيال فيذهب الدستور ومجلس الأمة ويموتان بموتهم . كلا إن من ورائهما ذلك الجند الباسل الذي ساعد أحرار الأمة على نيل هذه الرغبة ولولاه لم نصل إلى هذه النعمة من غير خطر على الدولة والأمة ، ومن ورائهما أحرارنا المنبثون في جميع الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوربا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدّها بأساً وثباتاً في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولتك القائد الألماني الشهير الذي نكل ذلك التكيل بالفرنسيس : أعطوني مئة ألف جندي عثماني افتح بهم أوربا كلها . ولكنهم كانوا يقولون إن هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون . والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وتربوا أعلى التربية وهم الذين كانت تطاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفاً أن يقضوا على استبدادها حتى شئت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم المهاربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الأمة وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا إلى أخوانهم العاملين في الجيش وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الأمة بروحه وي بذل دونها آخر نقطة من دمه ؟ كلا إن العارف بحال الدولة والجيش وبما أتته جمعة الاتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الأمة لا يخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من الخارج ، كنا نخاف أن تقوم في وجهنا أوربا فتفسد علينا عملنا وتضطرنّا إلى الدخول في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد لقينا من الدول الأجنبية ميلاً وانعطافاً عظيمين إلا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك إلى أملاكها ومن إعلان البلغار الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة والله الحمد والمنة ، بل رأت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الأمة العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت وتود إرضاء الدولة العلية

(المار ج ١١م ١١) اقلاقل . إمكان منها . مجلس المبعوثان . أعضاؤه ٨٦٥

أما المشاغب الداخلية التي يجر كها في بعض الولايات انتصار الاستبداد من حزب
التقهر كالعراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فإذا قام مثل طالب الرفاعي ،
يثير حربه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة
على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له ، ولا يعجز الحكومة الحرة استئصاله ، فان لديها
من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يعجزهم التكيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا
قبله بذلك الشقي الكردي ، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات
العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويعجز المبعوثون عن القيام بما
نيط بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، واني أصبح بأعلا صوتي ان هذا
الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قبل
من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى لقبوا بكلمة «أوت
أفندم» لخضوعهم لما يراود منهم - على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء
حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة
بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والأفكار بالرغم من اضطهاد
الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها بنوع الكثيرين من رجالها قد انتصرت
على الاستبداد وهو - كما قال الاستاذ الامام - في عنفوانه ، والظلم قابض على
صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد

نعم ان مجلسنا الذي نحتفل بافتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين
وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم
والدين ، واني أرجو - كما يرجو كثير من محبي الاعتدال - ان يكون تأليفه من هذه
الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النفع وأبعد عن الخطر فاني أعرف
كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الإصلاح ، وقد يكون من المستعجل
الزلل ، ومن تأني نال مآقئ ، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تخلو من
خطر أو ضرر فان خاب الامل (لاسبح الله) وضعف المجلس عن الإصلاح المطلوب

(المار ج ١١) (١٠٩) (المجلد الحادي عشر)

٨٦٦ جمعية الاتحاد كفالها الدستور . خطبة صاحب المنار في ناديها (المنار ج ١١ م ١١)

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالها الدستور تسعى عند الانتخاب الثاني وتجتهد في جعل جميع الاعضاء أو أكثرهم من نابي الأمة ونحمد الله ان في أمتنا من النابيين ، من يشهد لهم بالفضل والرفقانة ماسة الأوربيين ، ناهيك بأولئك الكرام الذين أحدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي أدهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال

من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الأمة في زمن قريب فان التدرج سنة إلهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطلبها العقلاء ، وإنا واثقون — مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه — بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ، ما تقتضيه مصلحة الأمة في حالها الحاضرة ، آمين

خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الاتحاد

انا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للأمة العثمانية أكبر عيد ، كانت أسباب سرورنا في الأشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ أعلن الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلا أو نهارا للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالأوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحرارا لا يمننا أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الأعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالا لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقه أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا — كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور منذ أعلن الى اليوم معناها ساي تفسر بلا لا لا

في هذا اليوم يتبدى المنافع الإيجابية فقد اجتمع وكلاء الأمة الذين أنابتهم

عنها للقيام بما يعزز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينمي ويزيد مع الأيام والسنين الى آخر الدهر ، اننا نهني أنفسنا بأن الامة قد صارت منذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؟ يجب أن تُعنى بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحلية بالمعارف والاخلاق التي تعزز بها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلاً لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن نتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا تتكل على الحكومة في عمل من الأعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم مناعون ومساعد على ذلك ، وأن نتولى نحن سائر الأمور التي تحتاج اليها الامة كثرية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمدد لهم خطوط الحديد ، وان اتكأ الامة على الحكومة في كل الأمور العامة صار منذ اليوم من التناقض أو مما يستلزم التناقض ، فبينما هي تتمتع بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لأمورها اذا هي تبتأ من كل عمل لها وتلزم بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بما لها للقيام بأعمال مخصوصة لا تستقي الحياة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارتهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الامرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة قيمته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

٨٦٨ تربية الامة . كفالتها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبهما (المنارج ١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي ثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصبح أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامعة ممتدة اليها ، وراثتها ناشبة باطراف جسمها ، فغرموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ما عملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الاصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المنال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الاصلاح في الأثم لا يأتي الا بالتدريج وهو انما يكون أولا بنموغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الامم الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويجي الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه (الدافور) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراءه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل (الدافور) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه همتنا وعنايتنا اليه ، ونعول في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكثران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، وولنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وما ينذر بها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاء

(المارج ١١م ١١) وجوب اعتماد الأمة على نفسها . قيامها بذلك بالجمعيات ٨٦٩

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق يشاء » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوفها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور الحزن ففقد ألسنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم نجتهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويحيي بعدهم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الأمة فان التاج والنماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها

يوجد في أكثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار المصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الأمة ان تقدرهم قدرهم وأن تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الأمة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الأمة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الأمة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الأمة نفسها

كيف تقوم الأمة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هلم اعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبكم ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأني برهان أقيمه لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بذكره بألسنتكم

لا ينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الأمور العامة الا بالجمعيات فعلى ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئنا المدارس والكتاتيب ، وان نعصدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعزبها الأمة

ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

٨٧٠ العراق خصبه في الماضي وموته الآن . الحرية . فوائدها (المار ج ١١ م ١١)

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وانمي زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين (دجلة والفرات) التي قال هيرودس أبو التاريخ انها كانت تؤتي غلتها من مئة ضعف الى مئتي ضعف أي ان الشبل (كالاردب) من القمح كان يغل لصاحبه مئتي شبل . أيجوز ان تبقى هذه الأرض التي لا نظير لها خرابا لا ينتفع منها بشيء ؟

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احرار لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستقل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سمعتم من بعض الخطباء كلاما في الحرية فمن لي في هذا المقام أن ازيد شيئا وجيزا على ما قالوا فان المجال ذو وسعة

الحرية تقابل الرق والعبودية فمعنى كوننا صرنا احرار اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادرا على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزا عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والأعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا ان نكون اناسي وبشرا يتمتعون بحزايا البشر . يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلا ومستمرا ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حياة عراة في صحاري أفريقية وجبالها وفي بعض جزائر المحيط وبين هؤلاء الذين

(*) ذكرت لهم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعا باستبداده فقال له انه ذكر بخطب أنني فسألته ان يهرها بضعة خربة فقال لها اني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضيعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندنا بحيث نصير أرض الجزيرة ميرا للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي ينقل من الخارج

(المناج ١١م ١١) المدنية . استعداد الشرقيين لها . معاكسة السلطة لهم . الحرية ٨٧١

يخاطب بعضهم بعضاً بالقول والكتابة بواسطة الأسلاك الكهر بائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم ونتائج المدنية الغربية ما وصل أهل المدنية العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة الا بإطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج النكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور العادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعداداً للعلوم والأعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تغطي نور فطرتنا ونحجب على استعدادنا فلا تسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً)

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محب الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا نجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليفة ليخترع شيئاً ينفع الامة اسراً له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على إظهار أثر علمي أو عملي يرقى الامة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ما تعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية ! هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشراً ، لا غنماً ولا بقراً ، فلا تتفان من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والأعمال التي ترقى بها الامة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا باتباع الشهوات ، واتباع الفواحش والمنتكرات ، ولهذا كانت الحكماء ومحبو الانسانية ينادون الحرية ، ويبدلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غرو فهم العالمون بالاسرار الالهية ، المودعة في الغرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأحب ان أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وانما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالغني والفقير ، والصملوك والأمير ، والعالم والجاهل ، والنبه والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والثياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والأخلاق ، هو الذي مكنهم من القيام بما ترون من الآثار والأعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن القاديين لوضعه في النار وهذان العمالان من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايتم من كان مستهدا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل تتوجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يمدفه في النار ؟ أو تتوجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وانما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

باب التدریس فی الستانة

❖ اصلاح التعليم الديني في الستانة ❖

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الستانة ان طلبهم قد أجيب :

- ١ — تدریس التفسیر الشریف بتقریر معانی القرآن الحکیم الظاهرة وأسباب نزوله و بیان الناسخ والمنسوخ وتطبیق ذلك علی القوانين الفلسفية
- ٢ — تدریس الحديث الشریف وان تكون مدة تدریس البخاري أربع سنين
- ٣ — تدریس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانیده
- ٤ — تدریس أصول الفقه و بیان قواعده الكلية وتقریر تعالیمه وقرعاته وتدریس الفروق فی القواعد والاصول بین المذاهب الأربعة
- ٥ — تدریس الفقه مع بیان القواعد الفقهية والفروع ، وماخذ ذلك من الأدلة الشرعية الأربعة مع إيضاح الحکمة الشرعية فی ذلك وفلسفة الاحکام
- ٦ — تدریس التاريخ الاسلامي
- ٧ — تدریس تواریخ الاديان المشهورة
- ٨ — تدریس السيرة النبوية بالتفصيل
- ٩ — تدریس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدریس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الالوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به
- ١٠ — تدریس الدين الاسلامي وبقية الاديان : وذلك بتدریس المقایسات بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الاديان وقواعدها

- ١١ - تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ - تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ - تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ - تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ - تدريس علم الروح
- ١٦ - تدريس التاريخ العام
- ١٧ - تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ - ايضاح تشبث المسيحيين ولا سيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبهم
- ١٩ - تعليم القاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

باب الحكمة والآداب

رحلة صاحب المنار في سوريا

(٢)

القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زارني في أثناءه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستمعونني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر افراده من الشبان والكهول والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلاثه ونصفه بين القلمون وطرابلس وأكثره من الشيوخ والنساء والاطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فامتلأوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حلقة الفينا فيه نفرا من شبان طرابلس

فهيرونا بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابهم من معنا بمثل تحيتهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لهي بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا . وكذلك فعلوا عند ما اشرفوا من راية وظهر الرويات ، على القلمون لا يذان من بقي فيها قدومنا وعند ما وصلنا الى دارنا ايضا لأنه من قبيل سلام المفارقة . وقد ذكرت هذا لأنه من العادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن يحمل بعض نسائها جحامر العود الهندية وغيره من البخور أمامي من طرابلس الى القلمون وكان فيمن خرج للقاء ممن بقي فيها من يحمل الجحامر أيضا . وقد راعني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتعسفون الطريق ويتسلقون الروابي بين الاشراك والحجارة ، تبعوا في ذلك آباءهم وأمهاتهم وأخوتهم وأخواتهم وكان النساء يغنين ويرغردن ولهن في ذلك أغاني مناسبة للمقام ، وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب ان النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يصرين بالدقوف ويتشدن الاناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج للقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسمين وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى الى طرابلس اكثر من واحد من هؤلاء المصريين . وأهل القلمون يعمرن لا اعتداهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالخمر لا تدخل القلمون ولا يشربها أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها والله الحمد والمنة ، وهاتان الكيرتان هما افتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ (هو الحاج علي طوط) عن سنة قتال : أربع وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غلما وربما يجيئه قبل

طلوع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كئذ الأيام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر (هو السيد عبد القادر علي) عن سنة فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها أنه كان ملاحاً في البحر فجاءه مرة علي طوط ليميل معه عمل البحر فلم يقبله لأنه صغير لا يستطيع أن يحرك الجنداف . فالظاهر من هذا أنه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الأولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالعزق وشبهه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرجين في مصر وغيرها الذين يزّين لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولو علقوا لعلوا أن البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى أن أكثرهم ليتناول الأدوية والعقاقير والمياه المعدنية لأجل إصلاح المعدة والمعى وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فإذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على أنه قلما يشيخ منهم أحد !

ومما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين أن أهل القلمون كانوا بهدي بيتنا أبعد مسلمي بلادنا عن البدع كما أنهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الإرشاد فيهم إليّ رأيت عندهم من البدع أنهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيباني الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الأمهات وثانيهما قبر بني حديثاً عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا يربطون بهذه العليقة خرقاً صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثاراً لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذاك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظمهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالاً وصار من يزور القبور منهم يكتفي بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكير في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لمن مكاناً أعظم وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكنّ أسرع امتثالاً من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت أختلف إليهم في بيوتهم وأذكرهم أنه استعصى واحد من البلاد الخاملين فأمرت الشبان فسحبوه

سجبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعده مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضروه كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين

على هذا تركت القلمون عندما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهدي الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المعتبر الشيخ عبد الباقي الأفغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما ذكر سفره له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ، ولما عدت اليها في هذه الايام علمت انه قد قتل كثير من أهلها فتركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على بيتنا من أشقياء طرابلس فأغراهم هؤلاء بقطع الأشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم يحمونهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضربوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الأشجار من بعض بساتينا وكرومنا ، ونحمد الله ان كان هؤلاء المغرورون قليلين ، وأن كان أكثر أهالي لهم ولمصليتهم من السكارهين ، ونحمد الله أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر ونضال في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والأطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضعفاء والمرضى والمُخدجون يتمسكون الشفاء مني باللمس والرقي وكتابة النشرات وما يعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأيي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحثهم على المداواة الصحية والتداوي ومراجعة الأطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث

٨٧٨ القلعة وصاحب المنار شيخ الطريق . دده والكورة (المارح ١١ ١١٢)

الواردة في الرقي كحديث إقرار الذين رقبوا المدوخ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسرقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير ، ولا يتم ولو مع الإرشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى أن لا يجعلنا فتنة لأنفسنا ، ولا لمن يحسن الظن بنا ،

قلت مرة لعبد الرحمن أفندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا أن نجعل بعض محبي الإصلاح المتخصصين بالكتاب والسنة شيوخا للطريق لأمكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخنا لطريقة من الطرق . فقال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلا من المصلحين المستيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعهم وخرافاتهم ويهديهم إلى طريق الدين السوي قبل بعد إباء وفور فلما رأى إقبال العامة عليه واعتقادهم صلاحه وبركته قن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سببا لضلاله بدلا من أن يكون سببا لهدايتهم وخسره خسارة لا مطلق في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المار)

حدثت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية فتاب الناس توبة يغلب على ظني أن أكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الأصرار على الفساد إلا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت إليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم بجمعة عنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعة التعاون التي سميت بتأسيسها في طرابلس

دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تفد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا إليها كرئيس دير البلند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالأغاني فتلقاهم

(المار ج ١١ م ١١) احتفاء أهل دده والكورة بصاحب النار . خطاب السلطان ٨٧٩

شبان القلون في خارجها وأدخلهم باحتفال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي إن من الرسوم المعتادة في ذلك أنه لو لم يخرج شبان القلون للقائم لادخلوها لأن ذلك يعد من الإهانة في عرفهم . وعند وصولهم إلى دارنا تحلقوا أمامها وطلقوا بهزجون ويطلقون العيارات النارية إلى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكوريين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الأمير علي عبد الرحمن الأيوبي وجميع الأناشيد التي هزجوا بها مناسبة لمقتضى الحال ولعل أكثرها الرعجالي فانه في الترحيب بالقادم (صاحب هذه المجلة) وفيها إطراء له بالأعمال السياسية والعلمية وقد ذكر بعض القوالين المسلمين فيما أنشده عبارة منها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه وفاق له من النصارى بعبارة منها انه ليس لكم وحدكم وأنه قد طبع لنا الأنجيل يعني بذلك الأنجيل برنابا !! وقد أضحكني هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بالأنجيل برنابا . فحبذا هذه السذاجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حدث عليه أهل دده هذا جميلا (للرجلة بقية)

خطاب السلطان

في افتتاح مجلس المبعوثان

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته موضع الاجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطراب الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجي » عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ، وقفت عنايتي على ايجاد الرقي في جميع أنحاء بلادي ، وفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا و بناء على الرغبة التي أعلنت ولأن هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تردد — رغم الذين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور

ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تفسير طريقة الحكم الإداري أسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا .
وبينا كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته شاكفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الرومالي الشرقية عن حدود الأمانة لسلطنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنة والهرسك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بمعاهدة برلين . فابلت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثان العظيمان اللذان يخرقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفا عظيما

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الامل انه مع معاونة الدول صديقاتنا لحل المسائل السياسية

وانا نود من جميع الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلطنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلاغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها

وعلى أمل ان مبعوثانا سيدلون كل جهدهم في هذه السبيل نعلن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومنتهى متمنا سعادة الأمة ونجاحها وأقصى رغبتنا وأكدها وعزيمتنا الثابتة التي لا تغير ان تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها
(المار) : بعد ان تلا رئيس كتاب المارين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه الجملة بصوت خافت « انني كثير السرور برويتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكلل أعمالنا بالنجاح والتوفيق » ولقد كان للخطبة وقع سيء في الامتانة وانتقدتها الصحف ثمة انتقادا شديدا

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يلي ذلك إلا أولو الألباب

المجلد الحادي عشر
١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر — الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ — ٢٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩)

خطب ودروس

(صاحب المنار)

في هذه الديار (٥)

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والتربية وهو سورية فاني نشأت
في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في
طرابلس . ووطن العمل وهو مصر الي أقمت فيها إحدى عشرة سنة أدعو الى
الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي واقرأ الدروس واعمل في بعض الجمعيات .
ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة
وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء ولأختبار حال البلاد بعيد ان اشتدت عليها
(٥) نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني البيروتية الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الإصلاح والترقي في التبيه لما يجب ان تتوجه اليه اللهم .

زرت بيروت وطرابلس والقلون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت الى دمشق الشام فبطلت فحمص فطرابلس . وقد أقيمت في أكثر هذه البلاد خطباً ودروساً وجرى لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوقفت على ما أحبت الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم المصرية التي عليها مدار ثروة الأمة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاستداء بالكتاب العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه أفضل الهدى وطريقه أقصد الطرق . وينت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والأعمال

(٣) أما العقائد فينت انت الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون منها مخرجاً . ذلك بأنها لم تؤولف إلا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما بينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب (الجوامع العوام عن علم الكلام) وفي غيره من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال عليها يبدع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيتمتع في تعليمها على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

٢٠٩ مقاصد خطب ودروس صاحب المنار . الراجيات الاجتماعية (المنار ج ١٢ ص ١١١)

الصالحات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة ، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهديهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الأعمال كالوضوء والتيمم والصلاة والحج فقد بينت أنه ينبغي أن تعلم بالعمل كما ورد في الأحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » وإذا قرأ الإنسان جميع الكتب ولم يلق الأمور العملية بالقراءة فإنه لا يحسنها على أن الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب أن هذه الطريقة هي التي يمكن تمسيها في مدة قليلة ترجى فائدتها ويظهر أثرها وأنه من استطاع أن يعلم الناس كلهم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل بالطريقة التي قد رخصها لا تكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكني أرى أن من المتعذر تعميم تعليم هذه الكتب فلنبدأ بالمكن الأسهل طريقاً الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لإنشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الأول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم ولاعانة المنكوبين والمهوزين عند الحاجة لتكون طبقات الأمة متماطفة متراحمة يحترم فقيرها غنياً ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي على إتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الإدارة ، ومن بث الآراء والأفكار التي تنفع روح محبة الدستور والحفاظة عليه في قلوب طبقات الأمة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الأمة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاة الدول التي توأبها ومعاداة الدول التي تعادها ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائعها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فإنه لا شيء يهم أوربا من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا

(المناج ١٢م ١١) مقاصد خطب ودروس صاحب المنار واجبات تحقيق الوحدة ٩٠٧

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها واعلان البلفار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلفار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقته في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقيتها امام الكتبة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الامة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقيتها في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) يان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، ولفت الاذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الامة العثمانية واشتراكها في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتعمر بلادها، وهذا الاتفاق والائتام من نتائج التقارب في التربية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والاساءات العاقبة وخيف ان تساعد أوربا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٠) تكريم الشعب وتنبيهه الى انه أهل لكل مكرمة وكل خير ، وان العامي اذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورغب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا ينفق الامة بفضائه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثيرا من الفقراء

يمكنهم ان يبذلوا شيئاً قليلاً من الصدقة على قدر حاجتهم للجمعيات الخيرية وبذلك يعدون من خدمة الأئمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامي :
هذا يفهم فهماً اجمالياً ، وذلك يفهم فهماً تفصيلياً ، وقد رضى بها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في اندهامها ، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقها في المساجد : هل انتقدتم عليّ شيئاً فاتقي العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ما سمعوا مستحسنًا عندهم غير متقدّم . ذكرت هذه الكلمة تمهيداً لما يأتي

حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العثماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها اني سافرت من الشام ليلاً والصواب اني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدّع في مجلس الدرس اني قلت شيئاً وأخطأت فيه وإنما تكلم كلاماً مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام بأثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فأيّاه أسأل دون أولئك الأتوف التي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئاً مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذ به الله على الذين أوتوا الكتاب « لينتبه للناس ولا يكتُمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة في وعيد كاتب العلم

كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم تعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني اني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون اني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لقد العلماء وأنشر كل ما يرد علي منهم في ذلك ولا تتسع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وإنما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيها بعض الناس بسوءنية وبعضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشبهون عنا الا باطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني اني أطلب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ! وربما نظرف من يستبيح الكذب لأرضاء هواه فزعم اني أطلب في الأئمة المجتهدين ! . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطلب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال لقصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم اني أعني هذا بالترغيب في الاهتداء بالكتاب والسنة فهو مخطئ . فأنما أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويثبت روح الدين في نفوسهم ، وأطلب المشتغلين بالعلم ان يعنوا بفهمها ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ للدرس كتب المذاهب كبعض طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراء بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! . وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه ان يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وان يبذلوا جهودهم بإرشاد العامة بهما كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : اني لم أنكر زيارة القبور وإنما أنكر دائما ما يكون عند زيارتها من

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة المجتهدين ، وأقول إن حب الصالحين والأولياء المقرين من الأحياء والميتين إنما ينفع ويكون وسيلة إلى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله وتوحيده بترك المعاصي والعمل الصالح مع الإيمان الصحيح والا كان غرورا . ومن الغرور الذي يمنعه الإسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد أنهم يستجيبون لمن دعاهم ، وإن لم سلطة غيبية وراء الأسباب والسنة الإلهية يفعلون بها ويضرون ، ويعطون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وإن سميت توسلا فإن الأسماء لا تغير الحقائق

وعما يتعلق بهذه المسألة بحث الكرامات والتي لم أنكر جواز الكرامات ولا وقوعها ولكن بينت أنها لا تكون مخالفة لسنة الله تعالى في خلقه بتغيير أو تبديل أو تحويل لأن الله تعالى أخبر بأن سنة لا تبدل ولا تتحول . وأنها لا تكون معتادة كأنها صنعة يد الولي بل قال في الفتوحات أنها لا تتكرر فإن المكرر يكون معتادا لا خارقا للمادة وغير ذلك من الأغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل . وحذرت عوام الأئمة من الدجالين المخالفين الذين يدخلون عليها التلبس من هذا الباب . فمن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد السادس من المنار ففيها بضع عشرة مقالة مطولة في الكرامات . ومن يدعي أن شيئا من كلامنا الجميل هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فعليه أن يكتب لينادعوا مؤيدة بالدليل لنشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

باب المراسلة والمناظرة

﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارخ الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده
الله وسدد مسعا

السلام عليكم وبعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العثماني من اجمال وحلتكم الى سورية
فتمنيتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احسان
وشعور من تنبيهكم للتعاون على البر والتقوى والتعاضد ماديا واديا والسمي في
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفكرين أن يكون وعظهم وتعليمهم مؤسسا على
الكتاب وما صح من السنة نقيا وعقائدا وآدابا فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية
قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد ابغتم
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة
والجماعة ولا يستقله الا جاهل او حاسد فنشكركم على تلك الهمة والحزم السديد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الان اماما احاتم
عليه في مجلدات المنار فمع الاسف انني الى الان ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان
حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جليلة من
الاجمال المسطور في الاتحاد العثماني وقد اكدتم على أهل العلم ان يكتبوا لكم مظاهر لهم فانكم
طوقتم أعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مسطور
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كالم الانصاف والرجوع الى الحق الذي
يتبين لكم فنقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنة الله تعالى في خلقه بتغيير
أو تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بأن سنه لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تعنون

قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للأسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبياؤه ومن قفاهم ، وخذ لانه لا عدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه « فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبدل سنة الله التي سنّها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال اولم يسبوا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بعموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا أب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان نقول نزوعا بالآية اعتباراً بعموم اللفظ عموما لا ينقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجبني ما كتبه صاحب الحجة الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بعد اشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السارون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقيهم وقد قضى بان تلك سننه ولن نجد لسنة الله تبديلاً اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوفاً توسيع الطرق على الراقع من جهة العامة فسد الذريعة من اصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقاً للعادة باذن الله وجواز ما يعمل من البدع في زيارة الاولياء والعلوي الاعتقاد . وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفراييني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرطان لا تتوالى وتترادف ترادفاً يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكاناً وسنة ، لا في عوارضها وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأمالوا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطبيعيون بالمرصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بعدم خرق العادة فيا بشراهم ينون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهبيهم انزال الخالق جل جلاله عن التصرف في العالم استغناء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال والله تعالى التوفيق

محمد المسكي بن عزوز بالأسنانة

(المار) اننا لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقع بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العثماني مجملة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إيجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأساً لأننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق

(المجلد الحادي عشر)

(١١٥)

(المار ج ١٢)

وفي عد كبير من علماء الدنيا إياها شبهات على الدين ومنفرات عنه فقصي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١هـ ما نصه (ص ١٧) « أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها أنها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلاً متواتراً اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فعلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصونة من انكار المنكرين » واعتراض الواهين » وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان ناقصاً » اهـ من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد (ص ٥٥ م ٦) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن الكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة في كون المعجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للانظار ، أو خداعاً للأبصار أو الافكار » وهذا نص السادسة :

« قد كشف العلم أسباباً لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع

لا تنفاس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن ان يؤل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجهين : حال من ظهر على يده وامكان قيامه على غيره ، ثم ينادى ذلك والتعرض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة (ص ٥٩ م ٦) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، (أي كما يعتقد منكر الخوارق الآن) فلا يهين واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور لطلاتها ، كلا إن تحقق (تأمل) فلا يعد ان يكون تحققه مظهرا للحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من علمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كاحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عنده لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون ان الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سنته الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وارادتهم كما شاؤوا وكيفما شاؤوا ، وإنما كانوا يتبرؤون من حولهم وقوتهم ويستندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجادلة من قومهم والحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افهام السبية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي المدة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه (ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلهم به ، وإننا لنفي شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أتمم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين » قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله ينف على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتىكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فهذه سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

٩١٦ صدق الانبياء - علم توقفه على الخوارق - المعجزة والكرامة (المار ج ١٢م ١١)

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطالبون منه آية كونية فيتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيضع المستعد لقبول ذلك، ويعانده الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

«فاذا فرغنا ان العلم أظهر سيئاتهم لا آيات موسى عليه السلام قبل ينافي ذلك أنها كانت تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللاتق بأمثالهم في بلادهم وجفوتهم ؟

« نعم ان ما توقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سند متواتر على صحة كتابهم ، أولئك الذين ينشقون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد (عليه افضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة !! . فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسة وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربي في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونه تأييدا إلهيا ، وبرهانا على صدقه قطعا ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، اه ومنه يعلم اخوتنا صاحب الرسالة مرمانا في هذه المباحث وانها تأيد دعوة الانبياء ومحااجة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف ببلده ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا نصور شيها لم ترد علينا كما فعل كثير من علمائنا كالأرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثر الحديث فيها . وهالك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦١م ٦) :

« سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفا مريض ومكاشفة مغلافة القول المشهور : ما جلت أن يكون معجزة انبي جاز أن يكون

(المنار ج ١٢ م ١١) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدى حادثة الشام تونس ٩١٧

كرامة لولي . ولقائل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل . اهـ

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد . وبيننا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فمراده سننه العامة لأن مخالفتها للسنن المادية قد شوهد في زمن ظهورها ونطق به الكتاب المعصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالاتنا التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما أنكره منه فحسب ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويقتابون ، ولكنهم لا يذنبون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، ويقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخير أخفوه وان يسمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصالحين وقد سألنا نشره في المنار واننا ننشره اجابة لسؤاله مع الشكر له ولأولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكرا على ما نجاك ممن أراد بك كيدا، فنهينا للعلم والحكمة، بما أسبغ الله عليهما من النعمة،

ولقد رأيت المصطفين الاخيار، من نابتة هذه الديار، فرحين بما آتاهم الله من فضله، واقاض عليهم من طوله، اذ حفظ زعيم هذه الامة، الداعي الى سبيل ربه بالوعظة الحسنة والحكمة،

واني لا اذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمرو بن قتيبة، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الاوهام «حيثما كانوا» ممن يرون هذه الحادثة اثرا من آثار تخرج الدين عليك، وانتظاره الفرص للانتقام منك! كلا والله، انك لمن أحب الناس اليه، واكرمهم عليه، ولو تمثل لهم بشرا لرأوه يحمد الله حمدا كثيرا، ويشكره بكرة واهيلا، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجتك الارتفاعا، وصيتك الا اشتهارا، ولكنهم يفهمون الشرف مقابلا، والمجد مكوسا. فيالله والدين والانسانية، وطلاب الاصلاح من نبلاء الجمعية البشرية، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون، ويحسبون انهم على شيء، ألا انهم هم الكاذبون.

وانا نشكر المنار الزاهر فضله في تبديد حزنهم، وتخزيق شملهم، والاجهاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله) كذلك يضرب الله الحق والباطل، فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة الى سبيله، والسلام.

أنا علي بن الحسين

الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بمطبعة المنار في كتاب مستقل (١)
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصني وعنا:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وشاورهم في الأمر)
(واورهم شورى بينهم)
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،
الى نهايات أيام السلطان عبد الحميد العاقل الابي ، — دولة حرة بحجة ، شادت بناء
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والطلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت
من الدول ذوات البأس اللاتي يتقى غضبهن ، ويخطب مودتهن ، فأمنت في
الفتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقلا كانت ترجع من غزوة لاوينود الفلج
تفتق فوق رأسها ، ورايات الظفر تتأيل في أيدي رجالها الحكاة صلفا وفخرا ، فخر
مكائنها ، وتطاول بنيانها ، واتسع ملكها ، حتى تطلعت في أحشاء أوربا ، بعد أن
استعزفت على آسيا الصغرى وجوز كير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحاته ١٨٢ باقسطع الصغير وهو يباع بثلاثة قروش صحيفة في

مكتبة المنار بمصر وطرا بلس

كانت سرية الخطى في هذه السبيل فسادت وشادت ، وبنت على أطلال الدولة السلجوقية دولة عظيمة قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها العصور المظلمة الا بقوة المراسي ، وثبات الجاش ، والتشوي ، بين حليل السيوف ، ومزاحف العقوف .

أخذ بضدّها فأنقذ القسطنطينية وكان تيّها صالحا فألف بها على النافع ، وتوقل بها سني المراتب ، ناهيك بمالك القسطنطينية اذا كانت خيرا عادلا ، وما زالت تدرج في منازل العظمة ، ومواعظ السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقفت عند متهى الغاي ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على تقاليد محفوظة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسمها وكان افعال أولي الامر وجهلهم وموسمهم الرعية سوء العذاب مساعدا على نفا الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمود الثاني ذلك الحب للإصلاح ، والدولة على شفا جوف عار يندرها بالاضمحلال والفتناء ، الفأها وقد فقدت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع والقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، قهوم منادها بما في وسعه ، وأصلح فسادها بما في طوقه ، وما يذكرك له بالثناء عليه تنكيه بالانكشارية الذين كانت ومام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة وإضعافها ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خارجية ، تضاعف الرجا في إقالتها من عثرتها ، وانهاضها من كبوتها ، بله ارجاعها الى سابق عزها ، ومالها مجددا ، فأخذ بضيقها ، وحدد الحكومة وظائفها ، وبين الرعية حقوقها ، ويكفيه فخرا انه هو الواضع لخط د كلخان ، المعروف

لم يكك عبد المجيد يوازي في رسمه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زين له حب الشهوات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكت قلب سلفه ، ويصدخ رأب ساجه ، وكان عون له على هذا التفریب وزيره محمود نديم باشا ، حبيب (اغنايف) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ قايه ومقاصده

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوما ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزيتوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكد تقر عيونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد ، وإقامتهم في غيابة السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « ينخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترعوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصلون بها على الامة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الفساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، فقتلوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحقق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلوا برجاله شر تنكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بأمتهم قد اجمعوا أمرهم سرا وأنشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الشبان في الاستانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المبين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

براق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الانقلاب لم تصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لجي من الدم ،
 لم تكن دهشة الأمة العثمانية واعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الأمم الأخرى ، فقد تجاوزت صيحات (نيازي) و (أنور) بلاد الدولة العلية إلى مدن أوروبا وغيرها ، فالتفت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لها بال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع-
 التاريخ في صدره له ضريعا ، حائر ين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السياسي ،
 والأديب الألمعي ، صديقنا محمد روجي بك الخالدي ، عضوا للقدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جليلة في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الأسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثا فلسفيا في أصل الاستبداد ونشوءه ،
 وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليدها الموروثة ونظاماتها المكتسبة ،
 وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الأمر فيها ، مما أدى بها إلى شر حالة ،
 وكان سببا في قيام الأحرار ومطالبتهم بالإصلاح ، وأفاض القول في شؤون الأحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليصلوا إلى مقاصدهم ، مع تراجم مشهور بهم .
 جال المؤلف في ذلك جولة المورخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الانقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقتها ، فكان ما كتبه جديرا بأن يكون رائدا لمن يأنس في نفسه شغفا إلى استكناه تلك الفروامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوفا بذلك ؟
 نشرت الرسالة في مجلة (المنار) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ،
 والكتاب الأبناء ، وكان بدائي ان استأذن مؤلفها في طبعها على حدة لتكون كتابا مستقلا تلزم مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت إليه راعبا في ذلك ، فوجع القول مليا الطلب ،
 ساعحا بتفصيل ما لا تسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما إذا كان كمولفنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أرفها اليوم إلى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعا صحيحا ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويقتفوا على أسباب ذلك الانقلاب العجيب . وخلق بأهل هذا

النظر الذين شغلوا بالمشور وقد ضلوا طريقه، ولم يهتدوا إلى باب، أن يمشوا في معانيها
ويثبتوا مراميها، عسى أن يأمروا بأولئك الأحرار، ويكونوا من خير المختارين لهم
في هذه الدلو

القاهرة في سلخ ذي القعدة سنة ۱۳۲۶

حسين وصفي رضا

التقریظ والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التزويد بالكتب التي
أهديت البناء وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة، ولما كان هذا
الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت إلينا فيها تلك المطبوعات رأينا أن نتوجه بها
على سبيل الاختصار، وربما تعود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام في السنة
الثانية عشرة :

الكتب

تأليف مشروع السكة المجازية

ألفه صديقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة
في ثلاث لغات : الأوردية والعربية والانكليزية وهو تأليف مفصل لهذا المشروع الجليل

انعام الوفاة

مؤلفه الشيخ محمد انطصري المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وهو يحتوي
على سيرة انلقاء الراشدين وقد جعله مؤلفه قسمين : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة
وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظمات الأمة الإسلامية في ذلك الحين ،
وقسماً سماه عصر الفتن وهو ما كان في أيام الخلفيتين عثمان وعلي (رض)

والكتاب يقع في ۳۳۸ صفحة بالقطع الصغير ويباع بخمسة قروش في

جميع المكتبات

تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر : دوزي الهولندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن
اعضاء الجامعات الطبية في أوروبا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور
عبد الله بك جودت منشي : مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

الشيخ السلوك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس الهك التاصر
صالح الدين يوسف وقد طبع على نفقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي
افندي الخبير بالحكام الاحلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقطع المنار

تأويل مختلف الحديث

هذا الكتاب من فائس الكتب وضعه الإمام ابن قتيبة الدينوري من أهل
القرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا
عليها والاختلاف والجواب عما أورده من الشبه على بعض الأخبار المشابهة أو
المشككة بادي الرأي » وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد ان صححه
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الآكومي عالم المراق ونسخة مصححة
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشير وحسب الكتاب ثقة ان يكون مصححا بقلم هذين
المالين ، ويطلب من طابعه بمصر

نادر القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالبي صاحب قيمة الدرر وقته اللغة وهو من كتب
الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالبي من الادباء والكتاب
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعا نظيفا على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي
افندي أبو شادي بمصر

الدولة القنانية قبل الدستور وبعده

تأليف صديقنا سليمان افندي البستاني المصنف في مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت
والكتاب يحتوي على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومراثياته ، وهو مطبوع

(المارج ١٢ م ١١) الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ٩٢٥

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمنه ١٢ قرشا صاغا وهو يباع في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

تركيا الجديدة

مؤلفه جميل افندي معلوف من مشهورى كتاب السوريين في أمر يكاول قد قسمه الى ستة كتب : (١) اسباب الانحطاط في الشرق ، (٢) تفرج الشرقيين ، (٣) التعليم ، (٤) القانون الاساسي ، (٥) الديانة السياسية ، (٦) ابقاء أم فناء . وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة .

عنة الاولاد

كتاب صغير يحتوي على نصائح وعظات يجدر بالثابتة أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالمرية سليم افندي خوري « بقلم سكرتير مالي السودان » وهو يطلب منه

جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين إحداهما لابن المقفع والآخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمنه ثمانية قروش .

﴿ الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ﴾

ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

ديوان الجويات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الجموي وهو يحتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بحاوان

رسالة العطور

ترتيب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاستانة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة المباشرة حسنة الترتيب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بطنطا

المبادئ النحوية

رسالة في النحو مختصرة سهلة للشيخ مصطفى بكري الاسيوطي « مدرس اللغة العربية بالمدارس الخيرة »

فتح القیوم

وهي ختمة مقدمة ابن آجروم للسيد محمد بن سودة من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الايراني نزيل مصر

يوم الحساب

هو الجزء الاول من مجلة حدائق الفاهر لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي ومحمود افندي عباسي وثمنه ٣ قروش

ربة الجمال

قصة ترجمها باللغة العربية اسكندر افندي خوري وتباع بستة قروش في المكتبة الشرقية

المجلات والجرائدThe Near East. الشرق الادنى

مجلة انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على أجود ورق ، وتنشر صوراً للبلاد الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاتقان ، وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجلس اللطيف

مجلة « أدبية اجتماعية » لصاحبها ومحررتها ملكة سعد ، تصدر في مصر مرة في الشهر

بالتنين وثلاثين صفحة وطبعها في غاية الجودة، وورقها صلب وموضوعها جليل، فخلق بالشبان والشباب التوفر على مطالعتها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صافيا في السنة

بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنتشر أفكار الجمعية العلمية الإسلامية، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الأسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صافيا عثمانيا ونحن التسعة قرش ونصف

المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير إليها في (ص ٢٢٦ م ١١) وهي كما كان يتفكر من منشئها صديقنا جرجي افندي يني وأخيه صموئيل افندي، فهي تنهل على علم وبحوث واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

روضة المعارف

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة» في بيروت لمديرها محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن افندي حلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو يصدر بصورة السلطان ١١ وقيمة اشتراكها بالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

الموقف

«مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية» تصدر في بيروت مرتين في الشهر بالقلم الصغير، لمنشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٠ فرنكات في خارجها

الاعمال اليدوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاطمة بلاواختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صافيا في مصر

الفرطاني

«مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية» تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية لمديرها أحمد افندي فائق وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشا صافيا

الجامعة المصرية

مجلة نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لأصحابها
 محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيضي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها
 مئة قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

المدرسة

« مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب »
 تصدر في الشهر مرة باثنتين وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً في مصر

غرمون

مجلة تبحث في شؤون القبط المالية وتصدر في الشهر مرتين بإدارة توفيق افندي
 حبيب واشتراكها ٢٠ قرشاً في مصر

مصحف

مجلة أوردية تصدر في حيدر أباد الدكن (الهند) منشأها مولوي محمد أكبر
 علي مقصد مجلس المعارف بمكة

ابو نداء

جريدة اصلاحية اسبوعية تقدر الجدل في قالب المنزل، يصدرها في تونس السيد
 الهاشمي اخذ الكتاب المشهورين « وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

الحكيم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء »، يصدرها في كوردوبا (الاربعين)
 عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالأبحاث الفلسفية

شمس العدالة

جريدة اسبوعية « سياسية فنية أدبية » أنشأها فريق من الكتاب بالإنعازية
 في الاسكندرية، وقد سموا في هذه الأيام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها باليرة عثمانية
 في السنة

الاتحاد الثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهوري أو باب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلمة الحق

جريدة عربية تصدر في الاستانة ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رياسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجية وأربعة ريالات في الاستانة

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الهي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا بانشائها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الرفائف

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » مديرها ومحررها حكمت بات شريف من مشهوري الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريالان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشئها ومديرها صديقنا محمد افندي كودعلي

الكاتب المشهور ، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتجري الصدق والتزام النصيح ،
والبعد عن سخيف القول ورذيلة التلق ، وهي تصدر في دمشق الشام وقيمة اشتراكها
اربعة ريالات ثمة و ۲۵ فرنكا في الخارج

المحرسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحرسة من الجرائد القديمة التي
ابطالت منذ زمن فأعاد اصدارها في مصر الياس افندي زيادة ، وعهد في رئاسة تحريرها
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهوري علماء سورية ، وقيمة اشتراكها ثمة
وخمسون قرشا صاغيا في السنة

نابا الحكيمة الأنا

جواب مجلس المبعوثان (*)

عن خطاب السلطان

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار الفتور التي حدثت على أثر ادوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور
القوايل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيراً في التخریب
من جهة أخرى - كانت نتيجة استياء جميع العناصر العثمانية ، وكان من ذلك ان والدكم
المعظم قد وضع خط (كلخانه الهمايوني) الضامن للحقوق الشخصية والقاضي بالمساواة
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة ، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة
جديدة ملائمة للحال المعصرية

(نشرنا في (ص ۸۷۹) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس
المبعوثان ، واننا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

يدانه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وحياتها بصورة واضحة ثابتة وكان من الضروري - صيانة هذه الضمانات - تبديل شكل الحكومة القديم وقبول الاصول الدستورية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوسكم السيد ارادتكم الشئ بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب اجابة لآمال خواص الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة

على ان طريقة الشورى هي اصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات التي تباين هذا الشكل المشرع ناتجة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على العدل بصورة موقفة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهلها في ذلك الحين مسلم بهما ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع مراقباً لذلك الاستعداد قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهمية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة هذه الامة العقلية عرضة للخطر مدعين انها غير أهل لصورة ولا شكل من الاشكال التي عينها (القانون الاساسي) وعليه ففرق مجلس الامة أيدي سباً ١١١

ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالمشكلات الوهمية التي أحدثوها لم يكتفوا بالتمدي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد امة الامة لهذا القانون فحسنوا لجلالكم ارجاء تنفيذه مستعدين بقوة ادراك الامة

ولكن نشكر الله فان الامة رثما عن المساعي التي بذلها من نيط بهم نشر العلم والمعارف في سبيل تعطيل الادبنة وتنطية العيون قد أدركت بحسب استعدادها التطري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها إن لم تنل حقوقها السياسية فلا تستطيع ان تحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالكم الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة الذي لم يستر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ففرقتم ما ينتج الدولة والمملكة بسبب الطمئان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال فاصدوتم

الأمر السلطاني القاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة وإعادة الانتخاب موافقة
لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء المخالفين لفتحه ، ولذلك فإن الأمة تشكر
جلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لاقتاد الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوقها
الى طريق الترقى والسعادة

ولو انكم تظلمتم قبلاً على خدام أو باب الفياض لكانت الاراضي الفائرة الموجودة
في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ،
ولكننا في ارتقاء وعلاء بدل التذني والأنحطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي
استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الأمة جرحاً كاد يصير قرحاً ، ولكن
الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكن الدولة العثمانية استقرت
في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن بعيد

ان الأمة العثمانية تشارك جلالتكم في الاسف الذي أظهرتموه بسبب اعلانات
امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك الى املاكها ، وهما الولايتان
اللتان كانت تديرهما موقفاً بموجب ميثاق دولي ، لان الأمة العثمانية كانت في دور
اقلابها السعيد قطع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وتربي جميع الآمال لتكون مظهراً
لموازية الدول المتقدمة وأهلاً لانعطافها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سيئات الماضي السديد
سينزل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة لخلقها ، وميقوم
بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرزة لثقة الأمة والممثل امام مجلسها النيابي
ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية
وجميع الدول ، وان الأمة التي أحدثت في الدولة هذا الاقلاب السلمي الداخلي
ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موفقة للسلم

وان آمالنا معقودة بان دولتنا ستترقي بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي
تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من
الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلاً لجهة الدول كافة ،

وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموازاة الدول المعظمة التي ثبتت لها خططنا السلمية وبيتنا السليمة

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقباصادقا على الواردات، وسيطرا غيورا على الصادرات، وسيمنع بته إعطاء درهم واحد من الخزانه على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضا اخذ بارة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتحما في هذه السبيل كل المضاعب التي سيلاقها في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمه التي انتجها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الامة، حتى ينسى دولتنا ان تكتسب لقب دولة مقتصدة تدير امورها على القواعد المالية وترفع عنها لقب دولة سفينة مبدرة!! وانا نرى من الامور الهامة الواجبه بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهة العناصر المختلفة الموءلفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة بحراها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع أنحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد الوسائل النقلية وفتح الطرق والمعابر لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، ولينسني لنا بهما المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، ولا لتعدي على حقوق الغير

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سينذل الجهد تدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نوكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت واسخ لا ترعزعه اية قوة مهما عظمت، كما انا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الابتهاج والسرور بروية شخصكم الكريم مائلاً امام نواب الامة مما جاء دليلاً على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

ان قلبنا لا يشمر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آمالنا الاشتغال بخير الملك
والامة ، ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد ، وغايتنا الحق والعدل ، وقد عاهدنا
ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في القيام بهد و كالتناخير
توبيخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

* * *

جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذاناً مصغية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي
فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين
انقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزالت بزواله تلك
البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ،
وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مقبوطاً بروية
سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه
الدستور قلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار
والحكومة الشورية تقوم على هذا الأسس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس
هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيهاها عن التبعية الاحفظ ذلك الاساس المتين
لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره
وهو الاشارة الى حفظ القانون الاساسي بالميثاق البات ، وانا نقابل ذلك بالحمد
والثناء الجليل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهممة والمساهي لانجاح
المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والهرسك والبلغار
— ذلك كله — من مهمات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة
خير قيام بمهماتها ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى القوة بنا ولا يتم لنا ذلك إلا بتبجح حقيقي في
النظام الاداري والعسكري، ويعوزنا بذل المساعي العظيمة لنحفظ مآزرة الحكومات
ونكون لنا مدنية صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الأمة ورجايتها وتعليم الشعب
وتهدية حسب حاجات الزمان على نظم الشعوب المتدنة والاعتداد المالي الصحيح
وضمان حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من
الأمور الضرورية التي لا قبل التسويف والتأجيل

وان قمتا كلها موضوعة في مجلس الأمة (المبعوثان) وآمالنا بمساعيهم الحكيمة
محقة ، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا ونسبل بلوغ الاماني المشار
اليها ، وبذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان
والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تدير البلاد بسببها في سبيل التقدم
والتبجح ، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستضم إلى هذه
المساعي ، وحينئذ نال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك الغرض الذي يرمى
اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نضم عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالتكم لتعديكم وهزمكم الأكد على
حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالتكم أن مجلس الاعيان يبذل جهده
في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يرى حفظه من أقدم الواجبات
وانا نعرض لجلالتكم بان مجلس الاعيان يقوم بفحوم ونحو الأمة بكل ما يجب
عليه من الإخلاص التام



رحلة صاحب المنار

﴿ في سوريا ﴾

٣

دمشق الشام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وقاء بوعدي لأصدقائي والوالدي فأقيت فيها أربعة أيام كنت أقي في كل يوم منها درسا دينيا بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الأخير استبدلت بالدرس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي عبيدة الخميس ٢٧ منه ركبنا القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار رديء ، الدرجة الأولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي بين رفاق وحمص ، فبلغ بنا محطة دمشق قبل المغرب فإذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك المظم وجمهور ممن عرف ومن لم يعرف من الحيين العلماء والوجهاء ، فخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الأستاذ الأكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والأستاذ العالم المجتهد الذي يقتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بآلها وعلمها

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء ، فرأينا من أديهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعا منهم مذاباة الأولى أخباراً سيئة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الأستانة فقال بعضهم انها أسست بإيعاز من السلطان لتكون عضدا له وعونا على جمعية الاتحاد والترقي ، وقال آخرون انها ضد الترك ، وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ، وهو يتم الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينشر من جمعية الاتحاد والترقي ، وقد كروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمود وان بعض

(المنار ج ١٢ م ١١) اتحاد العرب بالترك وجوب اعتمادهم على انفسهم ٩٣٧

افرادها يفتخرون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يهد السبيل
لندره المطران ويجعل دوائه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعه من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير
العرب من الترك مفسدة من أضر المفسد واننا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك
والإخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أحوج اليهم منهم اليانا
فن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدونا ولمن كان سعيه لهواه فهو شر
الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك
من بني المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلموا على غيرهم
بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في الترية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم
والقنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة وليقدروا على
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان على غيره من
الاحزاب التي ينتظر ان تكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم
المركزية (Décentralisation) ويرى بعض علماء السياسة انه لا بد في المستقبل
من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك
العصر الذي سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر
الامم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون (لا قدر الله) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرقية
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته
فيها ؟ يجب علينا ان نفكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الأساس

٩٣٨ أفكار صاحب المنار التي بثها بالشام - حياة الصناعات بدمشق (المنازع ١٢م ١١)

الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر
العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد
الأعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات وورقاء على
الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان
على الأصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الأفكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب
العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف
على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد
الفقراء بنير أجرة وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة - ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى
حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغني بها عن الرحلة وهذا
ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها.
وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر
العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم
والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا ينقصه الا ما كان فيه أولاً من
زينة الفسيفساء التي بهجزعنها حتى الأفرنج من أهل هذا العصر، ثم انني رأيت معظم
أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كبيت عبدالرحمن
باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلام جاهها ومنزلة فقد
تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فلم يقع نظري على شيء فيها من غير صنع
الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهر بائية النحاسية التي فيها هي من
صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والنجارة وغير ذلك
وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إلي بعض الفضلاء أن أقرأ درسا في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت
وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفهم لرغبي
واستحسننت ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة قليل ان هذا هو الوقت الذي يختم

(المارچ ۱۲م ۱۱) درس صاحب المنار الأول بالأمرى . حثه على العلوم المصرية ۹۳۹

فيه المدرسون الرسميون دوروسهم فيرونك فيه مزاحما لم فيقل عليهم فالأولى ان يكون درسك بعد العصر ، فوافقهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأمرى ووجدنا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المنوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب وجاؤنا قسمنا ما ملته اسباعنا من عهد الحداثة وهو مدح رمضان وتغريير العامة بمحدث الحق فيه الذي بنا في المنار من قبل ما قبل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دوروس المدرسين فجلسنا زهاء ثلث ساعة في درس الكزيري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المنبعة وخلق كثير . ووقفنا هنية على درس رجل يقال له الشيخ صالح التونسي يحضره زهاء ۱۵ أو ۲۰ رجلا ثم على درس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدها بالضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أو جله وينقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تعلم ولا مكث

درسنا الأول في الأمرى

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة القريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلها موضوع الدرس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تنبيه الأذهان الى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطقنا علينا أم لا وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدكم الى ما فيه سعادة الدارين ويعدم بذلك جزاء على نصره والقيام بحقوقه . وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرقى بها الاجتماع البشري وتعزز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . وبما قلته وكررت : اني أرفع صوتي قائلاً أنا لا أقوم لنا قائمه إلا بالاعتماد على هذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، فاننا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونصل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتعزيز دولتنا ، وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مدنيتنا ونحفظ ثروتنا

٩٤٠ فوائد العلوم المصرية: الجمع بينها وبين علوم الدين (المئذون ١٢ م ١١٠)

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إبت علماءنا السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الانكسارات بحثا يخالف أصول الدين وقواعده ، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مبينة لتلك النظريات وناقضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والعقل فمن فروعا علم الكبرياء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلا ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسير به قطارات السكة الحجازية من بلدكم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن ان يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفع شأن أهله فكل من يصد المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وقائده وإما عدو غاش للمسلمين

ثم ينت لم ان الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لا عسر ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين ان يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون المصرية التي نوهت بفائدتها اذا احسنوا التريه الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بإنشاء المدارس الاهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام إلا الجمعيات فالذي يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تشتري التعليم في جميع طبقات الامة وذكرت لهم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعا للمعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنني ان أبين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم المصرية الكثيرة التي تقوى بها الامة وتعتز الدولة ان شتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كبير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا علي بعد الدرس بالتحية والثناء واظهار الاعجاب بالدرس والدعاء بأن يتفع الله بي وبه والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا العظم وعلي باشا الأمير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبديته وألحوا علي بأن أعيدته في اليوم الثاني

درسنا الثاني في الأموي والحادثة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الأول في ليبتهم تلك وانه على غير ما يهدون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن — وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني ونفتل الأ وقد تخلق الناس في مكان الدرس الأول (تحت القبة) وصار يلز ويترحم بعضهم بعضا فلما اتسعت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كالقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إسماعهم إلا بالعود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثه في الإسلام فصعدت إليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله والثناء على الصلاة والسلام على البشير النذير جزاه الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الإسلام عاماً لجميع البشر موافقاً لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هديته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اهتدائنا بالإسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فنهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الإسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لاجاء الإسلام في زمن قليل لا يحتاج فيه الى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقه وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنقطعين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماؤنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وهنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ فقال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون فقلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولا ألف . فقلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينة تصد من أعظم أمصار الإسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟ ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد فقلت ما معناه: ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الإسلامية والاحتجاج على حقيقتها وقد افترض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عني المتكلمون بإقامة الحجة عليهم! وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلها وحدثت لفلاسفة هذا العصر وهم قلدتهم شبهات جديدة تولدت من الفلسفة الجديدة يجب أن يعني متكلمو هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها لعامة المسلمين ولالتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبنى على فرض خلاف المطلوب قد يكون إثمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليفة وإسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته المظيمة وعلمه الواسع وتفردته بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان (وذكرونا بعض الآيات في ذلك)

لماذا تقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك اولم يكن للعالم إله للزم الدور أو التسلسل وكل منهما باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — فثبت نقيضه وهو ان للعالم إلهها — ثم نحاول ان نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه من كباوأبعده مطلباً! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الإيمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر بأديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الطبيعة فأكثر علماء أوروبا وفلاسفتها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثيقتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البعثة ومن شذ من البشر فأذكروا وجود الباري تعالى تشبهاً آثارها في نفسه تعالى دينة أو نظريات فكره الضعيفة فهو لا يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية فقد قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قلوبهم في مجموع البشر فهم مرضى الارواح — أو قال العقول — من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض بطراً على بعض الناس كمرض البدن، فمرض الجسد معها كثر لا يعد هو الأصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يعد في الأصل وأن كثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى ويقولون ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بعلمه وقدرته وإرادته ويعظمونه ويقدمونه وقلنا خطأ الكفار في غير وحدانية الألوهية والربوبية من مسائل الإلهيات فأما وحدانية الألوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شارعين بشرعون للناس من الدين ما لم يأذن به الله . وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم فقال في بيان عقائد مشركي العرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقال نبيه صلى الله عليه وسلم (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * فيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من يملك كل شيء وهو يحير ولا يحار عليه ان كنتم تعلمون * فيقولون الله قل فأنسى تسحرون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق * ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) فقد اثبت لهم الإيمان بوجود الله وأنه هو الخالق الذي يملك كل شيء وقال فيهم مع ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فما هو شركهم هو ما يثبت في آيات أخرى كقوله عز وجل (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إليه فإني ان الله يحكم بينهم فياهم فيه يختلفون ، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قل اتبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (اتخذوا أجنابهم وهمياتهم أو بابا من دون الله) وقد روي في الصحيح أن عدي بن حاتم أسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لا يعبدونهم فقال ما مناه: اليس يجعلون لهم ويحرمون عليهم فيتعونهم؟ قال نعم قال فذاك . فهذا وما قبله هو الذي قدن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقديمه القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تبيدا لبيان ما يجب اتباعه من تلقين المسلمين عقائد دينهم على طريقه القرآن المثل وأردت أن أشرع في المقصد فاذا أنا برجل مغربي قد اخترق بهجور الواقفين حتى انتهى إلى دائرة القاعدين وصاح يا اخواننا المسلمين اسمعوا لي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر اللغط وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاستماع له . فأما احدي كلمته فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين إلى الله تعالى ليقربوهم إليه : ويقضوا حوائجهم هذه واعتقاد كرامات الاولياء ، والتحذير ممن ينكرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهابية ، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الوهابية ومحاربة السلطان وأمير مصر لهم . وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تقليد الأئمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة . وكان يقول ما مثاله : يا اخواننا هل الذي يتوسل إلى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يحب الصالحين ويمثلهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يعظم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله ؟

فلما أتم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في أثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ وانني كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم انني لم أعرض لهذه المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا الدرس ووعدت به أسس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

بأسلوب سهل وزمن قليل يبعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عما هم في أشد الحاجة إليه من أمر الدنيا وقد أشرت فيما قلت إلى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تلقين الدين لا طريقة المتكلمين وقد سبقني إلى ذلك حجة الإسلام الفزالي فقال بمثل ما قلته في كتابه (الجامع العوام عن علم الكلام) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتحريرها لعامة المسلمين ، وإن طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة مخصصة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالي أن أحشر في درسي شيئا من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل أن أصل إلى المقصد منه . وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليّ ويأخذون من كلامه تهما يلصقونها بي فحسبي أن يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي غني ويسمعوا مني بأني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لأجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الإذن بها بعد النهي عنها وإني أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فإن من لا يحب الصالحين يكون أشقى الأشقياء ، وأعظم الأئمة المجتهدين واعتقد أنهم كانوا على هدى وإخلاص في خدمة الدين وإن من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد أن يتكلم فأنزله عثمان بك العظيم عن الكرسي وصده عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الأخوات إنه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا إلى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الأستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليفضل بعد العشاء إلى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فنزلت ومشينا معا فمشي معنا جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجانبني يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه وبعضهم يقول هلم واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب إلي الشيخ أديب تقي الدين أن أدخل داره وهي بقرب المسجد

(المارچ ۱۲) (۱۱۹) (المجلد الحادي عشر)

للاستراحة وردت الزيارة (فقد كان زارني في دار عثمان بك) فأجبتة الى ذلك فلما دخلت داره طفق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهون علي ما جرى ويحلف الأيمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشي . ففجبت من ذلك كله لأنني لم أكن أعود ما جرى في الجامع من قطع الدرس علي أمراً عظيماً ولا مصاباً يعزى عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هف الناس وعنايتهم بتسليتي هو عدم تهودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل علي ما فعل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظن فانه هو الرجل الذي ذكرت اني رأيته يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليثبت دسائسه فيها .

قبيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لاننا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك بيكباشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجيه لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لأجل اطلاق الشيخ صالح علي ما فهمنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبد الرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بأنهم أخرجوا الشيخ صالحاً من الحبس وان فتنة عظيمة أثرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الأسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأجبت ان تنته الدرس وتخرج ولا تطيل في الرد علي الشيخ صالح . قلت له ما هو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد علي اساءة رجل

يقطعه الدرس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبية تنقم لي ان أحببت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أن ذلك الرجل عصبية قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنصره ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح ؟ قال اني علمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فتنة مذبحة براد يقعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس للشيخ صالح عصبية ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفعوهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤدي من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالأجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحدي في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية تخمبها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقم في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فإذا ما دار بيني وبينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلم النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتنة الظاهرة والفن الباطنة ، منهم شابان ذكيان من محبي الإصلاح والعلوم المصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكر لي أسماء شيخان آخرين على مشربهما وقالوا انهم يكتبون ميلهم ورأيهم ولا يحبون ان يعرف شي عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشرات الشام في بعلبك فحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو من حضر الاجتماع عند الوالي ليسان . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فعلمت من ذلك ومما سمعته في حصص وقرأته من المكتوبات التي بعث بها من الشام الى حصص وغيرها جميع ما كان من المكائد والفن وهذا مجمل ما وصل اليّ :

أسباب فتنة دمشق

الأصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجهاء أصحاب النفوذ من أسعد بك
وسليم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكاشي » من أركان الحرب والدكتور حيدر
وكلهم من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكرهتهم لهذه الجمعية لأنها جعلت هؤلاء
منزلة ونفوذا في الشام يعاون نفوذ أولئك الوجهاء المتعاضين الذين يرون أنهم سادات
الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخاصة بهم !!
قهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجربوا على
الوقوف في وجهها ومناجزتها جهرا فتربصوا بها الدوائر حتى إذا ما جاء زمن انتخاب
المبعوثين ورأوا من ذكرنا من أعضائها يشتقون بأمره عيل صبرهم ولجأوا إلى الكيد
وجراهم عليه ندره بك المطران الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين
عليه بمن يستميلهم إلى جمعية الأخاء العربي فإنه كان يهون على الناس أمر جمعية
الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الاقتراق والتدلي ، أي التي تفرق بين
الترك والعرب وتنصر الاستبداد وتخذل الدستور . فاندفع أولئك الوجهاء إلى الفتنة
بقوة وهمة وبشوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي
كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجامع الأموي مدججة بالسلاح للتكيد
بعض المشايخ المدرسين لأنه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث
ولكنه كان يقول لمن يطلب منه انختم اتنا نطلب بهذه العريضة ابطال رقص النساء
في بعض الملاهي !! ووقعت قن ومشاغب أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب
بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك
ولكن موقفني القن ومثيري الشعب لم يكن لهم سبيل للنيل من أعضاء جمعية
الاتحاد والترقي فيما جرى إلا بالكلام كقولهم انهم علة اختلال الأمن وحدث
الاضطراب في البلد « رمتي بدائها وانسلت » وانهم يريدون ابطال الدين بتجريتهم
الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباحتقارهم لوجهاء البلد وعلمائه !!
هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي إليها كانت تتمخض بالقن التي يدبر
أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قریش وكان

أشدّهم افساداً أحد الباشوات الذي يرى انه بعظمة يده يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم ببعض أصحاب العياش الجاملين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

وآتي هؤلاء الكاثدون تحت قبة الجامع الأموي أين الناس اتهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحيا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الأمم ثروة وأعلاما جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد وهجوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السيل الآتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويجرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يراه عذبا فراتا ، يطفي ، غليلا ويحبي مواتا ، فيجب ان نبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا على الدرس الثاني قولوا هم يعتدرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الا رجل يشترى ما يراذه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والأعمال ، وما ذاك الاداعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي بطبعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الأيام ، فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي الهدى دعوتهم ، وقبل صلّتهم ، أوعزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصال ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القيل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء علي وتسليتهم اياي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يثقون عند ذلك الحد ، وان الخيبة في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثبرا لفتنتهم فزأى اعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له ويمدون في القبي ثم لا يقصرون ، فظن ان

٩٥٠ أسباب فتنة دمشق . كونها لم تدبر لأيداء صاحب المنار (الخارج ١٢م ١١)

حبسه بسد باب الفتنة فحبسه فطاروا بذلك فرحاً ، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لأنهم يصلون منه الى الأيقاع يعدوهم أسعد بك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة ، فأنفذوا أناسا الى المساجد يستغيثون المسلمين ويستفرونهم لا عانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الاتحاد والترقي والحكومة الجديدة ؛ فصاح أولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح ، فأقبل الناس يتساءلون : أي خطب دهي الاسلام وأي بلائ نزل بالعلماء ؟ ويجيبهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزجه في السجن فإذا لم نبادر الى اتقاذه بهرة الشعب فإن هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء وتمحو دين الاسلام من الشام . . . ويقال انهم أنفذوا أناسا آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حتى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون : يسقط أسعد بك لتسقط جمعية الاتحاد والترقي . وبلغني انهم قالوا أيضا ليسقط القانون الاسامي وليسش الوالي ؛ (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاسامي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا ان توارى أسعد بك لقضوا عليه كما قيل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافق رأيه ، مالا ينتظرا كبر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله ، فانه لما رأى الجوع قد حشرت ، وزمرة الوجهاء قد حضرت ، وعظمت عليه الامر وأرجفت ، رجفت في قلبه الراجفة ، وتلبها الرادقة ، فجمع لكرهم ، وخضع لامرهم ، وأمر بأن يؤتى بالشيخ صالح فجى به ، وطاف بالناس في مركبته (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجنود ما يكفي لقمم الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية ، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم ، لاستقرت هبة الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم ، لأقول في دمشق وحدها ، بل في الولايات السورية كلها ، فلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة اني لم أكن مقصودا بالإيداء الذاتي ، ولا مؤاخذاً علي قول زل به في الدرس الثاني لساني ، (لاني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولا نوهت بجمعية الاتحاد) وإنما كثرت في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس ؟ فكان كل مسئول يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحمص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(١) البشلك ضرب من نقود الدولة العثمانية يزيد عن نصف فرنك قليلا

(الماروج ١٢م ١١) فليج مثيري فتنة دمشق - أسباب عداوتهم لصاحب المنار (٩٥٩)

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء . ولكن الذي لقنه دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوصل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والاسكندرية وقد علمت انه كذب وبهتان نال محرري الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضعف جمعية الاتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا يفتنون في نفس الشام فكان من المقول مع هذا أن يكتبوا عني لاني لم أكن الغرض الذي يرمون سهامهم اليه وإنما عرضت بينهم وبينه فرموني لا تنهي فصل سهامهم اليه وحده فما هو السبب يا ترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبه الجرائد بسني وثلي ؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا منها أن الشرذاعة الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شرا قسم له كما يجب تضرى نفسه بالشر فإذا ظلم انسانا بالاهانة والتسيير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على إهائه وتسييره له استلذاذا بذلك وتبعجا . ومنها انه اعتمد هذه الفرصة رجل من أدياء العلم حاد علي فرج نفسه في حمأة هذه الفتنة وطلق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد ترفقت عن نشر ما بهتوا به اليها من السخف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتفكرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الإصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب العلم فكتب له رسالة في الرد علي المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها مازاد فرد عليه المنار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له (١) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أقباله ، ولي هنا استدراك وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت البني والعدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المعتدين منهم وذلك تساهل في التعبير أدى الى خلاف ما يريد الكاتبون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الأكثرين فسادا خلفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام تاهبوا صاحب المنار العداء وآدوه بالكلام وإن أهل بيروت انتصروا له وأمانوا

(١) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول (ص ٨٢١ و ٨٢٢ م ٤)

٩٥٢ اتهام أهل دمشق بابتغائهم إيذاء صاحب المنار . فيه (المنار ج ١٢ م ١١)

أهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافلهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من أهل الشام كلمة شاذة عن الزهارة والادب بل سمع من كل من ثقيه منهم أرق الكلام واعذبه والطف عبارات الترحيب والثناء وإنما تصدى لقطع درسه وإيهام العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبواً بعندهم لأنهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهدي والدعاة له وشاب آخر من طلاب العلم أراد أن يسأل عن شيء موهال متبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . وأما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم أنفا فهم لا يتجاوزون جمع القلة على أنني لم أكن غرضهم وإنما عرضت أمام غرضهم كما تقدم على أبي لو بقيت في دمشق لتصدوا لا يذاني بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان أهل الشام فعلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجباء الحيين للمنار الذين كانوا يقرؤنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب الي بعد ان عدت الى طرابلس كتاباً قال فيه « واني لنحجول وإيم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار ههنا بك تلك المقابلة لكن ربنا عليم بأني لم أحضر تلك الليلة لمقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفاً عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفهاء العاشم المتزينين بزين العلم والعلم بعيد عنهم بعد الساء عن الارض فترى ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العامة وطول الذقن ووسع أكام الجبة وركب البغلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت القبة ولا حبة — انه صار عالماً ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من أهل الشام في الا ذلك الحاقد الذي اشرت اليه آنفاً فأهل الشام ليسوا خصماً لي ولا لأهل بيروت وليس أهل بيروت خصماً لهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من أهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة ينسب في الجملة وانه لم يتصد أحد من علمائهم للرد علي في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرها نفسه مبيناً لاسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يعلمون اني أخطأت فلماذا سكتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب الي مبيناً خطأي ان كنت أخطأت . سأله ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العثماني واسأله هو وسائر علماء الشام ذلك

بلسان النار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في النار واذعن له إن كان حقاً وأين ما عندي فيه إن كان خطأ . وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا البياض فهم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئاً مخالفاً للشرعية وهذا كافٍ لتكذيب أولئك المذاعين الذين خاضوا في الالتم ، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يعلمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والاحاديث من وعيد الكاذبين

(تبيہ) - سقط اسم السيد (حسين وصفي رضا) من قبل مقالة التقاريف سموا إذ أنه هو الكاتب لها

(تصحيح) - وقعت اغلاط في الجزئين ١١ و ١٢ وهذا بيانها فتصحيح بالقلم :

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	قوصفهم	٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٠٣	٢	المقتدين	المعتدين	٨٧٢	٦	ولا يراعي	ولا يجوز ان يراعي
٨٠٥	١٧	نزع	نزع	٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٠٨	٢٤	في وعيد	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المتبادر	هذا هو المتبادر
٨١٠	٧	له	إلى	٨٨٣	١٤	تتقوى	تتقوى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي	٨٨٤	١٥	دخلت	دخلت
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين	٨٨٥	٢٠	وقاتلوا	قاتلوا
٨٣٦	١١	كان	لما	٨٨٦	١٥	ظاهر	ظاهراً
٨٣٧	١٢	حال	مال	٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٦٤	١٦	دونها	دونها	٨٨٧	٥	التنزيه	التنزيل
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب	٨٨٧	١١	قالوا وفي	قالوا الواو في
٨٦٥	١٩	عدد قليل	عدد غير قليل	٨٨٨	١٦	ويدل على	ويدل أيضاً على
٨٦٧	٩	التي يفرضها	التي لا يفرضها	٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٦٩	١٤	تقدم	تقوم	٨٩٦	١٥	فألحق	فألحق
٨٧٠	١٢	أو أنا	وأنا	٨٩٧	٢١	يكتب بعد كلمة : وجميع	هذه الفقرة (يته
٨٧٠	١٤	من	في			وبين القول الاول)	
٨٧١	١٤	منه	مناجي	٩١٣	٢١	يا فلكان	يا فلكان
				٩١٥	٨	الحقيقة	الحقيقة
				٩١٥	٩	المالية التي تصل	المالية تصل

خاتمة السنة الحادية عشرة

بحمد الله وشكره نختتم السنة الحادية عشرة من سني النار ، فهي وله الشكر
الاعنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعدّها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ،
فكان تلك السنين المشرقة غير معدودة من العمر ، وكان هذه السنة الاولى من
العقد الثاني للمجلة ، هي اللؤلؤة الاولى من العقد الاول لها والملة ، كيف لا وهي
سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فبرى
اتقارء هذا المجلد من المنار طامحا باخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون
الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب
الاحتفال ، وذكر سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، وبعض ما ألقاه فيها من الدروس
والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار يعد من
أكبر الأخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسلم في فاتحة السنة
القابلة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات التي تقدمت
في فواتح بعض السنوات ، وتشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في
الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعدين لشربه ، اذ كانت
الأخطار تواب من يطالع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين
والجامدين ، والمتصفين والحاسدين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شي لم
ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما
كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بعطاء الرجال بمصر من انكار
نصب التماثيل للموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من اني طعنت في اهل
طرابلس فيما كتبه عن سياحتي

نصب التماثيل للموتى

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الأستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة
تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المفضية
اليها . ويرى المتقدم ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً إلا
تبيطاً للذين دعوا المصريين الى الاكتاب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان
بني وبينه من الخلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل وغيره
مما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا مجمل ما كتبه المتقدم كما أذكر .
فالما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المنار قبل نشر رحلة
الأستاذ الامام (بلرم صقلية) بسنين . ولو تأمل المتقدم ذلك الرد الذي بنى عليه
انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفاً مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم اوعلته
لا ينقض شيئاً مما كتبناه وكذلك ما كتبه الأستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل
يؤيده ، فقد صرح بأن المقي لا يفتي بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقاً

وهنا بين المتقدم امثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله
الأستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المنار إنما قصد به بيان
حكم الاسلام ومواقفه لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تمسكوا به ودفع الشبهات
التي ترد على أحكامه دون جعله مذهباً يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على
شيء ، فأخذ به لا اعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبينين
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم
اليه . فإذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقدم مقتداً ذلك
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله إباحتها شرعاً ؟
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفراد بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون اكان
ما وافق هواهم حلالاً أم حراماً !

المسلمون قسمان: الاول المقلدون للفقهاء وهم السواد الاعظم وقتها. المذاهب الاربعية وهؤلاء، يحرمون نصب التماثيل، أفليس من امتثالهم ان يدعوا دعوة عامة لمسلم محرم عندهم؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بخاصة نفسه، وليس له ان يقتات على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظرها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه وينظر المنكر عليه فان اقتضت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتاج على المتقدم بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فتقول:

ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المتقدم بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محوري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك، فلما لم يلق غلوهم قددا ولا اعتراضا جعلوه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الثمراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكتفاء بموازين العروض، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمس على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثال ديني خيالي غريب، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة، وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق الماديات كما ذكرنا ذلك في الرد على باحثة بالبادية، التي اقترحت بناء مدفن لعطاء الرجال بمصر. أفرأيت من غلا حربه فيه هذا الغلو، وجعلوه في هذا الأفق الخيالي من الغلو، أيستقرب اقتتان العامة بتماثيله في بلاد تلمس فيها البركات، ودفع المضار وقضاء الحاجات، من نعل الكلشن وباب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجمادات وهكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار العتيقة!!

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تماثيل لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخوارق، وأنشأ بعض الثمراء ينجح على هذه الصورة من

(المارچ ۱۲م ۱۱) خاتمة السنة الحادية عشرة . انتقاد جريدة طرابلس ۹۵۷

حلل انخيلات الوهمية والخرافية ما تجوده أقلامهم ونأهيك بجود الشراء في الكلام ، ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطالب منها الحاجات ، فسد الدين بهذا الباب سدا محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء (Physiologie) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها الألفاظ من لم يكن رأها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فإن احالة الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فإذا قيل : النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وإن هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول اللغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكماء على حفظ الأمن وتربية المجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الأستاذ الامام ان الاسلام يحل عن تحريمها وأذكر انني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجرتي الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقتني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يجرها الشرع

انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من المنصفين ما كتبناه عن طرابلس فقالوا انه بيان صحيح لحالها واعتذار عما رمي به أهلها من اللوم والذم لذنوب آتاه شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بتسييح أهل طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانهم أجمعين ، وبلغني انهم كانوا يطوفون على الأدباء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المثار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرد

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة المنار عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن المنار بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسمعوا في الجرائد نقدا الا بقصد الذم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الأشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . فقلت لكننا نقلناه لردده ونقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . فقلت وماذا تقولون في حكاية القرآن الحكيم للظمن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك اقترأه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ما سمعته وبلغني ان جمعية الاتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الاتحاد تصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلطيفا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبناه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ماقدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة أكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فإذا كانت عبارة المنار تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أثروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة المهارات في جهة التل واتقبة على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالنسبة وسأراجع المنار

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وأنه كتب في المنار بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تعود سوريا كما تعودته مصر . قلت انه قد صحح

(المخرج ١١م ١٢) خاتمة السنة الحادية عشرة. اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥٩

والغرض منه صحيح وهو ان يُنبه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم لتدارك ما أصابهم في
في الأيام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض
ولا بد ان نفرد قومتنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي
لا يكتب فيها الا المدح والاطراء ، لأجل الاستيالة والاسترخاء ، أو الذم والمهجاء ، لأجل
التشفي أو الأيذاء ، وإذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ،
والرد على من أساء الظن فيهم ، فإذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد
عليهم ، ويبان تقصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة
الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ما أتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في
العدد الآتي من طرابلس للتصل من نشر ما يريد نشره المتقدمون ؟ فاتفقنا على ان
يكتب اتني ينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دقاها
عنهم خلافا لما فهم بعض الناس واتني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد
كتب هو ذلك ونحن بيننا ههنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر
ما ينتقد علينا

اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم »
بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما
ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر
الاستاذ الامام والصواب الذي يراه القارئون للمنار ان لا تذكر كلمة « رضي الله عنه » عند
ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ،
وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا
ما تذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسمع من
القوائد أكثر مما يسه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب
المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والامانة . وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلّم »

٩٦٠ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة المنار الى انتقاده . الاشتراك (المنار ج ١٢ م ١١)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفها منها فاستحسنوا ان
استبدل بها حرف (ص) . ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلم) بحرفي «ع» بمعنى
عليه السلام كما يختصرون جملة «وجه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه»
بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف
فيهم منها المراد لما اختلف العقلاء في العمل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في
بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخط لأجل
قل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتعدون
لذلك كمحوري الجرائد

دعوة المنار الى الانتقاد عليه

انا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد
على المنار ولكننا لا تقبل قدما مبنا على ما يتقوله بعض الناس على المنار، ولا نقداً يخرج
فيه المتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقره تقبل بنصها
من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطاها

طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها قائما لم نزلها وان كانت جميع الاشياء ازدادت
فلاء في هذا القطر . ولكن أمرا طالما نبهنا اليه ولا يزال الناس يذهلون عنه ذلك انا صرحنا
مرارا بأن المنار لا يبعث به الا لمن يبعث بالقيمة سلفا ، وانا لا نقص من قيمة
اشتراك شيئا لأحدهما ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك فحن نكرر
القول هنا كما كررناه مرارا بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقا

هذا وانا نختم هذا المجلد بمثل ما افتتحناه به من ذكر الله والثناء عليه عز وجل
ونسأل الله ان يلهمنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن
تبعهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشي المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني